وجيه أباظة

صفحات من النضال الوطني



عبد الله إمام

تقديم

محمد حسنين هيكل

بسم الله الرحمن الرحيم

وجيه أباظة

صفحات من النضال الوطني

وجيـــه أباظـــة

صفحات من النضال الوطنى

الطبعـــــة الأولى : أبريل ٩٥

رقـــم الإيـــــداع : ٣٧٤٠ / ٩٥

الإشــــراف الفنـــى : محمد الصباغ

لوحة الغـــلاف : مصطفى حسين

أشراف على الانتاج : إيهاب إمام

خطـــوط الغـــلاف : لمعى فهيم

المراجعـــة اللغويـــة : سيد عبدالله

المونتـــاج : جودة عبد الصادق

الجمـــع : دار الجهاد

وجيه أباظة

صفحات من النضال الوطنى

عبد الله إمام

تقديم

محمد حسنين هيكل

إهـــداء

إلى الأجيال الجـديدة التى لم تعاصر
هذه الصفحات من النضال الوطني..
وإلى روح وجيه أباظة الثائر.. القدوة
التى نفتقدها دائماً فى هذه الأيام.

عبـد اللـه إمـــام



مقدمة :

محمد حسنين هيكل

عندما يرحل معارفنا وأصدقاؤنا من حياتنا وعالمنا، وحين تمضي السنون بعد رحيلهم، ويقوم الزمن بدوره ويسحب الحوادث والأيام وراء الضباب - تتبقي باستمرار لمحة من وجودهم تظل خضراء مورقة ومزهرة وعطرة أيضا!

لمحة واحدة تبقي دائما، تتحدي الموت وتثبت أن الحياة أقوي منه. صحيح أن الحياة هي البداية وأن الموت هو النهاية، لكننا ننسى أن الحياة تمارس فعلها بالتدفق، وأن الموت يمارس فعله بالخطف. وننسي أنه منذ حدثت معجزة الخلق الأعظم، فإن بلايين الكائنات تموت، لكن بلايين أكثر منها تولد، ولهذا تواصلت الحياة من ينبوعها الواحد - رغم كفاءة الموت علي تعدد أسبابه.

وهناك من يتصورون أن ما يتبقي من الراحلين عنا في حياتنا هو دموعنا في وداعهم أو ذكرياتنا معهم.

ولست أظن أن ذلك دقيق رغم تجربتي مع لفحات الحزن ونفحات الذكري.

لفحات النار تبرد مع الأيام ونفحات الذكري تشحب بعدها.

وإنما قصدي إلي شئ آخر باق بعد الرحيل، وبعد الأحزان والذكريات جميعها.

❑ ❑ ❑

ما أقصده يصعب التعبير عنه، ولكني أحاول.

أقول إن ما يتبقي من الحياة بعد الرحيل هو «المثال» الذي كانت عليه تلك الحياة في حالة وجودها الكامل.

وكلمة «المثال» لا يجب أن تختلط بالتعبير المعروف عن «المثل الأعلي».

كما أن كلمة «المثال» تختلف عن معني «التمثال».

«المثل الأعلي» في اعتقادي إلهي لا يبلغه البشر مهما حاولوا، وإن كان مطلوبا منهم دائما ألا يكفوا عن المحاولة.

و«التمثال» معني آخر مختلف، وهو خلق إنساني من حجر أو معدن يصور رجلا أو رمزا وفقا لخيال فنان.

وأما «المثال» فشئ آخر.

«المثال» ـ فيما أظن ـ دور وفعل وتأثير إنساني يضيفه فرد إلي الحصيلة العامة لتجربة مجتمعه، أشبه ما يكون

بالعصارات التي تصنع الخلايا وتدخل ضمن موروثاتها... شئ أشبه بما يسميه علم الأحياء بالـ «جينات»: الخلايا التي تحمل سر الحياة وتبرمج خصائصها وتنقلها إلي أجيال دون نسبتها إلي تسلسل محدد وأبوة مباشرة.

❑❑❑

وكان «وجيه أباظة» واحداً من هذا النوع من الناس الذين استطاعوا أن يجعلوا من أنفسهم «مثالا» بالمعني الإنساني الحي الذي حاولت شرحه.

* رجل يستطيع أن يقوم بكل مهمة تسند إليه ـ ويجعلها حياته طالما هي مسؤوليته.

* ويستطيع أن ينجح فيها بشهادة كل الناس ـ وبغير أن يمن أو يتعالي.

* ولا يصطدم في أدائها مع الآخرين ـ وإنما يحفظ لهم حدودهم مع حدوده.

* وفي أدائه فإنه لا يأمر ولا يقرر ـ وإنما يجعل كل من حوله يشعرون أنه في نفس الوقت أمرهم وقرارهم معه.

* ثم هو في ذلك كله بشر يصيب ويخطئ ـ لكنه في كل الأحوال قادر علي أن يواجه كل تجاربه بفرح وبثقة وبتفاؤل!

وكانت أول مرة لقيت فيها «وجيه أباظة» سنة١٩٤٨ وهو مساعد لقائد سلاح الطيران، وأنا صحفي عائد من ميدان القتال في فلسطين ـ وكان كلانا يشعر أن الوطن مقبل علي اختبار عسير.

وكانت آخر مرة لقيت فيها «وجيه أباظة» سنة ١٩٩٣ وهو رجل أعمال ناجح، وأنا صحفي ترك وسط الساحة إلي حافتها ـ وكان كلانا يشعر أن الوطن مقبل علي اختيار عسير. وبين اللقاءين مسافة نصف قرن تقريبا.

كان كما عرفته دائما، علي وجهه نفس الابتسامة، كما كانت في شباب العمر بقيت إلي آخره. وكان فيه نفس النشاط، مع الحركة باستمرار، وإذا كنت لا تعرف إلي أين هو ذاهب بهذه الهمة ـ فهو علي وجه اليقين يعرف.

ومع أنه حدثني عن مرضه، فقد أحسست أن ملامحه تعكس سيطرته علي الألم بأكثر مما تعكس سيطرة الألم عليه.

وأخذتنا الذكريات إلي تلك الأيام، وعدنا إليها معا بالفكر، ولم تكن عودة إلي أطلال أو أشجان أو حتي حنين إلي زمان مضي، وإنما كانت العودة كما هي طبيعة «وجيه» بالفرح والثقة والتفاؤل.

* تذكرنا رحلة أخذني إليها «وجيه أباظة» قبل الثورة إلي منطقة قناة السويس وقت اشتداد المقاومة الشعبية ضد قوات الاحتلال البريطاني. وكان هو ـ رغم وجوده في قيادة الطيران ـ واحدا من الذين أخذوا علي عاتقهم مع آخرين من الضباط مهمة تزويد المقاومة بالسلاح.

وذات ليلة في مدينة «بلبيس» جاءني «وجيه» فرحا بمجموعة صور التقطت داخل المواقع البريطانية، وقد ظهرت علي جدار فيها عبارة بالطباشير الأبيض تقول: كتائب التحرير مرت من هنا ـ «وأبديت له أن الصورة لا تثير حماستي، واندهش، وقلت: «إذا كان لدي كتائب التحرير وقت لتكتب بالطباشير علي حائط أنها مرت من هنا، فقد كان الأولي أن تلقي هناك بقنبلة تؤكد مرورها «من هنا» من دون حاجة إلي الطباشير».

وقد رآني وقتها متعسفا.

* وذكرته بما سمعته من «جمال عبد الناصر» فجر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكنا في المبني الذي أصبح مقر قيادة للثورة - وهو قبلها مقر رئاسة أركان الحرب، ثم هو الآن مقر وزارة الدفاع - وتناهي إليّ صوت أزيز طائرات.

وسبق «جمال عبد الناصر» تساؤلي بإجابته:

«هذا وجيه أباظة يعلن قيام الثورة من الجو»!

* وتذكرنا معا ما حدث في سبتمبر ١٩٥٥ حين أراد «جمال عبد الناصر» أن يسبق إلي إعلان سر صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتي، وكانت بالفعل متغيرا إستراتيجيا خطيرا في منطقة الشرق الأوسط - ووراءها إلي منطقة حلف الأطلنطي شمالا، وإلي آسيا شرقا.

عرف «جمال عبد الناصر» أن سر الصفقة تسرب، وأن هناك مبعوثا يمثل الرئيس الأمريكي «دوايت أيزنهاور» قادم إليه بالطائرة مباشرة من واشنطن - لكي يسأله عن صحة الموضوع.

وكان رأي «جمال عبد الناصر» أن يسبق هو ويذيع.

فهو لايريد إذا سئل في الموضوع أن ينكر ـ بينما الحقيقة علي وشك أن تعرف ـ وذلك شئ لايرضاه لنفسه.

ثم هو لايريد أن يكون أول تأكيد منه بحدوث الصفقة مقدما إلي مبعوث أمريكي حتي وإن كان مبعوثا من رئيس الولايات المتحدة ـ وذلك شئ لا يرضاه لبلده.

وواجهته معضلة: أين يتكلم... وأين يعلن؟

ولم يجد حلا إلا «وجيه أباظة» وهو وقتها مدير الشئون العامة للقوات المسلحة، وقد قال وهو يجد الحل: «إن وجيه أباظة عنده بالتأكيد في كل يوم مناسبة وفي كل ساعة تجمع.. وأستطيع أن أذهب إليه وأعلن من عنده ما أريد».

وقد كان.

* وتذكرنا أياما كان فيها محافظا للقاهرة ولمحافظات أخري غيرها، وكان «جمال عبد الناصر» يعتقد بمقدرة «وجيه أباظة» علي خوض أي تجربة، ويقول: «إن وجيه يعيش كل مهمة يؤديها، وكل مهمة يؤديها تعيش فيه».

ثم يضيف «جمال عبد الناصر»: وهو أيضا ليس واحدا من هواة المشاكل. وفي كل بحر ألقيته فيه وصل إلي الشاطئ وانتظرني هناك بلا شكوي... وبلاخطب!

❑ ❑ ❑

بقيت نقطة أخيرة وهي أنني سعيد بأن أبناء «وجيه أباظة» لم يحولوا أباهم إلي كرافتة سوداء تتدلي من رقابهم سنينا تطول أو تقصر، وإنما هم بدلا من ذلك حاولوا أن يساعدوا هذا الشئ الذي يتبقي من الراحلين بعد الأحزان وبعد الذكريات... «المثال». ليس «المثل الأعلي» ولا «التمثال»، وإنما «المثال» الإنساني، وبالمعني الذي يعنيه علم الأحياء عن الخلايا والجينات.

والحاصل أن هذا الكتاب الذي قام عليه الصحفي المقتدر الأستاذ عبد الله إمام ـ هو الكتاب الثاني الذي يصدر عن أبيهم برعايتهم واهتمامهم.

وذلك معني له قيمة..

قيمة تشير إلي أن «الأشياء» ليست وحدها القابلة

للتـوريث، وإنما هناك إلي جـانب «الأشيـاء» معـان أكبـر من «الأشياء»!

لمحـة من حيـاة تظل ـ بعـد الموت والأحزان والذكـريات ـ خضراء مورقة مزهرة وعطرة أيضا..

وابتسامة لا تغيب..

و«مثال» يسري عصـارة في الحياة، وليس «تمثالا» من رخام أو حديد يعريه الزمن، ويكسوه التراب!

محمد حسنين هيكل



عبد الله إمام

الرجل والتاريخ

أغـرقنى هذا الرجل.. فى تاريخ مـصـر..!
اقـتـربت منه... ودرست حـيـاته. فـإذا بى أغوص فى بحر واسع من التاريخ..!

فـفى كل الأحـداث الـبـارزة، كـان يطل أمامى...

وجيه أباظه.. رأيتـه... فى مظاهرات الطلبة وانتفاضـاتهم الوطنية وعرفته يوم كانت جيوش الألمان تقرع باب مصر... كان هو وزملاء له يسعـون للاتصال بهم.. ويجـهزون طائرة ، يذهب بهـا إليهم حـاملا الخرائط، والمعلومات حتى لاتقع قنابلهم عشوائية... فتدمر المصريين.

ويسـارع هو وأخوته لتـهريب عـزيز المصـرى بطائرة أعدها، لهـذه المغامرة الجريئة..!

ورأيته ساطعا.. يوم إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦.

كان يقـود الفدائيين فى معـاركهم ضد قوات الاسـتعمـار فى منطقة القناة...!

وفى تنظيم الضباط الأحرار.

كان له دور..

وفى ليلة الثورة الأولى..

استولى على المطارات.

وفى أزمة الثورة الأولى..

كان أحد الذين حسموا الموقف لصالح الثوار...

وتولى إعلام الثورة...

أنشأ صحافتها. . .

أخذ على عاتقه مهمة تعريف الناس بها. . .

بالجريدة. . .

والمجلة. . .

وبالسينما. . .

وبالأغنية أيضا. .

ويوم خاضت الثورة أولى معاركها لطرد احتلال دام ثلاثة أرباع قرن.

كان فدائيا

وكان محرضا ضد الإنجليز.

من عنده بدأت مشروعاتها الكبرى. . .

السد العالى الذى تقدم به مهندس عجوز إليه. .

فى معرض صغير أقامه.

أعلن عبدالناصر، أخطر وأهم قرارات الثورة، بكسر احتكار السلاح، وتنويع مصادر التسليح للجيش المصرى. .

عندما وقع العدوان الثلاثى على مصر.

كان له دور.

وكان عضواً فى أول برلمانات الثورة..

وعضواً فى برلمان الوحدة..

وفى أول تجربة للحكم المحلى فى مصر...

حمل على كاهله مسئولية نقل الثورة إلى المحافظات الثلاث التى تولى مسئولية العمل فيها..

وكان له دور التأسيس... والتجنيد... والحشد.. لتنظيمات ثورة يوليو الجماهيرية الثلاثة.. هيئة التحرير.. الاتحاد القومى.. الاتحاد الاشتراكى..

وأخيرا... أقام تنظيم طليعة الاشتراكيين السرى، فى كل المواقع التى عمل بها..

وكان القدر يدخر له أخيرا، ألا يتخلف عن آخر الأحداث التاريخية بعد رحيل عبدالناصر...



اختيار السادات رئيسا...

ودخــول السجــن فى قضـيــة مايــو، ضمن مــجــموعــة من رفــاق عبدالناصر.

غريبة جدا حياة هذا الرجل.. وجيه أباظه..

ولد يوم ٩ سبتمبر..

يوم... ثورة عرابى..

يوم... الإصلاح الزراعى عيد الفلاح..

يوم... عيد الشرقية..

❑❑❑

وهكذا وجدت نفــسى أقلب فى صفــحات النضال الوطنى.. فــقد رأيت مــصــر.. معــه... وبه... عــرابي... ســعــد زغلول.... مصطفى النحاس.... محمود فهمى النقراشى، ووقفت معه طويلا.. عند جمال عبدالناصر...

وثورة يوليو، وقد طردت الاستعمــار الذى عاش حياته مقاتلا ضده حققت الاستقلال.. وتحرير الإرادة الوطنية..

وقد هتفت له منذ كان طالباً

وغرست العزة والكرامة..

وكانت أملاً له.

وحققت العدل الاجتماعى...

وقد هزّته معاناة الفلاحين والطبقات الفقيرة.. وكان إحساسه بهم كبيرا، ومرهفا، فعمل معهم، ومن أجلهم..

وامتدت يدها لتسهم فى تحرير كل الشعوب المستعبدة..

وراحت تبعث الروح العربية.. وقد تطلع بنظره من صغره صوب العالم العربى من حولنا، وشارك فى المظاهرات، وهتف لقضايا التحرر فى مراكش، وفى تونس.. وفى سوريا.

❑❑❑

لم تكن ثورة يوليو، تشق طريقاً سهلاً، ولا ممهداً.. فقد وقعت في مطبات.. وانتصرت وانهزمت، ولكن المحصلة النهائية أنها قفزت بالمجتمع إلي الأمام.. ولم يكن ثوار يوليو مجموعة من الملائكة الذين لا يخطئون، فقد كان للثورة أخطاء.. وحققت إنجازات امتد تأثيرها إلي المنطقة من حولنا... وإلي دول العالم الثالث كله.

وإذا كان ثوار يوليو هم مجموعة من الوطنيين، فقد كان إلي جانبهم عشرات الألوف من الوطنيين والمخلصين داخل الجيش وخارجه.. ولو تم حشد كل هؤلاء لبرز من بينهم عشرات، كل منهم وجيه أباظة في عطائه لبلده.. فقد كان وجيه أباظة واحداً من بين مئات كان من الممكن

استيعابهم ليقدموا عصارة جهدهم لبلادهم..

❑❑❑

هذا الكتاب.

ليس عن وجيه أباظة.. إنه عن مصر التى عاشها...

وعمل لها..

وناضل من أجلها..

طالبا يقود المظاهرات.

طيارا.. فدائيا يسرق السلاح، ويشتغل سكرتيرا لبائع خردة، ليتمكن من دخول معسكرات الانجليز..

فدائيا يقود حركة المقاومة الشعبية.

❑❑❑

التقيت بالعشرات من الذين عملوا معه.. والذين عرفوه.

أبدا لم أجد أحدا يكرهه..

ولم أجد شخصا لا يذكره..

❑❑❑

ولم يصادفنى إلا الذين أحبوه، وترحموا عليه، وأحسوا بالمرارة لفقده.

وهم جميعا يذكرون له مواقف لا تنسى أبدا على المستوى العام..

وعلى المستوى الخاص أيضا..

كان لابد أن أتوقف عند مفاتيح هذه الشخصية النادرة والمتميزة..

ما الذى جعله هكذا...

نسيجا مختلفا..

لايعرف الكراهية...

يمد يده لكل الناس..

يبذل طاقته لعمل نافع..

يغرس الإخلاص فى نفوس من يلتقى بهم..

ينشر حوله الحب..

يعيش وطنه دائما فى قلبه... وفى وجدانه..

إنه طراز مختلف فى حماسه..

وفى وطنيته..

وفى فكره اللامع البراق..

بهذا كله غرس حبا للوطن.

وحصد حبا من كل الناس . . .

وتقديرا خاصا . . من أبناء بلده . .

❑❑❑

من أجل ذلك

فقد أغرقنى وجيه أباظة فى تاريخ مصر . .

ورجعت إلى عشرات الكتب، والدراسات، والمراجع . . لكى أستطيع أن ألحق بعضا . . من شخصيته الثائرة . . . وأقدمها فى هذا الكتاب .

نيابة عن كل الذين عاشوه .

وخبروا أعماقه ...

حبا . . .

وتقديراً . . .

وعرفانا . .

عبدالله إمام

مارس - ١٩٩٥

النضال الوطنى ٢

البداية

مصر ... سنة ١٩١٧ ...

الحرب العالمية الأولى، قد اتسع مجالهـا، وبعد أن كانت بين النمسا والصرب... دخلتها أطراف أخرى...... روسيا حاربت إلى جانب الصرب....... ألمانيا وفرنسا وانجلترا... حاربت مع النمسا...

وانقسم العالم، ولم تكن مصر بعيدة عن هذه الحرب... فقد كانت تخضع إسميا لتركيا ... فقط تدفع ٧٥٠ ألف جنيهاً عثمانياً جزية سنوية ...

ودخلت تركيا الحرب مع روسيا. . . .

ووجدتها انجلترا فرصة لتعلن الحماية السافرة على مصر. . . . . . .

وأعلن وزير خارجية بريطانيا أنه «بالنظر إلى حالة الحرب التى سببها عمل تركيا، وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته، وأصبحت من الآن فصاعدا من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية...

وبذلك زالت سيادة تركيا على مصر وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها»!

وأعلن «مكسويل» قائد الجيوش البريطانية بمصر الأحكام العرفية، وفرض الرقابة على الصحف، وأصدر قانونا يجعل اجتماع خمسة أشخاص تجمهرا يعرض السلم العام للخطر، وتعطلت الجمعية التشريعية. . .

فى اليوم التالى لإعلان الحماية، أعلنت انجلترا خلع الخديوى عباس الثانى، وكان فى الأستانة عند قيام الحرب - سنة ١٩١٤- على أثر مقتل ولى عهد النمسا بيد مواطن صربى، وآثر عدم العودة فاعتبرت انجلترا موقفه عدائيا.

وقررت الحكومة البريطانية أن يتولى العرش الأمير حسين كامل. . .

وتحولت السيادة الإسمية لتركيا. . . إلى سيادة فعلية لانجلترا. . .

كانت فترة حكم السلطان حسين كامل فترة قلاقل وظلام. . .

فقد استيقظ الوعى الوطنى ، وبدأ يوجه ضرباته للسلطان ورجاله، الذين جاءوا علانية بإرادة المستعمر، وسجلت الحركة الوطنية عددا من محاولات الاغتيال السياسية، بدأت بالخديوى نفسه ثم رجاله. . . . . . .

حشد السلطان الجديد كل إمكانيات مصر لخدمة انجلترا فى حرب، لم يكن لمصر دخل بها أبدا.

فجند العمال والفلاحين بالإكراه لإرسالهم للعمل فى خدمة الجيوش، وكذلك

المؤن والدواب استدعى «الرديف» من الجيش، وقد دفع الظلم هذا الرديف للتذمر والقيام بمظاهرة أمام قصر عابدين...

ويصف عبد العزيز على[1] ما قام به الانجليز بعد إعلان الحماية، بأنهم «قاموا بجمع الأهالى كرها وحشدهم قسرا لخدمة السلطة العسكرية، وتسخير الرديف فى أشق الأعمال، والاستيلاء على المحاصيل الزراعية بأبخس الأثمان وجمع الدواب بأقل الأسعار، وساقت السلطة العسكرية البريطانية بالسياط وفى مهانة ما يربو على المليون من العمال من أهل الريف، ولم ترحم فى ذلك شابا ضعيفا أو شيخا كبيرا وأرسلتهم للعمل بالإكراه فى خدمة جيوشها بسيناء والعراق وفلسطين والدردنيل باسم المتطوعين وما هم بمتطوعين.

«وجمعت من رديف جيشنا حوالى ١٢ ألفا أطلقت عليهم اسم «أنفار السلطة» وسخرتهم فى تعبيد الطرق بسيناء، ورصفها بالمكدام وإعدادها لسير المركبات، والمدرعات، ومد خطوط السكك الحديدية، وحفر الخنادق، والآبار، وبناء الحصون، والاستحكامات، إلى غير ذلك من أشق الأعمال، فمات منهم الآلاف من قسوة المعاملة وسوء التغذية وفتك المرض. وكان جزاؤهم جزاء سنمار.

واستولت السلطة العسكرية على محاصيل البلاد من قمح، وشعير، وذرة، وأرز، وعدس، وفول... إلخ. كما جمعت الخيل والبغال والجمال والحمير واشترتها قهرا بأبخس الأثمان».

❑❑❑

عرفت الجمعيات السرية، التى بدأ يشكلها رجال المقاومة الوطنية لمواجهة هذه السلطة الغاشمة، وكانت هذه الجمعيات تعمل فى اتجاهين: ضد الإنجليز... وضد السلطان حسين كامل.

عبد العزيز على ويصفه البعض بأنه أبو التنظيمات السرية فى مصر قال أن هناك ثلاث حوادث للاعتداء على السلطان:

---

(١) كتاب الثائر الصامت.

الأول محاولة اغتيال السلطان حسين كامل، إذ رأت الجمعية - السرية التى كان يعمل بها- فى قبول حسين كامل التعيين سلطانا بواسطة انجلترا بعد خلع الخديو عباس حلمى الثانى... خيانة توجب العقاب، وقررت قتله، وفى أبريل عام ١٩١٥ حاول الشاب محمد خليل من المنصورة قتل السلطان وهو يخترق بسيارته ميدان عابدين فأخطأه، وقبض عليه وحوكم أمام مجلس عسكرى بريطانى وحكم عليه بالإعدام وأعدم.

وكان الحادث الثانى على يد محمد نجيب الهلباوى عضو شعبة الإسكندرية الرئيسية والمدرس بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية.

أوفدت اللجنة الرئيسية بالقاهرة محمد شمس الدين إلى الإسكندرية ليستأجر شقة بشارع رأس التين، فاستأجر شقة أمام ضريح سيدى يوسف الجعرانى، وكانت قد أعدت قنبلة ليلقيها على السلطان، وهو يخترق الشارع بعربته لأداء فريضة الجمعة بمسجد عبد الرحمن بن هرمز، وعندما مر السلطان ألقى الهلباوى القنبلة، إلا أنها لم تنفجر لخطأ، فلم يفطن أن يشعل النار فى فتيل القنبلة بنار الفحم البلدى، وأشعلها من سيجارة كان يشربها، فلم تسري النار فيه، وألقى على أرض الحجرة «عقب» السيجارة الذي كان مفتاح القبض عليه بعد هروبه .

وكان الحادث الثالث محاولة قتل وزير الأوقاف إبراهيم فتحى إذ طعنه صالح عبد اللطيف الموظف بالمالية ثلاث طعنات بخنجره وهو على رصيف محطة القاهرة يهم بالسفر ولم يقتله، وقبض عليه، وحوكم أمام مجلس عسكرى بريطانى وحكم عليه بالإعدام شنقا وأعدم...

❑❑❑

لم يستمر السلطان حسين كامل فى الحكم طويلا. فقد كان مريضاً وعندما أحس أنه على وشك الموت، عرض على نجله الوحيد ولاية العرش، ولكن ابنه الأمير كمال حسين خاف ورفض، واعتذر، ولم يقبل أن ينفذ اتفاق والده مع الانجليز على ولايته للعهد، وأرسل لأبيه السلطان حسين كامل رسالة اعتذار يوم

٨ اكتـوبر. . ومات بعدها بيـوم واحد. . . فى ٩ أكتـوبر سنة ١٩١٧ . . وقال في رسالته لوالده «إنى مع إخلاصى التام لشـخصكم الكريم وحكمكم الجليل، مقتنع كل الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكننى من خدمة بلادى بأكثر مما يمكن أن أخدمها فى حالة أخرى، لذلك أرجو من حسن تعطفاتكم، أن تأذنوا لى أن أتنازل عن كل حق أو صفة أو دعوى، كان من الممكن لى أن أتمسك به، فى إرث عرش السلطنة المصـرية بصفتى ابنكـم الوحيد، وإنى بهـذه الصفة أقـر الآن بتنازلى عن جميع ذلك»

كان الولد يحس بالمعاناة التى عـاشها أبيه. . . وترصد الحركـة الوطنية له، فآثر الابتعاد، والسلامة...

❑❑❑

من البداية لم تـكن صحة الأمـيرحسين كـامل تساعده علـى أن يتولى الحكم، ولكنه لم يرفض العرض البريطانى بأن يكون حاكما لمصر...

فقـد كانت صـحتـه آخذة فى التـدهور منذ عام ١٩١٦، وأجـريت له عملـية جراحية، ويئس الأطباء من شفائه، وأخذ المرض يلح عليه، ولكنه قام برحلة نيلية من القاهرة إلى أسوان زار خلالها كثير من المدن الكبرى.

وفى سنة ١٩١٧ اشـتـد عليـه المرض. . . . واعتكـف فى قصـر والدته بمصـر الجديدة عدة أسابيع، بعد أن نصحه الأطباء بالراحة التامة، وعدم بذل أي جهد ولما تحسنت صحته قليلاً انتقل إلى الباخرة وأقام بها عند مرسى حلوان.

وفى ٧ اكتوبر سنة ١٩١٧ صدر البلاغ الطبى الآتى:

«عاد صباح اليوم حضرات الأطباء حـضرة صاحب العظمة السلطانية بالباخرة، وبعد الفحص وجدوا - والحـمد لله - تحسينا فى حالة مولانا السـلطان الصحية، ونظرا لرطوبة الجو أشاروا بإيقاف الإقامة على النيل الآن»

وقد انتقل السلطان إلى قصر عابدين فى الساعة الثالثة من بعد الظهر .

وفى ظهر يوم الثلاثاء ٩ اكتوبر أصدر مجلس الوزارء بلاغا نعى السلطان الذى كان قد أوصى بألا يقام له مأتم. . . .

وخرج نعش السلطان حسين من قصر عابدين فى ١٠ اكتوبر على أعناق بعض الجنود والبحارة.

وسار خلفه الأمير أحمد فؤاد، وإلى جانبه الأمراء، والوزراء، فرجال الدين فأعضاء الجمعية التشريعية، فالموظفين المصريين، والأجانب، ودفن فى مسجد الرفاعى إلى جانب والده اسماعيل. . .

ويقول أحمد شفيق فى «حوليات مصر السياسية» إن السلطان «كان عصبى المزاج، سريع الانفعال، مصابا بالأرق، لا ينام إلا ساعة أو بعض ساعة، وهذا ما أثر فى قواه الجسمانية حتى انحطت، وكان سبب انحطاطها ما أخذه على عاتقه من أعمال السلطنة التى أنهكت قواه»

❑❑❑

اتجه الانجليز فورا إلى أخيه الأمير أحمد فؤاد؛ . .

كان أحمد فؤاد قريبا منهم وكان مقامرا،وفقيرا، وسكيرا، وسبق أن خدم فى الجيش الإيطالى، وعين ملحقا عسكريا في فيننا، وكان طموحاً حتى سعى لتولي عرش ألمانيا.

وقد تزوج من الأميرة شويكار ابنة إبراهيم ثم طلقها، وضربه أخوها بالرصاص، فجاءت الرصاصة فى حلقه، وسببت له بحة فى الصوت استمرت معه حتى نهاية حياته.

وكان لا يتكلم العربية، مولعا بالنساء، حتى عقد اتفاقية تبادل المحظيات بالبحر مع ملك إيطاليا. . . وكان شغوفاً بالنكات الخارجة... ويهوي إحراج سيدات المجتمع بما يعرضه عليهن من صور بذيئة. . . وقد تزوج بعد شويكار من «نازلي»

حفيـدة الكولونيل سيف «سليمان باشـا الفرنساوي» وكان يمضى مـعظم وقته فى مدينة الإسكندرية. . . ولا تفوته مناسبة يقوم بها قائد القوات البريطانية إلا ويسارع لحضورها. . . .

ويبدو أنه كـان يُعد من فتـرة لتولى هذه المهـمة، فالصـحف منذ تولى شقيـقه السلطان حسين العرش، تبرز أبناءه، وتذيع تحركاته، وتنشر أخبار زياراته.

❑ ❑ ❑

أرسل إليه السـير «رجلند ونجت» المندوب السامى البـريطانى فى نفس يوم وفاة أخيه السلطان حسين كامل - ٩ اكتوبر ١٩١٧ - وقبل أن يدفن، يبلغه أن الإختيار قد وقع عليه ليكون سلطانا لمصر. . . . .

«فإن حكومة صاحب الجلالة البريطانيـة تعرض على عظمتكم تبوّء هذا العرش السامى، على أن يكون لورثتكم من بعدكم، حـسب النظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين عظمتكم.

«وإن حكومة صـاحب الجلالة البريطانية تريـد أن تجدد لعظمتكم بهذه المناسـبة التأكيـدات التى أعطتها لسلف عظمـتكم عند ارتقائه العرش، وهى مقـتنعة أن فى استطاعـتها أن تعـتمد، فى العمل مـع عظمتكم، على تلك الصداقـة التى كانت شعارا لحكم السلطان المرحوم، وعادت ثمراتها على البلاد بازدياد الرفاهة والتقدم، ذلك الأمر الذى له مـن المكانة فى نفس الحكومة البـريطانية مالا يقل مـنزلته لدى عظمتكم»

وهكذا نصّب السلطان فـؤاد يوم ١٠ اكـتـوبر سنة ١٩١٧، وانتـقل من قصـر البستان إلى سراى عابدين.

وأرسل خطابا إلى حـسين رشـدى باشا - نفس رئيس الوزراء فى عـهد أخـيه السلطان الراحل- يطلب إليـه إعادة تشكيل الوزارة من جـديد، وكان يعـترف في رسالـته بأنه تولى بأمـر الانجليز «لأننا نُعلـم رعايانا أنه بسـبب وفاة سلفنا وأخـينا المحبوب، المغفور له السلطان حسين الأول الذى اختطفته المنية قبل الأوان، وملأت

القلوب حزنا عليه، قـد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحاميـة عرش السلطنة المصرية، على أن يكون هذا العـرش من بعدنا لورثـتنا طبقـا للنظام الوراثى الذى سيـوضع بالاتفاق بيننا وبينها»

❑ ❑ ❑

في ذلـك العام عـام ١٩١٧ ولد وجيـه أباظة.. وهو نفس العـام الذي عـين الانجليز فيه أحمد فؤاد سلطاناً على مصر...

وفيما بعد سوف يصبح ملكا...

وتشهد البلاد فى عهده أحداثا جسيمة........

ويتولى بعده ابنه الملك فاروق.....

وسوف يطرد ابنه من مصر بعد مولده بشهر كامل بالضبط...

ويغادرها على اليخت «المحروسة» إلى «نابولى» فى إيطاليا...

وكان جده اسماعيل قد طرد من مصر أيضا.

وغادرها على اليخت «المحروسة» إلى «نابولى» فى إيطاليا.

وسوف يكون لوجيه أباظة، وزملائه دور فى طرد الملك.

الذى تولي السلطة سنة مولده

بل وإنهاء النظام الملكى كله....

وبدأت مرحلة مختلفة من تاريخ مصر......



في مدرسة الزقازيق الثانوية

المدينـــة

مدينة «منيا القمح» حيث كانت صوامع تـخزين القمح القديمة أول مدينة يتعرف عليها وجيه أباظه عن قرب ويتجول بمفرده فى شوارعها الضيقة.

فى «منيا القـمح» مدرسة إبتدائيـة وحيدة، هى مدرسـة الألفي... أسستهـا عائلة الألفى سنة ١٩٠٨ وسلّمتها إلى وزارة المعارف لتصبح مدرسة حكومية..

كان يقطع الطريق إليها «من قريته كفر أبو شحاته» راكبا حمارا. . .

فى الوكالة يترك الحمار، ويذهب للمدرسة، بعد انتهاء الدراسة، يعود بنفس الطريقة. .

وفيما بعد كانت هناك أسرة صديقة، طلبت أن يمضى فترة القيلولة فى شهور الصيف الدراسية عندها، ويعود إلى قريته «كفر أبو شحاته»، بعد انحسار الشمس قليلا. هناك كان يرتاح بعض الوقت، ويراجع دروسه مع زميل له عن أبناء الأسرة، ووفقا لرواية سعد الدين متولى الموظف السابق بالإدارة التعليمية، فقد كان وجيه صديقا وزميلا لأخيه إبراهيم، وكانا يمضيان فترة القيلولة معا كل يوم فى المنزل. . ثم التقى به بعد ذلك، وقد أصبح متطوعا فى سلاح الطيران، ووجيه ضابط فى نفس السلاح. ويذكر أن الضابط طلب منه أن يعرفه على أبناء «منيا القمح» الذين يعملون فى اللاسلكى أو ميكانيكا الطيران حتى يمنحهم تصاريح أجازة طوال أيام مولد «الشيخ جودة».

والشيخ جودة هو أحد الأولياء الصالحين، أقيم له ضريح فى «منيا القمح» وكان مولده بمثابة عيد المدينة، والقرى المحيطة بها. .

❑❑❑

فى هذه المدرسة الإبتدائية، نفسها، مدرسة الألفي، التحق بها أخوته، ويقول شقيقه الأكبر ممدوح، إنه لم يكن فى «منيا القمح» سوى هذه المدرسة، ومدرسة أخرى للأمريكان.

وقد أمضى ممدوح فترة فى مدرسة الأمريكان قبل أن ينتقل إلى مدرسة الألفي.

أما وجيه فقد دخل المدرسة الإبتدائية الحكومية، بعد أن أتم المرحلة السابقة فى كتّاب القرية، تعلم فيه قواعد الحساب، والقراءة والكتابة وغيرها مما كان ضروريا لاجتياز اختبار القبول التحريرى قبل الالتحاق بالمدرسة الإبتدائية.

ففى ذلك الوقت، ووفقا لقواعد التعليم التى وضعتها «وزارة المعارف» كانت المدرسة الإبتدائية مرحلة تالية بعد المدرسة الأولية.

وكان الطريق إليها يمر عبر امتحان مسابقة يشترط النجاح فيه قبل القيد فى الإبتدائي.

وكانت المدرسة الإبتدائية الحكومية بمصروفات، المجانى فقط هو التعليم الأولي، أو الإلزامي، فقد نص دستور ١٩٢٣ على «أن التعليم الأولى إلزامى للمصريين من بنين وبنات، وهو مجانى فى المكاتب العامة»...

ولم تكن هذه المدارس الأولية منتشرة، ومتوفرة فى كل القري، مما أدى إلى الاعتماد الأساسى على الكتاتيب فى أغلب القري.

وكانت الكتاتيب تقوم أساسا بتحفيظ القرآن الكريم، مستخدمة فى التعليم الحبر الأسود، والألواح الخشبية، والدواية، والقلم البوص، ولا يلجأ عادة تلاميذ الكتاتيب إلى الورقة، أو القلم الرصاص أو الكتاب...

❑❑❑

فى المدرسة الإبتدائية بـ «منيا القمح» التقى ثلاثة أطفال.. جمعتهم الظروف... إنهم ليسوا من قرية واحدة، ولكنهم يجيئون للمدرسة من القرى المجاورة.. ولا يذكر أحدهم، متى كان اللقاء الأول، ولا كيف تحول هذا اللقاء إلى معرفة، ثم إلى صداقة حميمة... امتدت العمر كله!

الأصدقاء الثلاثة هم: وجيه أباظة - سعيد الخيال - فوزى شاش.

ربما ما بقى فى ذاكرة «المستشار سعيد خيال» أن بداية تعمق الصلة بينه وبين «وجيه» كانت فى السنة الرابعة، وقبل حصولهما على الشهادة الإبتدائية بشهور قليلة..

كانا معا عضوين فى جمعية الخطابة، وكان «الإلقاء» من أهم ما تعوّدهم عليه الجمعية.

وفى أحد الاحتفالات كان على جمعية الخطابة أن تثبت وجودها، كواحدة من الأنشطة والهوايات فى المدرسة.

وأعد خطاب مكتوب ليلقيه أحد أعضاء الجمعية، وكان الخطاب ترحيبا بالزوار، وحديثا عن دور المدرسة، وأنشطتها.

واختير اثنان من التلاميذ، ليلقى أحدهما الخطاب.. وصعدا معا إلى المنصة، وفى يد كل منهما نسخة من الخطاب مكتوبة بالخط النسخ، سبق أن تدربا على إلقائها أكثر من مرة.

ولم يكن المدرس أو المشرف على الجمعية قد حسم رأيه فى اختيار «سعيد خيال أو وجيه أباظه» لمهمة الترحيب بالضيوف.. وهما واقفان على المسرح الذى ستعرض عليه نماذج مما تعلّمه التلاميذ فى جمعيات المدرسة من فنون، وعلوم، وآداب.. أشار المدرس إلى «وجيه» ليلقى الخطاب...

ونزل «سعيد خيال» ليجلس مع زملائه يستمع لإلقاء زميله «وجيه أباظه» ويبدو أن وقفتهما الطويلة على المسرح معا، قد أحدثت تقاربا أكثر بينهما، فمنذ هذه اللحظة تحولت الزمالة إلى صداقة.. وصداقة عميقة.. بعد قليل، سوف يؤديان معا امتحان الشهادة الإبتدائية عام ١٩٣٢. ويعود كل منهما إلى قريته..

قبل أن تعلن النتيجة كان سعيد خيال قد زار وجيه فى قريته، وكان وجيه قد رد له الزيارة..

على ما فى هذه الزيارة من مشاق، فقد كان عليهما أن يستخدما «الركايب» فى التنقل كوسيلة وحيدة للاتصال بين القري.. «ربما.. ربما كنا نتبادل إرسال الخطابات فى مرات بسيطة خلال العطلة الصيفية، ولكنها كانت قليلة على كل حال» هكذا يقول سعيد خيال..

وكانت الخطابات أيضا يحملها البوسطجي، متجولا على حماره الحكومي،

وكانت صورته نمطيــة متكررة يضع منديل محلاوياً تحت طربوشه، يقـيه الشمس، ويحمى الطربوش من العرق. !!

وأعلنت نتيجة الشـهادة الإبتدائية.. ونجح الصديقان.. وجيـه أباظه.. وسعيد خيال.. وأصبحا الآن يحملان شهادة تؤهلهما للالتحاق بالمرحلة التالية من التعليم فى المدرسة الثانوية.

الصديق الثـالث الذى انضم إليهما فى الإبتـدائى هو «محمـد فوزى شاش».. وهو لا يذكر كيف تعمقت الصداقة بينه وبين «وجيه وسعيد»، حتى أصبحا ثلاثيا، رغم أنهما كانا يسبقانه فى التعلم بعام واحد.

ولكنه على كل حال انضم إليهما، وتبـادل الثلاثة الزيارات واللقاءات، وأحيانا الخطابات فى المرحلة الإبتدائية..

وسوف يلتقى الثلاثة بعد ذلك فى «الزقازيق» عاصـمة مديرية الشرقية... حيث المدرسة الثانوية.

❑❑❑

الزقـازيق تقع على بحر مـويس، ونشـأت مع بداية إقامـة محـمد على التـرع بالشرقية لإصلاح أراضيها الزراعية لزيادة إيرادات الحكومة من الضرائب الأطيان.

ويذكر على مـبارك أن مدينة الزقـازيق أنشئت عندما صـدر أمر «محـمد على» بعمل قناطر تحل مكان سد بحر مويس، لرى أراضى مديرية الشرقية وتوافد عليها العمال والمسـتخدمون ليقيـموا بجوارها عششا من الطين والأخـصاص على جانبى بحر مويس لإقامتهم وتبعهم فى ذلك باعة المأكولات ونحوها.

وتكاثر الناس شيـئا فشـيئا وازدادت الأبنيـة الخفيفـة، وبعد انتهـاء عمل تلك القناطر بقيت تلك المبانـى مسكونة وازداد عدد سكانها إلى أن صدر الأمر رسـميا

بالبناء، وأنشيء مسجد للصلاة على طرف الديوان فحصل التجديد شيئا فشيئا للأبنية الحسنة باللبن والآجر على جانبى النهر «بحر مويس» حتى كثرت وصارت مشتملة على منازل مفتخرة وقصور مشيدة بالمونة والبياض والشبابيك الشيش والزجاج وغير ذلك...

وجعلت الزقازيق رأس المديرية بعد أن كانت الشهرة لمدينة بلبيس، ثم أنشيء بها قصر للميرى لنزول العزيز، وجعل المسجد بأعمدة وسقوف بلدية ومنارة وأقيمت فيه الجمعة،

ثم جدد بها الأمير يوسف بك مسجدا بالبر الغربى لبحر مويس يعرف بالمسجد الصغير، وجدد بها مساجد أخرى وكنائس ومعاهد للعلم، وعدة أسواق بدكاكين وخانات مشحونة بأنواع البضائع، ووكالات لسكنى الأغراب، وأنشئ بنك للتجارة وعدة وابورات لحلج القطن وللطحين وصناعة الثلج وعصر الزيت وغير ذلك. وأنشأت بها الحكومة ديوان المديرية مستوفيا والمجلس المحلي، وديوان الهندسة، وديوان الصحة، ومجلس دعاوي، ومجلس مشيخة ومجلس تنظيم ومدرسة إبتدائية ومحكمة شرعية كبري».

«عند بناء قناطر الزقازيق اختاروا لها المكان فى موقع سد قديم فى بحر مويس لحجز المياه، ووضع ديوان الهندسة التصميمات اللازمة لإنشاء ست قناطر أكبرها القنطرة التى تعرف بقناطر التسعة، من تسع عيون، على بحر مويس والخمس القناطر الأخرى تقع على خمس ترع أخري، تأخذ مياهها من أمام قناطر التسعة، ولما كان بناء هذه القناطر يحتاج إلى عدد عظيم من العمال وإلى مدة من الزمن استحضر رجال الهندسة العدد اللازم من العمال، وكان بعضهم من كفر الزقازيق الواقع شمال القناطر، وكان من بينهم رجل مقدام اسمه الشيخ إبراهيم رقزوق اختاره الباشمهندس رئيسا على جميع العمال، أنشأوا لهم، وللباعة بجوار مكان القناطر مساكن لإقامتهم عرفت بين العمال وغيرهم باسم نزلة الزقازيق نسبة إلى

أفراد عائلة زقـزوق المذكور من جهة، وإلى كفر الـزقازيق موطنهم الأصلى الواقع بالقرب من القناطر من جهة أخري.

ولما تم بناء القناطر فى سـنة ١٨٣٢ أصبح من الضـرورى تسـميـة هذه القناطر باسم معين تعرف به بين رجال الرى وتذكر بـه فى مكاتباتهم، وجداول أعمالهم، فاختار لهـا الباشمهندس اسم قناطر الزقازيق نسبة إلـى نزلة الزقازيق، لأنها كانت فى ذلك الوقت أقرب مكان مسكون بجوار تلك القناطر.

وفى القامـوس الجغرافي: إن نزلة الزقـازيق لا تزال موجودة، وصارت كـقسم إدارى من مدينة الزقازيق يعرف بكفر الجامع، نسـبة إلى الجامع الذى أنشأه محمد على فى هذه النزلة للعمال. وهو أول مـسجد أقيم فى تلك البقعـة التى تعتبر نواة فى تكوين مدينة الزقازيق الحالية.

ويقال إنه بعد أن تم بناء القناطر زارها محمـد على قدموا لسموه الشيخ إبراهيم زقزوق، فأظهر ارتياحه وشكره على جـهده فى بناء القناطر، ولما علم أنها سميت قناطر الزقازيق نسبـة إلى أسرة الشيخ إبراهيم زقزوق قال سـموه: فلتكن الزقازيق على بركة الله.

وطلب أحمد أفندى البـارودى الباشمهندس نقل ديوان هندسة رى الشـرقية من مدينة بلبيس إلى جوار قناطر الزقازيق ليتمكن رجال الرى من الإشراف على توزيع المياه فأجيب إلى طلبه.

بعد ذلك رأى محـمد على أن تكون الزقازيقى قاعدة لمديرية الشـرقية بدلا من بلبـيس لتوسطهـا بلاد المديرية، فأصـدر أمره فـى سنة ١٨٣٣ بنقل ديوان المديرية والمصالح من بلبـيس إلى الزقازيق، ونزل الموظفون فى مكاتب أعدت لهم مـؤقتا، ومن تلك السنة سميت البلدة رسميا «الزقازيق».

وفى سنة ١٨٣٦ أقيم بها أول ديوان لموظفى المديرية ومـصالحها ومستخـدميها.

وبدأت المدينة فى الاتساع لا سيما بعد إنشاء السكك الحديدية وتفرعها من محطة الزقازيق إلى القاهرة والمنصورة والسويس وبورسعيد.

وكانت تتبع إداريا مركز القنايات، ونظرا لاتساع دائرة الزقازيق، وزيادة عدد سكانها أصدر ناظر الداخلية فى سنة ١٨٩٠ قرارا بفصل مدينة الزقازيق عن مركز القنايات، وجعلها هى وملحقاتها مأمورية قائمة بذاتها يرأسها مأمور لإدارة أعمالها، وفى سنة ١٨٩٦ أصدر ناظر الداخلية قرارا بنقل ديوان المركز من «القنايات» إلى مدينة الزقازيق، لتوسطها بين بلاد المركز وتوافر المساكن بها، ووقوعها على رأس السكك الحديدية المتفرعة منها.

وينفى القاموس أن هذه التسمية ترجع إلى نوع من السمك يعرف «بالزقزوق» وجمعه «الزقاريق» كان يخرجه الصيادون من قناطرها أو من مستنقع بالقرب منها، ويقول إن الزقاريق هذا يرجع إلى الصدفة التى أوجدت هذا النوع من السمك الذى كان ولا يزال يصاد بكثرة من خلف قناطرها، ومن خلف أغلب القناطر بالوجه البحري، فظن البعض أن «الزقازيق» عرفت بهذا الاسم نسبة إلى السمك المذكور ثم انتشرت هذه الرواية الملفقة.

فالزقازيق إذن منسوبة إلى أسرة أحمد رقزوق الكبير الذين أنشأوا كفر الزقازيق قبل مجيء محمد على إلى مصر، وإلى نزلة الزقازيق التى أنشأها حفيده إبراهيم رقزوق بجوار القناطر...

❑❑❑

قدم وجيه أباظة أوراقه إلى مدرسة الزقازيق الثانوية...

وعندما تقدم «سعيد خيال» إلى المدرسة رفضوا قبول أوراقه... فقد أعلنوا عن موعد الكشف الطبى... وانتهى كل شئ... ولم يكن سعيد يعرف... وأسرع إلى مدرسة بنها الثانوية فقبلته بعدها بذلت أسرته جهودا لتحويله من بنها الثانوية إلى الزقازيق، بناء على الحاحه الشديد...

وكان سببب هذا الإلحاح أن يكون مع صديقه وجيه فى بلدة واحدة، وفى مدرسة واحدة!

والمدرسة الثانوية بالنسبة للطلاب فى تلك الفترة، تمثل نقلة حياتية ضخمة وكبيرة.....

وعدد المدارس الثانوية محدود، غالبا فى عواصم المديريات أو المدن الكبرى...

وأغلب الطلاب الوافدين من الريف، يقيمون فى المدينة وحدهم، أو يتجمعون لاستئجار غرفة أو شقة خالية يفرشونها، وبعضهم يعيش مع أقاربه أو معارفه فى المدينة...

وفى المدرسة الثانوية مجال آخر لنوع آخر من الحرية يمارسها الطلاب كانوا بعيدين عنها فى المدرسة الابتدائية، وهى متابعة الحياة السياسية، والاهتمام بها، أو الانضام للأحزاب السياسية وكانت القضية الوطنية، وجلاء الإنجليز عن مصر، هو ما يشغل الأحزاب، كما أنها بطبيعة الحال هى القضية الأولى المستقرة فى وجدان كل المصريين، وخاصة الشباب منهم بينما كانت الصراعات، والخلافات الحزبية حول الوصول إلى الحكم، والطريق إليه عبر التزلف للملك وعدم التصادم مع السراى، أو الإنجليز الذين كانو يحكمون فعلا، وكان أكبر الأحزاب المصرية، وأكثرها شعبية وجماهيرية وأحسنها موقفا هو حزب الوفد... وأكثرها تطرفاً هو حزب مصر الفتاة، وأشدها تحفظا هو الحزب الوطنى الذى رفض حتى مبدأ المفاوضة مع الإنجليز، وطرح شعارا مستحيلا هو «لامفاوضة إلا بعد الجلاء»...

❑❑❑

وانغمس الأصدقاء الثلاثة فى الحياة السياسية وأصبحوا أعضاء أو مشايعين مثل معظم الشباب لأحزاب ثلاثة:

سعيد خيال... فى حزب الوفد الجماهيري..

وجيه أباظة... فى حزب مصر الفتاة المتطرف..

فوزى شاش... فى الحزب الوطني.. المحافظ..

وأصبح عندهم مجال واسع لممارسة نشاط سياسي، ووقتهم أكثر اتساعا، فهم يسكنون إلى جانب المدرسة، فى بيوت لأقاربهم، أو عائلتهم..

❑❑❑

كانت الأحزاب السياسية فى مصر قد نشأت فى وقت مبكر فى بدايات القرن التاسع عشر.. وكان أول هذه الأحزاب هو الحزب الوطنى بعده قامت الحياة الحزبية التى شارك فيها الشباب، وعاشوا تناقضاتها وانعكست عليهم صراعاتها...

وأسس مصطفى كامل الحزب الوطنى عام١٩٠٧.

شهد عام تأسيس الحزب الوطني، قيام الحياة الحزبية، فى مصر

ففى ذلك العام أسس محمد وحيد الأيوبى حزب الأحرار، ...

وأسس حسين عبد الرازق حزب الأمة... ورأس تحرير صحيفته «الجريدة» أحمد لطفى السيد

كان سعد زغلول قد شكل الوفد عام١٩١٨، وفيما بعد قاد ثورة ١٩.

أسس الشيخ على يوسف حزب الإصلاح، وأصدر جريدة «المؤيد» لسان للحزب. بعدها لسنوات جاء فى الوفد، وفى أكتوبر ١٩٢٢ تألف حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عدلى يكن، وخلفه محمد محمود،

وفى عام ١٩٢٥ ألف يحيي إبراهيم حزب الاتحاد وصحيفة الاتحاد

وسوف ترى فيما بعد تأسيس إسماعيل صدقى حزب الشعب عام ١٩٣٠

أما أحمد حسين فقد أسس حزب مصر الفتاة سنة ٣٣ كجمعية وطنية ثم تطورت إلى حزب صغير متقد حماسا.

وتشكل حزب السعديين بعد انشقاق أحمد ماهر والنقراشى على الوفد عام ١٩٣٧.

ثم تأسيس حزب الكتلة بانشقاق مكرم عبيد على حزب الوفد عام ١٩٤٣.

كـان الطلاب يقـضون فى المرحلـة الثانوية خـمس سنوات.. بعـد أربع منهـا يحصلون على شهادة الثقافة.. وفى السنة الخامسة يحصلون على شهادة التوجيهية فى نهاية الدراسة بإحدى شعبتيها علمى أو أدبي..

وكان عليهم أن يجـدّوا فى دراستهم، ولا يعطلهم عن التعلم الـطريق السياسى الذى اختاروه، ويتخرج اثنان منهما عام ١٩٣٧، والثالث بعدهما بعام..

❑❑❑

وكانت سنوات المدرسـة الثانوية، سنوات غنيـة، حافلة بالأحـداث السياسـية، فمصر كلها تغلي، وهى تعيش تغييرات عميقة فى تلك الفترة..

كان سعد زغلول زعـيم الأمة، قد سافر ليرتاح عشـرة أيام فى بساتين بركات، فى ضيافة ابن أخته فتح الله بركات، ثم انتـقل من قصره الريفى إلى قرية «مسجد وصيف» كعادته السنوية...

وفى أوائل أغسطس ١٩٢٧، هاجمه المرض فـأحس بألم فى أذنه اليمني، وقال الأطبـاء: إنه نوع من مرض «الحُمـرة» ثم انتقل بالبـاخرة «مـحاسن» إلى القـاهرة للعلاج، ولكن المرض اشـتد عليه، حـتى توفى فى ٢٣ أغسطس وحـزنت البلاد لفقده...

واجتـمع مجلس الوزراء برئاسة عـبد الخالق ثروت رئيـس الحكومة، ولم تكن وزارة وفدية، وإنما ائتـلافيـة من الأحزاب، وقررت أن تقـيم له ضريحـا وتمثالين بالقاهرة والإسكندرية ومستشفى أو ملجأ باسمه فى العاصمة، وشراء بيته فى قريته «إبيانه» مركز «فوّة»، وشراء بيته فى القاهرة ليصبح «بيت الأمة» ويخصص لسكنى زوجته ثم يتحول للمنافع العامة... كل ذلك على نفقة الحكومة.

وبعد مـا يقرب من شهـر على وفاة سعد زغلـول، وفى ٢٣ سبتمـبر ١٩٢٧، اجتمعت الهيئة العليا للوفد لتـختار خليفته، وكان هناك من يرشح فتح الله بركات

باشا عضو الهيئة، وابن أخته، ولكن الرأى استقر على اختيار مصطفى النحاس سكرتير حزب الوفد، ووكيل مجلس النواب رئيسا للحزب، ومكرم عبيد سكرتيرا عاما. . .

وشكل مصطفى النحاس وزارته الأولى عام١٩٢٨، وكانت الحكومة البريطانية قد تقدمت بإنذار إلى الوزارة السابقة احتجاجا على مناقشة البرلمان لقانون الاجتماعات العامة بحجة أنه يعرض حياة الأجانب للخطر، وتداعت الأمور أكثر فرأى لمندوب السامى أن المصريين لا يستحقون الدستور، واستجاب الملك فورا وأصدر أمرا بتعطيل الدستور للمرة الثانية[١] وإقالة مصطفى النحاس وعهد إلى الأحرار الدستوريين بين بتشكيل الوزارة مما اعتبر انقلابا ثانيا على الدستور استنكرته كل الأحزاب .

وبدأت حكومة حزب الأحرار برئاسة محمد محمود مفاوضاتها للوصول إلى معاهدة، ولكنها فشلت. . ثم سقطت لتجيء وزارة أخرى تعيد الدستور. . . ثم تسقط بعد الانتخابات.

ويشكل مصطفى النحاس وزارته الثانية «يناير ١٩٣٠» وتبدأ المفاوضات ثم تفشل، وتستقيل أيضا بعد خمسة شهور، ويعهد الملك فؤاد إلى إسماعيل صدقى بتشكيل وزارة جديدة.

❑ ❑ ❑

كان هذا السرد التاريخى السريع، لنصل إلى بداية سنوات الثلاثينات التى شكلت وجدان شباب مصر المهموم بقضايا وطنه، والذى عاش تلك السنوات. .

قام إسماعيل صدقى بأخطر، بواحد من أهم التغييرات فى حياة مصر السياسية ...

---

(١) «المرة الأولى فى عهد وزارة زيور عام ١٩٢٤»

من قبل عطل الملك فؤاد الدستور... مرتين .

فى هذه المرة ألغى الدستور تماما. . ووضع دستور جديد. .

كان إسماعيل صدقى قد استقال من حزب الأحرار الدستوريين قبل أن يشكل وزارته من عناصر معادية للدستور. وأنشأ حزبا جديدا أسماه «حزب الشعب». .

قرر البرلمان تحدى قرار الحل، وذهب النواب إلى البرلمان المغلقة أبوابه بالسلاسل، المحاصر بالجيش، وحطم النواب السلاسل، وكسروا الحصار، واجتمعوا وأعلنوا احتجاجهم على إلغاء الدستور، ثم بدأت المؤتمرات والمظاهرات تعم مصر كلها، رافضة كل ما حدث، ولم يهتم الملك بكل هذا، وتحدى إرادة الشعب ووقع بإصدار الدستور الجديد الذى يمثل أبشع اعتداء على الشعب وحقوقه. . فالدستور الملغى وفقا لنصوصه لا يجوز تعديله إلا بقرار من ثلثى أعضاء مجلس النواب والشيوخ، ولا يصح حتى مجرد مناقشة تعديله إلا بحضور ثلثى أعضاء المجلس. .

وإمعانا فى التحدى نص الدستور الجديد على ألا ينظر فى تعديله قبل عشر سنوات، وجعل حق البرلمان فى سحب الثقة من الوزارة مشلولا، والصحف عرضة للتعطيل، وأعطى السلطة التنفيذية حق التشريع ، وأجاز فض الدورة البرلمانية قبل نظر الميزانية

والمهم أنه صدر بقرار من الملك أى أنه يستطيع أن يسحبه أو يلغيه، والأهم أنه أهدر كل الحقوق الشعبية التى نص عليها الدستور القديم، كان هذا الانقلاب الخطير يحدث، والبلاد تغلى وصاحب ذلك أزمة اقتصادية عارمة بعد الانخفاض الشديد فى أسعار القطن،وقد استمرت هذه الأزمة أربع سنوات من سنة ١٩٣٠ .



كانت هذه الاحداث هى بداية تشكيل وجدان «وجيه أباظة» السياسي، فقد عصفت وزارة إسماعيل صدقى بكل الحريات، وتسلل رجل يتنكر فى ملابس

السفرجية إلى القطار الذى يركبه، وهو يخفى فى تفطانه «بلطة» حادة وحاول اغتياله فى حجرة الطعام. ولكنه انكشف قبل أن ينفذ خطته..

ورغم قوة الحكومة التى تحكم بالحديد والنار، فإن المظاهرات العارمة والرافضة لم تتوقف يقودها طلاب المدارس، وهى القوة المنظمة المنغمسة المهمومة بقضايا الوطن ثم تليها قوة العمال...

وكان طلاب المدارس الثانوية والأزهر وجامعة فؤاد الأول فى المقدمة

بالنسبة لمدرسة الزقازيق الثانوية فقد ساعدها على أن تكون فى المقدمة وجود المعهد الدينى الأزهرى فى المدينة، والرفض الذى يندلع منه، وتحت هتاف بحياة «اتحاد الطلبة» كان طلاب المعهد الديني، يقومون بالإضراب والمظاهرة، ثم يذهبون للمدرسة الثانوية ليخرجوا طلابها لينضموا إليهم، أو العكس.

وذات يوم قرر «وجيه أباظه وسعيد خيال» أن يذهبا ضمن الوفود الذاهبة إلى القاهرة لزيارة حزبيهما

ومع إحدى المظاهرات تسللا إلى القطار الذى يحمل مسيرة للقاء مع صدقى وتأييده!

وجيه زعيم مصر الفتاة... وسعيد زعيم الوفد بين طلاب المدرسة!

هناك خلاف دائم، ومستحكم بين الوفد، مصر الفتاة، ولكنه لم ينعكس أبدا على علاقة الصديقين.!

وذهبا ضمن وفد لمقابلة إسماعيل صدقي، ووفقا لرواية سعيد خيال فإن اللقاء تم فى مقر حزب الشعب وهى فيللا بشارع قصر العيني...

وكان إسماعيل صدقى سعيدا جدا واستدعى المصور لالتقاط صورة تذكارية ونشرت جريدة الشعب الصورة فى الصفحة الأولى تحت عنوان «صدقى يستقبل وفد مدرسة الزقازيق الثانوية».

«بعدها، انطلق هتاف «يعيش النحاس زعيم الأمة» وكان الهتاف مفاجأة صاعقة

واستوعب صدقى الموقف بلباقة، قائلا: «كويس جدا ياولاد، لازم تهتفوا لكل الزعماء»!

«تركناه، ونحن نسخر منه، قائلين: هو فاكر نفسه زعيم»

«ذهبنا بعدها لبيت الأمة القريب والتقينا بالسيدة صفية زغلول - زوجة سعد باشا - ثم اتجهنا لمقابلة مكرم عبيد ولكنهم قالوا لنا أنه غير موجود... فقد ذهب إلى سينما رويال مع الموسيقار محمد عبد الوهاب ليحضر حفل افتتاح فيلم الوردة البيضاء!

«ولم نتمكن من الذهاب إلى حزب مصر الفتاة، فقد كان عليّ أن أصحبه إلى حزب مصر الفتاة كما صحبنى إلى حزب الوفد، ولكننا لم نتمكن».

❑❑❑

كانت سنوات القهر الذى مارسه إسماعيل صدقى هى المدرسة السياسية الأولى التى صهرت وجيه أباظه، وأنضجت وعيه السياسي..

وكانت القضية التى شغلت كل الأحزاب. وتقاتلت حولها - غير مقاعد الحكم - هى ما كانت تعبر عنه هتافات مظاهرات الطلبة «الاستقلال التام أو الموت الزؤام» وارتفعت أصوات كل المصريين مطالبة الجلاء وسقوط الاستعمار...!!

طوال السنوات الخمس التى قضاها «وجيه» فى مدرسة الزقازيق الثانوية لم تنقطع مساهمته فى الحركة الوطنية، لقد انتهى حكم إسماعيل صدقى بعد ثلاث سنوات، ولكن القضية الأساسية، قضيه الاستعمار، كانت تزداد اشتعالا مع فشل كل محاولات التفاوض.. وأكثر من مرة ألقى القبض عليه فى المظاهرات، ويذهب إلى مركز البوليس، وهناك يتم الإفراج عنه بعد فترة.. أحيانا ساعات، وفى بعض الأحيان تمتد إلى أيام.

وتعاقبت الوزارات حتى صدر أمر ملكى فى آخر إبريل ١٩٣٥ بإعادة الدستور القديم بعد التماس وقعه زعماء الأحزاب ـ بما فيهم إسماعيل صدقى نفسه ـ فى صورة عريضة وجهوها إلى «جلالة الملك» جاء فى نهايتها «ياصاحب الجلالة، لما كان الدستور من حق جلالتكم والشعب المصري، ولما كنا نعلم أن أسمى رغبات جلالتكم أن تطمئن الأمة إلى صيانة حقوقها ومرافقها، فتهيئ لنفسها المصير الذى ينتظرها، والمكان اللائق لها بين الأمم، نلتمس من جلالتكم التعطف بإصدار أمركم الكريم بإعادة الدستور سنة١٩٢٣ فورا»

❑❑❑

لم يبتهج الشعب بعودة الدستور، فسرعان ما أجهضت الفرحة وأشعل «صمويل هور» وزير الخارجية البريطانية نيران الغضب، عندما أعلن أن الشعب المصرى لا يستحق الدستور لأنه غير ناضج و «أننا نصحنا بألا يعاد دستور ٢٣ لأنه غير صالح للعمل، وأيضا دستور ٣٠ الذى لا يعبر عن رغبات الأمة».

وكان التصريح وقحا، وتدخلا سافرا وواضحا فى شئون مصر الداخلية، مما أثار السخط الشديد، وبدأت مظاهرات دامية بعد نشر التصريح بيومين، وفى مناسبة عيد الجهاد «١٣ نوفمبر» احتجاجا على تصريح «هور ابن التور» كما تردد فى الهتافات، وواجهت السلطة غضبة الشعب بالقمع الشديد، وتصدت الشرطة للمظاهرات بالنيران، وسقط الشهداء من طلاب الأزهر وجامعة فؤاد الأول.. ومعهد طنطا الديني.

كان وجيه أباظه قد ألقى القبض عليه، وهو يقود مظاهرة من طلاب مدرسة الزقازيق الثانوية...

واستطاع أقاربه فى الزقازيق إخراجه من مركز الشرطة دون أن يخطروا الأسرة، ويقول ممدوح أباظه الذى كان ولى أمره «أن وجيه كان يخفى عنا نشاطه السياسى فى تلك الفترة خشية الاعتراض على انغماسه فى الحياة السياسية، حرصا على مستقبله، وخوفا على حياته»..!

والحقيقة أن غالبية الأسر المصرية، كانت تعطى تحذيرا شديدا لأبنائها. وتحاول منعهم من الانخراط فى السياسة الحزبية غير المضمونة، والتى قد تقضى على مستقبلهم، بل وعلى حياتهم نفسها.. ولكن تحذيرات الأسر جميعها، كانت تذوب عند ذهاب الطلاب للمدرسة.

❑❑❑

تعاقبت الأحزاب على الحكم، وكل منها يشكل وفدا للتفاوض مع الإنجليز، وتصل المفاوضات دائما إلى طريق مسدود فى كل مرة. والغريب أن كل هذه التعديلات الوزارية، والانقلابات الدستورية كان يقوم بها الملك فؤاد، وهو مريض، وطريح الفراش، منذ أقام حفلا فى مقر عابدين فى يناير ١٩٣٤ سهر فيه حتى الصباح، ونقل بعدها إلى قصر القبة مريضا، ليظل فى الفراش، يعالجه الأطباء المصريون والأجانب، حتى توفى يوم ٢٨ إبريل سنة ١٩٣٦ بعد أن حكم مصر منذ سنة ١٩١٧ منذ عينه الانجليز سلطانا على مصر خلفا لأخيه السلطان حسين الأول ابن الخديوى إسماعيل.

وفى عهده قامت ثورة ١٩، وأعلن الاستقلال الصورى بتصريح من الحكومة البريطانية - فبراير ١٩٢٢ - انتهاء الحماية، والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة مع احتفاظ إنجلترا بالمسئولية عن أربع مسائل:

- تأمين مواصلات الإمبراطورية

- الدفاع عن مصر من أى اعتداء

- وحماية المصالح الأجنبية وحماية الأقليات - الاحتفاظ بالسودان.

وكان معنى ذلك أن يعاد إلى مصر منصب وزير الخارجية والتمثيل السياسى والدبلوماسى والقنصلى لمصر، وكانت من قبل تتبع إنجلترا ويتحول السلطان إلى ملك.

المحضر الرسمى لوفاة الملك فؤاد وقعه شيخ الجامع الأزهر محمد مصطفى المراغي، ونعاه مجلس الوزراء برئاسة على ماهر، فى بيان أعلن فيه المناداة بفاروق ملكا، «فإنه فى الوقت» الذى تتجاوب فيه القلوب بصدى الخبر الأليم «مات الملك» يجب أن يلتف المصريون جميعا حول العرش فى ولاء ثابت، لا يدركه ضعف ولا وهن، وأن يحيوا حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول، وقد نودى به ملكا لمصر، وأن الأمة المصرية التى أحبته منذ صغره حبها الصادق، لواثقة بأنه سيترسم خطى والده العظيم ويحتذى مثاله عندما يبلغ سن الرشد، ويصل عمله لعمل الراحل الجليل «عاش الملك».

وشيع جثمان الملك يوم ٣٠ أبريل ١٩٣٦، ليدفن فى مسجد الرفاعي، ونودى بفاروق الذى كان يدرس فى إنجلترا ملكا على مصر يوم ٢٨ إبريل قبل دفن والده بيومين...

وعاد يوم ٦ مايو ١٩٣٦، وعين ثلاثة أوصياء على العرش هم: الأمير محمد على ـ وعبد العزيز عزت ومحمد شريف صبري.

وحلفوا اليمين الدرستورى أمام البرلمان يوم ٢١ يونيو ١٩٣٦.

❑❑❑

كان فكر وجيه أباظة السياسى قد بدأ يتشكل خلال هذه الأحداث... وسوف يكون لعام ١٩٣٦ دور كبير فى حياته... بتوقيع المعاهدة التى سميت بمعاهدة الشرف والاستقلال... ثم ـ وهو الأهم ـ مع إلغاء هذه المعاهدة.

كان الملك فؤاد قبل وفاته قد أصدر مرسوما بتشكيل وفد آخر للمفاوضات مع الإنجليز اشتركت فيه الأحزاب السياسية فيما عدا الحزب الوطنى الذى كان رافضا مبدأ التفاوض أساسا، وكذلك حزب مصرالفتاة الذي لم يشارك في وفد التفاوض.

وكان الوفد برئاسة مصطفى النحاس، وعضوية: محمد محمود ـ إسماعيل صدقى ـ عبد الفتاح يحيي ـ واصف بطرس غالى ـ الدكتور أحمد ماهر ـ على

الشمسى ـ عثمان محرم ـ محمد حلمى عيسى ـ مكرم عبيد ـ حافظ عفيفى ـ محمود فهمى النقراشي، حمدى سيف النصر».

وكان الوفد البريطانى برئاسة السير مايلز لامبسون «اللورد كليرن» المندوب السامى البريطانى فى مصر.

فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ وقعت اتفاقية فى إنجلترا، وسميت معاهدة سنة ٣٦ أهم ما فيها الشروط العسكرية التى نصت على ما يأتي: (١)

أولا: تنتقل القوات العسكرية البريطانية من الأماكن التى تحتلها إلى منطقة تشمل مع مناطق تدريب الجنود منطقة قناة السويس كلها وشبه جزيرة سيناء كلها والجزء الجنوبى والشرقى من مديرية الشرقية وتصل إلى حدود القاهرة ثم إلى حدود مديرية الجيزة!

بالنسبة لمعسكرات القوات قد جعلت فى منطقة معسكر الإسماعيلية، ومنطقة (جنيفه) على طول ساحل البحيرات المرة، أما مناطق التدريب فتمتد من القنطرة شمالا إلى خط سكة حديد السويس ـ القاهرة جنوبا، يصل إلى حدود مدينة الزقازيق، ثم يصل جنوبا إلى السويس وإلى حدود القاهرة، ثم إلى حدود مديرية الجيزة، وتشمل المنطقة شرقى قناة السويس أى شبه جزيرة سيناء حسب الحاجة مع بقاء فصائل من الجنود البريطانية فى مينائى بورسعيد.

وبقاء الجنود البريطانية فى السودان بلا شرط ولا قيد.

ثانيا: حدد عدد القوات البريطانية بمصر فى هذه المناطق بحيث لا تزيد على عشرة آلاف من القوات البرية وأربعمائة من الطيارين مع الموظفين اللازمين لأعمالهم الإدارية والفنية، وهذا التحديد فى وقت السلم، أما فى حالة الحرب أو خطر الحرب أو قيام حالة دولية مفاجئة فلا إنجلترا أن تزيد قواتها إلى ما تشاء!

(١) عبد الرحمن الرافعي ـ في أعقاب الثورة المصرية.

ثالثا: لا تنتقل القوات البريطانية إلى المناطق الجديدة إلا بعد أن تقوم مصر ببناء الثكنات والمنشآت الصالحة فيها وفقا لأحدث النظم لإقامة القوات البرية والجوية البريطانية وعددها عشرة آلاف وأربعمائة من الطيارين، ولأربعة آلاف مستخدم مدني، مع المستلزمات الفنية بما فيها من إيصال المياه وتوفير أسباب الراحة للجنود بغرس الأشجار وإنشاء الحدائق والملاعب مع بناء مساكن للمتزوجين من الضباط ومن دونهم من مراتب الجندية، وإقامة معسكر استشفاء بالعرض على شاطيء البحر الأبيض المتوسط وإنشاء أربع طرق حربية وهي:

- من الإسماعيلية إلى الإسكندرية - من الإسماعيلية إلى القاهرة - من بورسعيد إلى الإسماعيلية والسويس ومن جنوب البحيرات المرة إلى طريق السويس القاهرة.

على أن يكون عرض هذه الطرق عشرين قدما، وأن تنشأ من مادة صلبة تجعلها صالحة على الدوام للاستعمال فى الأغراض الحربية، وكذلك تحسين وسائل النقل للسكك الحديدية فى منطقة القنال لتسد حاجات القوة ولتسهيل النقل السريع للرجال، والمدافع، والعربات، والمهمات بما يتفق وحاجات الجيوش الحديثة.

رابعا: تبقى القوات البريطانية فى منطقة الإسكندرية وضواحيها ثمانى سنوات حتى تتم مصر بناء الثكنات فى منطقة القنال.

تقوم مصر: بإصلاح ثلاث طرق أخرى وهي: القاهرة - السويس والقاهرة - الإسكندرية عن طريق الجيزة والصحراء، والإسكندرية - مرسى مطروح وجعلها طرقا حربية ...

تحسين المواصلات الحديدية بين الإسماعيلية والإسكندرية ومرسى مطروح.

وعلى مصر أن تنشئ ثلاث طرق حربية أخرى وهي:

من القاهرة إلى قنا وقوص بمحاذاة النيل، ومن قوص إلى القصير، ومن قنا إلى الغردقة.

خامسا: القوات البريطانية الجوية معسكرة فى منطقة القنال على مسافة خمسة أميال من سكة حديد بورسعيد ـ السويس من القنطرة شمالا إلى ملتقى سكة حديد السويس ـ القاهرة والسويس ـ الإسماعيلية مع امتدادها على خط سكة حديد الإسماعيلية ـ القاهرة بحيث تدخل فى هذا الامتداد محطة الطيران الملكية البريطانية فى أبى صوير وأراضى المطارات التابعة لها والميادين الصالحة التى قد تنشأ شرقى القناة

ويكون لقوات الطيران البريطانية، حق الطيران حيثما تريد فى الأراضى المصرية، مع منح مثل هذه المعاملة للقوات الهوائية المصرية فى الأراضى البريطانية ـ !!!

وتتكفل الحكومة المصرية بإقامة مطارات صالحة على الدوام برية ومائية فى الأراضى والمياه المصرية لتستعملها قوات الطيران من مصرية وبريطانية، وعلى مصر إجابة كل طلب يقدم إليها من القوات الجوية البريطانية لإنشاء مطارات.

سادسا: فى حالة الحرب أو خطر الحرب الداهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها، تلتزم الحكومة المصرية أن تقدم داخل حدود الأراضى المصرية جميع التسهيلات والمساعدات التى فى وسعها إلى القوات البريطانية، ويكون للقوات البريطانية استخدام موانيء مصر ومطاراتها وطرق المواصلات فيها، وعلى مصر اتخاذ جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية اللازمة لذلك بما فى ذلك إعلان الأحكام العرفية، وإقامة رقابة وافية على الأنباء لجعل هذه التسهيلات والمساعدات فعالة ويدخل فى طرق المواصلات. المواصلات الإخبارية السلكية واللاسلكية والتليفونية.

سابعا: بعد انقضاء عشرين سنة على تنفيذ المعاهدة يبحث الطرفان فيما إذا كان وجود القوات البريطانية لم يعد ضرويا لأن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها أن يتكفل بمفرده حماية حرية الملاحة فى قناة السويس وسلامتها التامة، فإذا

قام خلاف بينهما فى هذا الصدد فإن ذلك الخلاف يجوز عرضه على مجلس عصبة الأمم أو على أى هيئة تحكيم لتفصل فيه.

ثامنا: بعد انقضاء العشرين السنة، وفى أى وقت بعد انقضاء عشر سنوات يمكن إعادة النظر بين الطرفين فى نصوص المعاهدة، وفى حالة عدم الاتفاق يعرض الخلاف على عصبة الأمم، ولكن من المتفق عليه أن إعادة النظر فى المعاهدة يجب أن يقرر فيها وجوب استمرار المحالفة بين الطرفين واستمرار التزام مصر فى حالة الحرب أو خطر الحرب أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها أن تقدم للقوات البريطانية داخل حدود الأراضى المصرية كل التسهيلات والمساعدات اللازمة وتخويلها حق استخدام - أى احتلال - موانيها ومطاراتها وطرق المواصلات فيها.

❑❑❑

بينما كانت الأحزاب تهلل للمعاهدة، وتصورها على أنها انتصار ويصفها مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الوفد ورئيس اللجنة التى تفاوضت، بأنها «معاهدة الشرف والاستقلال». وقف الحزب الوطنى معارضا شرساً.

وكان وجيه أباظة مع حزب مصر الفتاة الذى اتخذ أيضاً موقف الرفض.

فالمعاهدة تعطى انجلترا حق احتلال الموانىء والمطارات وجميع طرق المواصلات البرية والمائية فى أية حرب أو فى حالة خطر الحرب أو «توقع» طواريء.

والسودان أصبح بموجب المعاهدة «مستعمرة إنجليزية يحرسها جنود مصريون تحت إمرة حاكمه العام البريطانى، والجيش المصرى يوضع تحت تصرف حاكم بريطاني، للدفاع عن بلاد صارت بحكم المعاهدة مستعمرة إنجليزية.

والجانب المصرى قبل بالشروط العسكرية فى سنة ١٩٣٦ وأبدية المحالفة نصوصا أسوأ مما ارتضاه الطرفان فى مشروعات سابقة وعلى حد تعبير عبد الرحمن الرافعى

فقد حدث تضليل للشعب، إذ قال عنها النحاس الكلمة التى أخذت حجة على مصر فى مجلس الأمن سنة ١٩٤٧، وهى أنها «وثيقة الشرف والاستقلال»، فى حين أنه لا شرف فيها ولا استقلال!.

ويدخل فى هذا السياق أن مجلس الوزراء قرر فى عهد وزارة النحاس اعتبار يوم ٢٦ أغسطس من كل عام «عيد الاستقلال»، فى حين أن معاهدة سنة ٣٦ تتعارض قطعا مع الاستقلال...



كان وجيه أباظه رافضا للمعاهدة، يحس من خلالها بالمهانة التى ترسبت فى أعماقه ضد الاستعمار..

وسوف نجده يترجم هذا الرفض عمليا فى حياته..

وسوف يكون أكثر وضوحا فى خطوات عملية.

ضد الإنجليز المستعمرين.

الشرقيـة

الشرقية محافظة ثائرة...

هكذا يقول تاريخها على امتداد العصور.... وترتبط الشرقية بأحمد عرابى و الثورة الـعرابية... وترتبـط الثورة العرابيـة عام ١٨٨١... بثـورة سنة ١٩١٩ وترتبط الاثنتان... بثورة يوليو ١٩٥٢....

إن تاريخ مصر حلقـات متصلة... ولقد استـفادت ثورة يوليو من أخطاء ثورة عرابى بعد أن استوعبت الدرس جيدا فتجنبتها... كما أقامت أكبر احتفال بمناسبة مرور خمسين عاما على مرور ثورة ١٩١٩.

وفى الميثـاق الوطنى ـ الذى قدمه جمـال عبد الناصر ـ فصل كـامل عن جذور النضال المصرى. يرصد من خلاله تاريخ هذا النضال فى مختلف العصور وينصف أبطال مصر على مر العصور...

فثورة يوليو أنصفت التاريخ المصري كله.. واختلفت واتفقت في الرؤية لبعض وقائقه.. ولكنهـا لم تلغه.. وما كانت لتسـتطيع لو أنها أرادت ذلك. وهي علي كل حال احتفلت بتاريخ مصر السابق علي قيامها..

❑❑❑

محافظة الشرقية واحدة من أكبر محافظات مصر...

تلتصق بمحافظتى الدقهلية، والقليوبية...

وتجاور محافظتي الإسماعيلية، وبورسعيد...

وكانت دائماً وبحكم موقعها بوابة مصر!

منها جاء الوافدون..

ومنها جاءت الجيوش.

وعلى أرضها دارت أعنف المعارك....

وشهدت الشرقية خلال مسيرتها التاريخية صفحات من النضال الوطنى المشرف، انتهت بمواجهـة حاسمة مع الاستـعمار البريطانى، الذى كان قـد انتقل إلى منطقة القناة المجاورة، وكان لوجيه أباظة دور بارز فى حركة التحرير الوطنية التى سميت باسم حركة الفدائيين منذ قبل الثورة وبعدها...

من على أرض الشرقـية طرد أحمس الأول الهكسوس الذين اتخـذوا من صان الحجر «أوراريس» عاصمة لهم!

واستقبلت الشرقية العائلة المقدسة عندما هربت السيدة العذراء بوليدها فى رحلتها الطويلة من فلسطين فرارا من بطش «هيرودس»، فاتجهت إلى مصر، وأمضت فى الشرقية أياما. . .

ومن الشرقية دخلت طلائع الفتح الإسلامى بقيادة عمرو بن العاص، وأقامت جيوشه فى بلبيس.

وكانت بلبيس فى العصر الفاطمى أول مدينة فى صناعة الحرير. . .

وفى المحافظة أماكن تاريخية عديدة فلكل بلد تاريخ. . ولكل مكان قصة. .

أبو حماد، خرجت كلها لاستقبال السيدة زينب ابنة الامام على بن أبى طالب وابنة السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله، عندما أرغمها يزيد بن معاوية على ترك المدينة المنورة!

وفيها أقامت «العباسة» ابنة أحمد بن طولون قصرا منيفا، ذهبت إليه «قطر الندى» عند وداع ابنة أخيها «خمارويه» ، وهى فى طريقها للزواج من الخليفة العباسى ومازالت «العباسة». . حيث أقيم القصر، تحمل نفس الاسم حتى اليوم.

واتخذ صلاح الدين فاقوس مركزا للإمدادات الحربية فى حملاته لمواجهة الصليبيين.

ومن الشرقية كان أبطال الثورات. . .

أحمد عرابى. . . قائد الثورة العرابية.

عبد الله الشرقاوى. . . قائد ثورة الأزهر الوطنية.

عمر مكرم. . . لجأ إليها أثناء الحملة الفرنسية.

نابليون. . . ذهب إليها وهو يتعقب المماليك، واشتبك معهم فى الصالحية

أبناء الشرقية قاموا بمهاجمة الفرنسيين فى بلبيس، وغيته، وكفر العايد، أثناء ثورة القاهرة الأولى. . .

أبرز المعارك التى يذكرها تاريخ مصر الحديث، كانت على أرض الشرقية، وهى معارك الفدائيين ضد معسكرات الجيش المصري المجاورة للشرقية.

كانت الزقازيق، وكل قراها.... مراكز التدريب والإمداد بالسلاح....

وكانت المعارك الضارية التى دارت بين الفدائيين، وقوات الاحتلال فى التل الكبير، وأبو حماد، والقرين، فاصلة فى تاريخ مصر...

ووقعت تداعيات كثيرة أدت إلى أحداث يناير ١٩٥٢، التى كانت المقدمة الحقيقة للإسراع بقيام ثورة يوليو....

وكان الضابط وجيه أباظة ... ينوب عن الضباط الأحرار فى قيادة فصائل الفدائيين...

❑❑❑

فى هذه المحافظة.. محافظة الشرقية ...

يوم ٩ سبتمبر ١٩١٧ ولد وجيه أباظة

وفي يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ قاد عرابى المظاهرة العسكرية فى ميدان عابدين... بعد أن استدعى جميع فرق الجيش المرابطة بالقاهرة للميدان فى الساعة الرابعة مساء... لتقديم طلبات الأمة إلى الخديوى وهي: إسقاط الوزارة، وتأليف مجلس نيابى، وزيادة عدد الجيش.

ونزل الخديوى إلى الميدان لإيقاف التمرد معتمدا على هيبته، وجاءه عرابى على جواده شاهرا سيفه وخلفه ثلاثون ضابطا بسيوفهم، وصاح به أحد رجال الحرس أن يترك حصانه ويغمد سيفه...... ففعل...

واقترب من الخديوى وحياه التحية العسكرية، وقال له:

- جئنا يامولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة، وكلها طلبات عادلة

- عزل رياض باشا ـ وتشكيل مجلس النواب - وإبلاغ عدد الجيش إلى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية.

وقال الخديوى: كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها، أنا ورثت هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا. . .

فأجابه عرابى: لقد خلقنا الله أحرارا، ولم يخلقنا تراثا ولا عقارا، فوالله الذى لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث بعد اليوم. . . . .

ثم...

ثم وافق الخديوى على أن يستجيب للمطالب تدريجيا.

وفى يوم ١١ سبتمبر نشرت الوقائع المصرية «فى ليلة السبت ١٠ سبتمبر ١٨٨١ استعفت نظارة رياض باشا، فقبل استعفاؤها وكلف شريف باشا بتشكيل وزارة جديدة».

ورحل رياض باشا إلى أوربا خوفا على نفسه، ولم يعد إلا بعد انتكاس الثورة العرابية، وفى حماية الانجليز. . .

أحمد عرابى هو ابن محافظة الشرقية ومن قرية «هرية رزنة» المجاورة للزقازيق. . .

وقررت محافظة الشرقية أن يكون يوم ٩ سبمتبر هو يوم عيدها القومى. . . تحتفل به كل عام. . .

❑ ❑ ❑

كانت انتكاسة الثورة العرابية، هى التى دفعت الخديوى إلى الاستعانة بالإنجليز، وعن طريق الخيانة هزمت الثورة الوطنية فى معركة التل الكبير، ودخل الانجليز مصر، ودخل الخديوى القاهرة فى موكب قائد الغزو البريطانى المصرى ١٨٨٢ . . .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت مصر مستعمرة بريطانية، فقد كان الاحتلال هو أحد تداعيات فشل الثورة العرابية، الأمر الذى سوف تتنبه له جيدا ثورة يوليو ٥٢ بقيادة الضباط الوطنيين. . .

فى نفس اليوم ٩ سبتمبر... ولكنه هذه المرة سنة ١٩١٧ . .كان يوم مولد وجيه أباظة... وكان لابد أن نقلب صحف ذلك اليوم، لنقف علي المناخ الذي كان سائداً في ذلك الوقت، وما كان يشغل الناس...

ولا يهتم المؤرخون عادة برصد حياة الناس اليومية، التي ترسم صورة المجتمع، لذلك لجأنا إلى الصحف ننقل من خلالها بعض الأخبار التي نشرتها، وتهم الناس في ذلك الوقت لأنها قد تعطى انطباعاً عاماً عن صورة الحياة اليومية للمصريين فى تلك الأيام.

في هذا اليوم الذي ولد فيه وجيه أباظة. ووفقاً للأخبار المنشورة بجريدة الاهرام، فقد «صدر قرار بتعيين حكمدار بوليس للبحيرة فقد «اتصل بنا أن وزارة الداخلية كتبت إلى حضرة البكباشى رفعت أفندى حكمدار بوليس الفيوم، وأبلغته تعيينه حكمدارا لبوليس البحيرة. . . أما خلفه فى حكمدارية بوليس الفيوم، لا يزال المؤكد أنه الصاغ عبد الحليم خليفة أفندى مأمور مركز مغاغة، وسيتقلد رتبة البكباشى المحلية بعد تعيينه، طبقالما ذكرناه من قبل»!

وقد لخصت اللطائف المصورة «عدد ١٠ سبتمبر» أهم الأخبار التى شغلت المجتمع، فى الأسبوع كله.

. . الاثنين فى ٣ سبتمبر - احتفل أول أمس بعرض الكسوة الشريفة بميدان محمد على كالمعتاد.

يقال أنه بات فى حكم المقرر تعيين رسل بك وكيل حكمدارية العاصمة حكمدارا للعاصمة بعد سعادة هرفى باشا.

أمر قاضى المحكمة المختلطة فى الإسكندرية بالقبض على سوريال وبسطورس جرجس الزيادى ونجلى الاول وأحد أقاربه لاتهامهم بالاشتراك فى الإفلاس بالتدليس.

الثلاثاء فى ٤ منه - بلغ عدد الركاب الذين رغبوا فى الحج هذا العام ٢٣٢ حاجا.

- بيع القنطار القطن السكارتا ريدى فى الزقازيق بـ ٧٧٠ قرشا وبيع القطن فى المحلة الكبرى بسعر ٨٤٠ القنطار.

الأربعاء فى ٥ منه - قررت لجنة التسعيرة فى العاصمة زيادة سعر الثلج وحددت سعر الثلج المجروش والعسل.

- بلغ النيل فى الروضة ٢٠ ذرعا و٣ قراريط فزاد ٧ قراريط مما كان عليه أول أمس

الخميس ٦ منه - رفع فريق من أرباب المعاشات إلى عظمة مولانا السلطان وفخامة نائب الملك وأصحاب المعالى الوزراء يلتمسون عطفهم وعدم استثنائهم من قرار مجلس الوزراء الأخير

- وصل أمس ٣٣ أسيرا عثمانيا من ميدان فلسطين .

الجمعة فى ٧ منه- زيد راتب صاحب حمدى بك سيف النصر مدير الجيزة ١٠٠ جنيه السنة

- اصطدم قطار الركاب أول امس بقطار بضاعة فى محطة بلقاس فتحطم ٨ مركبات بضاعة ومركبات من قطار الركاب وأصيب بعضهم إصابات مختلفة ولم يقتل أحد.

- أصدر وزير الحقانية قرارا بشأن المحال المجانية بمدرسة الحقوق.

السبت فى ٨ منه- عدت النيابة تهمة إدوار فيتالى فى بورت سعيد جنحة لا جناية وأفرجت عنه.

- صدر أمر حاكم السودان العام بعرض ضرائب الإبل وعوائد النخيل على المراكز التابعة لمديرية دارفور

وتقدم جريدة الأهرام، وصفا تفصيليا لتشييع المحمل الذى تم يوم ٩ سبتمبر وكان هذا الخبر هو أبرز الأخبار الداخلية التى نشرتها جريدة الأهرام فى ذلك اليوم، هو خبر الاحتفال بالمحمل. . .

يصف الرحالة «إدوارد لين» الذى زار مصر فى أواخر القرن التاسع عشر المحمل بأنه مربع من الخشب، هرمى القمة، له ستر من الديباج الأسود، عليه كتابة وزخارف مطرزة تطريزا فاخرا بالذهب، على أرضية من الحرير الأخضر أو الأحمر فى بعض الأجزاء، وتحده هدبة حريرية، وشراريب يعلوها كرات فضية، وزخرفة الستر لا تكون دائما على النموذج نفسه، غير أننى لاحظت أن كل ستر رأيته يحمل فى قسمه الأعلى من الصدر منظرا لمسجد مكة مطرزا بالذهب، ويعلوه طغراء السلطان.

«والمحمل لا يحوى شيئا، غير أن هناك مصحفين صغيرين، أحدهما قرطاس ملفوف، والآخر كتاب عادى، داخل صندوقين من الفضة المذهبة، يعلقان خارج المحمل فى القمة، وتكون الكرات الخمس وأهلتها، التى تزين المحمل، من الفضة المذهبة ويحمل المحمل على جمل طويل جميل، وينعم هذا الجمل على العموم بإعفائه من العمل بقية حياته.

«والسلطان الظاهر بيبرس، ملك مصر، كان أول من أرسل محملا مع قافلة الحجاج إلى مكة عام ١٢٧٢هـ ويقال إن «شجرة الدر» أدت الحج فى هودج فاخر يحمله جمل، وظل هودجها يرسل خاليا مع القافلة عدة سنوات متوالية للأبهة فحسب. وكانت «شجرة الدر» جارية تركية حسناء، فأصبحت زوجة للسلطان نجم الدين أيوب وأعلنت نفسها ملكة على مصر، ومن ذلك الحين أرسل ملوك مصر على التعاقب مع قافلة الحجاج سنويا هودجا يسمى «محملا» رمزا للملكية، ونهج نهجهم غيرهم من الملوك».

وكان موكب المحمل يمر بشوارع مدينة القاهرة، يحرسه الجيش...»

❑❑❑

لذلك كان البعض يرى الجيش فى ذلك الوقت بأنه جيش المحمل، فلم يكن للجيش المصرى مهمة.. وكان يسيطر عليه الأجانب الإنجليز.. والأتراك.. ولا يلمس الناس له عملاً ولا أثراً، ولكنهم كانوا يرونه يسير طوابير في الاحتفالات

وخاصة سفر المحمل... لذلك كان يرى البعض أن مهمة الجيش الأساسية، هى استعراض المحمل وسفر بعض فرقه معه إلى الأراضى المقدسة لحمايته. . .

ولم يكن ذلك صحيحا. . . .

فقد كانت هناك تيارات داخل الجيش المصرى تغلي، رغم أن معظم قادته في ذلك الوقت- حتى المصريين منهم - غالبا من عينة مختلفة عن الناس العاديين، ومن طبقة مختلفة أيضاً...

❑❑❑

انتهت الحرب العالمية بهزيمة ألمانيا، وحلفائها عام ١٩١٨.

وكان شكل المجتمع المصرى غريبا. . . .

احتلال أجنبى قاس وظالم. . . قام بإلغاء الجيش المصرى.

المستشارون الانجليز في كل الوزارات،لهم كل السلطات وكل النفوذ أيضاً المناصب الكبرى للانجليز. . .

الأجانب لهم محاكم خاصة. . . . حتى المجالس النيابية الصورية ألغيت. . .

الاستقلال الوطنى أصبح مطلبا شعبيا.

صرخات مصطفى كامل تدوى فى الأذهان. . .

❑❑❑

تقدم سعد زغلول وكيل الجمعية التشريعية المنتخب مع عبد العزيز فهمى، وعلى شعرواى زميليه فى الجمعية التشريعية بطلب «للسير رجلند ونجت» المندوب السامى البريطانى بالسفر إلى انجلترا لعرض مطالب البلاد على الحكومة البريطانية. . .

والتقى بالوفد المندوب السامى البريطانى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨، ووفقا للمحضر الذى سجله «الوفد» بعد اجتماعه ـ ونقله الرافعى ـ فقد كان دارت مناقشة طويلة بدأها المندوب السامى البريطانى قائلا:

إن الصلح اقترب موعده، وأن العالم يفيق بعد غمرات الحرب التى شغلته زمنا طويلا، وأن مصر سينالها خير كثير، وإن الله مع الصابرين، وأن المصريين هم أقل الأمم تألما من أضرار الحرب، وأنهم مع ذلك استفادوا منا أموالا طائلة، وأن عليهم أن يشكروا دولة بريطانيا العظمى التى كانت سببا فى قلة ضررهم وكثرة فائدتهم.

فأجابه سعد زغلول: ما تكون انجلترا فعلته خيرا لمصر فإن المصريين بالبداهة يذكرونه لها مع الشكر، وأن الحرب كانت كحريق انطفأ ولم يبق إلا تنظيف آثاره ولا محل لدوام الأحكام العرفية ولا لمراقبة الجرائد والمطبوعات، وأن الناس ينتظرون بفروغ صبر زوال هذه المراقبة كى ينفسوا عن أنفسهم ويخففوا عن صدورهم الضيق الذى تولاهم أكثر من أربع سنين.

فقال السير ونجت: حقا أنه ميال لإزالة المراقبة المذكورة، وأنه تخابر فعلا مع القائد العام للجيوش البريطانية فى هذا الصدد، ولما كانت هذه المسألة عسكرية فإنه بعد تمام المخابرة والاتفاق مع القائد سيكتب للحكومة البريطانية، وبأمل الوصول إلى ما يرضى، يجب على المصريين أن يطمئنوا ويصبروا ويعلموا أنه منذ فرغت انجلترا من مؤتمر الصلح فإنها تلتفت لمصر وما يلزمها ولن يكون الأمر إلا خيرا!

سعد: إن الهدنة قد عقدت، والمصريون لهم الحق أن يكونوا قلقين على مستقبلهم ولا مانع يمنع الآن من أن يعرفوا ما هو الخير الذى تريده انجلترا لهم.

ونجت: يجب ألا تتعجلوا وأن تكونوا متبصرين فى سلوككم، فإن المصريين فى الحقيقة لا ينظرون للمواقف البعيدة.

سعد: أن هذه العبارة مبهمة المعنى ولا أفهم المراد منها.

ونجت: أريد أن أقول أن المصريين ليس لهم رأى عام بعيد النظر.

سعد: لا أستطيع الموافقة على ذلك فإنى إن وافقت أنكرت صفتى، فإننى منتخب فى الجمعية التشريعية عن قسمين من أقسام القاهرة، وكان انتخابى بمحض

إرادة الرأى العام مع معارضة الحكومة واللورد كتشنر فى انتخابى، وكذلك كان الأمر مع زميلى على شعرواى باشا وعبد العزيز بك فهمى.

ونجت: أنه قبل الحرب كثيرا ما حصل من الحركات والكتابات من محمد فريد وأمثاله من الحزب الوطنى، وكان بلا تعقل ولا روية، فأضرت مصر ولم تنفعها فما هى أغراض المصريين؟

على شعرواى: إننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا العبد للحر.

ونجت: إذاً أنتم تطلبون الاستقلال؟!

سعد: ونحن له أهل، وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقى الأمم المستقلة؟

ونجت: ولكن الطفل إذا أعطى من الغذاء أزيد مما يلزم تخم.

عبد العزيز فهمى: نحن نطلب الاستقلال التام وقد ذكرتم جنابكم أن الحزب الوطنى أتى من الحركات والكتابات بما أضر ولم يفد، فأقول لجنابكم أن الحزب الوطنى كان يطلب الاستقلال، وكل البلد كانت تطلب الاستقلال، وغاية الأمر أن طريقة الطلب التى سار عليها الحزب الوطنى ربما كان فيها ما يؤخذ علينا، وذلك راجع إلى طبيعة الشبان فى كل جهة، فلأجل إزالة الاعتراض الوارد على طريقة الحزب الوطنى فى تنفيذ مبدئه الأساسى الذى هو مبدأ كل الأمم، وهو الاستقلال التام، قام جماعة من الشيوخ الذين لا يظن فيهم التطرف فى الإجراءات وأسسوا حزب الأمة وأنشأوا صحيفة «الجريدة» وكان مقصدهم هم أيضا الاستقلال التام، وطريقتهم أخف فى الحدة من طريقة الحزب الوطنى، وذلك معروف عند الجميع، والغرض منه خدمة نفس المبدأ المشترك بطريقة تمنع الاعتراض، ونحن فى طلبنا الاستقلال التام لسنا مبالغين فيه فإن أمتنا أرقى من البلغار والصرب والجبل الأسود وغيرها ممن نالوا الاستقلال قديما وحديثا.

ويتحدث ونجت عن نسبة الأميين فى مصر التى تحول دون استقلالها، وعن

موقع مصر التى يجعلها محل طمع الـدول وأنها تحتاج إلى الحمايته.. ولكى ينهى المقابلة لم يجـد أمامه إلا أن يعلن أنه قد سمـعت أقوالكم وأنى أعتبـر محادثتنا، محـادثة غير رسـمية بل بصـفة حبـية، فإنى لا أعـرف شيئـا عن أفكار الحكومة البريطانية فى هذا الصدد وعلى كل فإنى شاكر زيارتكم وأحب لكم الخير.

بعـدها التقـى «ونجت» برئيس الوزارء «حسين رشـدى» وتحدث معـه عن لقاء الزعماء الثلاثة قـائلاً أنه يعـجب من أن ثلاثة أشخـاص يحتـكرون الحـديث باسم أمة بأسرها...

وعندما علم سعـد زغلول رأى أن يشكل هيئة تسعى للحصول عـلى الاستقلال اسمها «الوفد المصرى».

تشكل الوفد برئاسة سعد زغلول وعضوية: عبد العزيز فهمى - على شعرواى- محمد محمود - لطفى السيد- محمد على علوبة - عبد اللطيف المكباتى.

ولكى يثبتوا صفـتهم الرسمية فى التحدث باسم الأمة وضعوا صـيغة توكيلات طبعوا منهـا عشرات الألوف على أساس أن يوقـعها أعضاء الجـمعية التشـريعية، والمجالس المحلية، والأعيان، وأكبر حشد ممكن من أفراد الشعب، لتمنحهم صفة تمثيل الشعب.

وكانت صيغة التوكيل تقـول: «نحن الموقعون على هذا - قد أنبنا عنا حضرات «ويذكر اسم أعـضاء الوفـد» ولهم أن يضموا من يختـارون فى أن يسـعوا بالطرق السلمية المشـروعة حيثمـا وجدوا للسعى سبيلا فى اسـتقلال مصر تطبيـقاً لمبادئ الحرية والعدل، التى تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب».



حاول الانجليـز الاعتراض على توزيع التـوكيلات، ولكن وزارة رشـدى باشا، كانت متجاوبة مع سعد ورفاقه.

وفى أوائل ديسمبر أرسل الوفد يخطر معتمدى الدول الأجنبية بتشكيل الوفد وطلباته:

١- تطلب مصر الاستقلال التام:

(أ) لأن الاستقلال حق طبيعى للأمم

(ب) لأن مصر لم تهمل قط أمر المطالبة بهذا الاستقلال، بل هى قد سفكت فى سبيله دم أبنائها. . . . ولقد كان ما حازته من النصر فى ميدان القتال كافيا لرد السيادة إليها لولا اجماع الدول العظمى فى سنة ١٨٤٠ - ١٨٤١، وإكراهها على تقليل مطامعها إلى أدنى حد ممكن، وجعلتها تكتفى بالاستقلال الداخلى فقط وهو مع ذلك واسع النطاق يكاد يبلغ حد الاستقلال التام.

(جـ) لأن مصر لم تهمل قط أمر المطالبة بهذا الاستقلال، بل هى قد سفكت فى سبيله السيادة الأسمية، إذ إن تركيا أصبحت بسبب نتائج الحرب لا تستطيع التمسك بهذه السيادة.

(د) لأن مصر ترى أن الوقت قد حان لأن تعلن استقلالها التام الذى يؤيده مركزها الجغرافى وأحوالها المادية والأدبية.

٢- تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية، وأن تراعى فى تفاصيل النظام حالة البلد الخصوصية من جهة ما للأجانب فيها من المصالح وأن تقوم بعمل إصلاحات اقتصادية وإدارية واجتماعية تستعين على تحقيقها بذوى العمل من أهل البلاد الغربية كما كانت تلك عادتها فيما مضى.

٣- تعلن مصر أن امتيازات الأجانب فيها ستحترم بكل دقة، وإذا كان العمل أظهر أن بعضها يدعو إلى تحوير أليق بمقتضيات الأحوال فإنها تعرض ما يعن لها من وجود التعديل التى من شأنها المساعدة على تقدم البلاد مع صيانة المصالح

المنظور فيها وتكون فيما تعرضه من ذلك واسعة الصدر، غاية فى الأخلاص والمجاملة.

٤- تتعهد مصر بالبحث فى وضع طريقة للمراقبة المالية لا تقل فى أهميتها بالنسبة للبلاد الأجنبية ذوات المصلحة عما كان متبعا قبل اتفاقية سنة ١٩٠٤، ويكون أهم قائم بها هو صندوق الدين العمومى.

٥- تكون مصر مستعدة لقبول كل ما تراه الدول من الاحتياطات مفيدا للمحافظة على حياد قناة السويس.

٦- تعتبر مصر نفسها حائزة لأكبر شرف بوضع استقلالها تحت ضمانة جمعية الأمم، تشترك بهذه المثابة بقدر ما لديها من الوسائل فى تحقيق مبادئ العدل والحق على النمط الحديث . . .

واستقالت وزارة حسين رشدى ومنع الوفد من السفر وأرسل مرة أخرى يشكو إلى قناصل الدول، ورأت السلطة البريطانية أن تضع حدا لتصرفات الوفد، فاستدعى قائد القوات البريطانية بالنيابة أعضاء الوفد، بمركز القيادة بفندق «سافوى» بميدان سليمان باشا، يوم ٦ مارس ١٩١٩ وقرأ أمامهم بيانا قال فى نهايته إنه لا مناقشة وكان البيان يقول:

علمت أنكم تصنعون مسألة وجود الحماية موضع المناقشة، وأنكم تقيمون العقبات فى سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعى إلى منع تشكيل وزارة جديدة، وحيث إن البلاد ما تزال تحت الاحكام العسكرية لذلك يلزمنى إنذاركم بجعلكم عرضة للمعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية». . . وتركهم وانصرف. . .

وأرسل الوفد برقية استنكار إلى رئيس وزراء بريطانيا، وكان هذا يعنى أن الوفد يسير فى نفس الطريق، فقررت السلطة البريطانية يوم ٨ مارس ١٩١٩ اعتقال سعد زغلول وثلاثة من أصحابه هم : محمد محمود ـ حمد الباسل ـ إسماعيل صدقى

ونقلوا فى اليوم التالى ٩ مارس بالقطار إلى بورسعيد حيث نقلتهم باخرة إلى منفاهم فى جزيرة «مالطا».

❑❑❑

كان يوم الأحد ٩ مارس ١٩١٩ هو يوم بداية ثورة ١٩ بمظاهرات سلمية من الطلاب، تصدت لها القوات البريطانية، وسقط عدد من الشهداء، ثم امتدت المظاهرات سريعا لتشمل كافة قطاعات الشعب.. ثم شكل فيما بعد جهازاً سرياً يحرك هذه المظاهرات، ويقودها..

وقطعت السكة الحديدية، وتعطلت المواصلات والبريد وتوقفت الاتصالات وأغلقت المدارس والجامعات ووقفت المصانع... وشلت الحياة فى مصر، واعلنت الأحكام العرفية، وبدا واضحا أن هناك محاولة لتمزيق الأمة باشعال الفتنة الطائفية، وارتفع على الفور شعار «وحدة الهلال مع الصليب» وخطب المشايخ فى كنائس المسيحيين، واعتلى القساوسة منابر المساجد.. الجميع يدعون للجهاد وللثورة ولعب الأزهر دورا مجيدا بالتعاون مع الكنيسة... وشملت الثورة مصر... مصر كلها... الريف، والمدن... القرى، والحضر....

وسقط مئات الشهداء، وآلاف الجرحى، كما قتل وأصيب عدد كبير من قوات الاحتلال، وقد شاركت المرأة المصرية لأول مرة فى المظاهرات أثناء ثورة ١٩.

ثلاثمائة سيدة محجبة قمن بمظاهرة يوم ١٦ مارس، طافت على القناصل ومعتمدى الدول، وسلموهم مذكرة تحمل رأى المرأة المصرية، ومشاركتها للرجل فى معركة التحرير..

وكانت مظاهرة السيدات منظراً فريداً فى تاريخ مصر، حيث سارت السيدات صفين منتظمين، يحملن أعلاماً صغيرة، طفن بكل الشوارع، هاتفات للحرية وللاستقلال، وسقوط الحماية.

وخرج كل أهل القاهرة ليروا هذا الموكب الفريد من نوعه الذى انتهى إلى بيت سعد زغلول.. بيت الأمة، وقد شاركت فى هذه المظاهرات من العائلة الأباظيه، كريمة محمود بك أباظه، وكريمة السيد باشا أباظه، وحرم عبد الله بك أباظه.

وفى ٧ أبريل ١٩١٩ اضطر المندوب السامى الجديد - الجنرال اللنبى - إلى الإعلان عن الإفراج عن سعد وصحبه، ومع مظاهرات الفرح، ألف حسين رشدى وزارته من جديد.

ويقول محمد حسنين هيكل[1] تعليقا على نتائج ثورة ١٩١٩، أنها توصلت إلى نتيجة سياسية هشة... أعلنت بها استقلال شكلى، ثم جرى وضع دستور قامت عليه حياة سياسية واهية اكتفت بتقاسم السلطة مع القصر الملكى، وكلاهما يعيش تحت هيمنة بريطانية سياسية واقتصادية وعسكرية...«١»

وبدأت سلسلة جديدة من العنف ضد قوات الاحتلال... وكانت نتيجة الثورة ماسمى بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، يتضمن إعلان الحكومة البريطانية إنهاء الحماية، والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة واحتفظت انجلترا بتولى ثلاثة مسائل أساسية.

تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية - الدفاع عن مصر ضد أى اعتداء أو تدخل أجنبى - حماية المصالح الأجنبيه فى مصر.

❑❑❑

كان الكفاح الوطنى المسلح.

قد بدأ ضد الاستعمار...

بصورة جماعية أحيانا..

وفردية فى أغلب الاحيان....

وعلى أرض الشرقية....

سوف تدور معارك بين المصريين وقوات الاحتلال فيما بعد...

وسوف يكون قائد هذه المعارك... ابن الشرقية

وجيه توفيق أباظة....

---

(١) ملفات السويس.



وجيه اباظة سعيد خيال فوزي شاش في فريق الجوالة في المدرسة الثانوية

النضال الوطنى ٥

الأباظية

كفر أبوشحاتة.. قرية صغيرة ضمن مجموعة من القرى تحيط بمدينة منيا القمح وتبعد عن المدينة بحوالى أربعة كيلو مترات..

سكان هذا الكفر حوالى مائة فلاح، يعملون فى الأرض الزراعية.. والأرض مملوكة تقريبا لأشخاص من الأسرة الأباظية.

وفى كفر أبو شحاتة والمنطقة المحيطة به يسكن جزء من فرع كثير العدد من الأسرة، هو فرع السيد باشا أباظة الذى انجب ٣٦ولدا وبنتا انتشروا فى أنحاء مصر، ولكن الجزء الأكبر بقى فى محافظة الشرقية وخاصة فى مدن وقرى مراكز بلبيس والزقازيق ومنيا القمح.

ومن أبناء وأحفاد السيد باشا أباظة الكثيرون ممن برزوا فى الحياة العامة: إسماعيل باشا أباظة رئيس أول وفد مصرى لمفاوضة الإنجليز سنة ١٩٠٨، والذى قاد المعركة ضد مد امتياز قناة السويس سنة ١٩٠١، وفؤاد أباظةوالكاتب الصحفى والاذاعى والصحفى فكرى أباظة، والشاعر عزيز أباظة، والمهندس ماهر أباظة والفنان أحمد مهدى أباظة ولم يخلُ أى برلمان منذ عرفت مصر الحياة النيابية من: عضو أو أكثر من الأسرة الأباظية التى لعبت دوراً فى التاريخ وإذا كان فكرى أباظه قد لمع كبرلمانى أيضا، فقد لمع أيضا وجيه أباظه وسامى عبد الله أباظة، وغيرهما من أبناء العائلة.

□□□

والعائلة الأباظية كبيرة ومتشعبة ولها فروع عدة فى محافظة الشرقية بالذات منه فرع سيد باشا وسليمان باشا وبغداد وقمحاوى وحسين والعوضي.

وتاريخ الأسرة متناثر فى كثير من كتب التراث والمراجع التاريخية، وحتى الآن ليست هناك دراسة تاريخية كاملة عن هذه الأسرة... مجيئها إلى مصر وأصلها، ولكننا نستطيع من خلال بعض الكتابات المتفرقة هنا وهناك، أن نقف على بعض من تاريخ العائلة، والأدوار الوطنية لبعض رجالها... فقد كان من بين رجالها الوطنيون، والسياسون، كما كان منهم الأدباء والشعراء والصحفيون والفنانون. .وكان وجيه أباظة امتدادا لأدوار وطنية قام بها بعض أفراد هذه الأسرة.

□□□

كان سيد باشا أباظه وأولاده جميعا، يسكنون فى «شرويدة» «وكفر أباظة» بجوار الزقازيق.

بعد وفاته ترك أحمد أباظة باشا أكبر أولاده وصيا على جميع أولاده القصر الذين نشأوا فيه وهم صغار فى شرويدة.. حتى بلغوا سن الرشد فأعطى أحمد أباظة الوصى عليهم كلا منهم ميراثه عن أبيه.

ورث كلٌ منهم ٧٧ فدانا وكان كفر أبو شحاتة من نصيب حسين أباظة والد فكري، وتوفيق أباظة والد وجيه أباظة، وشاكر أباظة الذى لم ينجب إلا بنات، وكذلك عثمان أباظة أكبر أبناء أحمد أباظة الوصى عليهم.

هؤلاء الأربعة الذين أقاموا هم وأبناؤهم وأحفادهم من بعدهم «في كفر أبو شحاته» وهم الذين عمروها.

* **أولا:** حسين أباظة وأبناؤه فؤاد باشا أباظة... وكان مديرا للجمعية الزراعية، وعثمان أباظة وكيل وزارة المالية، وفكرى أباظة الكاتب المعروف، وشكرى أباظة كان أول مدير مصرى لمصلحة التليفونات بعد مديرها الإنجليزي.. ولطفى أباظة.

* **ثانيا:** توفيق أباظة وأبناؤه: ممدوح وعبد العزيز وشاكر، ووجيه.

شاكر أباظة لم ينجب سوى ثلاث بنات.

فى كفر أبو شحاتة أيضا عاش عثمان ابن أحمد باشا أباظة ومن بعده سيف الدين وأحد أبنائه فى قرية الربعماية التى تبعد حوالى ٢ كيلو عن كفر «ابو شحاتة».

كان عثمان بك أباظة ابن السيد باشا أباظة، ومن بعده محمد باشا إبنه ومن بعده الشاعر الكبير عزيز أباظة وأحمد أباظة، وعثمان أباظة والمهندس ماهر أباظة، وفى كفر أبو شحاتة تعلّم هؤلاء جميعاً فى كتاب الشيخ جاد.

على بعد كيلو مترات من كفر أبو شحاتة عاش ابن آخرمن أبناء سيد باشا فى قرية القبة وهو مأمون سيد أباظة.

❏❏❏

خلال حوارى مع وجيه أباظة تعرضت للأسرة الأباظية وكانت البداية سؤالى كيف وهب حياته للنضال من أجل الوطن، ووقف دائما إلى جانب الفقراء وهو ابن الأسرة الكبيرة قلت له:

● **أريد أن أوجه سؤالا عن وجيه أباظة ذو الأصول الطبقية.. ما الذى جعله ينغمس فى قضايا السياسة والمشاكل السياسية وهو من عائلة كبيرة؟**

ـ ها قول لسيادتك ـ أنا تركيبتى كده ـ والدى توفيق ابن السيد باشا أباظة ابن شيخ العرب حسن أباظة ابن محمد أباظة العايدي.

أول من تسمى بلقب أباظة ابن شيخ العرب إبراهيم العايدي، وكان الجماعة القدامى يدرسون فى الأزهر، ولذلك كان والدى أزهريا، وكان يكتب مقالات فى جريدة «المقطم» كان أديبا من بيت بنى على أسس دينية..

أما جدى لوالدتى فهو الشيخ على شلتوت رجل دين، وكان يسكن قرية «كفر ميت بشار» المجاورة لكفر أبو شحاتة، وكانت والدتى عظيمة تؤمن بفائدة العلم والتعليم، وكان إصرارها على تعليمنا كبيراً رغم أنها لم تنل قسطا من التعليم.

ولقد أحسنت تربيتنا.. وكان لأخى الكبير ممدوح أباظة التأثير الكبير جدا فى تربيتى لأنه حل فى الأسرة محل الأب بعد وفاته، وكان مثالا للأخ الأكبر فهو يتمتع بشخصية راقية ومثقف تثقيفا عاليا وعادلاً فى كل التصرفات، وكان هو مثلى الأعلى ولى هنا وقفة لأحكى اليك قصة حدثت لى وأنا فى السادسة من عمرى كان لها التاثير الكبير والخطير على تكوين شخصيتى بعد ذلك.

فى سن السادسة كنت ألعب مع الصبية فى القرية وقمت بصفع أحدهم على وجهه لأنه غاظني، وسبقنى فى الجري، فما كان من أمه إلا أن أخذته لشقيقى الأكبر ممدوح، تشكونى إليه فاستدعانى وسألنى عماحدث.

ولم يقتنع بروايتى وقال لى: لابد أن يصفعك كما صفعته فانتهز الصبى هذه الفرصة واستخلص دينه مني بكل قوة.

وخرجت من هذه التجربة بأن الناس جميعا سواء تتساوى. وقد استوعبت هذا الدرس فى طفولتى من أخى الأكبر ممدوح.

●يا أستاذ وجيه من أين جاءت العائلة الأباظية وكلمة أباظة ماذا تعني؟

ـ الأسرة الاباظية جاءت فى بداية الفتح الاسلامى لمصر، ونزلت فى بلبيس فى كفر العايد.

وكانت تسمى بـ «العائد».. ونتيجة زواج أحد أبناء هذه العائلة وهو شيخ العرب إبراهيم العايدى من إحدى بنات الشراكسة وكانت تنتمى إلى قبيلة «أباظة» فى أبخاريا، ولكى يفرقوا بين الأبناء سمى بهذا الاسم محمد أباظة العايدى ثم جاء من بعده شيخ العرب حسن أباظة أبو الأسرة الاباظية.

كانت جذورنا الأولى فى العائد وأقاربنا حتى الآن هناك ،من عائلة العايدى، وعسكر، وأيوب وغيرهم من عائلات هذه المنطقة. وكانت قبيلة العائد هذه مسئولية عن الحجيج وحماية القوافل منذ خروجها من مصر حتى تصل لميناء العقبة.

● يقال إن الشراقوة عزموا القطار، وقد أرتبطت عزومة القطار بواحد من الأسرة الأباظية فما هى الحكاية؟

ـ الشراقوة مشهورون بالكرم، ولكن ليس إلى درجة أنهم يعزمو قطار سكة حديد، وأصل هذه القصة يرجع إلى سيد باشا أباظة عندما كان كبير مفتشى الداخلية، وكان يخرج بالقطار للتفتيش، وكانت القطارات مش زى اليومين دول بهذا الانتظام، ولكن كان ممكن يستريح فى السكة، عند ابنائه وأقاربه، فكان

يستضيف مـن هـم فى القطار طول فـترة الاستراحة وهـذه حقـيقة مـا كـان يقـال أن الشـراقوة عـزموا القطار فنحـن عزمنا الـناس الذين فـى القطار وليس القـطار نفسـه... وللعـلم وللمصـادفة الغريبـة أن جـدى سيـد بـاشا أبـاظة كـان مديراً للبـحيرة سـنـة ١٨٦٠ وأنا ذهبـت محـافظا لمحـافظ البـحيـرة سنة ١٩٦٠ بفـارق زمنـى بيـنى وبيـنه ١٠٠ سنة.

❑❑❑

يختلف المؤرخـون حول اسم العـائلة الأباظية وتاريخهـا. والشائع يرجع نسـبة الأباظية إلى قبيلة العائد وهى فخذ من جذام.

أول القـبائل التى جاءت مصر مع فتـحها على يد عمرو بن العاص وأثناء حكم المماليك الشـركسة تزوج أحـد أجدادهم إحدى بنات المـماليك، وكانت من قـبيلة «أباظة» الشراكسة، وحـتى تتميز القبيلة عن غـيرها من أبناء العايد كـانوا يقـولون ابن «الأباظية».

❑❑❑

نزل العايد فى أول أمرهم ببـلاد عزيزية القصور والقصورية، واسـتمروا كذلك زمنا، طويلاً وكان كبيرهم شيخ العرب - إبراهيم العايدى - متكلما عن قبيلة العايد فى زمن الفـرنسيين، وجـاء محـمد على وكـانوا يملكون عقـارا وأموالا ونخـيلا فخيرهم بين إعفائهم من أن يعاملوا معاملة العرب بشرط أن ينزع ما تحت أيديهم، من أرض ونخيـل وبين أن يعاملوا مـعاملة الفلاحـين ويبقى لهم مـا تحت أيديهم فاختاروا الفلاحة.

❑❑❑

* * قال ابن خـلدون.. «وكان ورود عرب العـايد فى أول القرن السـابع من الهجرة وكان عليهم ضمان السابلة من مصر إلى العقبة إلى الكرك»

وقـال الـقلقـشندى... «والعـائـد فى الشرقـية من جزام عليـهم درك الحـج إلى العقبة».

* * وفى الجبرتى إشـارة إلى مقاومة العرب الأباظية للفـرنسيين إلى أن تمكنوا من أسر عبد الرحمن أباظة، ويقول الجبرتى «إنهم استبقوه رهن السجن مدة ليأمنوا ثورة القبائل».

* * ويبدو أن العـائلة كانت ذات سطوة كـبيرة حـتى أن نابليون عندمـا أصدر

منشوره الأول للمصريين قال أنه جاء يخلصهم من المماليك والأباظية .

❑❑❑

كان حسن أباظة ثريا بسط نفـوذه أكثر على مديرية الشرقـية، وكان يملك ٥٠ ألف فدان فى زمن محمد على تبدد أكثرهـا فى البذخ والهدايا والتماس الجاه فترك لولديه السيد باشا أباظة وسليمـان باشا أباظة أقل من نصف ما كان يملك وعندما أسس محمد على مـجلسا استشاريا تحت اسم «مجلـس المشورة» من ١٦٥ عضوا بينهم ٩٩ من كبار اعيان البلاد و٣٣ من كـبار الموظفين والعلماء و٢٤ من مأمورى الأقاليم كان بهذا المجلس اثنان من الأسرة الأباظية أعـضاء فيه هما: حسن أباظة، وبغدادى أباظة .

وفى الخطط التوفيقـية «ومن أشهر عائلات العائد وأعظمها رتبـة وأرفعها مكانة أولاد أباظة تقلبت فى الترتب السنية، والمناصب الديوانيـة جملة منهم وسبقهم فى ذلك الأمير الجليل ذو المجد الأثيل المرحوم حسن أباظة وكـان كريما جوادا فصيح اللسان توفى سنة ١٨٤٨ .

«وبعده كان ابنه الأكبر السيد أباظة باشا زعيـما للأسرة وكان موضع ثقة سعيد باشا وقد عينه وكيلا للداخلية ثم مفتشا لعموم الأقاليم.

وأول من حصل على لقب باشـا من المصريين فى عهد سـعيد باشا هو الـسيد أباظة باشا وتزعم الأسرة من بعـده أخوه سليمان أباظة باشا، وكان شاعـراً كبيراً وأديبـاً. . .وكريمـا إلى حد الاسـراف. . . تقلب فى المناصب حـتى عين مـديرا للبحيرة ثم نقل مديرا للقليوبية ثم عين مديرا للشرقية لمدة ٦ سنوات.

«وغضب عليه الخديوى إسـماعيل لأنه كان صديق إسمـاعيل باشا المفتش، ثم تمكن من أن يسـتعـيد رضـاه. وبدت نذر الثـورة العرابيـة فأخـذ «يزجى النصح» للمرحوم عرابى باشا ويدلى إليه بآراء صريحة حرة، كان لا يجرؤ أحد من الأعيان على الجهر بها فى ذلك الوقت».

❑❑❑

وفى دراسته عن دور كبار الملاك فى الحياة الاجتماعية المصرية [١] يقول الدكتور رءوف عبـاس إنه من أهم كبـار الملاك الذين ينحدرون من أصـول بدوية، وكونوا ملكياتهم فـى ظروف مشابهـة لتلك التى تكونت فيـها ملكيات الاعـيان آل أباظة بالشرقية. . وهـم ـ فى رواية على مبارك ـ من عـشائر قبيلة العائد التى نزلت بمصر

فى القرن الرابع عشر الميلادى واستقرت بالشرقية، واستولت على بعض القرى، وسخروا الفلاحين فى زراعة أطيان تلك القرى، وبقوا على بداوتهم فترة طويلة من الزمان. وحين تولى محمد على الحكم، خيرهم بين أن يعاملوا معاملة الفلاحين، فيكون لهم ما لهؤلاء من حقوق وعليهم ما على هؤلاء من واجبات، وبين أن يعاملوا معاملة البدو، فينزع ما تحت أيديهم من أطيان وضعوا أيديهم عليها بدون وجه حق. فقبلوا أن يعاملوا معاملة الفلاحين، ومن ثم ألفوا حياة الفلاحة، واعتادوا الاستقرار والخضوع للسلطة. وبرز بيت أباظة من بينهم، فشغل حسن أباظة وظيفة شيخ مشايخ نصف الشرقية فى عام ١٨١٢، وكان يزرع حوالى ٤ الاف فدان وأصبح ابنه السيد أباظة باشا رجلا عظيم الشأن تقلد بعض المناصب الكبرى وتعهد بنحو ٢٠ قرية من قرى الشرقية في عهد محمد على وإبراهيم وكان يمتلك نحو ٦٠٠٠ فدان فى نحو ١٥ قرية، وقد تراوحت ملكيات بقية افراد عائلة أباظة ما بين ٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ فدان».

❑❑❑

أنشأ الخديوى اسماعيل عام ١٨٦٦ أول مجلس نيابى تحت اسم «مجلس شورى النواب» من ٧٥ عضوا ينتخبون لمدة ثلاث سنوات واقتصرحق انتخابهم على العمد ومشايخ البلاد فى الريف وعلى الأعيان فى القاهرة والاسكندرية ودمياط.

وقد أسفرت الانتخابات عن فوز أحمد أفندى أباظة عن دائرة منيا القمح وهكذا دخل نائب من العائلة الأباظية فى أول برلمان منتخب وفى مصر وفى الانتخابات التالية للبرلمان الثانى لم يدخل أحد منهم.

وفى أول مجلس نيابى كامل السلطة، وهو برلمان ١٨٨١ كان هناك عضوان من العائلة الأباظية هما: سليمان باشا أباظة وهو الجد الأكبر لوجيه أباظة وأحمد بك أباظة .

❑❑❑

افتتح الخديو توفيق مجلس الشورى وقرأ خطبة العرش بنفسه قال فيها:

«أبدى لي حضرات النواب سروريتى من اجتماعهم لأجل أن ينوبوا عن الأهالى فى الأمور العائدة عليهم بالنفع».

---

(١) كتاب دور كبار الملاك في الحياة السياسية ـ تاليف الدكتور رووف عباس

وبعد انصـرافه ألقى محمـد باشا سلطان رئيس المجلس خطبتـه بمناسبة افتـتاح المجلس ثم رد عليه سليمان باشا أباظة بخطاب جاء فيه:

«الحـمد لله على سـوابغ آلائه ونوابغ نعـمائه وبعـد. فقـد أبان سعـادة رئيس مجلسنا الهمام مـا تضمنته المقالة الخديوية الكريمة من حسن القـصد، وصفاء النية والميل إلى المصلحة الوطنـية، وأوضح بعد ذلك حق الوطن علينا وواجـباتنا بالنظر إلى العهود الواجـبة الحفظ والذمم اللازمة الرعـاية، وهذا موقف الشكر له والثناء عليه، أقوم فيه أصيلا عن نفسي نائبـا عن سائر إخوانى النواب، فيا سعادة الرئيس الهـمام لقـد علمت وأنت أولنـا أن ليس منا من قـبل النيابـة إلا على علم بعظم واجباتنا الوطنية والسياسية والا وفـى عزمه أداء حق الوطن، وحفظ العهود المرعية وخدمـة الأمة بما يجلب لهـا النفع ويدرأ عنها الضـر، ويا أخوانى لقـد علمتم أن الأنظار مـحدقـة الينا، والأفكار محـومة عـلينا، وأن الوطن العزيز مـحتـاج إلى الاصلاح كمـا قال سعادة الرئيس فلندخـل الاصلاح من بابه ونأخذ فيـه بأسبابه، لاننظر الا إلى المصلحة العـمومية، ولا نهـتم الا بالمنفعة الوطنية، وقـد حصل لنا اليـقين بأن يد جناب الخـديوي المعظم منبسـطة لمساعـدتنا وعناية رجـال حكومتـه متـوجهـة إلى تأييد مـجلسنا، وأن الامة تـتوقع منا الاجـتهاد فـى سبيل الحـكمة والسداد، فـما أجدرنا بتـحقيق الآمـال، وما أحقنا بالسـعى فيمـا يصلح به الحال ويحسن الآمال، وقد آن الشروع فى العمل، فلنـقبل عليه بنفوس راضية، وقلوب صافية، وأفكار مـتوجهة إلى حقوق الوطن، ونيات معـقودة على أداء الواجبات، والله ولى توفيقنا عليه توكلنا وإليه ننيب» وبقي المجلس بعد ذلك مجتمعاً ينظر في نظامه الداخلي..

وكان افتتاح المجـلس بمثابة عيد قومى عام، تجلب فيه الابتـهاج الغبطة والسرور العظيم، فوفد على العاصمة فى ذلك اليوم كثير من الزائرين من مختلف المديريات لمشاهدة حفلة الافتتاح، وأقيمت الولائم والحفلات فى القاهرة والإسكندرية ابتهاجا بافتتاح المجلس الجديد، واشترك فيهـا كثير من النواب والأعيان والموظفين وطبقات الشعب كـافة، وعبـرت الصحف أصدق تعـبير عـن شعور الرأى العـام نحو هذا الحادث الهام في حياة مصر القومية.

❑❑❑

أثناء الثورة العرابية كانت اللقاءات السيـاسية تعقد فى بيت أحمد أباظة، وكان

يخطب فيها الشيخ محمد عبده، وفى هذا البيت أيضا كان لعبد الله النديم دور.. لقد كان قادة الثورة العرابية يلتقون عنده.

يقول عبد الرحمن الرافعي[1]: أنه فى يوم ٣ مارس سنة ١٨٨٢ أقام أحمد بك باشا أباظة حفلة فى منزله بالقاهرة ابتهاجا بالدستور والحكومة القانونية، دعا إليها النواب والوزراء والعظماء، فلما انتظم عقدهم وقف عبد الله النديم وافتتح الحفلة بخطبة حث فيها على وجوب رعاية صلات الجوار ومعاشرة الأجناس المختلفة بكمال الملاينة وتمام المجاملة، فإنهم إخوان فى الإنسانية والكل يرجع إلى أصل واحد.

ثم قام الشيخ محمد عبده وألقى خطابا بليغا بيّن فيه مزايا الحكومة الدستورية ونوّه بفضل المساواة والحرية.

وقام بعده عبد الله النديم وخطب حاثا على توسيع دائرة الصناعة وتكثير موادها والتفن فيها لتكفى البلاد مونة الحاجة ويكتسب أبناؤه ثمراتها وبركات أرضها، وأفرغ ذلك فى قالب بديع، فكان لخطابه الوقع الحسن فى نفوس السامعين.

ثم قام إبراهيم أفندى اللقانى وخطب خطاباً نوّه فيه بفضل هذه الحفلات. وقام عبد الله وعلق على خطبة اللقاني.

ثم قام «أحمد أفندى فتحى زغلول» وتكلم عن أسباب وقوف أفكار النبهاء من المصريين فى الزمن القديم عند حد واحد من المعلومات، وأرجعها إلى وقوف الحركة العمومية فى تلك المدة، ثم أثبت تقدم الحركة العمومية وتدرجها فى هذه الأيام إلى مرتبة الكمال بواسطة الحكومة الشورية التى هى منبع حركات التقدم والنماء.

وقام بعده النديم أيضا، وتكلم عن وجوب مساعدة الفلاح ومعاونته لشدة حاجته، ودعا الأغنياء إلى الأخذ بيده وبذل المجهود فى استخلاصه من الديون التى اثقلت كاهله.

وهنا ذكر منقبة حسنة لأحد الأعيان، فقال إنه أدى عن أهل بلده خمسة آلاف جنيه لمدينيهم، فلم يبق أحد منهم مديونا لأجنبي، وأثنى عليه الثناء الجميل.

ثم قام أحد الجنود وتلا خطابا أبان فيه وجوب رعاية الذمم وحفظ الجوار، وغير

(١) كتاب الثورة العرابية

ذلك من الأمور التى جاءت بها الشريعة الغراء وأيدها قانون الإنسانية، ثم دعا للخديوى والوزراء، وأمن الحاضرون عليه.

ثم قام النديم وشرح عبارات الجندى شرحا بليغا، وتنقل إلى موضوعات شتى. وختم الاجتماع بشكر الحاضرين والدعاء للخديوي، والوزراء والنواب، فأمن السامعون، وانصرفوا مسرورين شاكرين لصاحب الاحتفال، داعين للوزارة بحسن التوفيق».

الأسرة الاباظية.. كأى مجتمع فيه الجيد والردئ، وصاحب الدور وصاحب الدور المضاد، فيها الصالح والطالح، من عمل مع الثورة، ومن وقف ضدها، فيها الفدائى الذى يقاوم الإنجليز، وفيها الثائر الذى قام برفض الأحزاب الفاسدة، وفيها من هم كانوا أعضاء فى هذه الأحزاب، وليس هذا بجديد فقد بدأ مع العائلة واستمر معها على امتداد التاريخ، وهذا شئ طبيعى فى أسرة كبيرة ومتشعبة.

□ □ □

ولنقرأ بسرعة بعض ما ورد في كتب التاريخ عن الأسرة في الأزمنة المختلفة عندما قام عرابى بثورته، ذهب إلى الزقازيق استقبل استقبالاً حافلا وأقيمت له أربع ولائم فاخرة، أقام ثلاث منها كل من: أحمد بك السيد أباظة بناحية شرويدة وسليمان بك السيد أباظة ، ثم سليمان باشا أباظة.

□ □ □

بعد ضرب الإنجليز الإسكندرية واحتلال مصر سنة ١٨٨٢، عين سليمان باشا كبير الأسرة الأباظية وزيرا للمعارف ـ فى وزارة راغب باشا، وانتخب عام ١٨٨٤ وكيلا لمجلس شورى القوانين.

□ □ □

رأس الأسرة بعده أحمد أباظة باشا أكبر أنجال السيد باشا أباظة.

وانتخب عضوا فى مجلس شورى النواب عن مديرية الشرقية عام ١٨٦٦، ثم عين وكيلا لمديرية البحيرة.

□ □ □

عندما ضرب الإنجليز الإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ كان أحمد باشا يجمع المتطر عين للقتال.

ولذلك قبض عليه وسجن ثم حكم بتحديد إقامته فى بلدة تحت الملاحظة لمدة

خمس سنوات مع دفع تأمين مالى قدره ألف جنيه.

وفى عام ١٨٩٠ كان عضواً بمجلس شورى القوانين عن مديرية الشرقية، وتوفى فى ٣١ اكتوبر سنة ١٩٠٠.

كما أن الشاعر الكبير عزيز أباظة لم يكن هو الشاعر الوحيد في الأسرة، وإن كان أشهرهم، فهناك أيضاً شعراء معاصرون من العائلة أهمهم شريف أباظة..

وكما أن أحمد مهدي أباظة ليس الفنان الوحيد، فهناك الفنان الأشهر رشدي أباظة.

ولم يكن فكرى أباظة هو الكاتب الوحيد فى الأسرة، وأن كان أشهرهم من حيث القدرة والموقف الوطنى، فقد كان بين الأسرة من يمارسون الكتابة فى الصحف كهواية من بينهم والد وجيه أباظة الذي كان يكتب في جريدة المعظم..

ويقول الدكتور رؤوف عباس فى كتابه عن كبار الملاك ودورهم فى الحياة السياسية: أن اسماعيل أباظة كتب مقالات فى جريدة «الأهالي» عددى ١٥، ٣/ ٣/ ١٨٩٧ نعى فيها على الأعيان طوافهم فى الأعياد بعد حضور التشريفات بسراى الخديوي، على بيوت الذوات والوزراء دون سابق معرفة، بكساوى التشريفة، بقصد المعايدة، والتهنئة والتعارف، وذكر أنه سمع انتقادا شديدا من بعض الأمراء والذوات على هذا التصرف، وطالب الأعيان ـ باعتباره واحداً منهم أن يقتصروا على حضور التشريفات الخديوية، ثم يعودوا إلى بلادهم لقضاء الأعياد».

❑❑❑

هذه بعض الملامح عن الأسرة الأباظية.

كان وجيه أباظة.. من العائلة الأباظية

في الضباط الأحرار.

وكان شريف أباظة أيضاً ضمن الضباط الأحرار.

كان وجيه أباظة امتدادا للوطنيين من أبنائها..

وإذا كان بعض أفراد الأسرة قد شاركوا فى الثورة العرابية..

سوف نرى وجيه أباظة مشاركا فى ثورة يوليو ـ بل وأحد قادتها.

النضال الوطنى ٦

الطيران

اتجه وجيه أباظة إلى الطيران..

ليس معروفاً لماذا اتجه إلى كلية الطيران بالذات ...

هناك التقى بأصدقاء جدد، ولكنه لم يترك أصدقاءه القدامي.. فقد استمرت صلته بهم أيضاً.

وفى الطيران سوف يبدأ مرحلة جديدة مختلفة من حياته.

كان وجيـه أباظة عندما وقعت مـعاهدة سنة ١٩٣٦ فى السنة الرابعـة الثانوية، وكان رافضا للمعاهدة.....

بعدها بعـام واحد... حصل على شهـادة التوجيـهية، ويقول شـقيقه الأكـبر ممدوح أباظة:

لقـد كـنا نسـمع مـنه كـلاما فى السيـاسـة، حول الاسـتـعمـار، والإنجليز.. وكـان يبـدو أيضـا رافـضا للحـيـاة الحزبية ولم أكـن أعـرف أنه عضـو فى حزب مصر الفتاة...

❑❑❑

جاء إلى القاهرة.. هذه المرة لن يقيم بمفـرده، ولن يقيم مع أحد من الأسرة.. سوف يقيم داخل الكلية التى يدرس فيها وهى الكلية الحربية.

وفى الكلية الحربية، كـان زملاء الدراسة كثيرين.... منهم مثلا حـمدى عبيد الذي تعرف عليه فى تلك الفترة!

«التقينا مـرة فى المستشفى... أنا ألعب الكرة، وقد أصـبت فى ساقى، اصابة شديدة، أدت إلـى وضعهـا فى الجبس، هنـاك وجدت زميلـى وجيه فى الـسرير المجاور مريضا.

وعندما كـان قائد الكلية، فى زيارة للمـستشفى مـر علينا وفوجئت بأن وجـيه يحدثه عنى... متسائلا:

- هل تضـيع السنة على حـمدى بسـبب الكرة، كـان يلعب ضـمن فـريق الكلية...

«هذه الكلمات أنقـذتنى... لأنه روعى موقفى ونجحت، وأذكـر دائما الفضل لوجيه أباظة ... طبعا كانت صلاتنـا قوية جدا بعد ذلك... واستمرت لسنوات تزاملنا خلالها فى اعمال سياسية، وتنفيذية».

التقى وجيه باثنين من زملائه تعمقت الصداقة بينهما... وأصبح... الثلاثة أصدقاء حميمين جدا...

عبد اللطيف البغدادى - أحمد سعودى «أبو على» - وجيه أباظة...

وسوف يكون للثلاثة دور فى الحياة السياسية، ينعكس على الوطن كله!

وكأنما كانت الظروف وحدها ترسم، أن يكون فى حياة وجيه أباظة فى دراسته دائماً اثنين من الاصدقاء، يصطفيهما، وتتعمق العلاقة بينهم إلى حد بعيد...

فى الثانوى كان الصديقين هما.. سعيد خيال، وفوزى شاش

وفى الكلية الحربية سوف يكون الصديقان هما.. عبد اللطيف البغدادى، أحمد سعودى «أبو على».

أصدقاء الثانوى، تفرقوا، اختار كل منهم طريقا مختلفا، «كان إصرار أخى شديدا على أن التحق مثله بكلية الحقوق وقد أقنعنى عبد الخالق حسونة، بعد أن استعان به أخى...

«ولكنى كنت أسعى لدخول الكلية الحربية مع صديقى وجيه، ولم أستطع، وكذلك فعل فوزى الذى التحق بكلية الحقوق جامعة فؤاد الأول، وكلنا نلتقى يومى الخميس والجمعة ونمضيهما معا بعد أن انتهت الفترة التى لا يغادر فيها طلاب الحربية الكلية هكذا يقول سعيد خيال «وكنا أيضاً نتابع الحياة السياسية فى أحاديثنا... كان وجيه يتكلم معنا فى السياسة، أولا لأننا أصدقاء قدماء وكنا نعرف أن الكلام فى السياسة داخل الكلية الحربية محظور تماما»

❑❑❑

بعد معاهدة سنة ١٩٣٦، كان لابد من التوسع في الجيش المصرى، وبدأ قبول دفعات، بل ونوعيات جديدة من الطلاب في الكلية الحربية...

كانت ملحقات المعاهدة قد نصت على إنشاء شبكة من الطرق بمواصفات خاصة حتى يمكن للقوات البريطانية أن تستخدمها بمواصفات خاصة حتى يمكن للقوات

البريطانية أن تستخدمها وقت الحاجة. . . وقد أنشئت هذه الطرق التى سميت طرق المعاهدة. .

وكانت المعاهدة قد حددت مدة بقاء القوات البـريطانية فى مصر بعشرين عاما. على أن تكون مصر قـادرة على حماية القناة، وأن تقوم بريطانيـا بتدريب الجيش، وتزويده بالسلاح.

وانتشـر الضبـاط الإنجليز فى كـل وحدات الجيش، الـذى عين اللواء محـمود شكرى باشا قائدا مصريا له. . . .

وتكون مجلس أعلى للدفـاع. . . أول قرار لمجلس الدفاع، هو تحـويل المدرسة الحربية إلى كلية، وفتح الباب لدفعات جديدة من المصريين لزيادة إعداد الجيش...

- وعلى كل حـال- فإن عـدد المدارس الثانويـة ـ الطريق إلى الكليات ـ كـان محدودا ومصاريف الكلية الحربية باهظة - ٦٠ جنيها فى العام.

هذا القرار سمح بوجود نوعيـة جديدة من الضباط داخل الجيش. . . هم الذين سوف يقودون الثورة فيما بعد. . . وهم الذين بدأوا، حركة وطنية هدفها التخلص من الإنجليز.

وسـوف نرى بداية وجود التنظيمـات السرية داخل الجـيش. . . متـوازية مع التنظيمات السرية المدنية التى تهدف إلى محاربة الإنجليز، ومتعاونة معها أحيانا.

وسواء كـانت التنظيمـات المدنية، هى التى جـرت العسكريين إلى العـمل ضد الاستعمار البريطانى، أو أن كل من المدنيين والعسكريين كان يعمل بمفرده فى قتال الإنجليز. .

فـإننا سوف نجـد أن الروح الوطنية التى تـسللت إلى الجيش، قـد تبلورت فى أعمال إيجابية. . . وفى حركة لمواجهة الإنجليز. . .



كان وجيه أباظة قد دخل الكلية الحربية. . .

بعد انتهاء الدراسة فى الكلية الحربية التحق بالطيران...

وكان الطيران يمر عبر الحربية... وفى ذلك الوقت كان الطيران جديدا... ومثيرا... متميزا... وكان مخاطرة أيضا...

ويصف قائد الأسراب حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة ثورة يوليو، وأحد زملاء وجيه أباظة فى العمل الوطنى دراسة الطيران فى ذلك الوقت قائلا:

«استقبلنا اللواء على إسلام قائد مدرسة الطيران حينذاك، استقبالا جميلا، ثم ألقى علينا كلمة تحدث فيها عن الإيمان بالله، وعن الأعمار والأقدار، وعن كل معانى الشجاعة...

وذهبنا لنتسلم من المخازن ملابس الطيران: «الأفرول» الأبيض و«حلة» الجلد ذات السماعات و«الجوانتياتش السميكة والنظارت و... إلخ...

«وقسمونا بعد أن تسلمنا مهماتنا إلى جماعات، لكل منها مدرس، ومضى بنا مدرسنا إلى إحدى طائرات التعليم، حيث أخذ يشرح لنا أجزاءها وهى على الأرض، فكنت أحضر فى ذاكرتى كل كلمة يقولها، ثم مضوا بنا بعد ذلك إلى الفصول، ووزعوا علينا الكتب الضخمة المؤلفة باللغة الإنجليزية فى علم الطيران، فسادت بيننا الفكاهة الخفيفة، واستخفنا الطرب، لأننا قد تخلصنا من طوابير الكلية الحربية، وقسوة أحكامها العسكرية!

«وعند الظهر عدنا إلى الكلية الحربية فلم تكن قد أعدت لنا بعد أماكن للنوم فى مدرسة الطيران، وما أن وصلنا إليها حتى تمددنا على أسرتنا، ورحنا «ندردش» جميعا، وفى وقت واحد، عما رأينا فى المطار ... وبخاصة تلك الحركات البهلوانية التى كان يقوم بها الطلبة القدامى فى مدرسة الطيران..!!

«لم يكن أحد من طلبة الكلية الحربية قد حضر بعد من أجازته، ولذلك شعرنا بشئ من التبدل، وبكثير من الحرية... وحتى زملاؤنا ضباط البوليس الذين كانوا يبيتون فى الكلية الحربية، كانوا يخرجون بعد الظهر ولا يعودون إلا فى الليل لمجرد المبيت...

«ولقد بلغ من حريتنا أننا كنا نـضحك عاليا ويمتد بنا «التهـريج» والتغنى ببعض الأغانى التى يقولها الشباب مجتمعين، حتى نقلق الضـابط النوبتجى ليقدم إلينا، فإذا فـعل فلا يجد إلا قـوما يغطون فى نومهم، وقـد علا «شخـيرهم» إلى عنان السماء!.

«لقد كنا نعـرف صوت حذائه الثـقيل وهو يقرع سكون الليل، فنهـرع لنتصنع النوم، ونختلق الأحلام! . . .

ولم يقف بنا الأمر عند هذا الحد، فقد كنا نرسل أحدنا بعد أن يضع على كتفيه سترته المدنية، ليأتينا بأقراص الطعمية وأطباق سلطة «الطحينة» من أبى ظريفة، ولا يلبث حتى يعود فيجدنا فى استقباله استقبال بطل فاتح مغوار! . . .

«ولقـد تخلصنا ابتـداء من هذا الوقت - والحـمـد لله - من الحذاء الـثقـيل، و«القلشين» الذى كنا نلفـه من الكعـوب حتى الركب، فـقد سـمحـوا لنا بارتداء الأحذية الخـفيفـة، والجوارب الكاكيـة، وتجرأنا نحن فأطلـقنا شعورنا وصـففناها ورجلناها، وكان هذا امتيازا ليس بعده امتياز!

مضت بنا الأمور عـلى هذا المنوال، نذهب فى الساعة السادسـة من صباح كل يوم إلى مدرسـة الطيران لننقسم إلى قسـمين، يستقل أحدهمـا العربات إلى مطار الخانكة، ويذهب طلبـة القسم الآخر مع مـدرسيهم، ليـصعدوا مـعهم الطائرات، فيعلمـوهم كيفية الطيران، ثم يهـبطون فى الخانكة ليصعد الآخـرون، حتى إذا ما دقت الساعـة العاشرة، عـادوا إلى مبنى المدرسة ليـدخلوا حجرات الدراسـة وكان الذين يستقلون العربات ويعودون بها من المحظوظين.

وكان متوسط طيراننا فى اليوم نصف ساعة طوال خمسة عشر يوما قبل أن نطير بمفردنا ثم وافانى اليوم الموعود الخالد فى تاريخى فقد تقرر أن أطير بمفردى.

❑ ❑ ❑

يروى وجيه أباظة قـصة التحاقه بكليـة الطيران من بدايتها فيـقول: إن أحلامى كانت إنى أبقى مـحامى طلعت فى مخى أنى أبقى مـحاميـا لأنى ما اتمكنتش انى

أبقى دكتور، أبقى محامى علشان أدافع عن الناس يا أبقى دكتور علشان أعالج الناس.

فطبعا دخلت أدبى، فما اتمكنتش أبقى دكتور فحبيت أدخل محامى لكن أخويا مالقاش بعد حكاية يبعدني عن أنى كنت باشترك فى المظاهرات.

● **كنت مشاركاً وأنت فى الشرقية فى الحركة السياسية والوطنية[1]؟**

- أنا وفوزى شاش وسعيد خيال وبعدين أخويا قال مفيش حاجة تمنعه من الكلام ده إلا أنه يدخل كلية عسكرية.

فعلا قبلت مرة واحدة فى كلية الشرطة - الكلية الحربية- التجارة ـ والحقوق مرة واحدة.

رايح أدفع الفلوس بتاعت كلية الحقوق، وزير الداخلية أيامها شالنى من الكشف لأنى كنت أيامها، كنت ضد الوزارة أشارك فى المظاهرات الوطنية أو هو بيتهيأ له كده.

● **هل هذا لدرجة أنه يمنع واحداً من الالتحاق بالجامعة؟**

ـ ثلاثون واحداً شالهم وأنا كنت منهم ورحت قبلت بالكلية الحربية ولتحقيق نفس الهدف انى أدخل كلية الطيران. حاطط فى مخى وقدامى انى أدخل الطيران.

● **ليه؟**

- أنا أعجبت بالطيارين ولقيت إن عندى هواية الطيران زى اللى عنده هواية الموسيقى أو غاوى يقرأ. . .

وفعلا دخلت الطيران ما كنش فيه كلية طيران فدخلت الأول الحربية كان فيه مدرسة الطيران العليا.

كنا بنبات فى الكلية الحربية ونروح نتعلم الطيران ونرجع تانى الحربية فعدنا ٣ شهور فى الحربية. وبعدين التحقنا بكلية الطيران.

---

(١) حديث مع أمنية صبرى ـ الإذاعة المصرية.

فى الفترة بتاعتنا واحنا طلاب بقوا محتارين فينا... عاوزينا نخلص الفترة بتاعتنا أنا كنت دفعة عبد اللطيف بغدادى ومدكور أبو العز فى الكلية الحربية، أنا اتأخرت عنهم ٣ شهور لانى كنت عملت عملية المصران الاعور.

وبعدين لما رحنا فى الطيران اتخرجنا سوا - دفعة واحدة. لأنى لحقتهم كنا نتعلم الطيران سوا، إن واحد سقط فى الاختبار أو لم يسقط... وتخرجنا فى ٣١ مايو سنة ١٩٣٩.

❑❑❑

قبل أن يتم التخرج، كان الثلاثة أصدقاء قد قرروا أن يقوموا بعمل خطير من أجل وطنهم..

هذا العمل سوف يسجله التاريخ

إنه إنشاء أول تنظيم سرى فى القوات المسلحة..

والهدف: مواجهة الاستعمار..



يوم التخرج من الطيران

التنظيم

الأصدقاء الثلاثة الذين التحقوا بالكلية الحربية، ثم الطيران.. قرروا أن ينشئوا تنظيما سريا داخل القوات المسلحة.. هدف التنظيم هو محاربة الانجليز......

كان تنظيما خاصا بضباط الطيران، وفيما بعد دخله من خارج الطيران أنور السادات... بترشيح من الطيار حسن عزت للصلات التى تربط بينهما....!!

وسوف يحاول هذا التنظيم الاتصال بالألمان، وتهريب عزيز المصرى... وسوف ينفرد أنور السادات بعد ذلك بالاتصال بالألمان، عن طريق ما عرف باسم قضية حكمت فهمى من وراء ظهر التنظيم....!

تنظيم الطيران، هو أول تنظيم داخل القوات المسلحة، ويقول المستشار محمد عبد الرحمن أباظة، إن البداية كانت بترشيح وجيه أباظة للقاء عبد العزيز على، عندما طلب منه اختيار بعض العناصر من الجيش للانضمام إلى تنظيمهم السري، وكان من الطبيعى أن يتجه إلى صديقه، وقريبه، وصهره وجيه أباظة...(١)

بعدها رشح وجيه أباظة، زملاءه عبد اللطيف البغدادى، وأحمد سعودى ثم انضم إليهم فيما بعد حسن عزت الذى جلب أنور السادات.

أى أن التنظيم العسكرى كان امتداداً لتنظيم مدنى.... موجود فعلا....

ويصر المستشار محمد عبد الرحمن على وجهة نظره، على أساس أنها تصحيح للتاريخ..

فالبداية فى رأيه كانت شباب الحزب الوطنى بتنيظمهم السرى، الذى سعى إلى الامتداد فى الجيش عن طريقه....

وهى وجهة نظر جديرة بالاحترام والبحث والدراسة بهدف تصحيح التاريخ فعلاً.. حتى وإن كان الذين عاشوا تلك المرحلة لا يؤيدونها.

قال لى حلمى سلام، وكان وثيق الصلة بالتنظيمات السرية قبل الثورة جميعها. إنه لا علاقة لتنظيم الطيران، بالتنظيم المدنى الذى كان قائما.....

وقال لى أحمد حمروش الذى عاش تلك المرحلة مشاركا وراصدا، ثم مؤرخا: إن كثيرا من التنظيمات السرية الوطنية كانت تعمل فى هذه الفترة، وليس شرطا أن تكون متصلة، أو منفصلة....

وكان تنظيم الطيران مغلقا، ربما اتصل العسكريون فى هذه الفترة بتنظيمات سرية مدنية أخرى... ولكن تنظيماتهم العسكرية لم تكن امتدادا لأحد، فقد

---

(١) من المؤلم حقاً أن توصف الأعمال الفدائية ضد الاستعمار بأنها ارهاب، وتوصف التنظيمات التى قامت لطرد المستعمر بأنها تنظيمات ارهابية... المفاجأة المذهلة أن يردد ذلك أشخاص يحملون الجنسية المصرية... وليست الإنجليزية.

اتصلوا بكل التيارات والأحزاب السياسية القائمة... بل إن عددا منهم، انضم إلى بعضها على الأخص جمعية الإخوان المسلمين.

أردنا فقط أن نسجل وجهة نظر المستشار محمد عبد الرحمن لأنها تستحق البحث، والدراسة حتى ولو اختلف معه الكثيرون، خاصة وأن الرجل لا يريد سوى تصحيح وقائع التاريخ التى ضاعت فى خضم الحديث عن دور العسكريين فى الحركة الوطنية.

وهو لا يقلل من هذا الدور، فقط يرى «أن هذا التنظيم الأول الذى أنشئ فى الطيران، لم يكن البداية، وأن البداية جاءت من المدنيين، الذين اقنعوا العسكريين بالدخول فى تنظيمهم... فقد كانوا هم يحتاجون إلى الجيش، فى الوقت الذى لا يتصور أحد أن يكون العسكريين فى حاجة إلى المدنيين».

فاللقاء تم إذن مع الطيار وجيه أباظة بقصد أن يجند التنظيم المدنى الذى كان قائما برئاسة «عبد العزيز على» بعض ضباط فى الجيش من الطيران، لذلك رشح لهم وجيه أباظة زملاءه فى نفس السلاح...

وسوف نرى للمستشار محمد عبد الرحمن أباظة أدواراً وطنية فى مراحل تالية خلال النضال ضد الإنجليز عقب إلغاء المعاهدة،، ولكنه على كل حال يعتبر أن القضية الأساسية التى لم يتم أنصاف المدنيين فيها، أنهم هم الذين أوحوا للعسكريين بإنشاء التنظيم الذى كان جناحا لتنظيم مدنى قائم برئاسة عبد العزيز على..

وأذكر حواراً طويلا مع المستشار محمد عبد الرحمن أباظة انفعل خلاله بحدة، وهو يبرهن على أنهم هم الذين صنعوا هذا التنظيم الأول فى الطيران... وأنه لا يريد شيئا ولا يطلب شيئا، فهذه احداث مضى عليها نصف قرن وربما أكثر، ولكن المهم أن العسكريين فى دوامة استيلائهم على السلطة فى أعقاب حركة الجيش سنة ١٩٥٢، استطاع عدد منهم أن ينسب إلى العسكريين كل الجهود، مع إغفال دور المدنيين، وهو أمر لا يجوز عند كتابة التاريخ، كما أنه لا يجوز أيضا ونحن فى مجال بحث علمى هدفه الوقوف على الحقيقة التاريخية المجردة، ليس لحساب

أحد، ولا ضد أحد، ولكنه الإنصــاف لدور مجموعة وطنية وفــدائية كانت تعمل من أجل بلادها، وضحت في سبيلها بكل شئ. . . وفى أحلك الظروف. . . . .

□□□

يقول المستشار محمد عبد الرحمن أباظة أنه عقب أن نشر عبد اللطيف البغدادى مذكراته، أرسل له يصحح هذه الواقعة، ولكنه لم يصححها.

عبــد اللطيف البغــدادى يختلف مع هذا الرأى تمامــاً ويقول إنهم اتصلوا بعــبد العزيز على - ولكنهم لم يرتــبطوا به - بل تعددت اتصالاتهم، وهم يبحــثون عن طريق لمقاومة الانجليز كــما اتصلوا بالإخوان المسلمين وبمعظم التنظيمات السـياسية العلنية والسرية الموجودة فى ذلك الوقت.

ويقــول البغــدادى أنــه لــم يكن فى الجــيش المصرى ســوى ســربين طــائرات «جلاد تيــور» مقاتلة، وســرب طــائرات «لايسندر» للاستكــشاف، ثم طــائرات لا تصــلح للقتال. . .

«وعندمــا أعلنت الحرب العــالمية الثــانية، كُلف الطيــارون بالدفاع عن القــاهرة بأسراب إنجليزية من مطار حلوان، لفترة قليلة، ثم انفرد الإنجليز بهذا الأمر. . . .

«لقد كــان الوجود البــريطانى يقلقنا، وبدأنا نبــحث عن دور وعقــدنا صلات بالضــباط وجــيه أباظة، وحــسن إبراهيم، وأحمــد سعــودى، حســين أبو على، ومصطفى مرتجى، وحسن عزت، وأنور السادات.

«وبدأت الخطوات الأولى فى العمل عن طريق محاولة الحــصول على معلومات عن الجيش الإنجليزى وتصوير المعسكرات على ورق الرسم أثناء الطيران.

«وقــد أدت هذه الاتصــالات إلى تكويــن الخليــة الأولى فى ســلاح الطيــران، واستأجرنا شقة فى مصر الجديدة «شارع السلطان سليم».

«وبدأنا الاتصال عام ١٩٤٠ ببعض المدنيين الذين كان لهم دور فى النضال ضد الإنجليز وفــى مقدمــتهم عــبد العزيز علــى الذى كان فى ذلك الوقت مــوظفا فى الدرجة الثالثة، ثم أصبح وزيرا للشئــون البلدية فى وزارة محمد نجيب الأولى بعد

الثورة، وكان عضـوا فى الحزب الوطنى ومنتميا لعصـابة اليد السوداء التى نشطت خلال ثورة ١٩١٩.

ويقول البـغدادى أن لقائهـم الأول كان فى النادى النوبى وبعد تنـسيق أهدافنا أقسمنا اليمين فوق مصحف وطبنجة، وبدأنا نتجه إلى أعمال إيجابية بهدف ضرب خطوط الإمداد وأيضاً الهـجوم على مخازن أسلحة الجـيش الإنجليزي، وانتقلنا من شقة مـصر الجديدة إلى فيللا فى منـشية البكرى واشتريـنا مخرطة كهربائـية لعمل قنابل يدوية من أعمدة السراير التى تحشى بالبارود.

وكان نشاط هذه المجموعة أساسا داخل سلاح الطيران.

ويواصل البغـدادى شرحه للتنظيم قائلاً: «أنه كـان قائما على أسـاس علاقات الصداقة والثقة، ولكن هذا لم يمنع من قيام اتصالات مع بعض ضباط الجيش مثل أنور السادات، وكـمال حسين الذى اتصلنا به عن طريق عز الدين ذو الـفقار الذى أصبح مخرجا سينمائيا فيما بعد...

ويؤيد البغـدادى ما ذكره أحمـد حمروش من اتصالهم بكل القـوى الوطنية فى ذلك الوقت فيقول:

«لم ترتبط مجمـوعتنا بعبد العزيز على فقط، بل تعـددت صلاتنا ونحن نبحث عن طريق لمقاومة الإنجليز.

«اتصلنا بعزيز المصرى فى منزله بحلمية الزيتون، ودبرنا عملية هروبه أثناء ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق، حيث قاد العملية حسين ذو الفقار صبري، وعبد المنعم عبد الرؤوف ضابطا الطيران، ثم تطورت اتصالاتنا تبعا لتطور الأحداث.

«لم يكن هناك من سبب يحول دون إتمام قصة هروب عزيز المصرى سوى خطأ الميكانيكى الذى أعد الطائـرة فقفل مفـتاح الزيت بدلاً من فتحـه... وكان هدف عزيز المصـرى من هروبه هو الاتصال بالألمان، وإبلاغهم بخطـته التى تتلخص فى النزول للفـيوم ثم الهـجوم على قناة السـويس، على أن تقوم تنظيـمات الضـباط بعرقلة انسحاب الإنجليز.

«ولم تكن هذه هى محاولة عزيز المصرى الأولى للهرب، فقد حاول ذلك فى مرة سابقة عن طريق الواحات، ولكن عربته التى كان يقودها حسين ذو الفقار صبرى أيضا تعطلت بعد مغادرتها القاهرة».

هذه المرة سقطت طائرة عزيز المصرى فى حديقة موالح بجوار قليوب».

عندما عرف خبر سقوط الطائرة ذهب إلى هناك النائب العام عبد الرحمن الطوير، ورئيس أركان حرب الجيش اللواء إبراهيم عطا الله، واللواء الطيار عبد المنعم الميقاتي، وعبد اللطيف البغدادى وبعض ضباط السلاح.

وقد اعتقدوا فى البداية أن الهارب هو «على ماهر» لأن الشهود قالوا إنه رجل قصير. . . ولكن الميقاتى تعرف على معطف عزيز المصرى الذى كان يحمل الحروف الأولى من اسمه.

□□□

قصة هروب عزيز المصري، وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرءوف بعد سقوط الطائرة طريفة، فقد توجه عزيز المصرى وحده إلى منزل مأمور مركز قليوب عندما علم أنه كان تلميذا له أثناء عمله مديراً لكلية البوليس، وطلب منه عربة توصله إلى القاهرة بدعوى تعطل عربته. . وفعلا أعطاه عربة المركز التى نقلتهم إلى ميدان الأوبرا حيث ركبوا تاكسى توجه بهم إلى منزل «شوكت التونى» فى الجيزة الذى نصحهم بأن يسلموا أنفسهم ولكنهم رفضوا واتجهوا إلى منزل مدرس فى إمبابة اسمه مرزوق كان عضوا فى مصر الفتاة.

ومن سوء حظهم أنه كان مراقبا للبحث عن «أحمد حسين» الذى كان مختفيا فى صورة درويش من دراويش السيد البدوى فى طنطا.

وعندما تكرر تردده على محل جروبى لشراء أطعمة، هاجمهم البوليس فى اليوم الواحد والعشرين لهروبهم بقيادة اللواء محمد إبراهيم أمام من البوليس السياسى، حيث اعتقلوا ووضعوا فى العباسية، إلى أن أفرجت عنهم وزارة الوفد، ونقل حسين ذو الفقار صبرى إلى السودان، وعبد المنعم عبد الرؤوف إلى المهمات بعد أن أعيدوا إلى الخدمة.

وهكذا انتهت قـصة هروب عزيزالمصـرى وفشلت المحـاولات المتكررة للهروب التى قام بها.

❑❑❑

مازالنا فى حـوارنا مع عبد اللطيف البغـدادى عضو مجلس قيـادة ثورة يوليو، وهو يتحدث عن أول تنظيم سرى داخل الجيش لمقاومة الإنجليز وهو تنظيم الطيران ويشرح محاولة أخرى قاموا بهـا للاتصال بالألمان، هذه المحاولة بطلها وجيه أباظة فيقول:

«قررنا إرسـال الطيار أحـمد سـعودى «أبوعلى» إلى الألمان طائرا، وأعـددنا له حقيـبة بها كل المستندات ومفـجر بزراير لتفجيـرها عند اللزوم.. وتم الاتفاق بين سعودى وحسن إبراهيم على أن يقوم الأول بجـولة تجريبية للطائرة، وأن يحمل له حسن عزت الشنطة حتى لا يلفت الأنظار وقد حدث ذلك فعلا.

وكان وجيـه أباظه هو المسئول عن تحديد خط سـير الطائرة، ولم ترجع الطائرة ولـم يعثر لها بعد ذلك على أثر.. ويقال أنها قد سقطت فى حقل ألغام.

ولما كان الصول «رضوان» وكان ميكانيكيـا فى الطيران قد أخذ فكرة عن عملية سعودى من وجيه أباظه، وبهرته الفكرة فقد نفذها وحده بنجاح بعد ذلك، وانضم إلى الألمان حـيث ظل ملازما لهـم إلى أن اعتقل فـى برلين بعد دخول الحـلفاء، وحوكم بعد إنتهاء الحرب العالميـة بمجلس عسكرى مصرى حكم عليه بالسجن ١٥ سنة وغرامة ٨٠٠٠ جنيه. وبعد الثورة أفرج عنه وأخذه وجيه أباظه للعمل معه فى الشئون العامة للقوات المسلحة.

بعدها ـ وفقاً لرواية البغدادى ـ أوقف الإنجليز عمليات الطيران للضباط المصريين وأخرجـوا مجموعـة ضخمة من سـلاح الطيران، وحوكم حـسن إبراهيم وأخرت أقدميته ونقل إلى المهمات لأن طائرته هى التى أقلعت.

ولـم تكشف هذه الحركات عن أحد من التنظيم سوى حسن إبراهيم، ومع ذلك

توقف نشاطنا داخل السلاح وعاود الإنجليز السماح للضباط المصريين بالطيران على ألا يحملوا «بنزينا» يسمح لهم بالطيران أكثر من ساعة واحدة، وتوقفت محاولات الهرب إلى الألمان نهائيا بعد ذلك.

وانتهى الأمر بالبغدادى كما يقول إلى الاتصال بجمعية «الرياضة وأوقات الفراغ» التى كان يرأسها حسنى العرابى عضو الحزب الشيوعى القديم، «حيث استمعنا خلال رحلات قصيرة إلى محاضرات عن الماركسية فى روض الفرج وأذكر أنه كان معنا وجيه أباظة وماما سميحة مقدمة برامج الأطفال فى التليفزيون فيما بعد».

❑❑❑

كانت الحرب العالمية الثانية قد أعلنت سنة ١٩٣٩، فى نفس العام الذى شهد تخرج دفعه البغدادي- وجيه أباظه- سعودى أبو على من كلية الطيران... فقد اجتاح الجيش الألمانى حدود بولندا فى أول سبتمبر، وأعلنت انجلترا، وفرنسا الحرب على ألمانيا بعد رفضها سحب قواتها من الأراضى البولندية.

ودخلت إيطاليا- التى كانت تستعمر ليبيا- الحرب إلى جانب المانيا..

وفيما بعد زحف الجيش الألمانى بقيادة «روميل»، عبر الصحراء الغربية، إلى مصر

وكان هناك تيار فى مصر يؤيد ألمانيا، ويرى فيها المنقذ من الاحتلال البريطاني. ولم يكن ضباط الطيران معجبين بالالمان، ولا تابعين لهتلر واتجاهاته النازية، ولكنهم كانوا ضد الإنجليز، ويردون هزيمة الاستعمار والخلاص منه، وكانت محاولات اتصالهم بالالمان لابعاد الخطر عن المدنيين المصريين الذين كانوا يقتلون تحت قنابل الالمان العشوائية، فأرادوا توجيه الالمان إلي المواقع البريطانية حتى يضربوها، ويبتعدوا عن المدنيين.

وكان هذا أحد أهداف تنظيم الطيران الذي بدأ ينشط...

وكان السخط على انجلترا يشتـد بعد أن فعلت إنجلترا نفس الشيء، الذى قامت به عقب الحـرب العالمية الأولي. مع بعض الاختـلاف فى الظروف، ففى هذه المرة طلبت من الحكومة أن تعلن الأحكام العـرفية، وتفرض الرقـابة، وعين على ماهر حاكما عسكريا. . .

وأصدرت عدة قوانين مقيدة للحريات فى غيبة البرلمان. .

وكان حـزب الوفد فى المعارضـة، فأرسل إلى «اللورد كيـلرن» المندوب السامى البريطانى يطلب منه إلغاء الأحكام العرفية بعد انتهاء الحرب .

بعدها جاء الوفد إلى الحكـم بطريقة غريبة يوم ٤ فبراير١٩٤٢ ... وهو ما عرف فى التاريخ باسـم حادث ٤ فبـراير حيث حاصـر الإنجليز قصـر الملك بالدبابات، وفرضوا عليـه أن يكلف النحاس بتشكيل الوزارة، وجاءت وزارة الوفد كـما يقول البعض على أسنة رماح الإنجليز. .

واعتبر الضباط الوطنيين هذا الحادث إهانة للملك، ويقول وجية أباظه أنه عندما وقع حادث ٤ فبـراير، وحاصرت القوات البـريطانية قصر الملك لتـفرض النحاس باشا رئيساً لـلوزراء، كان هذا تجسيداً قاسيـاً للاستعمار، ولقد أحـسسنا أنها طعنة موجهة لكرامة مصر ورمزها. .

ويقول محمد حسنين هيكل(١) إنه فى ٤ فبراير أرغـمت الظروف الوفد على أن يقبل علاقة خاصة مع السفارة البريطانية. .

وأن هذه العلاقة أضرت بفـاعلية الوفد فى التعبيـر عن الرأى العام المصرى فى مناخ وطنى عاصف.

ويقول عبـد اللطيف البغدادى أن التنظيم السـرى الذى تكون فى الطيران أحس بالمهانة لهـذا الحادث لذلك ذهبوا لمقـابلة أحمد حسنـين باشا رئيس الديوان الملكى وسألوه هل يعـتبر النحاس باشا خـائناً لأنه إذا كان خائناً وجب قـتله، وأن أحمد حسنين اكتفى بإبلاغهم أنه سوف يخطر الملك بروحهم الوطنية.

---

(١) ملفات السويس ـ محمد حسنين هيكل

فى هذه الظروف الصعبة التى مرت بها مصر ولد تنظيم الطيران. . .

وبالمناسبة فإن موقف أنور السادات من حادث ٤ فبراير لم يتضح إلا بعد أن أصبح رئيساً، إذ كانت توجيهاته أن تصدر الموافقة على قيام حزب الوفد الجديد فى نفس اليوم ٤ فبراير، بينما هو فى طريقه لزيارة الولايات المتحدة، وكان المعنيين مطلوبين بالنسبة له.

❑❑❑

وجيه أباظه تناول فى حواره الطويل معي، تنظيم الطيران، قائلا «لقد بدأ التفكير فى إنشاء هذا التنظيم سنة ١٩٣٩

كنا نفكر أن نقاوم طغيان الإنجليز، بعد أن اكتشفنا عيوب معاهدة سنة ١٩٣٦، ولم تكن قد ظهرت بعد مفاسد الملك. .

«كانت المعاهدة تنص على وجود البعثة البريطانية. . وكان عدد هذه البعثة كبيراً جداً. .

«كنت مسئولاً عن سرب، وكان البغدادى مسئولاً عن سرب، وكل منا عنده ضابط إنجليزى يعمل معه. .

«التصوير. . كان فيه ضابط إنجليزى. . السرب تسع طائرات، فيه أربعة خبراء إنجليز. .

«فبعد معاهدة سنة ١٩٣٦، اشترطت بريطانيا أن يكون تسليح الجيش المصرى من بريطانيا نفسها، وألغت وظيفة المفتش العام للجيش المصرى، واستبدلتها بالبعثة العسكرية لتدريبه، واشترطت ألا ترسل مصر أحدا للتدريب أو التعليم فى غير انجلترا، وهكذا استطاعت إنجلترا أن تسيطر على الجيش تماما...

«كان ذلك يؤثر فى نفسيتنا، فنحن نعرف أننا فنيون فى الطيران مثلهم، وربما أحسن منهم. .

«وبدأنا نبحث فى تكوين مجموعة تفكر، فى طريقة إخراج الإنجليز من مصر، وكان قد مضى على إحتلالهم مصر كذا وسبعين أو كذا وستين سنة.

مازال الكلام لوجيه أباظة فى الحديث الذى سجلته معه يقول:- لقد وجدنا إن هنا فى البلد بعض العناصر تساعد الإنجليز، على أن يستمروا فى احتلالهم ربما تكون هذه العناصر مناوئة لنا إذا أقمنا تنظيما صغيرا أو كبيراً، يمكن حد يقول: شويه العيال دول عاملين كذا كذا، وكانوا دايما ماسكين لنا زمان، روحوا الأول أصلحوا أخلاقكم، وبعدين طلعوا الإنجليز طبعا لوكنا صلحنا أخلاقنا، كان لغايه النهارده يقولوا لنا لسه مصلحناش أخلاقنا فى رأيهم... هذه العناصر المناوئة تتمثل فى أحزاب ما قبل الثوره، طبعاً فيه أحزاب كويسة، لكن ليست كل الاحزاب جيدة... أستطيع أن أقول انها كانت كويسه بنسبة ٥٠٪ أى أنك تجد نصفهم كويسين ونصفهم سيئين جدا...

«فلم يكن هناك وسط... ثم انا لى تجربه مع عناصر مع ناس كتير من الأحزاب حزب الوفد ومصر الفتاة، والكتلة الوفدية لقد انضممت إلى هذه الأحزاب، انضميت فى وقت من الأوقات إلى حزب الوفد، وفى يوم من الأيام بدأنا مع مصر الفتاة، وبعدها انضمينا للإخوان المسلمين شوية، وبعدين انضمينا للوفد ثم جاء حادث ٤ فبراير تركنا الوفد... للأبد... وبعدين فيه ناس لغايه النهارده بتصّوب ٤ فبراير.

ولكن انا مابصّوبوش... يعنى لقد كنا نعيش هذه المرحلة لذلك تقديرنا يكون صحيحا فى أن هذا الحادث أثر على كرامتنا وكرامة مصر، ووجه إهانة إلى رأسها...

● أنتم طفتم على الأحزاب السياسيه كلها قبل الثورة، فلم تجدوا لديها الحلول التى كنتم تتطلعون إليها للقضية الوطنية..؟

ـ نعم... لقد طفنا على كل الاحزاب الموجودة حتى الشيوعيه كان يدربنا الدكتور عبد العزيز شكرى الله يرحمه، وكان يعطينا دروساً، كنت أروح أنا وبغدادى ناخد دروس عنده.

وكان فيه جمعية، لا أذكر اسمها ربما كان «الحياة الخلوية» أو شئ من هذا القبيل، كان يرأسها الدكتور عبد العزيز القوصي وكيل وزارة التربية والتعليم ـ فيما بعد ـ كان فيه شباب كويس لكنه لم يكن منظماً.

ومن كان يدخل الأحزاب كان يخسر على طول لأنهم كانوا يعملون على إفساده يعطوه مركزاً ويشغلوه فى شغله، أو يشغلوا حد من أهله فى شغلة حاجات من ديه.

● كيف التقيت بعبد اللطيف بغدادى؟

ـ دخلنا الكليه الحربية معا، وأخدنا بكالوريوس العلوم العسكريه فى ابريل ٣٩، واخدنا بكالوريوس علوم الطيران فى ٣١مايو ١٩٣٩ .

وطوال هذا الوقت كانت حياتنا كلها معاً أنا وعبد اللطيف بغدادى وأحمد سعودى أبو على ابن عم «سلطان أبو علي»... كنا نحن الثلاثه لانفترق

● التقيتم فى الكليه الحربيه وتصادقتم؟

ـ نعم ... التقينا وتصادقنا .

● ومتى تعرفت على جمال عبد الناصر؟

ـ فى سنه ٣٤ كنت فى مصر الفتاة فى القمصان الخضر، وعندما كنا فى الكلية الحربية جاءنى فى يوم وسألنى: انت مش كنت فى مصر الفتاة

قلت له: نعم

قال: طب وأنا هانط على السور، ورايح علشان أعدم الورق كله اللى عندى

عرفت أنه هو الآخر كان فى مصر الفتاة.

فى وقت من الأوقات كان معظم الشبان الذين يريدون عمل شيء لبلدهم ينضمون مصر الفتاة مع أحمد حسين ومحمد صبيح ومجموعه على مراد.

وأظن أن جمال عبد الناصر بنفسه وضح هذا فى إحدى خطبه.

عندما عرفتـه كان يتعجب إزاى واحد من عيلة كبـيرة ومش عارف ازاى ييجى يدخل الحاجات دى.

وعقب دخـولى الكليـة الحربية عـام ١٩٣٧، ارتبطت بعبـد اللطيف البـغدادى وأحمد سعودى أبو على مع استمرار ارتباطاتى بزملاء الدراسة الثانوية.

«وقد استلفت نظرنا فى ذلك الوقت مجلة «الشباب» التى كان يصدرها الدكتور محمود عزمى وكانت تعارض معاهدة ١٩٣٦ معارضة موضوعية شديدة.

«وبعد التخرج مباشرة عـينا فى محطة الدخيلة الجوية بالإسكندرية عام ١٩٣٩، وكان البغدادى أسبقنا، وعندما استقر تفكيرنا على تشكيل مجموعات وطنية وكان التسـاؤل الذى يلح علينا دائماً ونـردده مع بعض، عن دورنا فى الحركـة الوطنية، وفى أواخر ١٩٤٠ نـقلنا إلى محطة الماظة الجـوية، وهنا بدأ نشاطـنا الحقيـقى فى الاهتمام بالسياسة، واتفـقنا على رأى موحد، وهو أن البلد لا يمكن أن يتحقق لها التـغيـيـر، وطرد الإنجليز إلا عن طريق الجـيش، ولذا اتجـه تفكيـرنا إلى تشكيل مجموعات داخل الطيران مهتدين بالكتب التاريخية التى قرأناها عن الثورات.

«وقـد أدى هذا إلى ارتـبـاطنا فى سـكن واحـد فى ٤ شـارع السـلطان سـليم بمصر الجديدة، ومن خلال اتصالاتنا مع الضبـاط استقر رأينا على ضـم طـيار ثـان حسـن عـزت الذى تحدث مـعنا عن ضـابط آخر فى الجـيش بسـلاح الاشـارة هو أنور السادات.

«وقد وافقنا على ضم أنور السادات وتأجير شقة أخرى فى كوبرى القبة لعملها ورشـة لتـصنيع القنابل اليـدوية من علب سـجـاير «الخـمسين»، وكـذلك عـمل المسدسات التى تطلق طلقة واحدة.

«وفى هذه الأثناء عرض علّى شقيق زوجتى المستشار محمد عبد الرحمن حسين أباظة المحـامى الذى عمـل بعد ذلك في قلم قـضـايا الحكومة، مـقـابلة الأستـاذ عـبدالعـزيز على، فطلبت الإذن من زملائـى بذلك فأذنوا لي، وقـابلته فى قـرية «الصوالح» بمـحافظة الشرقـية، وكنا نحن الثـلاثة مع الاسـتـاذ عبد المعطـى عطية المحامى من أهل القرية.

«استمرت اجتماعاتنا ثلاثة أيام متتالية حول إمكانية ضم ضباط من الجيش والطيران إلى عصابة «اليد السوداء» التى كان يرأسها عبد العزيز على عضو الحزب الوطنى، والرجل الوحيد الذى استطاع الافلات من قضية مقتل السردار.

«واتفقت أنا وزملائى على أن نعتبرهم جناحنا الشعبى الذى يتحرك بين الجماهير، فى الوقت الذى اعتبرونا هم جناحهم العسكرى.

«وقد بدأت الاتصالات معهم بواسطتى أنا وعبد اللطيف البغدادى.

«واتفقنا مبدئياً على ضم عدد من الضباط بخطوات متئدة، وعرفنا فى ذلك الوقت أن لهم تنظيما شعبيا قائما فعلا.

«صاحب ذلك أيضا اتصالنا بجماعة الإخوان المسلمين.

«واتصالنا أيضا بالشيوعيين عن طريق الدكتور عبد العزيز شكرى ـ رحمة الله ـ الذى درسنا الماركسية فى منزله القائم خلف جريدة الاهرام القديمة فى شارع مظلوم فى دروس تعقد يوم الثلاثاء.

«وكان مندوب اتصالنا هو حسن عزت.

«أما اتصالنا بالإخوان المسلمين فقد تم عن طريق أومباشى فى السرب ـ لا أذكر اسمه الآن ـ وأبلغنا أن الشيخ حسن البنا يرغب فى مقابلة أحد الطيارين. . . فذهبت لمقابلته فى منزله بالحلمية، وحاول ـ رحمة الله ـ أن يعرف أسماء الضباط المرتبطين بى...

«ولكنى لم أبلغه بأسمائهم...

«واتفقنا على أن يكون الاتصال مرتين فى الأسبوع فى عيادة المرحوم الدكتور إبراهيم حسن أحد أئمة الإخوان فى ذلك الوقت وهو صديق قديم.

كانت الاتصالات معى ومع البغدادى تتم بطريقة سرية عن طريق قريبتى السيدة سميحة عبد الرحمن «ماما سميحة» مذيعة التليفزيون.

«وكنا قد ضممناها مع آنسة أخرى اسمها كريمة

«والآنسة راوية عطية... وكن جميعا فى كلية الآداب.

«كانت «ماما سميحة» هى حلقة الاتصال حتى لا تثار شبهات.

«كانت صلاتنا مستمرة مع الشُّعب الثلاث «اليد السوداء ـ الإخوان المسلمين ـ الشيوعيين»

«وجندنا فى ذلك الوقت بعض الضباط، فجندت أنا الطيار ثان حسن إبراهيم، وجند البغدادى حمدى أبو زيد ـ وصادق القرموطى ـ وعمر الجمال وعبدالحميد الدغيدى.

« كنا قد اتفقنا مع بعض أن العمليه تظل محصورة بيننا وبين بعض ولا داعى لزيارة أى حد ولاضابط جيش، ولا ضابط شرطة ولاحاجة.

«فقط نركز على الطيران ففيه الناس الذين نعرفهم ونحن قاعدين مع بعض دايما.

« الطيران ميزته أن الضباط قاعدين مع بعض طول النهار مفيش حته بيتنقلوا فيها كتير يعنى مصر - السويس أو مصر- الدخيلة.

● هذه الخلية الصغيرة أو التنظيم الصغير المحدود ماذا كان هدفه فى ذلك الوقت؟.

ـ الهدف هو أن نفكرنعمل حاجة للبلد، ونضم أى ناس يدخلون معنا التنظيم حتى نستطيع أن نقاوم الإنجليز بصفة مبدئية.

وانتهينا فى الآخر إلى أن الإنجليز لن يخرجوا من مصر إطلاقا إلا بالقوة، كان هذا أمر مفروغاً منه ذلك ما توصلنا إليه.

● هل اتصلتم بعزيز المصرى فى تلك الفترة ؟

ـ نعم ها اقول لسيادتك. . . كان المثل الأعلى لنا عزيز المصرى. . . وكان من الأمانى لأى منا أن يقابل عزيز المصرى.

«لقد كان شخصية عظيمة، وعندما نقرأ كتب التاريخ، نجد عزيز المصرى اشترك فى جميع الثورات العربية كلها فى تركيا- وفى العراق- وفى ليبيا.

«كان عزيز المصرى رئيس أركان حرب الجيش، وقد رفض اشتراكنا كطيارين فى خطط الدفاع البريطانية، وكان رأيه أن مصر لم تعلن الحرب على ألمانيا.. كما رفض أيضا تحريك قوات مصرية إلى سيوة، ضمن خطة الإنجليز للدفاع عن الصحراء الغربية..

«وطلب الإنجليز أخراجه من الجيش، ووافق رئيس الوزراء على ماهر على طلب الإنجليز، ومنحه أجازة مفتوحة.. أى أنه أذعن لرأى الإنجليز وطرده فعلاً.

«وقد بدأ عزيز المصرى اتصاله بالألمان.. على أساس أنها فرصة لتحرير مصر من القوات البريطانية..

«وبدأ اتصالنا به.. ومحاولة تهريبه التى لم تكن بعيدة عن تنظيم الطيران.

«كنا نحن الثلاثة وانضم لنا بعد ذلك حسن عزت ثم رشح لنا حسن عزت أنور السادات.

«أنا الحقيقة كنت عاوزه يدخل بسبب أننى كنت قد تكلمت معه بصراحة، بعدها ندمت وظننت أنه سيبلغ عني، ولكنه لم يبلغ عني.. فقلت فرصة أننى أضمه لنا بعد أن وجدته متجاوب معايا وقاعد ساكت، وأنا عمال اتكلم باقول بنعمل كذا وبنسوى كذا

- **هذا التنظيم المحدود العدد فى الطيران دخله من خارج الطيران أنور السادات فقط ؟**

ـ نعم.. لأن حسن عزت أحضره، كانوا أصحاب، وبعدين لأن حسن عزت متجوز بنت عمه مدام جيهان السادات بعد كده، وهو اللى جوزها لأنور السادات وبعدين ابتدينا طبعا ماحصلش من ناحيته أى حاجة- خالص كان يحضر معنا

الاجتماعــات وكنت ألاحظ فى وقت من الأوقات أنهم لا يريدون أن يطلعوه على كل حاجة.

كان فيه حرص من ناحيــته حتى لا يعرفنى كل شئ... انا لم أكن حريصاً ولا حاجة.

● وحكاية إرسال الطيار أحمد سعودى حسين أبو على إلى الألمان فى الصحراء الغربية خلال الحرب؟

ـ نعم فقــد بدأ الألمان يضربون فينا ضرب جــامد، واتجهوا إلى ضــرب الأحياء السكنية فى الإسكندرية بالذات.

«اجتمــعنا وقلنا ياجماعه دلوقــتى الأحياء السكنيه وغيــره بتنضرب، ثم إنه هنا مثلا فى مصر الجديدة مطار، مصر الجــديدة كان فيه مخازن إلى جانب المطار، قلنا لابد أنهم سيضربون هنا فى مصر الجديدة، أو فى العباسية حيث السكان فلابد أن نجد حلاً. .، وتخيلنا الحل.

«اننى أذهب أصّور منطقة القنال.

وبغدادى يصوّر منطقة القاهرة والاسكندرية بالطيارة

«وتوضح هذه الصــور مواقع القــوات الإنجليــزية بالضبط، حــتى إذا أرادوا أن يضربوا، فيكون ضبهم لهذه المواقع.

«لم يكن التفكير أننا نريد توصيل المعلومات للألمان لنساعدهم، كنا نريد توصيل معلومات لهم لنساعد أنفسنا، لأننا لا نريد أن ننـضرب كان هدفنا حماية مصر. . لم نكن نفكر في أن يحل الألمان مكان الانجليز، فـقد كنا سنقاوم أى استـعمار. . كنا نريد فـقط حــمـاية بلادنا والناس الأبريـاء. . لم نكن مع الألمان. . كنا ضــد الانجليز. . وضد الألمان. . ضد كل من يحتل أو يستعمر مصر...

« وفى هذا الوقت اســتعنا بكثـير من الميكـانيكيه الذين يعــملون معنا، وكــانوا وطنيين يذهبون للمواقع يرون الأشياء الحقيقية وغير الحقيقية، يعنى يروحوا وييجوا يقولوا هذه خزانات بنزين... وهذه هياكل.

« عملنا الخرائط قلنا نرسلها للألمان وتساءلنا: كيف.

«فقلت أنا مستعد أذهب بها بنفسي، فأنا أحسنكم من حيث الظروف.

قالوا: كيف

فقلت: أنـا أحسنكم... لان بغدادى مـتزوح... وحـسن عزت مـتزوج، وأنور السادات طبعا ليس طياراً...

وأحمد سعودى أبو على كان يرعى أخوته الصغار، وهو المسئول عنهم.

فقال سعودى: لا وأنا الذى سيذهب. ليس عندى شئ يمنعني..

أنا يادوب خاطب.

كانت خطتنا أن نطيـر نطلع من القاهره وننزل فى «الضبعـة» فى هذا الوقت قد أدخلنا حسن ابراهيم.

● **من الذى أحضر حسن إبراهيم؟**

- أنا الذى أحضـرت حسن إبراهيم، وقـد قال هذا الكلام فى مـجلة «الجيل» التى كانت تصدرها أخبار اليوم.

«أزاء إصرار سعودى على السـفر وإصرارى على السفر، أجرينا قـرعة فجاءت من نصيبي، واتفقنا أن أسافر أنا، وبدأت أستعد للسفر .

نزلت مصر الجديدة واشتريت كل الحاجات ماخلتش حاجة علشان آخدها معايا شرابات، مناديل، بيجامة، حاجات زى كدة مع أن الرحلة لن تستغرق إلا حوالى ساعة.. ساعة ونصف،لأذهب إلى «الضبعة».

هكذا كان تقديرنا فى ذلك الوقت.

الحقيقة جاء سعودى قال: لا أنا اللى هاسافر... ياسيدى مفيش سفر.

قال: أنا مـصر أننى سوف أسـافر قالوا له: بعدمـا عملنا «قرعـة».. لا فلان الفلانى، على أنا - أى وجيه أباظة - وهو صاحب الحق أن يسافر.

قال: انسى بقى ياوجيه علشان خاطرى .

قلت: له لأمش علشان خاطرك سوف أتنازل أنا متمسك بحقي.

بعدين قال: لا أنا سأسافر.. يعنى سأسافر.... وبكي

قلت: طيب انا أقبل بس نحتكم للقرعه بيننا مـرة ثانية... عملنا قرعة طلعت عليّ انا برضه

عملنا قرعة ثالثه طلعت عليّ أنا برضه

قلت: خلاص أنا ها أسافر .

«قال: لا. شوف علشان أبقى واضح أنت هاتسافر بالطيارة النهاردة أنا بكره سوف أكون فى رجليك فأحسن أسافر أنا من الأول

«يهديك.. يرضيك.. مفيش فايدة إطلاقا

« قلنا: طيب يسافر سعودى... خلاص

«فحسن عزت راح قعد فى خندق من الخنادق فى المطار، وأنا بالشنطة بتاعتى وأمضينا الليل أنا وسعودى وحسن إبراهيم، وحسن عزت فى غرفة.

وتاخر حسن إبراهيم عن «دورية» الصباح تلت ساعه، تمكّن خلالها سعودى من أخذ الطياره التى جهزناها بالليل والإقلاع بها، ومعه التقرير الجوى وكل حاجة، ووضحنا له خط السير جيداً، حتى يهبط فى «الضبعة».

وكما عرفنا بعد ذلك، فقد هبط فى «الضبعة» فعلاً.

بعد ذلك بيومين أوثلاث كان الصول محمد رضوان- أو رضوان سالم أخذ طائرة، وذهب بها..

لم نكن نحن متفقين معه، ولكنه طار من تلقاء نفسه، ووصل فعلاً.... لقد تصورنا أن الألمان ضربوا سعودى، لكن الذى عرفناه أنه لم يضرب ولا حاجة، لأنه بعدها بيومين ثلاثه ضربوا مصر الجديدة، وضربوا فيها الأماكن التى بها المخازن بالضبط، ٢ طروبيد فى مصر الجديدة، وهى كمية، كبيرة جداً ضربوها فى مطار مصر الجديده، وبدأوا يضربون الاماكن التى رسمناها لهم فى الخريطة عرفنا أن الخرايط وصلت.

● **هل وصل سعودى؟**

ـ عندما أراد أن يهبط هبط فى حقل ألغام فنسفت الطائرة، لكن الألمان ظنوا أنه جاء للقيام بعملية ضدهم، ولكنهم وجدوا حقيبته ففهموا مقصده فأقاموا له جنازة رسمية فى سيوة حضرها محمد رضوان سالم بعدها بـ ٣، ٤ أيام .

وهو الذى روى لنا التفاصيل كلها بعد ذلك...

المهم.. لقد وصلت خرائط الأماكن الانجليزية التى كان من المفروض أن

يضـربوها ولا يضـربون المدنيين عن طريقـى أنا وعن طريق بغـدادى، وعن طريق حسن عزت، وعن طريق مجموعتنا.

حسن إبراهيم راح فى داهيـه فى هذه القصة فقـد نقلوه الجيش، واستمـر فترة وحاكموه وقد ظل فترة بعيداً عن الطيران.

□□□

أول تنظيم سرى داخل الطيران. . .

أنشأه البغدادي، ووجيه أباظه وأحمد سعودي، وانضم إليه حسن عزت.

ويبقى الخلاف قائماً. . حول من الذى بدأ بتأسيس هذا التنظيم. .

هل هم المدنيون، كما يقرر محمد عبد الرحمن أباظة وحده. .

أم أنه كان تنظيماً منفصلاً كما يقول العسكريون، وأنهم اتصلوا بتنظيمات مدنية عديدة. . منها تنظيم عبد العزيـز علي، والإخوان المسلمين، والشيوعيين. . وسواء كان فرعا لتنظيم مدنى، أو جزءا منه أو كان تنظيما مستقلا. . .

فقد قام بأعمال عسكرية وطنية مجيدة. . .

لم يشترك فيها المدنيون الذى كانت لهم مجالات أخرى للعمل. . .

هذا التنظيم العسكري

أرسل طائرة إلى الألمان، عندما كـانوا يزحفون نحو الإسكندريـة، فى صحراء مصر الغربية حماية للمدنيين المصريين.

وحاول أن يقوم بتهريب عزيز المصري. .

ولكن أنور السادات وحده انفرد

- ومن وراء هذا التنظيم- بواقعة الاتصال بالألمان. .

فى قضية أخرى... شهيرة... ولمسألة مختلفة أطلق عليها اسم

قضية «حكمت فهمي». .





قائد الجناح وجيه أباظه

حكمت فهمى

انفـرد أنور السادات ، العـضـو فى التنظيم السـرى لسلاح الطيـران بالجيش، بعمليـة للاتصال بالألمان، من وراء ظهر كل زملائه فيما عدا حسن عزت صديقه الحميم.

وكانت العملية التى انفـرد بها مغامرة شاركت فيها أكبر راقصة فى ذلك الوقت وهى «حكمت فهمي.. »

كان هدف أنور السـادات مختلفاً عن هدف تنـظيم الطيران، الذى كان يسعى لحـماية مصـر، لذلك فقـد آثر أن يخفى اتصـالاته عن التنظيم الذى اشـترك فيـه.. ومن هنا دخل قضية «حكمت فهمى».

وكانت «حكمت فهمي» هى راقصة مـصر الأولي، سافرت إلى ألمانيا، ورقصت أمام هتلر، وجندها «كنارس» فى مـخابراته الشـهيـرة.. وكانت قـد التقت فى فـينسيـا بشاب مصرى اسمه «حسين جعفر» قال إنه يحبها..

لم يكن الشاب يحبها، كما أنه لم يكن مصريا.. وعادت إلى مصر لترقص فى «الكيت كات» حيث أغلب الرواد من الضباط الإنجليز الكبار، وكانت تلتقط منهم المعلومات

وكان حسين جعفر ألمانيا.. ولدته أمه الألمانية بعد أن انفصلت عن أبية الألماني، بينما هى تعمل فى مدينة بور سعيد.. وقد أحبها وارتبط بها محامى مصرى شاب- أصبح قاضيا فيما بعد- اسمه «صالح جعفر» وتزوجها.. وتبنى ابنها «ابلر» وأعطاه أسمه فأصبح اسمه «حسين جعفر»

وكان «ابلر» قد تم تجنيده لحساب المخابرات الألمانية، ودرس أساليب التجسس، والتقى «بالأدميرال كنارس» رئيس المخابرات، قبل أن يوفده فى مهمه إلى مصر، بصحبه شاويش ألمانى اسمه «ساندي»

وكان الغطاء الساتر «لابلر» هو اسم «حسين جعفر»... وأنه مصرى..

وكان الغطاء الساتر «لساندي» اسم «بيتر مولكاستر»... وأنه أمريكي، ووظيفته مراسل حربى يتابع أخبار الحرب مع القاهرة.

كان «ابلر» يعطى «حكمت فهمي» التعليمات بالمهام المطلوب أن تقوم بها، أو المعلومات التى تحصل عليها من القادة الإنجليز الذين تختار من بينهم من تريد لتصحبه معها إلى االعوّامة فى نهاية الليل.

وكانت المهمة الأولى التى كلفت بها.. أن تذهب إلى كنيسة «سانت تريز» فى حى شبرا بالقاهرة، وتطلب لقاء الأب يوحنا الذى يعمل أيضا لحساب المخابرات الألمانية..

«وقد تردد عليها هذا «الأب يوحنا» فى العوامة فيما.بعد، حاملاً أخباراً ومعلومات..

فى لقائها الأول كان معها «كارت»، من «ابلر» كُتب عليه ثلاثة كلمات فقط تحمل كلمة السر هى «من صديق الكنيسة»

وكان الطلب أن تسلم الكارت للقس يوحنا، وتتسلم منه مايعطيه لها...

وعندما قرأ الكاهن «الكارت» أحـضر بعض العاملين بالكنيسـة وأمرهم بأن يحملوا حقيبة ويسلمونها للسيدة «حكمت فهمي». . .

وكان بالحقيبـة جهاز الإرسال الذى استخدم فى إرسال المعلومات وفقـاً لشفرة خاصة تم التدريب عليها من قبل. .

وهو الجهاز الذى أحضروا أنور السادات لإصلاحه عندما أصابه العطل. . .

❑ ❑ ❑

يقول عبـد المغنى سعيد، وهو واحـد من الذين شاركوا فى التنظيمـات السرية خلال الأربعينات: أن أحد أقاربه كان متـزوجاً من سيدة ذات أصل ألماني. . ولم تكن الزوجة على إتصال بالالمان، ولكن الصدفة البحتة هى التى أوقعتها فى مغامرة هذا الاتصال عن طريق صديق نمساوى سابق لجا اليهـا لمعاونته فى حل مشكلة طارئة، وكان ذلك الصديق هو «هوارد» الدبلوماسـى الألمانى الذى بقى فى السفارة السـويسرية، لرعـاية الألمان بعد إغلاق السفارة الألمانية فى القاهرة. . المشكلة أن ضابطان ألمانيان كانا قد حضرا إلى مصر متخـفيين، وتعطل جهاز الإرسـال معهما فـجـأة فاتصلا «بهوارد»للبـحـث عن شخص مأمـون لإصلاح الجهاز، ولجـأ إلى السيدة الألمانيـة، فذهبت تسأل قـريبها عـبد المغنى سعـيد، وكان عـبد المغنى سـعـيد يعـرف أنور السادات. وهـكذا أوصلهـما إلى أنور السادات الضابط فى سـلاح الإشـارة، والذى يمـكنه أكـثـر من غيره معـاونة «هانز ابلر» و «أوليفر ساندي» الألمانيين.

❑ ❑ ❑

واشترك أنور السادات معهم فى أعمالهم. . . وهو لم يكن فنياً فى إصلاح الاجهزة لذلك نسب إليه أنه كان مشتركا فى قضية التجسس المعروفة باسم قضية «حكمت فهمي» واعتقل بسببها... وأبعد من القوات المسلحة.

وآثر السـادات كعادته أن يروى الـقصة بأكـثر من طريقـة، وسوف نكتـفى بروايتين نشرهما فى كتبه.

الأولى قصيرة لأنـه رواها وهو رئيس ولم يكن مستحبا أن يذكـر أنه كان شريكا فى

عملية جاسوسية. . . وأن شريكته فيها كانت راقصة. «والثانية طويلة ذكرها بالتفصيل قبل أن يصبح رئيساً.

القصة القصيرة جاءت فى كتاب «البحث عن الذات» تأليف الرئيس محمد أنور السادات تقول «إن الضابطين الألمانيين كانا يسهران ويعربدان فى ملهى «الكيت كات»، وأن إحدى الراقصات لفت نظرها البذخ فابلغت عنهما ووضعا تحت رقابه المخابرات البريطانية. . وألقى القبض عليهما وعليها أيضا. . ووضعا فى سجن الأجانب حيث «صحوت من النوم على صوت امرأة تغنى «لا والنبى ياعبده»، وهى من الأغنيات الشائعة فى ذلك الوقت، وفجأه سمعت نفس الصوت يولول ويصرخ تماما كما يحدث فى أفلام السينما المليودرامية، وسألت قالوا إنها حكمت فهمى الراقصة وإنها فى الزنزانة المجاورة لي، وإنها هى الأخرى متهمة فى نفس قضيتنا فهى التى أجرت «الذهبية» للجواسيس الألمان. . !»

أى أنه لم يكن يعرف شيئاً عن الأمر تقريباً وقيل له أن السجينة حكمت فهمى متهمة مثله، وتهمتها أنها أجرت الذهبية للجواسيس وطبعاً لم يكن ذلك صحيحاً بالمرة. . فقد كان يعرف الراقصة، وكان يتردد على العوامة.

☐☐☐

لم تكن هذه الرواية هى الحقيقة، فقد كانت حكمت بطلة القضية ودورها لم يكن مجرد أنها أجرت العوامة للجاسوسين، وهو نفسه يروى حكاية الجاسوسية ودوره ودور حكمت فهمى فيها بالتفصيل فى كتابه الذى صدر بمناسبة مرور خمس سنوات على قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، تحت عنوان «أسرار الثورة المصرية» يقول: إن عبد المغنى سعيد صحب إليه «أبلروساندي» وكان أبلر يعرف مصر جيداً فقد أراد زوج أمه المستشار أن يوفر له حياة كريمة بعيداً عن حياة الليل بين المراقص والحانات ونساء الطريق ولما فشل فى أن يجد له عملا يعيش منه أو يشغل بعض وقته، وأيقن بألاسبيل إلى إصلاحه واتقاء، شره، طرده من حياته، قبيل الحرب، وما كاد يعود إلى وطنه حتى جندوه هناك، ثم أصبح من رجال «رومل» ومن رجال مخابراته فى شئون مصر بالذات.

وأصدر «رومل» لرجليه «أبلر وساندي» أمراً بالتسلل إلى مصر، وكلفهما بعمل

معين، وسلمهما جهازا لاسلكيا دقيقا، وزودهما بعشرات الآلاف من الجنيهات الإنجليزية المزيفة المطبوعة فى اليونان، وبسيارة من سيارات الجيش الإنجليزى التى استولى عليها روميل أثناء معركة العلمين، عندما فر الإنجليز تاركين خلفهم كل شيء.

وتحركت سيارتهما فى رحله خطيرة داخل طريق عسكري، تنتشر على جانبيه المعسكرات البريطانية، ونقط التفتيش والحراسه، ودوريات الاستكشاف.

وعندما نفد منهما الوقود فى منتصف الطريق، فإذا بقائدها «أبلر» ينثنى بكل جرأة إلى أحد المعسكرات البريطانية، فتفتح له الأبواب، ويدخل إلى محطة البنزين بالمعسكر، ويقدم أوراقه، ويعبيء سيارته بالبنزين، ثم يخرج مودعاً بتحية الجنود.

ويقول أنور السارات: أن «أول مافوجئت به من أمرهما أنهما، إنما يقطنان فى عوامة للراقصة المشهورة حكمت فهمي».

«وفهمت أنهما منذ نزلا ضيفين على هذه الراقصة، قد خلعا ثيابهما الرسميه «الإنجليزية» وارتديا ثيابا مدنية عادية، ثم راحا يعيشان كإنجليزيين بصورة لاتثير الشبهات حولهما.

«كانا ينفقان عن سعه.. ويبعدان بنفسيهما عن كل مكان يمكن أن تكون له صلة بالوحدات الحربية أو الجهات العسكرية».

«ولم تزد حياتهما طول هذه الفترة عن مجرد السهر ليلا فى «الكيت كات»، والعودة وقد بدّل لهما البنك الأهلى مايزيد عن أربعين ألفا من الجنيهات الإنجليزية المزيفة بجنيهات مصرية. وكان الوسيط يهوديا، قَبِل أن يتحمل المسئولية مقابل ٣٠٪ من قيمة ما يبّدله من النقود.

«ولم أدهش أنا لليهودى الذى يعرف أنه يؤدى خدمة لجواسيس النازي، فلا يتردد مادام كل شيء بثمنه ولكنى مع ذلك اشفقت عليهما من قيام صلة بينهما وبين اليهود. كنت على موعد مع الجاسوسين الألمانيين ابلر، وساندى فى عوامة حكمت فهمي».

«فقد كانت جميع المظاهر تدل على أن صاحبة العوامة قد وكلت للألمانيين حرية التصرف فى عوامتها كما يشاءان، وأنهما تصرفا فى عوامتها فعلا، فاتخذا منها وكرا للترف والنعومة وحياة الليل والتهتك»..

«وسألتهما عن جهاز اللاسلكى المعطل.. فضحك أبلر، وهو يقول «تستطيع أن تجده لو بحثت عنه؟.»

«وخيل إلى أنى أستطيع، فقمت أطوف غرف العوامة، وأهبط درجاتها، وأصعد إلى أعلاها فإذا بها لاتحتوى إلا على وسائل الحياة الناعمة، وأدوات الترف والزينة.. وكئوس الشراب، وصناديق الويسكي، ووجدت أن الجهاز حديثاً، ليس به عطب.

ويقول السادات أن الألمانيين قد استطابا الحياة الناعمة، التى وفرتها لهما آلاف الجنيهات التى بدّلاها عن طريق اليهودى من البنك الأهلي، وتعرفا على عدد من الراقصات ومن بائعات الهوي.. وأرادا أن يطيلا مكوثهما فى القاهرة، وأن يلقيا عن كاهليهما عبءالمسئولية والمخاطرة.. فادعيا أن الجهاز الذى معهما قد تعطل، واستطاع «هوارد» أن يزودهما بجهاز أمريكي، فادعيا أنهما لايستطيعان تشغيله.. واتصلا بنا..

«وبهذه الوسيلة استطاعا أن يغطيا أنفسهما فى قضاء الأيام والليالى بين سهر المراقص ليلا، ولهو مع الغوازى نهارا.. فقد كانت حجتهما أن الجهاز معطل، وأنهما لايستطيعان العمل بالجهاز الجديد..!!

«عرفت هذا ولكنى عرفته بعد فوات الأوان.. وفى يوم الأحد، ذهبت إلى العوامة، وأوقفت التاكسى خارجا.. وأخذت الجهاز، وخرجت تاركاً خلفى «أبلر وساندي».

ومر يوم الأحد والاثنين وفى اليوم نفسه عرفت أنا بنبأ القبض على هذين الرجلين، فبدأت مخاوفي، فقد كنت حتى ذلك الوقت، أعتقد فى وجود الخرافة الكبرى التى عرفت فى مصر، باسم «قلم المخابرات البريطانية».

وعلمت أن المخابرات البريطانية قد علمت بوجودهما منذ شهر، وأن الرقابة كانت مفروضة عليهما طوال الشهر ليلا ونهارا، وأن هم المراقبة كان معرفة أعوانهما فى القاهرة والعمل الذى يقومان به فعلا..

وتكشفت لى المخابرات البريطانية على حقيقتها خرافة كبيرة، مالئة الجيوب بالذهب، فقد عرفت بعد ذلك كيف قبض عليهما، ويوم عرفت ذلك... عرفت قصة من القصص التى يلعب فيها الذهب، وتنام فيها عيون المخابرات..!!

وفوجئت فى يوم الثلاثاء التالي، أن المخابرات البريطانية الساهرة. لم تكن غافلة عنا وأنها قد وضعت يدها فعلا على كل أسرارنا.

❑❑❑

يواصل أنور السادات روايته لقصة إلقاء القبض على الجواسيس «بأنه ذات ليلة، كانت الخمر تعبث بأحلام «ابلر» وتصور نفسه «شهريار» الذى يأتى كل ليلة بعذراء، وقد

تحدث عن أحلامه الحيوانية مع إحدى صديقاته فضحكت الصديقة بخبث، ودخلت معهما في مفاوضات أصبح «أبلر» بعدها «شهريار» الثاني، وأصبح «ساندى» «شهريار» الثالث أيضا . .

«وبدأت العوامة تستقبل كل صباح فتاتين جديدتين من بائعات الهوي، فى ثياب كثياب الطالبات. يدخلان على استحياء . . ويخرجان وقد امتلات حقيبة كل منهما بمائتى جنيه . !! أخذتاهما من الرجلين باعتبارهما من العذاري!

«واشتهر «ابلر وساندي» بين مجموعة من فتيات اليهود، اللواتى كن يقمن بهذه التمثيلية العاطفية الفذة . . حتى كان اليوم السابق للقبض عليهما . .

«وكانت فى العوامة يهوديتان جاءتا لتمثل كل منهما عروس من عذارى شهريار . . وانتهى التمثيل . . والرجلان فى نشوة بالغة، من السكر الشديد، والخيال المنطلق.

«وتهيأت الفتاتان للخروج . . ثم وقفتا فى انتظار الأربعمائةجنيه، ،ودخل «أبلر» إلى غرفته، ليأتى بالنقود، ولكنه لم يجد سوى سبعين جنيها فقط، هى كل ما كان لديه من أوراق مالية مصرية.

«ومد أبلر يده بالنقود إلى إحداهما فأخذتها، وعدتها، ثم قذفت بها فى وجهه وهى تصيح: أتسلبنى أعز ما أملك، بثلاثين جنيها . . .؟ . . . أين باقى المبلغ؟ . . .

«وصاح فيها أبلر، وقد أغاظه منها تطاولها عليه، وقال:

- ليس معى غير هذا، . . هيا اخرجى قبل أن أذبحك كما كان يفعل شهريار . .

وارتجفت الفتاتان، وقد سمعتا كلمة «أذبحك»، وخيل اليهما أن هذين «الإنجليزيين» قد يصنعان أى شيء دون أن يخشيا عاقبة أو حسابا.

«ورأى الالمانيان هذا الهلع على وجه الفتاتين فاستبدت بهما نشوة الخمر والانتصار . . وانطلق أحدهما يغنى نشيد «ألمانيا فوق الجميع»، ثم شاركه الآخر، فكونا معا ثنائيا فريدا فى نوعه، ينشدان نشيد هتلر . . . !

«ولم يكن هذا النشيد مجهولا، خصوصا فى أوساط اليهود، فهزت إحدى الفتاتين رأسها، وجذبت الأخري، ومضيتا من العوامة إلى قلم المخابرات البريطاني.

«وبعد ساعات قليلة كان «أبلر وساندي» فى طريقهما إلى السجن.

«فليست المخابرات هى التى اكتشفت سر الجاسوسين، ولكنها الفتاة اليهودية التى أصرت على أن تأخذ ثمن جسدها مائتى جنيه، وسيان عندها أن تأخذ المبلغ من «أبلر».

أو من مخابرات الإنجليز. . . !

❑❑❑

لم يكن كل ماذكره السادات حول القبض على الجـواسيس دقيقاً. . فربما كانت وراء كشف السر، ولكن الأساس كان الميجور «سامسون».

كان «أبلر» قد تعرف على فتاة يهودية اسمها «أيفيت»!

وكانت «إيفيت» إحدى عيون الوكالة اليهودية، وقد سمعت «ابلر» الذى عرفته مصريا ثريا، يتحدث مع «ساندي» بالألمانية.

وأبلـغت شـكوكهـا للوكـالة اليهـودية، ووضـع الميـجور «سامسون»، عـيونه عـلى «أبلر وساندي».

وكانت «ايفيت» هى بداية الخيط الذى أدى لكشف شبكه التـجسس، وقد اعترفا فى التحقيـق بعد أن التقيا «بتشـرشل» فى زيارته للقاهرة، ووعدهما بالإبقاء على حـياتهما نظير الاعتراف. !!

وعوملا معاملة الأسرى حتى انتهت الحرب.

أما «حكمت فهـمي» فإن الميجور «سامـسون» أيضا كان يجلس طويلاً معـها. . وقد سرقت حقيبة الميجور، وسربت عن طريقها كثيراً من الأسرار.

ووضـعت خطـة للـقبـض عليـها، بـواسـطة محـمد إبـراهيم أمـام أحـد رجـال القـلم السياسي.

وأودعت السجن الحربي، ثم المعتقل، ولكنها أصرت فى كل أقوالها على إنها تعرف «حسين جعفر» المصرى و«ساندي» الأمريكي، ونفت كل صلة لها بالمخابرات الألمانية. . »

وألقى القبض على أنور السادات... وعلى حسن عزت وكانا ينتظران أن يحاكما أمام المجلس العسكرى الذى يحاكم الجيش.

ورغم أنها كانت عملية بعيدة عن التنظيم.

فقد قرر البغدادى ووجيه أباظه تهريبهما. . ويقول وجيه أباظة:

«أن السادات قام بهذه الاتصالات مع حـسن عزت على غير علم منا، حيث لم يبلغ التنظيم بهذه الاتصالات مع الألمان، وعلى الرغم من هذا فقد كان علىّ أنا والبغدادى أن نقوم بتهريب أنور السـادات وحسن عزت، وفعلا كلفنى البغدادى بتـهريب حسن عزت من ميس سلاح الفرسان وأخذ على عاتقه تهريب أنور السادات من ميس المشاه.

«قمت أنا ومعى صابر التحيوى وكمال حموده ومعنا ٢ تاكسى، حيث وصلنا إلى معسكر الفرسان الذى كان محبوساً فيه بعد منتصف الليل بملابس مدينة، ووفقت مصادفة فى معرفة غرفة حسن عزت الذى طلبت منه أن يهرب معى فرفض، وأثناء مناقشتى معه حضر الضباط النوبتجى الذى يقوم بالحراسة وهو ملازم أول خالد محيى الدين فتساءل عن سبب وجودى، فقلت له إننى أريد تهريب حسن عزت، فلم يعترض وأبدى موافقت.

«ولما سألته مندهشا عما يمكن أن يحدث له قال فى بساطة أن الأمر لن يتعدى محاكمته، وبدأ يأخذ جانبى فى إقناع حسن عزت الذى أصر على الرفض وعدم الهرب.

«وأبلغت البغدادى بما تم، وبموقف خالد محيى الدين، فطلب منى مقابلته حيث جنده.

«بعد ذلك بفترة هرب أنور السادات وحسن عزت، الذى كان دائم الاتصال بى أثناء وجوده فى المعتقل، وطلبا منى تيسير وجودهما خارج المعتقل، فاتفق رأينا على إرسالها إلى المنزل الذى كنا قد أعددناه فى السابق لاستقبال عزيز المصرى وحسين ذوالفقار وعبدالمنعم عبدالرؤوف وأظهر أحد أقاربى استعداده لاستضافتهم لأى مدة وهو الأخ الفنان أحمد مهدى أباظة.

□ □ □

حكاية حكمت فهمى التى تمت من وراءالتنظيم.. كانت السبب فى أن يتعرف وجيه أباظة على خالد محيي الدين..

وفيما بعد سوف يتصادقان..

وسوف يلعبان دوراً هاماً فى ثورة يوليو..

فلسطين

شارك وجيه أباظه في حرب فلسطين.. هو الذي كان يورّد السلاح للجيش. وكان مصدره في الحصول علي السلاح، هي سرقته من معسكرات الجيش البريطاني.. كوّن فريقاً لسرقة السلاح من معسكرات الإنجليز وإمداد الجيش المصري به وكان الجيش يدفع ثمن السلاح المسروق، ويعتمد عليه في الحرب..

وكان السلاح الوحيد الصالح للاستخدام في الحرب، هو السلاح الذي جلبه وجيه أباظه - عن طريقه، أو عن طريق الرجال الذين يعملون معه.

وبقية السلاح كان فاسداً.

وعلى أرض فلسطين.. ومن خلال هذه الحرب، ظهر واضحا أن المشكلة على أرض مصر، وأن مواجهة النظام الفاسد في مصر قد أصبحت ضروره..

❑❑❑

بدأت القضية الفلسطينية بدأت فى وقت مبكر جداً..

إذ قامت إسرائيل باغتصاب أرض فلسطين بتأييد، وتدعيم الدول الكبرى فى ذلك الوقت: أمريكا - الاتحاد السوفيتى - بريطانيا.

كان اليهود يريدون أن يتجمعوا فى وطن.. أى وطن.. وفكرو فى سيناء.. وفى شرق أفريقيا، وفى الأرجنتين.. أى مكان يجمعهم،.. وفلسطين وكانت أيضا فى أعماقهم.. وبدأ هذا الحلم بتكوين الحركة الصهيونية.

والحركة الصهيونية- نسبة إلى جبل صهيون- حركة عنصرية تتخذ من الدين ستاراً تخفى وراءه أهدافاً سياسية، بحثت عن ذرائع دينية وتاريخية لتبرير دعواها فى إنشاء الدولة اليهودية فى فلسطين..

فيرى الصهيونيون أن فلسطين هى الأرض التى وعدهم بها الرب ـ وكان عدد اليهود المقيمين فى أرض فلسطين وقت نشوء الحركة الصهيونية ستة آلاف بينما كان السكان العرب حوالى ثلاثمائه ألف.

وكان «تيودور هرتزل» زعيم الصهيونية السياسية ـ ولد فى مايو ١٨٦٠ـ مفرطاً فى حماسه للصهيونية، وقد نجح فى تجسيدها كحركة سياسية عنصرية سافرة النوايا العدوانية، ووضع كتاباً بالألمانيه اسمه «الدولة يهودية» ـ وسرعان ماترجم إلى عدد من اللغات ـ طالب فيه بانشاء دولة يهودية لم يحدد لها مكاناً.

وإن كـان قد أشـار فى أكـثر من مـوضـع إلى فلسطين، واقـترح أن تـقـوم جمـعيـة يهودية، وشـركة يـهودية مـقرها لندن، وأن يكون الوطـن المأمـول هـو فلسطين أو الأرجنتين. .

دعا «هرتزل» إلى مؤتمر عالمى لليهـود لبحث مشكلاتهم، وعقد المؤتمر فى «بال بسويسرا» وهو المؤتمر اليهودى الأول لمدة ثـلاثة أيام حضره ١٥٠ مندوباً عن اليهود فى كل أنحاء العالم.

وانشئت المنظمة اليهودية العالمية وفيها طرحت قضية الدولة اليهودية.

كان البعض مشـدوداً نحو فلسطين والبعض الآخر يبدى استـعداده للقبول بأى أقليم يجمع اليهود المشتتين فى العالم

وكان «هرتزل» نفسه موزعاً بين عدد من الأقاليم فتطلع مرة إلى جزيرة قبرص، ومرة إلى شبه جزيرة سيناء وهكذا.

❑❑❑

لأن فلسطين كانت من الممتلكات العثمانية، فقد حاول إقناع السلطان عبد الحميد الثانى بان الحركة الصهيونية هى دعوة سلمية، شديدة الولاء له وللدولة العثمانية.

وقال له أن اليهود مستعدون لسـحب رؤوس أموالهم من البلاد التى يقيمون بها ونقلها إلى فلسطين لاستخدامها فى تنمية مواردها الاقتصادية.

وعرض على السلطان تقـديم معونات مالـية ضخمـة تدعم المركز المالى للدولة العثمانية، كـل ذلك مقابل أن يصدر السلطان فرماناً بتهجـير اليهود إلى فلسطين، ومنحهم نوعاً من الحكم الذاتي. وسيدفع اليهود ثمنا ضخماً فى هذا الفرمان.

ولم يوافق السلطان عبـد الحميد رغم كل هذه الإغـراءات بل إنه اتخذ قرارات على العكس تماماً فقـد منع تدفق اليهود على فلسطين، وأصدر فرمـاناً يحدد إقامة

اليهود الزائرين إلى فلسطين بثلاثة أيام فقط حتى لا يبقى فى فلسطين أحد من اليهود القادمين إليها فيزيد عددهم.

❑ ❑ ❑

ولم يجد «هرتزل» أمامه إلا أن يلجأ إلى بريطانيا بعد أن خذلته ألمانيا. . .

ودارت المفاوضات على أساس إسكان اليهود فى شبه جزيرة سيناء، ليقيموا دولة تتمتع بالحكم الذاتى تحت الإشراف البريطاني. ووافق وزير المستعمرات البريطانى على أساس أن هذا المشروع يؤدى إلى عزل مصر عن غرب آسيا، وأيضا إلى إضعاف الدولة العثمانية، وزرع دولة غريبة فى البلاد العربيه.

وأوصت إحدى الدراسات فيما بعد أن تكون البداية هى العريش على شرط أن يسمح لليهود بجلب المياه العذبةمن نهر النيل[1].

وقد حدث تغيير فى المشروع لأن «اللورد كرومر» المعتمد البريطانى فى مصر رفضه، لأنه يتطلب تحويل مقادير هائلة من مياه النيل.

❑ ❑ ❑

بدات سلسلة من الضغوط، والزيارات، والمؤتمرات الصهيونية، حتى قامت الحرب العالمية الأولى وتطلعت انجلترا وفرنسا إلى السيطرة على فلسطين. وعند توزيع مناطق النفوذ بعد الحرب فازت بها بريطانيا.

فى أول نوفمبر ١٩١٧ أرسل «بلفور» وزير الخارجية البريطانية رسالة إلى «روتشيليد» يقول فيها «أن حكومة جلاله الملكة تنظر بعين الارتياح إلى إنشاء وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودي، وستبذل أطيب مساعيها لبلوغ هذه الغاية» وهو ماسمى بوعد «بلفور». وهذا القرار هو الذى قامت على أساسه الدولة فيما بعد، وأبلغ وصف له ما قاله جمال عبد الناصر بأنه: «أعطى من لا يملك وعداً لمن لا يستحق».

---

(١) بعد كامب ديفيد، عاود اليهود مطلبهم في مياه النيل، وكان السادات قدوعدهم بتوصيل مياه النيل إليهم، فيما اسماه «بزمزم الجديدة». . وهو المشروع الذي رفضه من قبل اللورد كرومر واعتبره تفريطاً في مياه النيل. .

واستطاع الصهاينة إقامة مكاتب لهم فى دول العالم تمارس ضغوطها لإقرار حقهم في إقامة هذه الدولة، فى نفس الوقت الذى أخذت فيه الهجرة إلى فلسطين تتكثف فى ظل حكم الانتداب البريطاني . .

❑❑❑

فجاة عام ١٩٤٨ أرسلت بريطانيا إلى هيئة الأمم تعلن أنها سوف تنهى انتدابها على فلسطين.

واستطاعت الأمم المتحدة أن تصل إلى قرار قيام دولتين إحداهما فلسطينية والأخرى يهودية، وأن تقسم فلسطين بينهما بحث يكون لكل منهما دولة مستقله. ورفض الفلسطينيون قرار التقسيم. . ورفضه كل العرب أيضاً، وفى مصر بدأت الحركة الوطنية تتجه صوب فلسطين، وخاصة بعد أن تجمع داخل مصر عدد كبير من قيادات الفلسطينيين. . وبدأت حركة تطوع استعداداً ليوم ١٥ مايو، وهو اليوم الذى سيعلن فيه قيام دولة إسرائيل، حيث تساهم كتائب من المتطوعين مع اللفسطينيين فى تحرير فلسطين... ومنع التقسيم وكذلك منع طرد الفلسطينيين الذى يعيشون داخل «إسرائيل» من ديارهم. ونشطت حركة التطوع فى الجيش المصري، وقام عدد من الضباط بالسفر ليقاتلوا إلى جانب الفلسطينيين لمنع قيام دولة إسرائيل . .

وقدم عبد الناصر استقالته من الجيش للانضمام لحركة الكفاح المسلح فى فلسطين، ولكنها رفضت.

واستطاع كمال الدين حسين أن يستقيل ويذهب متطوعاً فى كتيبة القائمقام أحمد عبد العزيز الذى تطوع للقتال هناك.

❑❑❑

لعب التنظيم العسكرى السرى للطيران الذى كان من مؤسسيه عبداللطيف البغدادى - وجيه أباظه - حسن إبراهيم دوراً هاماً ووضعوا خطة للانضمام بالطيران المصرى للمساهمة فى معركة تحرير فلسطين، ولكنها لم تنفذ لأن الحرب سرعان ما أعلنت.

ذهب حسن إبراهيم ممثلاً لهذا التنظيم إلى «فوزى القاوقجي» قائد قوات التحرير العربية، يعرض عليه جهود الطيارين المصريين، لأن الحكومة المصرية رفضت تطوع الطيارين.

وقال القاوقجى له أنه سوف يرسل لهم عندما يحتاجهم... ولم يكن فى سوريا سلاح للطيران.. لذلك فإنه لم يرسل لاستدعائهم..

وتضاعف نشاط جماعة الإخوان المسلمين وكان لهم دور، بتشجيع من عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية.

وقال النحاس باشا رئيس حزب الوفد أنه: يؤيد فلسطين لأهلها مسلمين ونصارى ويهود ولكنه لايقبل أن تكون وطناً قوميا للصهيونية.

وعارض حزب الوفد تقسيم فلسطين، ولكنه لم يدع للكفاح المسلح، كما فعل الإخوان المسلمون الذين شكلوا كتائب الجهاد، وكما فعل حزب مصر الفتاة، وسافر أحمد حسين رئيسه فعلاً إلى سوريا للعمل من هناك.

واعترض إسماعيل صدقى على دخول الجيش المصرى الحرب.. وكان الملك متحمساً للقتال، حتى أنه بادر بتحريك القوات عن طريق أوامر مباشرة من حيدر باشا وزير الدفاع، دون علم رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشي، ودون عرض الأمر على البرلمان.

فقد سافر الجيش المصرى للحرب، بقرار من القائد الأعلى متخطياً كل المؤسسات الدستورية.. الحكومة والبرلمان وغيرهما.. ودون أن يكون لها أى رأي...



كانت انجلترا قد سلمت إسرائيل منطقة أم الرشراش الواقعة على البحر الأحمر، والتى أصبحت ميناء إيلات، ويقول محمد حسنين هيكل: (١)

---

(١) ملفات السويس ـ محمد حسنين هيكل

«كانت القوة البريطانية التى وصلت الى «أم الرشراش» جـزءا من كتيبة بريطانية فى الأردن. ويومها كان التفسير الذى قدمته بريطانيا الى كل الأطراف هو أن منطقة «أم الرشراش» بموقعها الفـريد على البحر الأحمر، منطقة استراتيجـية هامة بالنسبة لمواصلات الإمبـراطورية، بين قاعدة قناة السويس فى مـصر، وقاعدة الحـبانية فى العراق. وأن وصول أى قوات مـحاربة فى فلسطين الى هذه النقطة يمكن أن يكون تهديدا لايحتمل لسلامة خط الاتصال الإمبراطورى.

وفجـأة فى فبراير ١٩٤٩ انسـحبت القوة البـريطانية من منطقـة «أم الرشراش» وسلمتـها لقوات من الجـيش الإسرائيلى، وهكذا فإن الجـيش الإسرائيلى الذى لم يستطع الوصـول إلى «أم الرشاش» بالحرب وصـل اليها بتـرتيب خاص وهادئ مع السياسة البريطانية. ووقتها لم تعد هناك حجة سلامة خط مواصلات الامبراطورية البريطانية، فقـد انقطع اتصال هذا الخط بين قاعدة قناة السويس فى مـصر وقاعدة الحبانية فى العراق بوصول إسرائيل الى البحر الأحمر. وبالطبع فقد كان الأهم من ذلك كله، والمستهدف من هذه العملية كلهـا، هو إغلاق كل سبيل للاتصال البرى بين مصـر وبقية الدول الـعربية فى المشـرق والفصل البرى الكـامل بين العرب فى قارتى أفريقيا (بما فيها الشمال الأفريقى كله) وآسيا.

ويقول محمد حسـنين هيكل: «إن الجيش المصرى ذهب ليحارب فى فلسطين، بينما الانجليز يحتلون منطقة القناة وهذه الظاهرة الغريبة لفتت نظر ضابط شاب هو جمال عـبدالناصر أركان حـرب كتيبـة المشاه السادسة فلاحظ «أنه غـريبا أن يكون الإنجليز على قاعدة قناة السويس هم الذين يفتحون لنا الطريق على قناة السويس، وكانت قاعـدتهم الكبيرة هناك وراءنا ونحن نتـقدم عبر سـيناء إلى فلسطين، ولقد أثار دهشتى أننا كنا نتقدم لنحتل مواقع الفرقـة الثانية البريطانية حول غزة فى نفس الوقت الذى كانت فيه هذه الفرقة تخلى مواقعها عائدة إلى مصر.»

«فـالجيش المصـرى دخل إلى فلسطين فـى هذه الظروف المحفـوفـة بعلامـات الاستفهـام، وبدأ يشتبك فعلا فى بعض المواقع مع الإسـرائيليين، وراح يتقدم فى

النقب، وكانت قوات دولة إسرائيل الجديدة لم تكتف بالحدود المرسومة لدولة يهودية فى فلسطين طبقا لقرار التقسيم، وإنما راحت تتجاوز تلك الحدود لتحتل أراض مخصصة- بمقتضى نفس قرار التقسيم- للدولة العربية فى فلسطين».

❑❑❑

ويقول محمد حسنين هيكل [1] إن دوائر الحكومة فى مصر- القصر ومعظم الاحزاب السياسية ـ لم تكن تعرف مافيه الكفاية عن الحركة الصهيونية، ولم يكن لديهم إلا المعلومات التى تصلهم عن طريق «الحاخام ناحوم» أفندى حاخام اليهود فى مصر، و«أصلان قطاوي» وهو من أبرز أفراد الجالية اليهودية فى مصر، وكان عضواً بمجلس الشيوخ وزوجته وصيفة شرف لملكه مصر.

وكل من هذين الرجلين صور الحركة الصهيونية على أنها تنظيم ليهود لاجئين من جحيم النازى يبحثون من مأوى يعشون فيه بسلام.

ومن هنا فإن الحكومة طوال مدة الحرب العالمية الثانية لم تمانع فى أن يكون فى مصر مركز لتدريب فيلق يهودى يشترك مع الحلفاء معارك الصحراء، وكان هذا الفيلق اليهودى هو النواه الأساسية للجيش الإسرائيلى فما بعد.

وأعلن محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء بعد ذلك دخول الجيش المصرى فلسطين فى جلسة سرية بالبرلمان، ولم تكن هناك معارضة كما لم يكن لهذا الإعلان قيمة لأن الجيش كان قد تحرك فعلاً قبلها إلى الأرض الفلسطينية لتحريرها من «العصابات الصهيونية»، ولمنع قيام دولة إسرائيل «المزعومة».

وقد دخلت الجيوش العربية الحرب أيضا، وانتهت الحرب بإعلان الهدنة الأولى، ثم الهدنة الثانية، وعقد هدنة وقعت فى «رودس».

وأعلن وقف إطلاق النار رسميا.

---

(١) ملفات السويس ـ محمد حسنين هيكل

وسط هذه الأجواء المليئة بالحماس والوطنية، اكتشف الضباط الذين ذهبوا إلى الحرب أن المعركة الأساسية فى مصر..

❑❑❑

صدم ضباط الجيش المصرى عندما أيقنوا أن الأسلحة التى يستخدمونها فاسدة، وأنها تنفجر فيهم، وكان لهذا الاكتشاف تأثيراً سيئاً على معنوياتهم، بعد أن راح ضحية هذه الأسلحة عشرات الضباط والآف الجنود.

وفاحت رائحة الأسلحة الفاسدة، وتقدم مصطفى مرعى عضو مجلس الشيوخ باستجواب فى مجلس الشيوخ عن توريد سلاح فاسد للجيش، وقد رد عليه فؤاد سراج الدين قائلا: أن الحكومة أجرت تحقيقا وثبت أنه لامسئولية على من قاموا بهذه الصفقات.

ومرة أخرى أثار إحسان عبدالقدوس القضية بعنف فى سلسلة من المقالات طالب من خلالها بالتحقيق مع المتسببين فى استيراد السلاح الفاسد وكان لحلمى سلام دور هام فى إثارة القضية فى نفس الوقت على صفحات المصور، وطالب أيضاً بالتحقيق.

بدأ النائب العام تحقيقات واسعة فى بلاغات تقدمت إليه من الصحف، وعن طريق المحامين - واستدعت النيابة رجل الملك أدمون جهلان من أوربا لسؤاله ولكن مندوب القصر الملكى استقبله فى المطار، وتوجه من المطار إلى النائب العام فى إشارة إلى دعم القصر له، وهكذا لم تستطع النيابة أن تمنعه من السفر أو أن تلقى القبض عليه.

وهكذا تفجرت قضية الأسلحة الفاسدة، وبات واضحا أن رجال الملك هم الذين عقدوا صفقات السلاح الفاسد!

وأن الملك ورجاله هم الذين كانوا يتاجرون فى هذا السلاح المغشوش.

كانت حرب فلسطين هى المفجر الحقيقى لثورة يوليو، فسوف نرى أن الضباط بدأوا يتجمعون عقب هذه الحرب فى تنظيم للقضاء على النظام الفاسد من أساسه..

لقد اعتمد الجيش فى الحرب، على السلاح الذى كان يسرقه وجيه أباظة من معسكرات الجيش البريطانى، وكانت هناك عصابات يشغلها، وتعمل لحسابه، ويتسلم منها السلاح لتوريده للجيش..

وكانت لجنة احتياجات الجيش برئاسة اللواء شعراوى باشا قد أطلقت يده فى هذا العمل، بحيث تدفع له ثمن السلاح من ميزانية الدولة.

وأصدر رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى تعليمات لجهات الأمن والنيابة بحفظ بلاغات سرقة السلاح من الجيش البريطانى.

وكان وكلاء النيابة، ورجال البوليس متفهمين لدور الحركة الوطنية.. ولم يكونوا فى حاجة إلى مثل هذه التعليمات من رئيس الوزراء.

ذهب وجيه أباظة إلى منطقة القناة، والتحق بخدمة المعلم عباس النحاس، الشهير بعباس «خردة» بمرتب ثلاثة جنيهات.. وكانت وظيفته أن يحمل له الحقيبة، وقد تصور عباس خرده أن وجيه أباظة هارب من أحكام قضائية وأنه يحتمى به.

وقد وجد معاونة من ضباط البوليس عزيز الأجهورى، واليوزباشى محمود الشافعى، والملازم حسن طلعت، وأمين حلمى ضابط المخابرات، قائد البوليس الحربى، محمود التنير. واشترى سلاحاً مسروقاً قيمته ٢,٥ مليون جنيه دفعتها لجنة احتياجات القوات المسلحة..

كان سعر القنبلة ألف رطل جنيهين و القنبلة ٥٠٠ رطل جنيهاً واحداً، كما استطاع سرقة وتوريد ذخيرة ومدافع للجيش الذى يحارب لاسترداد فلسطين..

فى الوثائق البريطانية، وأثناء دراساته الواسعة، رصد محمد حسنين هيكل فى كتابه ملفات السويس بعض الوثائق البريطانية حول هذه القضية.

ويقول «إن كميات ضخمة من الأسلحة التى يحتاجها الجيش المصرى فى حرب فلسطين قد سرقت من المخازن البريطانية فى قاعدة قناة السويس وإن الإنجليز تعجبوا من دقة التنظيم الذى يقوم بسرقه السلاح .

«وفجأة تنبهت الحكومة البريطانية إلى «سرقات» الأسلحة والمعدات الكبيرة من قاعدة قناة السويس. وهكذا تكتب لجنة الدفاع الإمبراطورية مذكرة إلى وزارة الخارجية البريطانية تقول فيها: «إننا تلقينا من وزارة الحربية تقريرا عن الموقف الخاص بالقوات البرية فى الشرق الأوسط، وهو يبين ضمن أمور أخرى كميات الذخيرة وغيرها من المواد العسكرية التى سرقت من مخازن القوات فى منطقة القناة فى مصر. وهناك زيادة كبيرة فى هذه السرقات، وإذا كانت أشياء مثل سيارات وزنها ثلاثة أطنان، وقذائف بحرية قد سرقت، فهذا يدل على قدر مدهش من التنظيم من جانب اللصوص. والمؤكد أن كمية المواد الحربية التى سرقت منذ بدء القتال فى فلسطين قادرة على تجهيز قوة متوسطة الحجم.»

❑❑❑

انزعجت بريطانيا لسرقة الأسلحة بحجم كبير من معسكراتها فى قناة السويس، وقد عجبت من دقة التنظيم الذى يقوم بالسرقة.

ونكتفى بنشر وثيقتين فقط من الوثائق العديدة التى حصل عليها محمد حسنين هيكل ونشرها فى كتابه ملفات السويس عن تلك المرحلة.

الوثيقة الأولى تقول: فى كل أسبوع نتلقى، من وزارة الحربية صورة من تقرير الموقف الخاص بالقوات البرية فى الشرق الأوسط، وهو يبين - ضمن أمور أخرى - كميات الذخيرة وغيرها من المواد العسكرية التى سرقت من مخازن القوات المختلفة فى منطقة القناة فى مصر. ويتضح من تقرير الموقف عن شهر أكتوبر!!

وهناك زيادة كبيرة فى هذه السرقات؛ وإذا كانت أشياء مثل سيارات وزنها ثلاثة أطنان وقذائف بحرية قد سرقت، فهذا يدل على قدر مدهش من التنظيم من جانب اللصوص.

الوثيقة الثانيه نص تقرير من الإدارة الشرقية للسفارة البريطانية فى القاهرة عن سرقات الأسلحة من مستودعات قناة السويس فى ٤ نوفمبر ١٩٤٨ موقعة من : د. ح. د متيلاند نصها:

٢- وإننى لأقدر صعوباتهم فى توفير الحراس الكافين لمستودعاتنا فى مصر، ولكنه يسعدنى قيامكم بما من شأنه الإقلال من هذا النزيف المؤسف لمواردنا الشحيحة فعلا. يضاف إلى ذلك أنه إذا وقعت القائمة المرفقة فى أيد معينة، فأخشى من أن تثار أسئلة شديدة الإحراج.

البريجادير ج. سى. هملتن الحامل لنيشان الخدمة الممتازة.

م. أو ٤٠ ج. غ. أ.

(الإمضاء) م. ر. رايت

وزارة الحربية

كميات المواد الحربية التى سرقت من مستودعات الخدمة البريطانية فى منطقة القناة بين ١٥ آيار / مايو و٦ تشرين الثانى / نوفمبر ١٩٤٨.

نوع المواد	الكمية
قنابل عيار ٥٠٠ رطل	٨
قنابل شظايا عيار ٢٠ رطلاً	٦٨
قذائف عيار ٥,٢٥ بوصة	١٨
قذائف عيار ٤ بوصات	١٧٦
قذائف ثقيلة مضادة للطائرات عيار ٣,٧ بوصة	٩٩٣
قنابل دك عيار ٢٨	١٤٠
قنابل دك عيار ٦	١٣٨
قنابل دخان دك عيار ٢٥	٢١٦
قذائف دك شديدة الانفجار عيار ٥	١٦٤

(١) ملفات السويس ـ محمد حسنين هيكل

قنابل هاون عيار ٣ بوصات	١٢٣٦
قنابل هاون شديدة الانفجار عيار٢ بوصة	٣٣٥٥
قنابل دخان هاون عيار ٢ بوصة	٨٧٦
قذائف دك عيار ٢	٢٨٥٦
قذائف مدفع عيار ٢٠ مللى	٣٦٨٤
ذخيرة عيار ٩,٧٢ مللى	١٥٣٠
ذخيرة عيار ٩ مللى	٢٤٠٠
ذخيرة عيار ٣,٣ بوصة	٤٣٢٤٥٦
ذخيرة عيار ٧,٥ مللى	٣٤٦
ذخيرة عيار ٢٢ بوصة	١٠٢٠٠
خراطيش قذائف تسارية	٢٧٥٧٥
قنابل دخان يدوية	٨
مركبات زنة ٣ أطنان	١٢
مركبات غير محددة	٣
مركبات ١٥ طن متريا	٧

وهناك إلى جانب ذلك كميات مختلفة من المتفجرات المنوعة ـ والبطاطين ـ والمراتب وقطع غيار السيارات ـ وآلاف الياردات من الكابلات ـ وأنواع شتى من المواد الحربية.

□□□

هذا التنظيم الذى قام بسرقة هذا الكم الهائل من الأسلحة، كان يشرف عليه وجيه أباظة بنفسه، وهو يتذكر هذه المرحلة قائلا:

ـ لقد اقترحت أن تسرق أسلحة من الانجليز، وذهبت إلى الإسماعيلية، عقدت هناك عدة اجتماعات واشتغلت مع الحاج عباس وهو صاحب مسجد معروف واسمه الشائع هو عباس خرده.

اشتغلت سكرتيراً عنده وطبعا لا يعرف أنى ضابط ولا حاجة، عرف فقط أنى هربان من حاجة.

أنا كنت بقميص وبنطلون، كنت أقوم بتوصيل كل شئ للأخ أمين حلمى الثانى وكان مدير المخابرات هناك، وساعدنى مساعدات فعالة، وكان وقتها هناك مساعد

اسمه عبدالحكم أصبح يوزباشى أو صاغ حاجة زى كده. جاءنى وأنا محافظ فى طنطا وقابلته بترحاب شديد، وكان عايز شقة وساعدته لأنه فى الحقيقة من الناس الذين خدموا البلد كويس، وكان مساعداً لكن لما شفته كان صاغ.

كنت أقيم فى الإسماعيلية أنظم العصابات لسرقة الأسلحة من المعسكرات الإنجليزية أمشى مع الحاج عباس الصباح ندخل المعسكرات أشوف الحاجات اللى احنا عايزنها.

كنت أدخل معه فهو تاجر خردة. يتردد على المعسكرات وهو لايعرف الجليزى ولكنه كان أسرع واحد يتفق مع الضباط والعساكر الانجليز، كان يعطينى ٣ جنيه فى الشهر.

وكان بغدادى بالاتفاق مع مدير القسم الطبى الدكتور رفاعى كامل يعطونى أجازات ١٥ يوم... فى ١٥ يوم.

هناك في الاسماعيلية التقيت بالعديد من أبناء الصعيد وكانوا من أفضل الناس حماساً واندفاعاً ووطنية...

وهم أحسن من عمل معى فى سرقة السلاح، وكان عدد من أهالى بلدة اسمها جهينة فى سوهاج على ما أذكر يتحدثون عن عبدالحكم وهو شاب عنده ٣٢ سنة لكنه كان ممتازاً جدا لايقرأ ولا يكتب... ولكن عنده وطنية أكثر من ٩٠٪ من الذين رأيتهم.

عبد الحكم كان أن له شرط بسيط جدا قال: أنا عايز أول قنبلة تضربوها فى تل أبيب تكتبوا عليها اسمى: عبدالحكم.

فعلا كتبنا اسمه على أول قنبلة وطلعت مع بغدادى فى طيارة... وضربنا القنبلة فى سنة ١٩٤٨، وكنا فى شهر رمضان، عملنا غارة فوق تل أبيب، وتعتبر أحسن الغارات وأول قنبلة القيت على تل أبيب كان مكتوباً عليها اسم عبدالحكم، ولما رجعنا أخبرناه بذلك، وكان سعيداً جداً.

العجيب أن القنابل كنا نجيبها كل يوم وكانوا مخصصين ٢٠ عربية نرسل فيها السلاح عندما وجدوا أن الموضوع جد. ثم طلبنا زيادة العربيات التى نبعت فيها القنابل لأنه إذا لم تصل هذه القنابل، الطيارات لن تطير.

وكان بغدادى يرسلنى أقابل عبدالحكيم عامر وصلاح سالم فى العريش وأسلم لهما الأسلحة وهما يسلمانها للقوات المسلحة. وكان فيه لجنة اسمها لجنة

الاحتياجات العسكرية برئاسة اللواء الشعرواي. . . وكان معاه الله يرحمه محمد طه النمر. . . ومحمد أباظه ابن عمى. وكانوا يعطوننا الفلوس لنمد الجيش بالأسلحة التى نسرقها من معسكرات الانجليز.

كنا بنأخذ أسلحة مسروقة وناخد فلوس من الدولة من الله يرحمه اللواء شعرواى .

يهمنى أنوه هنا. . كان وقتها النقراشى باشا الله يرحمه فى الوزارة وأعطى تعليمات مشددة بأن يكون معنا رجال الشرطة، لكن رجال الشرطة من نفسهم كانوا معنا. كان معنا الله يرحمه محمود الشافعى - عادل الأجهورى كان عظيماً جدا. وحسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة فيما بعد...

مجموعات عظيمة من ضباط الشرطة وكان اخواننا رجال النيابة أو القضاء أى قضايا خاصة بسرقة الأسلحة يحققوها بسرعة ويحفظوها.

وكان فيه تعاون عظيم وفى وقتها لاتستطيع أن تقول أن هذا وفدى وهذا اخوانى وهكذا. . . كله مصرى».

❑ ❑ ❑

انتهت حرب فلسطين إلى هزيمة عسكرية.

وبدأ الضباط يجمعون صفوفهم فى تنظيم عام وشامل يضم كل القوى الوطنية فى الجيش المصرى

هو تنظيم الضباط الأحرار. .

وكان وجيه أباظة من بين أعضاء هذا التنظيم الجديد.

تنظيم الضباط الأحرار. . .

الذى قام بثورة يوليو. .

الضباط الأحرار

كانت هزيمة ١٩٤٨ مدوية ..

وكانت بداية مرحلة جديدة فى تاريخ مصر، والأمة العربية ... فعلى أرض فلسطين اكتشف الضباط أنهم هزموا فى القاهرة ... وأن القضية الأساسية هى الفساد فى مصر!

وكانت ملامح المجتمع المصرى غريبة إلى حد كبير . .

الإقطاع ينهشه . . الأحزاب تتناحر... الإنجليـز يحتلون أرضه. الفساد ينخر فى أوصـاله فى جـميع الاتجـاهات... الوزارات تتـغـير بالمـال. . أثبتت الديمـقراطيـة عجزها... الوزارات تتـغير فى شهـور... حزب الأغلبية مـحجوب عن الحكم... الملك ظهر انحرافه.

حاشيتـه تاجرت فى أسلحة فاسدة بعثـوا بها إلى الجيش فى فلسطين ، وأغلب شهداء الحرب سقطوا بسلاح مصرى ارتد إلى صدورهم .

وعندما تفجرت قضية الأسلحة الفاسـدة، وبدأت النيابة تحقيقاتها ، فرض الملك حمايته على رجاله الذين تاجروا فى السلاح !

وضاقت صدور الضباط الوطنيين بكل ما يحدث فى مصر . .

وبدأت أفكار عدد كبير منهم تلتقى حول ضرورة التغيير . .

وكانت هناك تيارات متـعددة ، داخل الجيش ، فقد كانت للتنظيمات الـسياسية انعكاسات داخل الجيش .

وبدأ جمال عبد الناصر فى تجـميع العناصر الوطنية من كل الاتجاهات فى تنظيم سرى جديد ، أطلق عليه ـ فيمـا بعد ـ تنظيم الضباط الأحرار ، الذى بدأ يتشكل عام ١٩٤٩ ، بعد العودة من فلسطين .

وكان فى مقدمة الذين انضموا لجمال عبد الناصر ، صديقه عبد الحكيم عامر .

وفى أواخر العام نفسه اجتـمعت الجمعية التأسيسية للـتنظيم الجديد: جمال عبد الناصر - عـبد الحكيم عامر - كـمال الدين حسين - عبـد المنعم الرؤوف - حسن إبراهيم ، ثم انضم إليهم صلاح سالم - وعبد اللطيف البغدادى .

وبدأ التنظيم يتـوسع بضم عناصر جـديدة فى جمـيع وحدات الجـيش، ووضع أهدافـاً وطنية عـامة فى صورة مـبادئ سـتة، يمكن أن يتـفق عليـها الجمـيع، من

اليمين، ومن اليسار، ومن المستقلين... ومن الوطنيين عـموماً. . وكان الغرض من صياغة هذه الاهداف ذات المضامين العامة أن تكون عنصراً للتجميع. .

❑ ❑ ❑

هؤلاء الضبـاط الأحرار مازال عددهم ـ بالـضبط ـ مجهـولاً حتى الآن وأغلب الظن أنه سوف يظل كذلك.

يقول توفيق عبده اسماعيل عـضو تنظيم الضباط الأحرار إن أنور السادات كلفه بوضع قائمة بأسماء أعضاء التنظـيم، وأنه وضع كشفا يضم ٣٥٠ عضواً ، وعندما عرضـه على أنور السادات وكان وجيـه أباظة ـ ضمن القوائم ـ وكـان فى السجن فى قضية مايو، وافق عليه السادات ولم يعترض قائلا «إنه لن يغير فى التاريخ» !

ولكن عدد أعـضاء التنظيم سوف يـظل موضع خلاف، فـإن أحداً لم يصل الى الحقيقة حول عدد أعضاء هذا التنظيم.

قال لى سـامى شرف إن جمال عـبد الناصر كـان قد أعد كشـفا بأسماء أعـضاء التنظيم، وأنه كان على مكتـبه عام ١٩٧٠ ـ يوم وفاته ـ ولا يعرف ما حـدث فيه بعد ذلك فقد كان محفوظا أيضاً فى أرشيف الجمهورية.

ويقول صلاح نصر: إنه قـام بحصر أسماء الضباط الأحرار، وكـان جمال عبد الناصر هو الوحـيد الذى يعـرفهم جمـيعاً حـتى وإن كان لم يرهم جـميعـاً ، وقد قسمهم صلاح نصر إلى مجموعتين :

الأولى: اشتركت ليلة الثورة بأعمال مختلفة وفقاً للخطة التى أعدت .

الثانيـة : لم تشتـرك ليلة الثورة لوجودها خـارج القاهرة، موزعـة على المناطق العسكرية المختلفة .

وقد بلغ الضباط الأحرار وفقاً لهـذه الكشوف ٣٢٩ ضابطاً حراً ، اشترك منهم فعلاً فى أحداث ليلة الثورة، ما لا يقل عن ثمانين ضابطاً حراً . .

ويواصل توفيق عبده اسماعيل قائلاً: أن عبد الناصر هو العقل المنظم الوحيد،

والرئيسى الذى جمع شتاتا من كل التنظيمات و الميول، فى تنظيم واحد سيطر عليه منذ عام ١٩٤٩، وبدأ بمن يعرفه شخصيا أو من كان له تاريخ وطني، وهذا يعنى أن العلاقة الشخصية كان لها التأثير الأكبر فى جذب الضباط حوله، وذلك فقد اتصل بكل الذين لهم تاريخ وطنى مثل «عبد المنعم عبد الرءوف ومجدى حسنين، وعبد اللطيف البغدادى وأنور السادات وغيرهم» . وكانت هذه شخصيات لها تاريخ وطني.

ويواصل توفيق عبده اسماعيل فى حوارى معه: أن الضباط الأحرار - وهذه حقيقة أخرى - لم يكونوا أكثر الضباط وطنية فى الجيش، إنما كان هناك من لديهم حجم المشاعر الوطنية مثلهم أو أكثر . كما أنهم لم يكونوا أفضل الضباط أو أكثرهم حماسا إطلاقا، ولكن الظروف هى التى جعلتهم يدخلون التنظيم .

«والتظيم السرى بطبيعته اقتضى العلاقة الشخصية، وضرورة وجود صلة ببعض الأحداث قبل بدء تشكيل التنظيم، بالإضافة إلى أن طبيعة عبد الناصر كتومة ومنظمة فلم يتسرب أى خبر عن الضباط الأحرار قبل الثورة .

«الحقيقة الغائبة أن الضباط الأحرار داخلوا تجربتين ليثبتوا نجاحهم.

«التجربة الأولى: مشاركتهم فى معارك الفدائيين عام ١٩٥٢ .

«والتجربة الثانية: انتخابات نادى ضباط الجيش.

وبعد نجاح الضباط الأحرار فى تحقيق نتائج إيجابية فى هاتين النتيجتين، بدأت القوات المسلحة وأجهزة الدولة تنظر لتنظيم الضباط الأحرار نظرة جدية .

❑ ❑ ❑

الكاتب الصحفى أحمد حمروش واحد من الضباط الأحرار ، وقد اهتم بالتأريخ لثورة يوليو ، وللحركة السياسية فى الجيش كما عاصرها قال لى :

- الضباط الأحرار كتنظيم تكوّن فى أواخر ١٩٤٩ أو بداية ١٩٥٠ . وقبلها كانت هناك حركة وطنية فى الجيش .

«وعلى معاصرتى فإن هذه الحركة الوطنية بدأت مع الحرب العالمية الثانية . وذلك لأنه فى هذه الفترة . كان الهجوم الألمانى الإيطالى فى الصحراء الغربية يثير فى عدد من الضباط المصريين مشاعر وطنية معادية للاستعمار البريطانى؛ ربما لم تكن هذه المشاعر عميقة الوعى بمفهوم الحركة الوطنية وطبيعتها إلا أنها كانت رد فعل طبيعى للاستعمار البريطاني...

«أتذكر هذه الفترة أن هناك ضابطاً برتبة بكباشى اسمه «محمد كامل الرحمانى» وكان مدرساً فى الكلية الحربية . وعمل بعدها مديراً للإذاعة، وبعدها سفيراً فى «تشكوسلوفاكيا»، وكان يجمعنا نحن الضباط المتخرجين سنة ١٩٤٢، وسط الحرب العالمية الثانية، وكان يجسد لنا خطر ما تنتويه إنجلترا بإغراق الدلتا حتى يصدوا الهجوم النازى .

«ففى هذا الوقت كان روميل قد وصل إلى «العلمين» ، وكانت هناك خطة بريطانية لاغراق الدلتا .

«وكان يقول لنا إننا كضباط مصريين هذه بلدنا ولا يجوز إغراقها فاحتشدنا حول هذا الفكر الوطنى ولكن لم يكن تفكيره صحيحاً لماذا؟ لأن معركة العلمين قد وقعت وانحسر الهجوم الألمانى، وبدأت الحركة الوطنية تأخذ مساراً آخر .

«ووقع حادث الطائرة التى استخدمها الطيار أحمد سعودى أبو على وذهب بها إلى القوات الألمانية فى الصحراء الغربية

«وحادث هرب عزيز المصرى مع حسين ذو الفقار صبرى.

« وحكاية تعاون السادات مع الجواسيس الألمان.

«أقصد أن أقول إنه كان هناك هذا التواجد الوطنى داخل الجيش.

«لكن بعد معركة العلمين تغير أسلوب الحركة الوطنية فبدأت تتشكل فى داخل القوات المسلحة جزر وطنية.

«**أولا :** كان هناك الإخوان المسلمون وهى حركة كانت قد بدأت تنمو بتشجيع من بريطانيا لكى تقف فى وجه الوفد، باعتباره القوه الشعبية الكبيرة، وكانت هذه

الحركة متواجـدة فعلاً داخل القوات المسلحة بواسطة ضابط مصرى اسـمه محمود لبيب وكان يعيش فى ألمانيا وجاء ووراءه أكثر من علامة استفهام. . .

«وكان هو المسئول عن العـسكريين فى الإخوان المسلمين، وأذكـر أنه جاء إلى بيتى هو وعدد من الضباط الإخوان.

«وكان أكـبر تنظـيم فى الجيش هو تنظيم الإخـوان الذى استطاع أن يجـذب له عددا كبـيرا من الضبـاط منهم: جمال عبـد الناصر - كمال الدين حـسين - خالد محيى الدين - عبد المنعم عبد الرءوف - وكان هذا التنظيم ذا توجه وطنى .

القسم الثاني: كان يتـمثل فى حزب مـصر الفـتاة، أو الحزب الاشـتراكى، وكان عدد المنتمين له محدودا، ولـم يكن لهم مثل نشاط مثل الإخوان المسلمين.

لذا فكان به عدد محدود جدا من الضبـاط، منهم محمد رياض الذى كان ياور محمد نجيب بعد الثورة .

القسم الثالث: التنظيم اليـسارى «الحركة الديـمقرطية للتـحرر الوطنى» الذى عمل بنشاط وبفاعلية شديدة فى وسط الصولات ،والمكانيكية فى سلاح الطيران . وكانوا أقوى تنظيم بين الجيش فى صف الضباط .

حتى تم تشكـيل الحركة الوطنيـة داخل الضبـاط... وكنت أنا منهم . وهذا هو الجزء الثالث الموجود فى حركة الجيش .

القـسم الرابع : هناك بعض الضـباط الذين كـانوا يرتبطون بالوفـد، فكان الوفـد فى هذا الوقت هو حـزب المعـارضة ، وهو حـزب وطنى ، يجـذب بعض الناس، وأعتـقد أن منهم وجـيه أباظة، لأنه كان يتـصل بالوفديين على حـسب ما عرفت بعد ذلك.

القسم الخامس : كان من الضبـاط المستقلين العاديين الذيـن أحسوا أن هناك حركة وطنية، فاندفعوا إليها، ولم يكن لديهم انتماء لتنظيم معين.

الشىء العظيم الذى قـام به جمال عـبد الناصر عندمـا قرر بدء تشكيل الضـباط

الأحرار سنة ١٩٤٩بعد فترة المد الثورى الكبير، الذى تم فى مصر بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية. أنه فتح ذراعيه لكل المدارس الفكرية، وحاول أنْ يتعرف على أبعاد فكرها، فقد كان على صلة بجمعية الإخوان المسلمين وكان متصلاً بنا فى قسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «حدتو».

«وكان المكلف من جانبنا للاتصال به هو أحمد فؤاد . وقد أقام علاقات معه .

«وكان عبد الناصر يتعرف على كل القوى السياسية وعلى المستقلين ووطد علاقته بهم.

«فلما بدأ إقامة تنظيم الضباط الأحرار كان لديه هذا الرصيد من القوى الوطنية المختلفة الاتجاهات .

«وفى البداية كان تنظيم الطيران يتكون من عدد محدود من ضباط الطيران، وهم أساساً يشكلون الاتجاه الوطنى المستقل، كان منهم: عبد اللطيف البغدادى «مستقل» وجيه أباظة «مستقل». أو«وفدى» لا أعرف.

«بجانب اتصال مجموعة الطيران بفوزى القاوقجى أثناء حرب فلسطين ومحاولاته للاتصال بالألمان سواء عن طريق سعودى أبو علي، أو المعاونة فى تهريب عزيز المصرى.

أستطيع أن أقول لك إن الحس الوطنى كان موجوداً وكان عالياً فى سلاح الطيران... لأنهم بطبيعتهم كان عددهم محدوداً .

● **هل هؤلاء الضباط دخلوا فى تنظيم الضباط الأحرار؟**

- طبعاً . . لأن عبد الناصر لم يترك أحداً له ميول وطنية إلا وضمه للتنظيم . فكانت فكرته هى التجميع. ومن مزايا شخصيته القدرة على تجميع المدارس المختلفة.

أنا أتذكر أننى عندما التقيت به يوم ٢٢ يوليو العصر، كان معه كمال الدين حسين . . وكان معه صلاح نصر ، وأحمد شوقى الذى كان مرتبطاً بالنظام القائم

بشكل أو بآخر، فلم يترك أحداً أبداً لديه حس وطنى بعيداً عن تنظيم الضباط الأحرار . وطبعاً ضباط الطيران كانوا فى تنظيم الضباط الأحرار .

● عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو .. هل لديك فكرة عن دور وجيه أباظة فى الثورة؟؟

- فى ليلة الثورة بالذات ضباط الطيران جميعاً ، لم يكن لهم دور فى الحركة على الأرض، مثل الضباط الذين يذهبون لوحداتهم ويتحركون معها، مثلما حدث فى سلاح الفرسان أو المدفعية أو المشاة .فلم يكن للطيران هذا الدور ليلة الثورة.

❑ ❑ ❑

محمد البلتاجى عضو تنظيم الضباط الأحرار ، وزميل وجيه أباظة فى أول تجربة للحكم المحلى فى مصر حيث كان محافظاً للجيزة يقول :

«كنت أعرف جمال عبد الناصر من أكتوبر سنة ١٩٤٠ كنت أعمل فى أسوان ملازم ثان، وجمال عبد الناصر ملازم أول فى السودان.

وذات مرة وكنا نتناول الغداء فتبادلنا الحديث: فسألنى من أين أتيت؟

فأجبته... وسألته من هو ومن أين جاء؟

فقال: جمال عبد الناصر وقد أتيت من السودان .

سألنى: ومن أين جئت يا بلتاجى؟

قلت : من أسوان.

وبدأنا نتعارف سوياً وفى ذلك الوقت كان جمال يفكر فى الجيش والبعثة العسكرية والاستعمار . . إلى آخره .

وسألنى ـ وهو ملازم أول وأنا ملازم ثاني: هل يعجبك الجيش يا بلتاجى؟

قلت له : لا .

وأصبحنا نتحدث فى أشياء كثيرة، مثل سيطرة الإنجليز على الجيش ، وأنهم

مستعمرون يفعلون به مايريدون، وكـان ذلك محل استياء، وعدم رضا من القوات المسلحة.

«وبدأ الاتصال أثـناء حرب فلسطين . . كـان هو فى المنشيـة بجانب الفـالوجا، وعبد الحكيم عامر كان فى «عراق المنشية» . وأنا وإسماعيل فريد فى الفالوجا.

كنا نجلس سويا ٢٤ ساعة معا... وتعرضنا لهجوم من المستعمرات الجانبية.

«وبعد هذا الحصار تدعمت علاقتنا وأصـبحت قوية جداً، وعندما عاد إلى مصر فى فبراير ١٩٤٩ . بدأنا نتصل كأصدقاء وبدأنا نفكر فيما سنفعل بعد ذلك .

«فكر جمال عبد الناصر ومجموعته.

«وهم أعضاء مجلس قيادة الثـورة بعد ذلك فى الأحوال ، وكانوا ١١ فرداً هم قيادة الضباط الأحرار . وكانت فى كل سلاح مجموعة.

الطيران: البغدادى - وجيه أباظة - حسن إبراهيم - وجمال سالم.

المشاة : عبد الحكيم عامر - البلتاجى - رضوان - كمال رفعت - عبد الحكيم عبد العال - إسماعيل فريد . . . زكريا محيى الدين .

المدفعية: كمال الدين حسين .

المدرعات: حسين الشافعى - خالد محيى الدين .

كل سلاح يجتمع ويقرر من الذى يكون فى القيادة.

مثلاً... عبد الحكيم عامر من المشاة فى القيادة .

والمدفعية منها كمال الدين حسين وهكذا.

وكان هؤلاء يلتقون بعد ذلك بناءً على المعلومات والأخبار التى تصل من الخلايا المختلفة يدرسـون ويخططون ويطبعون المنشرات حتى تقرر القـيام بأى شىء لإنقاذ البلد من الفساد .

«ثم قمنا بالثورة ليلة ٢٣ يوليو وفى الساعة الواحدة مساءً كان الموضوع قد أصبح منتهياً .

«استيقظنا فى الصباح وكتب «البيان رقم ١» الساعة ٦ صباحاً، طلب منى جمال عبد الناصر أن أوفر له شخصاً يذيع البيان بحيث تكون له خلفية سياسية .

أذاع السادات البيان بصوته بعد ذلك وكان له تأثير كبير خاصة بعد إذاعة البيان الساعة ٧ صباحاً يوم٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

كانت جميع أرجاء مصر البلاد والمديريات والقرى توزع «شربات» فى هذا اليوم وفى الحقيقة إن الناس تفاءلت خيراً . . بهذا الوضع الجديد .

● **هل نفهم من هذا أنه كان هناك من أذاع بيان الثورة قبل أنور السادت ؟**

- نعم الضابط محيى الدين عبد الرحمن - رحمه الله هو أول من أذاع بيان الثورة .

❑ ❑ ❑

كانت المنشورات تطبع عند «حمدى عبيد» فقد استقر الرأى على أن تكون المطبعة فى بيته ، لأنه بعيد جداً عن الشبهات . .

ويقول إنه عندما وقع الاختيار عليه لتكون المطبعة في بيته انتقل للسكن فى حى شعبى .

«فقد بدأت أفكر فى تغيير مكان سكنى وفعلاً سكنت فى منطقة شعبية، بمحافظة الجيزة وكان يحضر إلى منزلى وجيه ، وخالد محيى الدين ونقوم بطبع المنشورات، ووجيه وخالد يأخذان هذه المنشورات، وأما الباقى فآخذه بسيارتى معى فى الصباح، وأنا ذاهب إلى القشلاق ، وكان هذا الأسلوب هو المتبع فى الطباعة .

❑ ❑ ❑

يفرق وجيه أباظة بين تنظيم الضباط الأحرار ، والتنظيمات الأخرى السابقة عليه داخل الجيش، ففى رأيه أنه كانت هناك تنظيمات مختلفة، ولكن ميزة جمال

عبد الناصر أنه جمع هذه العناصر كلها ، وصهرها فى تنظيم واحد، هو تنظيم الضباط الأحرار الذى ضم جميع الوطنيين داخل الجيش على اختلاف انتماءاتهم السياسية، قلت لوجيه أباظة :

• متى بدأ تنظيم الضباط الأحرار؟

ـ شوف أنا ها أقولك حاجة علشان مفيش حد يظلم تنظيم الضباط الأحرار، قبل تجميع الضباط الأحرار كان عندنا تنظيم، لكن فى نفس الوقت كان فيه تنظيم فى المدفعية، كانت هناك مجموعة، ويمكن المشاه عندهم تنظيم، كانوا يجلسون معاً فى الجبل ويتكلمون مع بعض .

وجمع جمال عبد الناصر كل هذه التنظيمات فى تنظيم واحد، وهذه عبقريته التى أظهرت مهارته، فقد استطاع أن يدخل هؤلاء جميعا فى تنظيم واحد، لا يعرف أحد منهم زميله فى التنظيم.

ذات مرة جلست مع المرحوم أحمد أنور فى كلية الطيران فى بلبيس، وكنت قد ذهبت لإجراء تحقيق هناك، واتكلمنا معه واتورطنا معاً فى الحديث ، قعدنا نلعن فى «ابو خاش» الملك وبعدين لما رحت قلت لهم بغدادى قال: ازاى تعمل حاجة زى كده .

قلت : والله اللى حصل

ثم اتضح أن أحمد أنور فى التنظيم ولا أحد يعرف ذلك .

كان جمال عبد الناصر يجمع كل الخيوط فى يديه ، وكان هو الذى يعرف جميع الأعضاء .

هو عارف وجيه أباظة سيعمل معه أربع خمس شهور، وبعد كده عارف عبدالله إمام يقعد قد إيه. . ويعرف فلان مرحل و . . . ميقدرش يتحمل بعد كده وهكذا.

عارف إن فلان الفلانى يمكن يحط إيديه عليه فترة وبعد كده هو مش هيقدر وهيمشى . .

ما يقال من أن تنظيم الضباط الأحرار نشأ وتجمع أثناء حرب فلسطين غير صحيح، فقد نشأت فكرته فى أواخر عام ١٩٤٨، واستقر التنظيم سنة ٤٩ على أصوله .

● عندما كنتم تقومون بإمداد الجيش المصرى بالذخيرة كنتم أعضاء هذا التنظيم؟

ـ أنا أعرف عبد الحكيم عامر و صلاح سالم ولم يكن التنظيم قد تكون بعد.

● كيف علمت أن هناك تنظيم اسمه الضباط الأحرار؟.

ـ داخل الطيران كان لنا التنظيم الذى حدثتك عنه ولم يكن بهذا الاسم، وعندما جاء تنظيم الضباط الأحرار انضممنا كلنا إليه من الأول وكنا نعرف كل الاتصالات وكل حاجة كنت أعرفها على أساس أننا كنا لجنة واحدة، دخلنا كلنا تنظيم الضباط الأحرار.

● استمرت صلتك بخالد محيى الدين؟

ـ الشخصية نعم... الصلة التنظيمية انقطعت فلم تكن هناك صلة تنظيمية.

●ولا صلة تنظيمية بأنور السادات ؟

ـ ولا أنور السادات .

●كنت تعرف أنهما فى الضباط الأحرار ؟

– خالد محيى الدين أعرف... لكن أنور السادات كان فيه شك من ناحيته خصوصاً بعد حكاية أمين عثمان والنحاس باشا وكان موقفه ضعيف لم يكن هناك... عمار أو صلة.

شوف أنا عايز أقولك حاجة، أنا عمرى ما عرفت أكره حد صحيح، لكن فيه ناس ما اكرهومش لكن ما احترمش تصرفاتهم.

قرر تنظيم الضباط الأحرار أن يدخل فى معركة ساخنة مع الملك وأن يخوض انتخابات نادى ضباط القوات المسلحة، كنوع من التحدى، ولاختبار القوة.

وكان نادى ضباط الجيش فى الزمالك، يحتل القصر الذى كان يقيم به السردار الإنجليزى للجيش المصرى من قبل، وظل مقيما به، حتى مصرع «السيرلى ستاك» سردار الجيش المصرى عام ١٩٢٤ .

وكان آخر من أقام به هو «سفنكس باشا» سردار الجيش المصرى، وقد أخلى بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وتقرر أن يتحول إلى مقر لنادى الضباط ابتداء عام

١٩٣٨.

وكان حيدر باشا رجل الملك، ومدير مصلحة السجون التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية، وعندما التصق بالملك عينه وزيراً للحربية، وإرضاء له نقل تبعين مصلحة السجون إلى وزارة الحربية، لتكون تابعة له أيضاً...

كان حيدر باشا يسيطر على النادى، فقد ظل يحتكر منصب رئاسة النادى.

ووقعت مفاجأة إذ تخلى حيدر عن موقعه، وقرر الملك ترشيح «حسين سرى عامر» ومجموعة لعضوية رجاله فى مجلس ادارة النادى..

وكان هذا القرار الملكى يمثل تحديا سافراً للجيش، فقرر الضباط الأحرار أن يتصدوا له، وأن يخوضوا معركة انتخابات النادى ضد رجال الملك بقائمة تضم بعض الضباط أعضاء التنظيم، وبعض الضباط الوطنيين، وأقنعوا محمد نجيب أن يرشح نفسه لرئاسة مجلس إدارة النادى، وأنهم سيكونون وراءه.

وجاءت النتيجة مذهلة، لم ينجح حسين سرى عامر، ولا أحد من قائمته واكتسحت قائمة الضباط الأحرار، وأصبح محمد نجيب رئيساً للنادى، وحصل زكريا محيى الدين على أعلى الأصوات، وفاز من قائمة الضباط الأحرار: حسن إبراهيم - رشاد مهنا - وإبراهيم عاطف الذى عين سكرتيراً للنادى.

الكاتب الصحفى حلمى سلام كان وثيق الصلة بتنظيمات الجيش فى تلك الفترة، وفى حوار طويل معه، اقتطع منه هذه الأجزاء حول بداية تنظيم الضباط الأحرار، قال لى: لقد تعرفت عليهم كمجموعة عن طريق عبدالحميد الدغيدى - رحمه الله - وكان صديقاً لأخى الأكبر، وكان يتردد عليه ويزوره، فتعارفنا من خلال هذه الزيارات. ثم فى مرحلة تالية قال عبدالحميد الدغيدى: ان عبداللطيف البغدادى يريد أن يراك وسألته عن عبداللطيف البغدادى لأننى لم أكن أعرفه.

«فقال لى: إن عبداللطيف البغدادى قائد التنظيم السرى فى السلاح الجوى، وأنا عضو فيه، وثقتنا فيك وفى وطنيتك كبيرة جدا، وهذا السلاح فيه فساد كبير جدا مثل الأسلحة الفاسدة فى القوات المسلحة كلها. ونريد من يتبنى الحملة على الفساد فى سلاح الطيران، لأننا تعبنا من المقاومة الداخلية، ونريد أن نحول القضية الى قضية رأى عام، بحيث يتبنى الرأى العام المقاومة، لذلك لابد أن تدخل الصحافة فى هذه القضية، وقد وقع عليك الإختيار.

فقلت له: إنه يسعدنى جدا أن ألتقى به

«وفعلا جاء البغدادى وحسن ابراهيم مع الدغيدى والتقينا مرات عديدة ووضعوا أمامى المعلومات الخاصة بهذه الأمور، ثم دخل وجيه أباظة فى الخط.

«فقد جاء البغدادى مرة، ومعه وجيه أباظة، وانعقدت أواصر الصداقة بينى وبين وجيه، كان وجيه ودودا جدا... وإنسانا يدخل قلبك بسرعة. لذلك نشأت معه علاقة شخصية أكثر من الأخوة البغدادى وحسن ابراهيم.

«فقد كنت ألتقى معهم، عندما تكون لديهم معلومات، إنما بالنسبة لوجيه فكان يتردد على دائما.

«عنده معلومات يحضرها مكتوبة، ويجلس معى، ليست لديه معلومات يزورنى أيضا..

«وفى سنة ١٩٥٠و ١٩٥١ كان لوجيه أباظة دور كبير جدا فى الهجوم على ثكنات الجيش البريطانى فى منطقة قناة السويس، وكانت هناك مجموعة كمال رفعت ولطفى واكد ومعهما محامى اسمه عبدالحميد صادق.

«وكان وجيه قد حدثنى كثيراً عنه، وذات مره رأيت عبدالحميد صادق مع وجيه أباظة حضرا هما الاثنان سويا، فكان لهما دور كبير فى الهجوم على المعسكرات البريطانية وفى دعم الفدائيين بالأسلحة التى ينهبونها من ثكنات الجيش البريطانى وهذا دور من أعظم أدوار وجيه أباظة.

«طبعا علاقة وجيه بالضباط الأحرار قديمة جدا، من أول تشكيل للضباط الأحرار فى السلاح الجوى، وهذا يرجع إلى الأربعينات أى سنة ١٩٤٢، تقريبا وهو مرتبط بهذه التنظيمات كان ولاؤه الوطنى شديداً رغم أنه يبدو منصرفا عن هذه الناحية، لكن فى الحقيقة هو رجل من الطراز الأول.. المصرى.. الشهم فى جميع تصرفاته. ومواقفه مع عبد الحميد الدغيدى التى رواها لى الدغيدى بنفسه تدل على ذلك. وهى كثيرة، ولا أريد أن أتحدث عنها.

ويعود حلمى سلام إلى بداية العلاقة مع وجيه أباظة فيقول: «ن الدغيدى كان فى ذلك الوقت مدير مدرسة ميكانيكا الطيران وكان الحديث عن هذه المدرسة حلقة من الحلقات التى كتبها عن الفساد المعلومات الواردة فى الحلقة كلها كان قد كتبها لى وجيه بخط يده.

«جاءنى شخص فى دار الهلال، وكلمنى تليفونيا من الاستعلامات ليقول لى أنه من طرف عبدالحميد الدغيدى، ومعه معلومات.

فقلت له: أنا لا أعرف أحد اسمه عبدالحميد الدغيدى.

فقال كيف يافندم إنه هو الذى أرسلنى

فقلت له: أنا لا أعرف أحداً بهذا الاسم، وليس لدى استعداد أن آخذ أى معلومات من شخص لا أعرفه.

«إقدام وجيه أباظة على كتابة هذه المعلومات بخط يده خطورة كبيرة، صحيح أنه كانت هناك ثقة لكن ربما تحت أى ظرف أن يقبض على أو أعذب وأضطهد وأفشى السر.

«ذات مرة كلمونى فى التليفون يريدون الالتقاء بى فى الشارع، وحددوا لى مكاناً فى شارع الخليفة المأمون أمام محطة الاتوبيس المواجهة لكلية أركان حرب فسيمر على البغدادى الساعة التاسعة، وطلبت من صديق لى أن ينزل معى ويأخذ رقم السيارة التى سأركبها فالجو كان به غيوم كثير، وعبدالقادر طه فإن قد قتل، ومعروف دور الملك والحرس الحديدى وكل هذه الأشياء نزلت من بيتي، ووقف فى هذا المكان حتى جاء عبداللطيف البغدادى يقود سيارته «الستروين السوداء» ومعه حسن إبراهيم.

«حسن إبراهيم كان هو الآخر مثالاً للمصرى خالص المصرية، فتح باب السيارة وقال لى: بسرعة اركب اركب.. فركبت وسار البغدادى حتى وجدته داخل صحراء مصر الجديدة.. لقد سبق أن زرت البغدادى فى بيته وكان يقيم فى «تريمف».

«وحضرت أكثر من اجتماع عنده فى البيت أدركت أن الطريق الذى نسير فيه إلى بيته، وأننا متجهون ناحية الصحراء، فظللت متماسكا لفترة ثم داخلنى الخوف فكل شيء وارد .

«وقلت للبغدادى: إلى أين سنذهب يابغدادى... ففهم ذلك لأنه ذكى.

«وقال لى: أنت خائف؟

«قلت: إن هذا الطريق ليس طريق منزلك.

«فرد علّي: لاتخف اطمئن نحن ذاهبان إلى منزلك ولن نقتلك... البوليس

الحربى والسلاح الجوى منتشر جدا فى مصر الجديدة، وهم يعرفوننى وقد يكون فيهم بالمصادفة من يعرفك، فيصبح التخفى بلا فائدة، وسنذهب لمنزلك من الباب الخلفى، حيث لايوجد بوليس حربى تابع للطيران.

«هكذا كانت العلاقة بينى وبين وجيه أباظة السبب فيها عبداللطيف البغدادى، ومجموعة عبدالحميد الدغيدى، ومحمد شوكت، وحسن إبراهيم.

ولكن العلاقة استمرت بينى وبين وجيه أباظة حميمة على نفس الدرجة من الصداقة بعدما وأمتدت حتى أصبح فى الشئون العامة.

● فى سنة ١٩٥١ بعد إلغاء المعاهدة هل كانت هناك علاقة بينكما؟

كانت العلاقة مستمرة، وكنت أعرف طبعا ماذا يفعل، ولكن لم تكن لدى معلومات تفصيلية خاصة بملف العمليات، ولكنى أعرف أيضا أن جمال عبدالناصر كان على رأس هذا كله، ووراء كل مايجرى فى منطقة القنال من خلال الضباط الأحرار.

● هناك نقطة خارج الموضوع، ولكنى أريد أن أستفسر عنها، خاصة بتنظيم الطيران الذى كان فيه البغدادى ووجيه أباظة وغيرهما، لقد التقيت مع عدد من الأشخاص يقولون أن «عبدالعزيز على» كان قائد التنظيم، وأن تنظيم الطيران لم يكن مستقلا، ولكنه جزء من تنظيم أقامه عبدالعزيز على؟

ـ ما أعرفه أن تنظيم الطيران مستقل تماما، داخل السلاح الجوى، وأنا أعرف واقعة رواها لى صلاح سالم من خلال أخيه جمال سالم الذى انضم إلى هذا التنظيم السرى فى سلاح الطيران سنة ١٩٤٢، واستمر يجند بعض العناصر وظل التنظيم ويكبر ويقوى فى انتظار الساعة التى يقوم فيها بعمل كبير، قال لى إنه علم من بالتنظيم الموجود فى السلاح الجوى وكانت الرؤية عندهم أن القوات البرية بدون القوات الجوية لاتستطيع أن تفعل شيئا، وأن القوات الجوية من غير القوات البرية لاتستطيع أيضا عمل شىء.

«القوات الجوية تدمر لكن لاتحتل مواقع، وهم يريدون احتلال مواقع، مثلاً احتلال الإذاعة والمواقع الأخرى وهو من صميم عمل القوات البرية كما حدث عندما حلقت طائرات الطيران فوق الملك، وأفزعوه وأرعبوه.

«صلاح سالم أخبر جمال عبدالناصر أن هناك تنظيماً فى السلاح الجوى، وأن

هذا التنظيم على رأسه ضابط اسمه عبداللطيف البغدادى، فطلب مقابلته.

وهذه من الأشياء التى بقيت فى نفس عبدالناصر وكانت حاجزا بينه وبين عبداللطيف البغدادى بحيث يقربه منه مرة... ومرة يبعده.

لقد قال عبدالناصر أريد أن أرى عبداللطيف البغدادى لنتكلم بخصوص دمج التنظيمين لأنه لاغنى لأحدنا عن الآخر.

فقال له صلاح سالم: سأبلغ البغدادى.

وذهب صلاح إلى البغدادى ليقول له إن جمال عبدالناصر قائد التنظيم السرى للقوات البرية يريد أن يراك.

رفض البغدادى وقال: أنا صاحب التنظيم الأقدم، يأتينى عبدالناصر هنا، وأنا لا أذهب عنده.

وبالفعل ذهب إليه عبدالناصر... وحدث التلاقى والالتئام.

• إذن تنظيم عبدالعزيز على لم تكن له علاقة له بتنظيم الجيش؟

ـ نعم لا علاقة له بتنظيم الجيش.. وعلى هذا الأساس كان البغدادى حريصا على مكانه كشريك فى الثورة له ثقله، وكان هذا يؤرق عبدالناصر قليلا، لأن عبد الحكيم هو الرجل الثانى من خلال المودة الشديدة التى كان يحملها له، وكان حريصا على أن يبقى كذلك، فتجد بغدادى على يمينه مرة، وأخرى على شماله... وكان هناك شد وجذب وطبعا انسلاخ البغدادى مبكراً يدل على أن المسائل كانت صعبة وليست سلسة ولا طبيعية.

وإنما لاشك أن تنظيم مجموعة الطيران سابق على تنظيم القوات البرية، وسابق أيضا على التنظيم المدنى وهو تنظيم عبدالعزيز على...

ويقول لطفى واكد عضو تنظيم الضباط الأحرار: عندما عادت القوات التى كانت محاصرة فى جيب الفالوجة فى عام ١٩٤٩ كان بينها البكباشى جمال عبدالناصر الذى نال سمعة طيبة بشجاعته وكفاءته وعلاقاته الإنسانية مع الضباط أثناء القتال.. وكأنما كان القدر يعد عبدالناصر لهذا الدور التاريخى بتأسيس وقيادة حركة الضباط الأحرار فإن وجوده فى منطقة عراق المنشية أثناء الحصار وقبله قد أتاح له فرصة اكتشاف معادن الرجال واختبار شجاعة كل منهم وصدقه وصلابته.

«لقد كان عبدالناصر من الذكاء واللباقة بحيث جعل اليمين يضع فيه أملاً

واليسار يضع فيه أملاً ولا يتورط هو بأى التزام.

«قام تنظيم الضباط الأحرار وأخذ يتزايد.. وكان عبدالناصر يتحرى فى الضابط الذى يضمه للحركة أن يكون وطنيا شجاعا جديرا بالثقة ـ أما لونه السياسى فلم يكن أمرا مطروحا ـ وكان منطقه فى ذلك أن هذه الحركة تستهدف القضاء على الاستعمار وأعوانه وعلى الملك وأعوانه وأن هذه الأهداف لن يختلف عليها ضابط وطنى ـ سواء كانت جذوره الفكرية مستمدة من الإخوان المسلمين ـ أو من الحزب الاشتراكى «مصر الفتاة» أو من الماركسيين ـ أو من المدرسة الليبرالية ـ لقد أصبح تنظيم الضباط الأحرار تجسيدا لجبهة وطنية تتكون بطريقة سرية فى الجيش وتضم نماذج من جميع المذاهب والتيارات السياسية القائمة فى الحركة الشعبية.

بدأ عبدالناصر يشعر بالخطر الذى يتهدد الحركة نتيجة لما فى صفوفها من تناقضات. فقد كانت اللجنة التأسيسة للضباط الأحرار والتى تكونت حسب ترتيب شكلها من جمال عبدالناصر وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين.. ثم عبدالحكيم عامر.. ثم عبدالمنعم عبدالرؤوف.. ثم صلاح سالم وعبداللطيف البغدادى.. ثم جمال سالم وأنور السادات ـ وكانت هذه اللجنة تحتوى أقصى اليمين ممثلا فى عبدالمنعم عبدالرؤوف الإخوانى وأقصى اليسار ممثلا فى خالد محيى الدين الماركسى.. وكان العنصر اليمينى هو الغالب فى هذه اللجنة.

«وفى نفس الوقت كانت مجموعة الضباط الأحرار المرتبطة بعبدالناصر شخصيا تتكون فى الغالب من عناصر ديمقراطية ذات ميول يسارية.

«وقد توصل عبدالناصر فى سنة ١٩٥٠، لحل التناقضات بين القيادة والقاعدة وبين القيادة وبعضها البعض الى وضع ميثاق من ستة بنود يرتبط به الجميع.. رضى به اليمين الوطنى.. وقبلة اليسار الوطنى مرحليا، وتحمس له الوسط الديمقراطى الليبرالي. وسمى هذا الميثاق أهداف الضباط الأحرار التى تنص على:

١ـ القضاء على الاستعمار وأعوانه الخونة من المصريين.

٢ ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم.

٣ ـ القضاء على الإقطاع.

٤ ـ إقامة عدالة اجتماعية.

٥ ـ إقامة جيش وطنى قوى.
٦ ـ اقامة حياة ديمقراطية سليمة.
وبذلك يتم توحيد تقريبى لأهداف نضال الحركة.
بدأت حركة الضباط الأحرار تجهز للانقلاب الثورى وكان أول ماتنبه له عبدالناصر قبل الدخول فى ترتيبات التحضير للثورة هو تنقية تنظيم الضباط الأحرار من العناصر ذات الولاء المزدوج مع الإخوان المسلمين، فاستدعى جميع الضباط الأحرار الذين لهم نوع من الارتباط مع هذه الجماعة، وطلب من كل منهم تحديد موقفه فإما قطع الصلة مع الإخوان المسلمين أو مع الضباط الأحرار.. وقد حدد كل ضابط موقفه وكان من الذين صمموا على استمرار الارتباط بالإخوان المسلمين عبدالمنعم عبدالرؤوف عضو اللجنة التأسيسة فتقرر فصله.. وبذلك انقطعت كل صلة للإخوان بحركة الضباط الأحرار.

❑ ❑ ❑

كان تنظيم الضباط الأحرار...
هو الذى قاد أكبر معركة ضد القوات البريطانية الموجودة فى منطقة القناة..
وكان وجيه أباظة..
هو قائد هذه العمليات..
لقد كان قائد الفدائيين.

النضال الوطنى ١١

الفدائيون

يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ وقف مصطفى النحاس رئيس حكو مة حزب الوفد فى البرلمان بمجلسيه النواب والشيوخ يعلن إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦.

وقال كلمته المشهورة: أنه وقع المعاهدة من أجل مصر ، وأنه من أجل مصر يطالب النواب بالموافقة على إلغائها .

قدم للبرلمان مشروعات القوانين التى تقضى بإلغاء المعاهدة التى سبق أن وقعها هو نفسه سنة ١٩٣٦.

وقد وافق البرلمان وسط موجة من الحماس على القوانين التى تقضى بإلغاء المعاهدة .. وأصبحت لاغية رسمياً من وجهة النظر المصرية.

وبدأت مرحلة جديدة من المقاومة ضد القوات البريطانية الموجودة فى منطقة القناة ..

ترك العمال المصريون جميعاً العمل فى المعسكرات البريطانية .

امتنع عمال السكك الحديدية عن نقل الجنود البريطانيين ومهماتهم، كما رفض سائقو القطارات الرحلات التى كانت مخصصة لنقل القوات البريطانية العمل فى هذه القطارات فتوقف سيرها.

امتنع عمال الشحن والتفريغ فى الموانئ المصرية عن تفريغ البواخر البريطانية .

رفض المتعهدون ، وموردو الأغذية للقوات البريطانية توريدها .

يقول وجيه أباظه: أنه بعد إلغاء المعاهدة « قابل الشعب هذا القرار العظيم بحماس منقطع النظير وبروح قومية ، ووحدة وطنية لم تشهد لها البلاد مثيلا من قبل . وانتظر الشعب أن تقوم الحكومة بتوجيه القتال ضد الإنجليز ، لا سيما أن حكومة الوفد قد أعلنت أنها أعدت لكل شىء عدته .. والواقع أن الحكومة لم تكن مستعدة لأى مواجهة عسكرية مع الإنجليز .. لهذا فقد تحرك الشعب متجاهلا التحفظات الرسمية.

«بدأ الشعب حركته بعد أن قامت وزارة الوفد بسحب العمال الذين كانوا يعملون فى المعسكرات البريطانية عددهم٦٠ ألف عامل وموظف .. وأخذت تعمل على توظيفهم.

«وامتنع سائقو القطارات عن نقل الجنود والمعدات البريطانية.

«وأضرب بعد ذلك عمال الشحن والتفريغ فى الموانىء المصرية عن تفريغ أية حمولة لبريطانيا .

«ولم يكتف الشعب بذلك بل امتنع المتعهدون والموردون الذين كانوا يمولون

الإنجليز- بالرغم من الأرباح التى كانوا يحصلون عليها . . وكانت هذه المقاطعة الجماعية الرائعة دليلا على وعى الشعب وتصميمه على مقاومة الاستعمار وعدم التعاون معه، والصمود فى وجهه ومحاربته بكل الوسائل مهما تكن الخسائر فى الأرواح والأموال .

«وقد سببت مقاطعة المصريين للقوات البريطانية فى منطقة القناة عرقلة لمواصلاتهم وبالتالى أعمالهم .وشاعت الفوضى فى حياتهم اليومية وخسروا ملايين الجنيهات ، مما اضطرهم إلى جلب عمال وموظفين من انجلترا والبلاد الموالية لهم .

«واستعانوا للتغلب على مشكلة التموين باستيراد بعضها من الخارج بأسعار خيالية .

«ونزلت المصفحات والرشاشات وأطلقوا الرصاص على المتظاهرين .

«ثم قامت القوات البريطانية، فى اليوم التالى لهذه المظاهرات بالهجوم على قوة من الجيش المصرى كانت تعسكر بجوار كوبرى الفردان، واعتدت عليها بعد أن استولت على الكوبرى قتلت بعض الجنود المصريين ثم أسرت باقى القوة.

«وأستطيع أن أقول إن منطقة القناة كانت قد احتلت بأكملها بالقوات الإنجليزية التى فرضت ستارا حديديا عليها . . وعزلت المدن والقرى عن بقية القطر . . ثم بدأت الدوريات الإنجليزية فى القبض على الموظفين والجنود.

وبذلك سادت منطقة القنال حالة من الفوضى والذعر والإرهاب التى لم يسبق لها مثيل وكان هناك عدد من الضباط الوطنيين الذين لعبوا دوراً هاماً فى دعم المقاومة من بينهم عبد الكريم درويش وحسن طلعت وغيرهما. هذا هو تشخيص وجيه أباظة لما حدث. كشاهد على كل الوقائع التى عاشها ساعة بساعة، بل دقيقة بدقيقة.

عندما بدأت مرحلة الكفاح المسلح ضد الاستعمار .. تغيب وجيه أباظه عن عمله فى القوات الجوية ، وتفرغ لقيادة الفدائيين فى منطقة القناة .

وكان موقعه، وحركته ، وعمله بين الشرقية ، والإسماعيلية، حيث نظم علميات المقاومة الشعبية،وكان يقود الفدائيين الذين كانوا يضمون عدداً من الكتائب من شباب الأحزاب السياسية المختلفه ، وخاصة الحزب الوطنى ، ومصر الفتاة، وحزب الوفد . بينما أجمع كل الذين عاصروا المرحلة أن الإخوان المسلمين لم يشاركوا فى معارك القناة.

❑ ❑ ❑

وكانت جمعية الإخوان المسلمون قد تأسست سنة ١٩٢٨ كجمعية دينية يرأسها حسن البنا الساعاتى الذى كان يعمل مدرساً فى مدرسة بالإسماعيلية بعد أن تخرج من كلية دار العلوم.

وقد اختلف الأعضاء المؤسسون مع حسن البنا، حول قبوله تبرعاً من شركة قناة السويس الاستعمارية ، فى بداية إنشاء الجمعيةوربما هذا هو الذى أثار عديداً من التساؤلات حول بداية الأخوان المسلمين فى الإسماعيلية بالذات حيث جنود الاحتلال، وحيث المقر الرئيسى لشركة قناة السويس الاستعمارية، وخاصة أن الهدف فى ذلك الوقت كان محاربة الشيوعية، وكان الدين هو أول والجح الوسائل فى هذه المواجهة.

وكان حسن البنا شخصية تاريخية فذة، استطاع أن يقيم تنظيما قويا ، وفعالاً سرعان ما انتشر فى كل أنحاء البلاد ، ثم اتجه بالجمعية الدينية إلى السياسة .. وكوّن جهازاً سرياً مسلحاً داخل الجمعية ، قام بدور فعال فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، ولكن هذا التنظيم السري، اتجه لتكوين مخابرات خاصة وأقدم على ارتكاب حوادث اغتيالات ، ونسف ، وتدمير ، أدت إلى صدور قرار بحل جمعية الإخوان عقب قيامهم بمقتل محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء، ورغم أن حسن البنا قد استنكر هذا الاغتيال وقال واصفاً الذين قاموا به بأنهم «ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين» إلا أن الكتب التى أصدرها أعضاء هذا الجهاز السرى أخيراً،

اعترفوا بأنهم خططوا لهذا العمل ووصفت كيف قاموا به وكذلك تحدثت عن أسلوبهم فى صنع القنابل والمفرقعات، وأيضا التجسس على الأحزاب.

وكان عبد الرحن عمار وكيل وزارة الداخلية لشون الأمن قد أعد مذكرة عقب

عدة انفجارات فى المحلات التجارية ، قال فيها أن الجماعة ترمى إلى الوصول إلى الحكم بالقوة والإرهاب ، وأنها اتخذت الإجرام وسيلة لتنفيذ أهدافها ، وقد دربت شباباً من أعضائها أطلقت عليهم اسم «الجوالة» ، وأنشأت لهم مراكز رياضية تقوم بتدريبات عسكرية ، وأخذت تجمع الأسلحة والقنابل والمفرقعات وتخزنها وساعدها على ذلك ظروف حرب فلسطين.

واستعرض الحوادث التى قامت بها الجماعة ، وانتهى إلى أن وجودها أصبح خطراً يهدد الأمن العام والنظام تهديداً بالغ الخطر، وأنه بات من الضرورى اتخاذ التدابير الحاسمة لوقف نشاط هذه الجماعة التى تروع أمن البلاد فى وقت هى أحوج ما تكون إلى هدوء كامل ، وأمن شامل، ضماناً لسلامة أهلها فى الداخل وجيوشها فى الخارج ».

واستند محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء الحاكم العسكرى على هذه المذكرة وأصدر أمراً عسكريا فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ بحل جمعية الإخوان المسلمين ، ومصادرة أموالها وإغلاق الأمكنة المخصصة لنشاطها.

ولم يكن معروفاً حتى ذلك الوقت أن فرق الجوالة ، هى تغطية لنشاط الجهاز السرى المسلح التابع للجميعة وأنها الطريق للانضمام لهذا الجهاز وبعد التدريب العلني، يبدأ نوع جديد من التدريبات السرية.

بعد اغتيال النقراشى ، تولى إبراهيم عبد الهادى الرجل الثانى فى حزبه «السعديين» رئاسة الوزارة.

وانتقاماً لمقتل النقراشى فقد قام الأميرآلاى محمود عبدالمجيد مدير المباحث الجنائيه بتدبير اغتيال حسن البنا رئيس الجمعية أمام مقر جمعية الشبان المسلمين وسوف تلقى الثورة - فيما بعد - القبض على الجناة وتقدمهم للمحاكمة وتصدر

أحكام على أحمد حسين جاد الأشغال الشاقة المؤبدة، وكل من الباشجاويش محمد محفوظ محمد والاميرالاي محمود عبد المجيد بالأشغال الشاقة خمسة عشر عاماً.

وعندما جاء حزب الوفد إلى الحكم عام ١٩٥٠ ، سقط الأمر العسكرى بحل الجماعة وعادت إلى ممارسة نشاطها كجمعية دينية...

وبعد اغتيال حسن البنا اختارت الجماعة مرشدا جديدا من خارج أعضائها، هو المستشار حسن الهضيبى المتزوج من شقيقة نجيب سالم ناظر الخاصة الملكية ، وابنه متزوج من بيته، وقريب عمر حسن رئيس القسم المخصوص بوزارة الداخلية وعبد اللطيف طلعت، وحسن يوسف رئيس الديوان بالنيابة. . وبدأت الجمعية علاقات حميمة مع الملك، حيث كانت الحركة الوطنية قد وجهت أهدافها نحو اسقاط الملك، الذى ظهر فساده وعبثه بالحياة السياسية. . وقد التقى به الهضيبى أكثر من مرة فى عز غليان الشعب ضده ، وعندما سأله أعضاء الجماعة عن سبب هذه الزيارات اكتفى بقوله «إنها زيارات نبيلة لملك نبيل».

لذلك لم يكن سهلا أن يشارك الإخوان المسلمون فى الكفاح المسلح ضد الانجليز فى منطقة القناة عقب إلغاء المعاهدة.

ووفقاً لرواية فتحي العسال مراقب المركز العام للإخوان والذي كان قريباً جداً من حسن البنا بأن الملك اشترط على الهضيبي عند مقابلته «عدم خوض الإخوان معركة ضد الإنجليز، ووعده بتولى الوزارة، لذلك كان المرشد العام الجديد يصرح دائماً بأن الإخوان لن يحاربوا الانجليز وليس لهم دخل بهدا العاده.

ويقول إن الإخوان راح لهم بعض الشهداء في تلك المعارك، وقد شارك البعض فيها من خلف ظهر المركز العام للإخوان، وبالمخالفة لتوجيهات مكتب الإرشاد.

وعندما سأل مندوب احدى الصحف[1] المستشار حسن الهضيبى عن واجب شباب الإخوان خلال مرحلة الكفاح المسلح قال : « وهل تظن أن أعمال العنف تخرج الانجليز من البلاد ، إن واجب الحكومة اليوم ، أن تفعل ما يفعله الإخوان من تربية الشعب ، وإعداده، وذلك هو الطريق لإخراج الإنجليز».

(١) جريدة الجمهور المصرى ١٥ أكتوبر ١٩٥١

وخطب المرشد العام حسن الهضيبى فى شباب الاخوان قائلاً:

«اذهبوا ، واعكفوا على تلاوة القرآن الكريم ».

وقد رد عليه خالد محمد خالد[1] قائلا : «الإخوان المسلمون كانوا أملاً من آمالنا ، لم يتحركوا ، ولم يقذفوا فى سبيل الوطن بحجر، ولا طوبه، وحين وقف مرشدهم الفاضل يخطب منذا أيام فى عشرة الاف شاب قال لهم : اذهبوا ، واعكفوا على تلاوة القرآن الكريم ، وسمعت مصر المسكينة هذا التوجية فمزقت صدرها بيدها وصاحت يا كبدى . . أفى مثل هذه الأيام يدعى الشباب للعكوف على تلاوة القرآن الكريم ، ومرشد الإخوان يعلم أولا يعلم أن رسول الله وخيار الصحابة معه تركوا صلاة الظهر والعصر من أجل معركة . . إلخ ».

واجتمع لفيف من شباب الإخوان واتخذوا قرارات بأن العودة إلى المفاوضات جريمة، وطالبوا بتحريم التعاون مع الإنجليز ، وإلغاء القوانين المقيدة للحريات ، ولكن المرشد العام رد عليهم قائلا لجريدة المصرى « لا نتيجه لقرارات تصدر عن غير المركز العام للإخوان المسلمين» (٢)

« وصرح رئيس شعبة الإخوان بالسويس بأنه «ليس للإخوان أى نشاط فى حركة المقاومة.

وأثار هذا التصريح جدلا بين بعض قادة الاخوان مثل الشيخ محمد الغزالى الذى عارض هذا التصريح، وسيد قطب الذى قال إن مسئولية التعبير عن رأى الإخوان ملقاة على عاتق المرشد العام وليس على سواه. .

عقب حسن الهضيبى على هذا الجدل منتقدا كثرة الحديث عن موقف الإخوان ومتسائلا «كأن شباب مصر كله قد نفر إلى محاربة الإنجليز فى القنال، ولم يتخلف إلا الإخوان المسلمون»

وكتب كمال رفعت فى كتابه (حرب التحرير الوطنية) أن أحد الفدائيين عندما ذهب إلى الشيخ فرغلى مسئول الإخوان فى الإسماعيلية يسأله عن موقف الاخوان من احتلال الانجليز للمدينة فقال.

---

(١) روزاليوسف ٢٦ أكتوبر ١٩٥١

(٢) كتاب الإخوان بين عهدين

«نحن لسنا على استعداد لتحمل تهور النحاس ولا يمكن أن نضحى بأولادنا من أجل الوفد.. الوفد عملها وعليه أن يتحمل نتائجها.. وما حدث فى الأيام الماضية كلام فارغ، وقد راحت الناس ولا أحد يدرى بها.. كما أن الانجليز لا يمكن أن يخرجوا بالاتفاق مع الوفد وحده، فهو حاليا لا يخيف الانجليز لأنهم يعلمون أن هناك قوة ثانية فى البلد هى الإخوان، فإذا لم يقتنع الوفد بقوتنا فلن تفلح أى محاولة له، وعلينا أن نترك الوفد يغرق وحده وينتهي».

ويقول كمال رفعت أنه كان لدى الإخوان أسلحة كثيرة مخبأة لم تستخدم فى القتال ضد الانجليز.

جميع الذين التقيت بهم من الذين ساهموا فى العمل الفدائى نفوا مشاركة الإخوان فى مرحلة ما بعد إلغاء المعاهدة فى أى من العمليات الفدائية التى قاموا بها.

❑ ❑ ❑

يقول وجيه أباظه وكان قائداً للمجموعات الفدائية: أننى اتحدى أن يواجهنى أى واحد من الإخوان المسلمين ويقول أنه شارك فى العمل الفدائى فى ذلك الوقت.

فيما بعد سوف يكون للإخوان قصة طويلة مع ثورة يوليو، بدأت منذ اليوم الأول ، عندما حاولوا أن يفرضوا وصاية عليها .

ويقول حسين الشافعى : إن الإخوان لم يكن لهم دور فى الثورة ولم يكن من بين الضباط الأحرار من هو مرتبط فعلاً بالإخوان.

لقد كنا متدينين ، وربما مر بعضنا بجمعية الإخوان ، ولكن شروط الانضمام لتنظيم الضباط الأحرار ، كانت عدم الارتباط بأى تنظيم غيره.

ويقول كمال الدين حسين : إن الإخوان كتنظيم لم يكن لهم علاقة بثورة يوليو

وكانت الثورة قد جاملت الإخوان واستثنتهم من قانون حل الأحزاب السياسية على أساس أنهم جمعية دينية ، ولكنهم اختلفوا مع الثورة ، وحاولوا اغتيال جمال عبد الناصر».

وقد قال بعضهم فيما بعد ـ إن هذه الواقعة ملفقه ، بيد أن الرصاصات التى

أطلقت أخطأت جمال عبد الناصر ، وأصابت آخرين ، وكذلك هناك التحقيقات ، واعترافات المتهمين والمحاكمات العلنية، وأيضا ما نشره محمد حسنين هيكل من وثائق خطاب بخط يد الهضيبي إلي جمال عبد الناصر، ورسالة بخط يد محمود عبد اللطيف الذى أطلق الرصاص على عبد الناصر تثبت صحة حادثة الاعتداء فى كتابه ملفات السويس..

وقد صدرت أخيراً كتب تعترف بوجود الجهاز السرى ، وتشرح عملياته، ومنها يستطيع المرء أن يتبين صحة ما نسب للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤ أما عام ١٩٦٥ فقد نشروا كثيراً من المؤلفات أخيراً يعترفون فيها بأنهم وضعوا خططا للقتل والنسف والتدمير إلى جانب اغتيال جميع أعضاء مجلس الثورة والمحافظين ومذيعات التليفزيون وبعض الفنانين والكتاب .

❑ ❑ ❑

يقول وجيه أباظه عن تلك المرحلة: إننى كنت أقود حركة الفدائيين فى الاسماعيلية . . أما عبد اللطيف بغدادى فكان يقود حركتهم فى القاهرة . . وكنت أرجع إليه لأخذ رأيه.

وأنا لا أستطيع بالقطع أن أقود عمليات جميع الفدائيين . ولكنى أقرر هنا أن الأغلبية العظمى التى ساهمت معنا فى سرقة السلاح عام ١٩٤٨ هى التى عملت معى فى العمل الفدائى.

وكان معنا فى حركة الفدائيين كمال رفعت، ولطفى واكد، ومحسن لطفى السيد الذى شارك بعد ذلك أثناء المقاومة السرية فى بورسعيد ١٩٥٦ والزميل محمد أبو الفضل الجيزاوى وكثيرون آخرون ممن لا تعيهم الذاكرة الآن.

ويقول وجيه أباظه أنه اتصل بفؤاد سراج الدين فى تلك الفترة «فقد طلب منى جمال عبد الناصر والبغدادى جس نبض الوفد لمعرفة موقفه من حركة الكفاح المسلح عن طريق فؤاد سراج الدين بوصفه وزيرا للداخلية وسكرتيراً للوفد .

«وقد اتصلت به عن طريق فكرى أباظة وقابلته فى منزله فعرض عليّ فى أول

مقابلة مبلغا من المال رفضته فى حضور عبد الوهاب حسنى وعبد الحميد سراج الدين ، وطلبت منه سلاحا فاتصل مباشرة باللواء عبد الحميد خيرت وأعطانى الأسلحة فورا.

«وهنا لا بد من الإشارة إلى أن العناصر المؤثرة فى حركة الفدائيين كانت من شباب الحزب الوطنى تحت قيادة عبد العزيز علي، ومحمد عبد الرحمن حسين أباظة وعصمت سيف الدولة وعبد المعطى عطية.

«وقد تعددت مقابلاتى بعد ذلك بفؤاد سراج الدين ، وقد طلب منى جمال عبد الناصر الاتصال به لنقل مفرقعات فى عربة سكة حديد بدون اللغم «الفتيل» الذى نقله البغدادى بطائرتين إلى الضفة الشرقية، وقد نفذ سراج الدين طلباتنا وقدم لنا عربة السكة الحديد.

قمت أنا وجمال عبد الناصر ومجدى حسنين بنقل المتفجرات «٢٤٠ كيلو جلجنيت» من البحوث الفنية إلى محطة السكة الحديد.

«وأذكر أنى سلمت للشيخ محمد فرغلى والدكتور محمد فريد خميس من الإخوان بعض الأسلحة ولكنهما لم يشتركا فى حالة الكفاح المسلح .. وقد قام بنقل هذه الأسلحة رشدى أباظة وتحية كاريوكا.

يقول الصحفى الذى شارك فى هذه المعارك سعد زغلول فؤاد أنه بعد أن قام الانجليز بمظاهرات الإسماعيلية بعد إلغاء المعاهدة بدأ الأهالى يتحركون تلقائيا ، كانوا يعتدون على الإنجليز فى الطرقات، وينزعون سلاحهم.

أما فى القاهرة - فضلا عن المظاهرات - كانت الاجتماعات تتوالى بين الشباب الوطني، والفريق عزيز المصرى لقيادة الحرب التحريرية حسب برنامج اتفق عليه ويتلخص فى تكوين فرق الفدائيين حتى تصبح جيشا كاملا ، وأن تقوم هذه الفرق بالهجوم على القوات البريطانية ويقوم بعضها بمحاصرة المعسكرات البريطانية لمنع وصول المواد التموينية إليها ، وأن تنظم المقاومة الشعبية مقاطعة البضائع الإنجليزية، وعدم التعامل التجارى مع بريطانيا، وأن يمول الشعب الكتائب ، كما يسلح أفراده فى المدن والقرى الواقعة فى منطقة القنال .

«وكان مجلس قيادة الكتائب يتكون برئاسة عزيز المصرى من وجيه أباظة وحسن عزت قائد الأسراب وعبد الحميد صادق، وعطية صابر محمد، وعبد الرحمن أباظة المحامين وتوفيق الملط المدرس، وجمال عزام العمدة ومدحت عاصم الموسيقى وأحمد أبو الفتح الصحفى الوفدي، واحسان عبد القدوس الصحفى ، وأصدرت القيادة بيانا جمعت على أساسه التبرعات التى بلغت ٣٢ ألف جنيه فى أيام قليله ثم أنشأت لها لجان فرعية بالأقاليم ، وأنشأت معسكرات للتدريب فى القليوبية والبحيرة والشرقية[١].

❑ ❑ ❑

فقط نركز على جانب واحد من العمل الفدائى قصة « التيتل» التى رواها وجيه أباظه لصبرى أبو المجد قائلا :

«طلبنى جمال عبد الناصر رحمة اللّه وسألنى إن كنت أعرف فؤاد سراج الدين فقلت له : لا أعرفه ، ولكن عبد الناصر ، طلب منى أن أحاول الاتصال به لأن موضوعا هاما نريد أن نتحدث فيه معه ، ولما سألته عن هذا الموضوع قال : إننا نريد إغلاق قناة السويس.

وكان الموضوع مفاجأة لى ولكنه اتفق مع ماكنا نأمل فيه وما نسعى إليه، وعن طريق ابن عمى فكرى أباظه يرحمه اللّه طلبت موعدا مع فؤاد سراج الدين.

ولم أشا أن أذكر له موضوع المقابلة، ولكى يثق فؤاد سراج الدين بى طلبت من فكرى أباظة أن يطلب من صديقه فؤاد سراج الدين الاتصال بالاسماعلية بعد الساعة التاسعة والنصف مساء اليوم التالى ليسأل هناك:

«هل حدث شيء ما. . يستقبلنى وإن لم يسمع بحدوث شيء ما. . . يعتذر عن مقابلتي.

«وتحدث فكرى أباظة مع فؤاد سراج الدين ، واتفقا على أن نلتقي، وحدث فى اليوم التالى انفجار ضخم فى الاسماعيليه.

«وفوجئت فى مساء نفس اليوم عندما عدت إلى منزلى فإذا بوالدتى تذكر لى أن

(١) نقلا عن طارق البشرى ـ تطور الحركة السياسية فى مصر

ضابط بوليس جاء يطلبنى ويريد منى أن أذهب إليه فى القسم فى أى وقت أصل فيه إلى البيت.

«وذهبت إلى مأمور القسم وعرفت أن فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية يبحث عني، وأنه حدد موعدا للقائى فى الساعة التاسعة صباح اليوم التالى بمنزله فى جاردن سيتي.

«وعندما ذهبت إليه فى الموعد المحدد وجدت فى صالون الاستقبال الأستاذين عبد الحميد سراج الدين، وعبد الوهاب حسني.

«ووصل فؤاد سراج الدين فى الموعد ، وهو يقول: أهلا بالأبطال وأخذنى بالحضن ، وأدخل فؤاد سراج الدين يده فى جيبه وأخرج مبلغا من المال عرفت فيما بعد أنه ٢٠٠٠ جنيه.

«واعتذرت عن قبول المبلغ فنحن كما قلت لفؤاد سراج الدين لا نريد مالا وإنما نريد سلاحا.

«وقال فؤاد سراج الدين : «تستطيعون شراء الأسلحة بالنقود ».

ولكننى اعتذرت لأننا لا نستطيع الحصول على الأسلحة ويمكن أن يشتريها الأخ عبد الحميد سراج الدين أو الأخ عبد الوهاب حسني.

« وعلى الفور تحدث فؤاد سراج الدين إلى عبد الحميد خيرت، وكان وقتئذ مديراً لمخازن البوليس ، وذكر له أن ضابطا من الطيران اسمه « وجيه » سيمر عليك فافتح له المخازن وأعطه ما يريد من السلاح.

وبعد ذلك كرر فؤاد سراج الدين عرض المبلغ من جديد ولكننى اعتذرت.

« وطلبت من فؤاد سراج الدين وزير الداخلية أن ينقل إلى مركز أبو حماد الضابط عزيز الأجهورى الذى كان عام ١٩٤٨ مأمور قسم ثان بالاسماعيلية وقدم إلى الحركة الفدائية الكثير من الخدمات ، وأعطى فؤاد سراج الدين تعليماته بنقل عزيز الأجهورى من الأقصر ، إلى « أبو حماد » خلال ثمانى وأربعين ساعة.

وقلت لفؤاد سراج الدين : وتوجد مسألة أخرى أريد أن أتحدث إليك بشأنها على انفراد ورويت له « إننا - ولم أذكر له من نكون - نفكر فى تفجير لغم فى

القناة، وقد نقل عبد اللطيف البغدادى جسم اللغم إلى البر الشرقى من القناة وبقيت المفرقعات، ولأننا لا نستطيع نقلها بالطائرة فقد قررنا أن ننقلها عن طريق السكة الحديد وقد جئت إليك خصيصا لذلك.

وعلى الفور طلب فؤاد سراج الدين مدير مصلحة السكة الحديد حسين أبو ذكرى، وأبلغه أن هناك كميات من الذخائر ، سوف تنقل إلى البر الآخر من القناه وعليه أن يخصص لها عربة تكون آخر عربات القطات المتجه إلى هناك وذكر فؤاد سراج الدين لحسين أبو ذكرى أن الذخائر سوف تسلم فى البر الشرقى ، إلى ضابط البوليس « صلاح أبو شادى » .

ويقول وجيه أباظة إن صلاح أبو شادى قد وافق، كما وافق حسين أبو ذكرى على ما طلبه منه فؤاد سراج الدين .

ويواصل وجيه أباظة روايته للقصة قائلا: لقد ذهبت مع جمال عبد الناصر ، ومجدى حسنين إلى معهد البحوث حيث كان يعمل حسن رجب، وصلاح هدايت، وسلمنى صلاح هدايت ٢٤٠ كيلو مترا من الجليجانيت بعد أن وضعهم فى ثمانية صناديق، ونقلنا نحن الأربعة جمال عبدالناصر ومجدى حسنين وسائق السيارة وأنا الصناديق الثمانية إلى رصيف المحطة ووضعناها فى آخر عربة، وفوجئنا بحسين أبو ذكرى يرفض أن نقفل العربة ويصر على أن يركب أحدنا بداخلها، لأن ما بالصناديق ليس إلا مواد مفرقعة.

وانتحى عبد الناصر جانبا بحسين أبو ذكرى لعله يقنعه بأن الصناديق بها ذخيرة وليس مواد مفرقعة، فلما فشل طلب منى جمال عبد الناصر أن أركب فى نفس العربة، فرحبت إذ لا يمكن للمواد المفرقعة أن تنفجر إلا فى حالة حريق «فإذا حدث الحريق فأمرى لله وذلك قدري» .

وبعد أن ركبت مع الصناديق وتأهب العمال لقفل باب العربة، طلب منى حسين أبو ذكرى أن أنزل لأنه لاداعى لركوبى معها . . وشحنت المواد المتفجرة وتسلمها صلاح أبو شادى ، ويحتمل أن يكون قد تسلمها معه حسن التهامي.

وكان عبد اللطيف البغدادى قد نقل جسم اللغم على مقربة من العريش، وقد تم إعداد اللغم لولا أن جمال عبد الناصر عرف أن الباخرة القادمة هولندية، بها

ركاب ، وليست ناقلة بترول كما قد خططنـا فأمر بوقف العملية حفاظا على أرواح الركاب : تلك هى قـصة اللغم ، كما حـدثت من وجهة نظرى أما مـا حدث بعد ذلك فى اثناء محاكمة فؤاد سراج الدين فما أذكره أننى قرأت فيما نشر عن المحاكمة أن فؤاد سراج الدين ذكر للبغدادى رئيس محكمة الثورة أنه ساعد الضباط الأحرار فى نقل الـلغم ، وأن بغـدادى لم يصـــدقــه، فكان لا بد لـى من أن أذهب إلى المحكمة لأؤدى شهادتى.

فى محكمة الثـورة : قابلت فؤاد سراج الدين ومعه مـحاميه عبد الفـتاح حسن ولما رآنى فؤاد سـراج الدين تعمـد إلا يواجهني، ولكننى تقدمـت إليه واحتـضنته وقلت له : إننى جئت لأؤدى الشهادة .

ورفض فؤاد سـراج الدين وأصر على ألا يحرجـنى مع زملائى بهذه الشـهادة على أنه ليس بحـاجة إلـى شهـادتي، حتى لا يحـرجنى مع زمـلائى ، ذهبت إلى بغدادى فى غرفة المداولة وكان معـه أنور السادات، وحسن إبراهيم عضوا المحكمة ورويت له ما أعرفه وما لا يعرفه هو عن موضوع نقل اللغم إلى البر الشرقي.

ولما سألنى بغدادي: لماذا لم أذكر له وقتئذ القصة كاملة.

قلت له: لأن عبدالناصر كان قد شدد علـى عدم معرفة أحد بكل ما يخص هذا الموضوع.

وقال بغدادى : حتى عليّ ؟ قلت : لا

ولكنى كنت سأذكر لك تفاصيل القصة.

وعلى أية حـال عليك أن تسـال جمـال عـبد الناصـر عن تفـاصيل الموضـوع، واستدعى بغدادى فؤاد سراج الدين ومحاميه عبد الفتاح حسن ، وأدليت بشهادتى فى غرفة المداولة ، وكان مما قاله البغدادى :

إن شهادة وجيه أباظة تلك سوف يكون لها اعتبارها عند نظر القضية.

وقد سأل صـبرى أبو المجد وجيه أباظه عـن دور جمال عبد الناصـر فى معارك القناة فقال له أنه كـان: هو وبغدادى يجمعان الاسلحـة فى القاهرة، ويخططان لما

يجب أن يتم ونحن ننفذ ما يخططانه.

وقال وجيه أباظه لصبرى أبو المجد: مرة طلبت فيها من عبد الناصر صندوق ذخيرة للقيام بعملية فى فايد.

« فأعد لنا ما أردناه وظل واقفا - فى الليل - مدة طويلة ، والمطر ينهمر بشدة عليه .

«وهو يحاول أن يبعد المطر عن صندوق الذخيرة إلى أن وصلت أنا وأخى محمد عبد الرحمن وتسلمنا منه الصندوق».

❑ ❑ ❑

دور وجيه أباظة فى العمليات الفدائية التى كان يقودها بتوجيه من تنظيم الضباط الأحرار وبالتنسيق معروف، تأثيراته ونتائجه فقد قاد المقاومة ضد العدو المحتل للأرض، وعلينا أن نرى لأول مرة الصورة من الجانب الآخر . . الجانب البريطانى . .

ردود الفعل عند الإنجليز على ما يقوم به وجيه أباظه وزملاؤه من أعمال فدائية من المعسكرات البريطانية فى منطقة القناة كانت مختلفة. .

الدكتورة هدى جمال عبد الناصر فى رسالتها العلمية عن الرؤية البريطانية للحركة الوطنية:

قرأت الوثائق البريطانية في- تلك الفترة- وجمعت كل المراسلات والاتصالات المكتوبة وعددا من منشورات الضباط الأحرار.

تنقل لنا الدكتورة هدى عبد الناصر الرؤية البريطانية فتقول :

«إن تصاعد الحركة الفدائية المصرية فى منطقة القناة ومنجزاتها ضد القوات والمنشآت البريطانية ، بالإضافة إلى نجاحها فى تحقيق هدف مقاطعة العمالة المصرية للقاعدة البريطانية سواء بالتوعية أو بالإكراه، قد أثار حفيظه العسكريين البريطانيين فى المنطقة ودفعهم إلى الضغط المستمر على حكومتهم - ومع كل تصعيد يحدث ضدهم - للحصول على تفويضات لفرض مزيد من الإجراءات التى مثلت - مع

تتابعهـا – سيطرة بريطانية شبـه كاملة على منطقة القناة ، وأدت تدريجـيا إلى عزل هذه المنطقة عن مصر وفرض الحكم العسكرى البريطانى عليها .

«أول اشتـباك خـرج عن نطاق الحـوادث الفردية فى منطقـة القناة وقع فى ١٧ أكتوبر ١٩٥١ بين الـقوات البريطانية على احـتلت جميع مداخل ومخـارج منطقة القناة ومنها مركز للجيش المصرى ، وقد حدث اشتباك فى نفس اليوم بين مجموعة من المواطنين المصريين والبريطانيين فى الإسماعيلية.

«ومع تصاعد الحـركة الفدائية فى منطقة القناة بدأ مـزيد من الضغط من جانب هولاء العسكريين لاتباع خط أكثر تشددا فى مصر تحت دعوى أن القوات البريطانية باتت تفقد المبادرة فى منطقة القناة.

«ولمواجـهة تدفق مـزيد من الفدائيين إلى مـنطقة القناة، وفى مـحاولة لإيقـاف نشاطهـم فى منع العمال التـعاون مع البـريطانيين فى المنطقة ، تم تفـويض سلطة القبض والاعتقال والطرد من المنطقة للسلطات العسكرية البريطانية هناك.

وبالرغم من استخـدام القوات البريطانية لتلك السلطات بقسوة وتكثـيف عملية التفـتيش بما تضـمنته من اعتـداء على المواطنين فى المنطقة والاعـتداء على كـرامة البوليس المصـرى الذى سلبته السلطات البـريطانية اختصـاصاته بهذا القرار ، فـقد تصاعد العمل الفدائى ضد البريطانيين، ولم يتقهقر كما تصوروا وحدثت اشتباكات واسعة بين القـوات البريطانية من جانب والفدائيين، والبـوليس من جانب آخر فى ١٧، ١٨ نوفمـبر ١٩٥١ ، سـقط فيـه قتلى وجـرحى من الجانبين ، ثم حـدثت اشتباكات أخرى مماثلة فى السويس فى ٣ديسمـبر ١٩٥١ تعاطف فيها أيضا البوليس النظامى مع الفدائيين.

«ويلاحظ أنه فى تلك الفتـرة وما بعدها بدأ الحديث من جـانب البريطانيين عن ارتفاع مـستـوى تنظيم الفدائيين وعـملياتهم الهجـوميـة على القوات البـريطانية ، واعتبروا ذلك دليـلاً على مزيد من الإدارة المتخصصة لتلك الكـتائب ومؤشرا على استـمرار اختراق الفـدائيين المدربين من الدلتا بالرغم من الإجـراءات المشددة التى اتخذتها القوات البريطانية لوقف هذا الاختراق».

وقد أدت كل هذه التطورات إلى الضـغط لمزيد من التشـدد من جانب السلطات

العسكرية البريطانية فى منطقة القناة أولا بالقيام بعملية تأديبية رادعة فى كفر عبده بالسويس فى ٨ديسمبر ١٩٥١ ، تلك العملية الوحشية التى كان من أهدافها إلى جانب استعراض القوة أمام المصريين رفع الروح المعنوية للقوات البريطانية فى المنطقة.

«ومن جهة ثانية اشتد إصرار العسكريين على إعلان الحكومة العسكرية فى منطقة القناة حتى يتسنى لها الحصول رسميا على التفويض بسلطة محاكمة ومعاقبة الفدائيين بالإضافة إلى سلطة نزع سلاح البوليس المصرى بالقوة وقد رجحت كفة العسكريين ودعوتهم إلى مزيد من التشدد عندما اتخذت الوزارة البريطانية قراراً بالاستعداد لإعلان الحكومة العسكرية ، وتم بالفعل إعداد النص النهائى لإعلان الأحكام العرفية فى منطقة القناة ».

«وقد حدد صانعو السياسة البريطانية منذ البداية القوى التى يمكن أن تساعدهم – من وجهة نظرهم – فى هذا المخطط وهى الملك والجيش المصرى ، لذلك نصحوا منذ بداية التصاعد العسكرى والسياسى بينهم وبين مصر بتجنب أى صراع مع هاتين القوتين ، وخاصة بعد التصادم الذى حدث بين القوات البريطانية فى منطقة القناة وأحد مواقع القوات المصرية بجوار كوبرى الفردان عندما قامت القوات البريطانية باحتلال هذا الكوبرى الوحيد الذى كان يربط بين منطقة القناة وصحراء سيناء واحتلال مواقع المعديات الثلاث التى كانت تقوم بنفس الغرض بدون إخطار مسبق لقيادة الجيش المصرى ، عازلة بذلك قواته فى سيناء عن الوادى.

«ولقد كان موقف قيادات الجيش المصرى مؤسفا منذ البداية ، ففى الوقت الذى قامت فيه القوات المصرية العاملة بواجبها واشتبكت مع قوات العدو التى حاولت الاستيلاء على موقعها بجوار كوبرى الفردان بالرغم من التفاوت فى القوة بين الطرفين ، وقفت قيادة الجيش موقفا متخاذلا أمام العسكريين البريطانيين.

«فقد أرسل « ارسكين » قائد القوات البريطانية فى منطقة القناة – إنذارا إلى اللواء سعد الدين صبور بسحب القوات المصرية من منطقة القناة قبل السادسة مساء نفس اليوم ، ومنع مرور أية قوات مصرية فى المنطقة إلا بتصريح من القيادة البريطانية وبناء على إخطار مسبق بمدة كافية..

«وقد كان رد فعل قيادات الجيش المصرى مصدر دهشة حتى للسلطات العسكرية البريطانية، التى كانت قد وضعت فى اعتبارها أثناء إعداد خططها المسبقة احتمالات تدخل الجيش والطيران لإيقاف اعتداء ات القوات البريطانية فى منطقة القناة.

«والغريب أنه بالرغم من أن الإجراءات التى اتخذتها القوات البريطانية فى منطقة القناة كانت مهينة للجيش المصرى ومخلة بالشرف العسكرى حيث سحبت اختصاصاته وحرم من أداء واجبه الرئيسى فى حماية أرض الوطن ومواطنيه ومنع من الدخول إلى منطقة تشمل جزءا من أرض مصر وتخضع للسيادة المصرية ، واحتلت القوات البريطانية مواقع جديدة فى هذه المنطقة لتقيم عليها مراكز للتفتيش والحراسات والسيطرة على المرور وفرض عليه فى نفس الوقت ألا يتحرك ، كما دخلت القوات البريطانية مدن القناة بدعوى الأمن واعتدت على حرمة سكانها واشتبكت معهم، فإن القيادات العسكرية المصرية ظلت ساكنة متجاهلة للتصاعد الخطير الذى كان يحدث فى المنطقة وكأنها ليست أرضا مصرية.

ولقد كان ذلك من أهم العوامل التى شجعت القيادات العسكرية البريطانية فى منطقة القناة على التمادى فى الاعتداء على الأهالى واستعراض القوة لتنفيذ مخططاتهم من أجل إيقاف العمل الفدائى فى القناة، مثلما حدث فى عملية كفر عبده. كما حثتهم - فى نفس الوقت - على الضغط على الحكومة البريطانية.

❑ ❑ ❑

كان للأوضاع السياسية والعسكرية فى مصر انعكاسات على الروح المعنوية داخل الجيش يتحدث عنها أحد منشورات «الضباط الأحرار» وتنقله هدى عبدالناصر:

«أيها الضباط: ما كدنا نتخلص من حيدر الخائن الأول والمسئول الرئيسى عن الهزيمة التى منى بها الجيش فى حرب فلسطين والذى تستر على المجرمين واللصوص من كبار الضباط. وما كاد الجيش يتطهر من الخونة أمثاله وأمثال حسين سرى ومن شاكلهم... حتى فؤجئنا بمؤامرة بعض المأجورين من الضباط الذين هتفوا له فى ١٠ فبراير ١٩٥٢ بنادى الضباط فانساق وراءهم بعض السذج من الضباط مرددين بلا وعى الهتاف له. ولو كانوا يعلمون ما يدبر لهم فى الخفاء

لهتفوا ضده ولقالوا: «يسقط حيدر الخائن».

«لقد أتاح هؤلاء المأجورون ومن تبعهم من الضباط الفرصة الذهبية للسراى لتعيده للجيش فى صورة بطل، ولقد بدأ البطل عمله بتحطيم قضية الأسلحة بشهادته التمثيلية فقد شهد أن جميع الضباط المتهمين لا يتطرق الشك إلى ذمتهم!!!».

«هذا أول فصل من التمثيلية، أما الفصل الثانى فهو تصريحاته بأنه قد عاد للجيش وفى يده اليمنى العلاوات والترقيات وفى اليسرى الرتب والنياشين. فما السر فى الإغداق على الجيش فى الوقت الذى تنكر فيه الحكومة على جميع الطوائف تحسين حالتهم؟».

«إن فشل الطبقات الحاكمة جميعا فى تحقيق مطالب الشعب السياسية والاقتصادية ورغبتها فى التحالف مع الاستعمار وتحقيق الدفاع المشترك الذى يقاومه الشعب، قد دفعها إلى استمالة الجيش بالرشوة لاستعماله أداة للبطش بالحركات الوطنية وتحطيم مطالب الطوائف الاقتصادية. إن الجيش لن يرفض تحسين حالته المادية لكنه يرفض أن يكون ذلك رشوة على حساب المطالب الشعبية!!!».

«ياليت الأمور وقفت عند هذا الحد بل رأينا «حيدر الخائن» يبدأ فى تنفيذ الدفاع المشترك، فالسلاح الجوى يعمل الآن فى القنال مشتركا فى العمليات مع الطيران الإنجليزى، حتى لقد اندمج الطيران المصرى فى إجازاته مع الطيران الإنجليزى فأصبحت عطلته الأسبوعية السبت والأحد - ولقد حذا السلاح البحرى حذو السلاح الجوى. كل هذا تنفيذا للدفاع المشترك؛ الذى يرمى لربطنا بعجلة الدول الاستعمارية وجرنا إلى الحرب العالمية التى يحضرون لها. وجعل مصر موردا صعبا يمدهم بملايين الجنود فى حرب لا صالح للشعب المصرى فيها...».

«ولكن الجيش المصرى قد أصبح الآن واعيا ولن ينخدع بمثل هذه المؤامرات الدنيئة التى تدبر له. وأن الجيش لقادر الآن على تطهير صفوفه من الخونة ولكنه سينتظر العدالة لتأخذ مجراها فإذا لم تكن هناك عدالة أقامها بحد السيف والقوة».

❑ ❑ ❑

تقول الدكتورة هدى عبدالناصر إنهم حاولوا تجنيد الجيش المصرى ولم يكن

معروفا أن الضباط الأحرار فى الجيش هم الذين يقودون العمليات الفدائية ويخططون لها، وكان الإنجليز بالاشتراك مع الملك يسعون لإجهاض الحركة الفدائية إلا أنه بعد أحداث السويس فى ٣ ، ٤ ديسمبر، ورد الفعل الشعبى العنيف إزاءها، بدأ الكلام عن أن «الوقت لم يعد فى جانب بريطانيا»، وأن إلغاء معاهدة ١٩٣٦» أصبح حقيقة .

وبدأت ترتيبات «المواجهة النهائية مع الحكومة» بالتآمر مع الملك الذى اختار على ماهر ليخلف وزارة الوفد بعد تغييرها، وأخطر السفارة البريطانية بذلك القرار مسبقا كما عين «حافظ عفيفى» رئيسا للديوان الملكى، و«عبدالفتاح عمرو» مستشارا خاصا للملك للشئون الخارجية، وهو ما اعتبره وزير الخارجية البريطانى «تطورات مشجعة. . وخطوة أولى من جانب الملك نحو تغيير الحكومة يؤدى إلى استئناف المباحثات بين البريطانيين والمصريين»، وما اعتبره صغار الضباط بالجيش المصرى بداية «خيوط. . المؤامرة حيث وضعت الأمور بين داعية للعبودية وسفير للاستعمار».

وتقول الدكتورة هدى عبدالناصر إن «التكثيف المنظم للعمليات الفدائية فى منطقة القناة وارتفاع مستواها من حيث التخطيط والتنفيذ من جانب، وإزاء اتضاح تردد الملك فى تغيير الحكومة من جانب ثان، وخاصة بعد مظاهرات ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ التى كانت موجهة ضده وضد الانجليز بتكثيف العمليات العسكرية ضد كتائب التحرير، ثم تصاعد باتخاذ إجراءات تعسفية ضد المدنيين بحجة التفتيش عن الفدائيين.

وبعد التأكد من عدم تدخل الجيش المصرى إلى جانب الفدائيين، وبعد حصول قائد القوات البريطانية فى منطقة القناة على تفويض من لندن بالردع العسكرى فى حالة تدخل الطيران المصرى، وبعد الاستعداد للتدخل العسكرى فى القاهرة والاسكندرية، وفى الدلتا ونقل تعزيزات عسكرية من القواعد البريطانية الأخرى فى الشرق الأوسط، وذلك فى حالة الاعتداء على الرعايا البريطانيين خارج منطقة القناة، وبعد التأكد من استعداد قوات الجيش المصرى لقمع الاضطرابات المتوقعة بدأت عمليات حصار القوات البريطانية لمبنى البوليس فى مدينة الاسماعيلية، والتى أسفرت عن المذبحة المعروفة بين رجال البوليس المصرى، وكان ذلك الحادث الذى

خطط له البريطانيون واختاروا توقيته بعد الاستعداد لنتائجه من جميع النواحى، وهو الذى قامت على إثره عمليات العنف والحريق والتدمير فى القاهرة فى اليوم التالى، فأصدر الملك أوامره لقيادات الجيش بالتحرك إلى القاهرة للسيطرة على الموقف، ثم مضى الملك فى تنفيذ باقى الخطة الموضوعة مسبقا بالاتفاق مع الانجليز، فأقال الحكومة الوفدية بعد أن أعلنت الأحكام العرفية، وعين «على ماهر» رئيسا للوزارة فى ٢٧ يناير ١٩٥٢» ولم يؤثر تغيير الحكومة الوفدية فى ايقاف الحركة الفدائية.

وترى الدكتورة هدى عبدالناصر ـ اعتمادا على الوثائق البريطانية ـ أن الرؤية البريطانية للجيش المصرى بعد نجاحه فى السيطرة على الموقف أثناء حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ «أنه الأداة التى يمكن بالتعاون مع الملك أن نضمن استخدامه لكبت الحركة الوطنية المصرية، وأنه فى حالة تطور الاضطرابات إلى حد يعجز معه الجيش المصرى عن السيطرة عليها يمكن للقوات البريطانية أن تتدخل بطلب من الملك بدون أن يعتبر الجيش المصرى هذا التدخل عملا عدائيا، كانت رؤية بعيدة عن الواقع.

لقد كان غالبية ضباط الجيش المصرى - من غير القيادات العليا - مدركين لأبعاد تلك المؤامرة التى بدأت فى الاسماعيلية وانتهت فى القاهرة بهدف القضاء على «حركة المقاومة الشعبية فى القنال»، كما كانوا رافضين للدور الذى أنيط بهم، والذى أعطى انطباعا بأن الجيش منفصل عن الشعب ويساند الملك، ويمكن أن يتقبل التعاون مع الإنجليز ويحقق المصالح الغربية فى مصر.

❑ ❑ ❑

جاء فى أحد المنشورات بتوقيع «الضباط الأحرار»، بعنوان «لا أحكام عرفية ولا دفاع مشترك» ما يلى:

« كان لاشتداد حركة المقاومة الشعبية فى القنال أثرها فى أن فقد المستعمر الغاصب عقله فدفعته تلك الحركة المباركة إلى الانتقام الإجرامى الدنئ غير المتكافئ فى الإسماعيلية وما تبع ذلك من إيحائه إلى عملائه من إخوان الحرية والبوليس السياسى وغيرهم من المأجورين إلى استغلال احتجاجات الشعب السلمية للقيام بأعمال تخريبية وتدميرية واسعة ومحاولة إلصاق ذلك بالشعب حتى تتبلبل الأفكار

وتتحـول الأنظار وتنتقل المعركـة من كفاح مسلح فـى القنال إلى صراع داخلى فى القاهرة ولولا نزول الجيش لاحترقت المدينة عن آخرها».

«ونحن نعلنهـا هنا أن الجـيش نزل إلى المديـنة للمـحافظـة على الأمن والنظام وإحبـاط تلك المؤامرة الدنيئـة الإجرامية ضـد الوطن وليقوم بالواجب فى حـماية الشعب من أعداء الشعب وليحمى الوطن من دسائس الاستعمار».

«إن الجيش لا يهدف إلى محاربة الحركـة الوطنية فإننا من الشعب وإلى الشعب وأهدافنا هى أهداف الشعب ومعركتنا هى معركة الحرية التى قررها الشعب وطريقنا هو الكفاح المسلح الذى سار فيه الشعب».

«إن التحرر لن يكون إلا إذا استمر الكفاح المسلح وتزايد ولن يكون هناك كفاح إلا إذا تمتع الشعب بـحرياته غيـر منقوصة ولذا فنحن نـعترض على قـيام الأحكام العرفية التى تقيد الحريات وتكتم الأنفاس.

«إننا نعترض على اعتقـال المخلصين من الوطنيين الذين لا جرم لهم إلا كفاحهم ضد الاستعمار مهما كانت نزعاتهم السياسية».

«إننا نطالب بإلغاء الأحكام العـرفية والإفراج عن المعـتقلين المخلصين ومحـاكمة كل من تسبب فى فاجعة يوم ٢٦ يناير الماضى».

«أيها الضباط. . إن حكومة الانقلاب الجديدة أخذت بمجرد وصولها إلى الحكم تحارب الكفاح ضد المستعمر وبدأت تدخل فى مفاوضات جديدة وهذا عين ما يتمناه الانجليز لإضعاف الروح الوطنيـة وإخماد شعلة الثورة الشعبيـة كما بدأت الحكومة فى تشـجيع مـؤامـرة ضم مصـر إلى الحلف الرباعى أى ربط مـصر بـعجلة كـتلة الاستعمار الغربى التى تحضـر لحرب عالمية سيكون جنودنا وأبناء الشعب منا وقودها المحتـرق فهل نقبل أن نضـحى بهذه الأرواح فى سبيل المسـتعمـرين؟ هل نقبل أن نموت وتخرب ديارنا فى سبيل الإنجليز والأمريكيين؟ . . .كلا ثم كلا».

«أيهـا الضبـاط. . لقد أعلنـاها ونعلنها للسـادة الذين يريدون أن يتـصرفـوا فى مصائرنا رغمـا عنا والذين يظنون أننا فى غفلة وأننا سنساق فى خضـوع واستسلام إلى أفظع مجزرة فى تاريخ البـشرية نعلنها قوية مدويـة أننا لن نحارب مع الانجليز وحلفائهم ولن نتـحالف أو نتعاون معـهم ولن نقبل الدخول فى حلقـة المفاوضات المفرغة ولن نرضى بغير الكفاح المسلح وسيلة للتحرير».

«نحن نطالب الحكومة بأن تقطع اتصالاتها فورا بالإنجليز والأمريكان فلا جدوى من ذلك فنحن نرفض المعاهدة مع كتلة الاستعمار ونرفض الدفاع المشترك أو مسمياته مع أذنابهم».

«إن مطالب الشعب واضحة لا يحيد عنها ونحن نؤيده فيها ونعتبر كل من يخالفها عدوا للوطن».

«أيها الضباط.. كان التفافكم حول الضباط الأحرار قوة لا مثيل لها. وإن قوتكم والتفافكم حولهم لضمان كبير لإسقاط المشروعات الاستعمارية».

وتقول أنه «تأكد من أحد منشورات «الضباط الأحرار» أن بعض صغار الضباط اشتركوا فى مظاهرات ٢٦ يناير ١٩٥٢ تعبيرا عن استيائهم مع باقى الشعب من حوادث الإسماعيلية فى ٢٥ يناير ١٩٥٢ إلا أنهم لم يشتركوا فى حوادث التخريب التى تلت ذلك. وقد جاء فى هذا المنشور ما يلى:

« وفى الوقت الذى يرقى فيه طريد العدالة حسين سرى عامر إلى رتبة اللواء ويعين مديرا للحدود ويرقى باقى المجرمين من كبار القواد ولصوص فلسطين إلى أعلى المناصب يحاكم ضابط برتبة الملازم أول لأنه هتف بسقوط الاستعمار».

« اشترك الملازم أول حلمى عبدالخالق باعتباره طالبا بكلية الهندسة فى مظاهرة ٢٦ يناير مع طلبة الجامعة الذين تظاهروا لاستيائهم من حوادث ٢٥ يناير التى ارتكبها المجرمون الإنجليز بالإسماعيلية. وقد أوقد هذا الضابط وشكل له مجلس تحقيق برئاسة الأميرلاى الدغيدى وكان تحامل الدغيدى عليه فى ذلك المجلس واضحا جدا إرضاء لسادته الذين طلبوا منه إدانة الضابط بأى طريقة...».

❑ ❑ ❑

بعد مذبحة البوليس فى الإسماعيلية، يوم ٢٥ يناير، اشتعل الغضب فى مصر كلها.. وامتد اللهيب إلى إحراق القاهرة يوم ٢٦ يناير...

وتختلف الآراء حتى الآن فى الوصول إلى الفاعل الحقيقى لهذا الحريق، واليد المدبرة له.

هل هم الانجليز، ليوقفوا من خلاله حركة المقاومة والكفاح الشعبى المسلح، وذلك بتغيير الوزارة وهو ما قام به الملك فاروق فعلا، بعد أن أعلنت وزارة الوفد الأحكام العرفية بساعات.

هل هو الملك الذى كان يقيم احتفالا فى نفس اليوم لضباط الجيش، لتقديم ولى عهده أحمد فؤاد إليهم.

كان الملك مشغولا بابنه ،وولى عهده المولود..

وكان رئيس الوزراء مصطفى النحاس مستغرقا فى النوم حتى الظهر.

وكان وزير الداخلية فؤاد سراج الدين مشغولا بشراء عمارة جديدة.

وكانت القاهرة تشتعل بنيران الحريق، ونيران الغضب.

ونزل الجيش فى المساء فى محاولة للسيطرة على الموقف.

وكان جمال عبدالناصر يمر على ضباط الجيش الأحرار، ويوصيهم بعدم الاشتراك فى الاعتداء على الشعب. إذا طلب منهم ذلك.

وينقل لنا حلمى سلام صورا من منشورات الضباط الأحرار فى هذه الفترة، المنشور الأول بتوقيع الضباط الأحرار يقول :

«إن هيئة الضباط الأحرار تطالب بأن تكون مهمة الجيش هى تحقيق استقلال البلاد، ولا تقبل أن يستعمل الجيش للقضاء على الحركات الوطنية.. فإن الجيش جزء من الشعب.. وآماله ومطالبه هى آمال ومطالب الشعب.. ولن تقوم للجيش قائمة إلا فى بلد متحرر قوى.

«نحن نطالب بتسليح الجيش من جميع الدول التى تبيع لنا سلاحا: شرقية كانت أم غربية، كما نطالب بإنشاء مصانع أسلحة نستورد الجيش لها آلالات من كل الدول. ونطالب بتدريب الجيش تدريبا حقيقيا حتى يكون قادرا على تلبية نداء الوطن..

«ونطالب بإطلاق جميع الحريات للشعب.. إذ لا يمكن لشعب أن يكافح الاستعمار وهو مكبل بقوانين تقيد حريته!».

وفى منشور صدر بعد حوادث ٢٦ يناير بتوقيع الضباط الأحرار - قال: «أيها الضباط» «إن الخونة من المصريين يعتمدون عليكم، وعلى جيشكم، لتنفيذ أهدافهم، وهم يظنونكم أداة فى أيديهم تستعمل للبطش بالشعب وإرغامه على قبول ما يكره.

«فليفهم هؤلاء الخونة أن مهمة الجيش هى الحصول على استقلال البلاد وصيانته، وإن وجود الجيش فى شوارع القاهرة إنما هو لإحباط مؤامرات الخونة

التى تهدف إلى التخريب والتدمير. . ولكننا لا نقبل ضرب الشعب، ولن نطلق رصاصة على مظاهرة شعبية ولن نضيق على المواطنين المخلصين!.

«يجب أن يفهم الجميع أننا مع الشعب الآن، ومع الشعب دائما، ولن نستجيب إلا لنداء الوطن.

«أيها الضباط. . إن الوطن فى خطر، فتنبهوا للمؤامرات التى تحاك له ولكم، والتفوا حول الضباط الأحرار، ففى ذلك نصر لكم وللشعب الذى أنت جزء لا يتجزأ منه.

١- «إن لم يكن الضباط فى حاجة إلى هذه التوصية ولا حتى إلى منشورات الضباط الأحرار فقد كان الجيش كله يعيش نبض الشارع، ويتفاعل مع القضية الوطنية. . .

لذلك، فعندما تحرك الضباط الأحرار، ليقوموا بحركتهم داخل الجيش، لم يكونوا وحدهم.

٢- تعمد أن يظل ضباط الجيش المدعوون للاحتفال وعددهم خمسمائة ضابط، أطول مدة فى الاحتفال.

٣- لذلك نجحت حركة الجيش فى ساعاتها الأولى، ونالت تأييدا ساحقا من الشعب عندما سمع بيانها الأول، الذى قال السادات أنه أذاعه لأول مرة . . بينما يقول عدد من الضباط ومنهم وجيه أباظة - أنه قرأ البيان، بعد أن أذاعه بصوته ضابط آخر.

❑ ❑ ❑

وأخيراً استطاع تنظيم الضباط الأحرار، أن يقوم بحركته. . وأن يقضى على النظام الفاسد من أساسه. .

وقام التنظيم بحركته ليلة ٢٣ يوليو. .

وكان لوجيه أباظة دور أيضاً.

فى هذه الليلة التى غيرت الحياة على أرض مصر.

وامتد تأثيرها للعالم كله.

النضال الوطنى ١٢

الثــورة

استيقظت مصر صباح يوم ٢٣ يوليو على بيان الثورة الأول.

وسواء أذاعه أنور السادات بصوته كما هو شائع، أم أذاعه فى البداية ضابط غيره كمـا قال بعض الضباط الأحـرار، فقد كـان البيان يعلن عن بداية مـرحلة جديدة فى تاريخ مصر ، بل والعالم العربى، وربما العالم كله، وفقا لتطور مسيرة ثورة يوليو.

لقد نجح الضـباط الأحرار بالقـيام بحركـة فى الجيش وتمكنوا من الاستـيلاء على السلطة..

وكان لوجيه أباظه، دور فى هذه الحركة مع زملائه ضباط الطيران. .

كما كان له دور فى استقرار الثورة واستمرارها. .

❑ ❑ ❑

ظهر يوم ٢٢ يوليو١٩٥٢ ، كان قد تقرر أن تقوم حركة الجيش فورا، فقد تسللت أنباء بتنظيم الضباط الأحرار إلى الملك، كان عليهم أن يبدأو قبل أن يعصف بهم جميعا.

وعقد اجتماع فى منزل خالد محيى الدين، حضره عبدالناصر، وعامر، وزكريا محيى الدين والبغدادى، وحسين الشافعى، وعبدالمنعم أمين ، وإبراهيم الطحاوى.

وقرأ زكريا محيى الدين خطة الثورة التى أعدها مع عبدالحكيم عامر.

وأجرى عليها جمال عبدالناصر عددا من التعديلات

ثم خرج الجميع

وانطلقوا للتنفيذ.

كان الاجتماع للتنفيذ. . ، وخرج الضباط جميعا يؤدون واجباتهم فى وحداتهم وفقا للخطة التى يقسمها عبداللطيف البغدادى إلى ثلاثة مراحل منها مهمة محدودة لسلاح الطيران.

المرحلة الأولى: هى الاستيلاء على مبنى القيادة العسكرية، واعتقال كبار قيادات الأسلحة حتى يضمنوا عدم تحريك قوات عسكرية للتصدى لهم على مداخل القاهرة الشرقية، والمداخل الموصلة إلى مبنى القيادة العسكرية بكوبرى القبة، والطرق الموصلة إلى وحدات الجيش المختلفة، وبقيادة المدفعية وحدات من سلاح الفرسان بدباباتهم وسيارتهم المصفحة ومحاصرة قصر عابدين والاستيلاء عليه ويقوم بهذه المهمة أساسا كمال الدين حسين، وعبدالمنعم أمين.

ويعاون كمال الدين حسين. . أبوالفضل الجيزاوى عبدالخالق، وفتح الله رفعت ومصطفى كامل مراد - محمد حمدى محمود .

وقال لى كمال الدين حسين أنه عندما تصدى لهم على نجيب شقيق محمد نجيب قال له على الفور:

- إننى أقبض عليك باسم أخيك محمد نجيب، وأن هذه ثورة، وسوف نطرد الملك!

فقد كان المفهوم منذ البداية أنها ثورة وليست انقلابا أو حركة عسكرية، وإن كانت لم تعلن أهدافها فى البداية، فوفقا لما تعلّمه العسكريون، عليهم أن يستولوا على الموقع ويدعمّوه ويؤمنّوه... قبل انتقالهم للموقع التالى.

وكان حسين الشافعى، وخالد محيى الدين، وثروت عكاشة مسئولين عن سلاح الفرسان وأيضا الاستيلاء على الإذاعة.. وإذاعة بيان الثورة.

وكانت المرحلة الثانية هى السيطرة على جهاز الحكومة المدنى، وتعيين وزارة مدنية يثق بها الشعب.

أما المرحلة الثالثة فهى التخلص من الملك.. فور نجاح المرحلة الأولى - فقد تولى زكريا محيى الدين تحريك القوات إلى الإسكندرية، ووضع خطة لطرد الملك، وقد سبق هو هذه القوات بالطائرة إلى الإسكندرية.. وحدث خلاف حول مصير الملك، فقد كان جمال سالم مصرا على محاكمته ثم إعدامه، والتخلص منه نهائيا.

ولم يوافقه زملاؤه الذين اجتمع معهم فى الإسكندرية، فجاء إلى القاهرة، واجتمع ببقية أعضاء مجلس الثورة، ولكنهم رفضوا جميعا إعدام الملك، حتى لا تبدأ الثورة بالدماء!

❑ ❑ ❑

كان الضباط الأحرار جميعهم من ذوى الرتب الصغيرة لذلك بحثوا عن شخصية كبيرة.. فى العمر، وفى الجيش تقود حركتهم.

فالمجتمع المصرى يحترم السن، والجيش يحترم الرتبة..

وعرض صلاح سالم هذه المهمة على اللواء فـؤاد صادق الذى استعين به لقيادة الجيش فى حـرب فلسطين، ونال احـترام الضبـاط.. ولكنه اعتـذر عنها لأسـباب أبداها..

ورشح عبدالحكيم عامر اللـواء محمد نجيب للقيام بدور القيادة، فـقد كان قريباً منه إذ إنه كان أركان حرب سلاح المشاة الذى يقوده محمد نجيب.

وكان الضباط الأحرار قـد رشحوا محمد نجيب من قبل رئيـسا لنادى الضباط، وكانوا وراءه حتى نجح..

كان نجيب على علم بتنظيم الضباط الأحرار الذى تكون من الرتب الصغيرة فى الجيش.

ولكنه لم يكن عضوا به، وكان محمد نجيب شـخصية محبوبة بين الضباط وله دور بارز شجاع فى حرب فلـسطين.. كما كان معاديا للقصـر الملكى الذى أخرجه من منصبه كمدير لسلاح الحدود ليعين مـكانه حسين سرى عامر، مما جعل الضباط يتعاطفون معه. وقد ظهر ذلك واضحا عندمـا رشحه التنظيم ليخوض معركة رئاسة نادى ضبـاط الجيش فى مواجـهة حسين سرى عـامر مرشح الملك..وحـقق فوزا ساحقا.

وقـد وافق نجيب على قـيادة حـركة الجـيش... ليلة ٢٣ يوليو... وبـعد أن تم الاستيلاء على القيادة اتصلوا به تليفونيا وأرسلوا فى إحضاره.

وقد تصدى لمسئوليته منذ تلك اللحظة، وكانت شجاعة أن يذاع البيان باسمه.. ثم أن يتولى هذه المهمة الدقيقة خاصة.. وأنه لم يشارك فى التخطيط لها..

فى الصبـاح وبعد أن نجحت حـركة الجيش تحـولت اللجنة التأسيـسية للضـباط الأحرار إلى مجلس قيادة الثورة، وعقد أول اجتـماع له وانتخب جمال عبدالناصر رئيساً له..



أين كان وجيه أباظه فى هذه الأثناء..

عبداللطيف البغدادى يتحدث عن دور الطيران عموما قائلا: إن مهمة سلاح الطيران ليلة ٢٣ يوليو كانت السيطرة على المطارات الثلاثة الرئيسية حول القاهرة وهى مطارات: ألماظه - غرب القاهرة - مصر الجديدة ...

وأن يبدأ دور الطائرات واستخدامها فى الصباح من يوم ٢٣ يوليو، بالطيران فوق مدينتى القاهرة والإسكندرية، ومنع فاروق من الهروب عن طريق الجو أو البحر مع استخدام القوة إذا حاول ذلك.

وكان هناك واجب ثان لقوات الطيران هو أن يقوموا بعمل استكشاف لتحركات أية قوة والتصدى لها عند أى بادرة منها للعمل ضد حركة الجيش.

وكانت هذه المسئولية تقع على عاتقى ومعى حسن إبراهيم - وجيه أباظه - محمد شوكت - عمر الجمال - صادق القرموطى - حمدى أبوزيد.

ويقول جمال حماد: إن الضباط الطيارين وصلوا فى ساعة مبكرة من صباح ٢٣ يوليو إلى المطارات الحربية الثلاثة، وفقا لتعليمات البغدادى وحسن إبراهيم اللذين قاما بالمرور قبل منتصف الليل على عدد كبير منهم فى بيوتهم لإبلاغهم بموعد الحركة قبل أن يبادروا فى الصباح الباكر بالقيام بعملية الاستيلاء على المطارات الحربية الثلاثة بالقاهرة، وتولى قيادتها وتأمينها بفرض الحراسة المستمرة عليها، وعدم تنفيذ أية أوامر تأتيهم من قيادتهم القديمة.

« قام الطيارون وعلى رأسهم المقدمون: وجيه أباظه - عمر الجمال - محمد شوكت - الرائد محمد صادق القرموطى - بتنفيذ الواجب المحدد لهم، وتمكنوا من السيطرة على المطارات وتأمينها فى وقت مبكر من الصباح.

وسرعان ما اتصل بهم البغدادى وحسن إبراهيم لإبلاغهم بنجاح الحركة، لكى يقوموا بتعزيز قوات الثورة بطائراتهم فى الجو، واستبدت الفرحة بنسور مصر، فانطلقوا يشقون الفضاء بطائراتهم، فى مختلف أنحاء البلاد مما ترك أثرا عميقا فى رفع معنويات الجيش والشعب».

وسألت عبداللطيف البغدادى عن دور وجيه أباظه ليلة الثورة فقال لى:

- لقد مررت عليه فى البيت يوم ٢٢ وكان ذاهبا إلى المطار فأخذته معى فى سيارة جيب وذهبنا معا وفى الطريق قلت له:

ـ أريدك الليلة أن تكون فى بيتك الساعة الثامنة.

ـ فقال لى:

ـ لا تقول لى أى تفاصيل حتى لو تسرب الخبر... فيكون من أحد غيرى وليس منى.

فقلت له:

ـ إذن الساعة الثامنة تكون فى بيتك.

قال:

ـ نعم ولكن والدتى هنا، وأريد أن أرسلها إلى البلد.

فقلت له:

ـ اتصرف على أساس الساعة الثامنة تكون موجودا فى البيت.

بعدها مررت عليه ومعى حسن إبراهيم حتى أبلغه بالعمليات وموعدها، ضربت جرس الباب فردت على زوجته

قالت: من...؟

سألتها: وجيه موجود...؟

قالت: وجيه مسافر البلد.. من يسأل عنه؟

قلت لها : البغدادى.

فرد هو علىّ، وطلب منى الدخول، ودخلت وأذكر أننا أكلنا عنده عنبا.

واتصلنا بصديق لنا اسمه عمر الجمال كان سفيرا فيما بعد وقلت له: الساعة ٨

تكون موجودا فى البيت، وعرفت أنه مسافر إلى رأس البر، فطلبناه فى التليفون من عند وجيه ولم يرد علينا أحد حتى الساعة ١٠ وبعدها وجدناه.

فقلت له: كيف هذا يا أستاذ؟ ألم نتفق على أن تكون موجودا الساعة ٨ وطلبت منه أن يذهب إلى مطار غرب القاهرة ونبلغ القيادة هناك.

وفى الصباح اتصلت بمطار غرب القاهرة وسألت عن عمر الجمال فقالوا لى: إنه ذهب إلى الاسكندرية.

فى هذا الوقت لم نكن استولينا على القيادة. اتصلت به بالتليفون.

وقلت له: ما هى حكاية الإسكندرية هذه؟

قال: ومن يدرينى أنكم نجحتم... هل تريد منى أن أذهب إلى غرب القاهرة وأقوم بثورة بمفردى.

فقلت له: اذهب إلى مطار مصر الجديدة لتتولى قيادة المطار وسيكون معك عبدالحميد الدغيدى...

وقامت الثورة واستولينا على القيادة، وأخذت سيارة «ستروين» وذهبت إلى السوارى لأرى الدبابات.

كانت هناك أربع دبابات اثنتان عند مطار مصر الجديدة... واثنتان أرسلناهما إلى مطار الماظة.

المهم أننى ذهبت إلى مطار مصر الجديدة لأرى وأطمئن.. على وجيه.

لما قابلت وجيه قال لى:

ـ كله تمام.

فقلت: كيف تتصرف من غير أركان حرب، أو مساعد أركان حرب، ورأيت ضابطا يتحرك. قلت له: أنت جامع الجنود وموزع عليهم سلاح وناشرهم على حدود المطار.

فرد على: أنا عندى تعليمات من شعرواى باشا أن أدافع عن المطار.

قلت له: عندك حق... ولكن من الآن خذ أوامرك من وجيه لا من شعراوى باشا الآن فى المعتقل.

فقال: أوامرك يا فندم. كانت الثقة كبيرة لدرجة لا تتصورها.

وجاء سامى القرموطى يسير على قدميه من روكسى ومعه دبابتان متجها إلى الماظة.

وكنت قد مررت على سامى القرموطى، وكان معى حسن إبراهيم.

فقال لى: لو حدث لنا مكروه من سوف يراعى أولادنا؟

قلت: نحن أيضا خارجون مثلك ولو حدث لنا مكروه لن يراعى أولادنا غير الله.

بعد ذلك وحتى اطمئن قلت له خذ دبابتين، واذهب إلى الماظة كان محمد شوكت سيصبح قائد المطار ،كانت عندى حساسية بالنسبة له لخوفى من أن يخطئ لذلك تولى وجيه أباظة القيادة فى هذه الفترة... فترة الثورة.. حتى استقرت الأوضاع - أصبح وجيه مسئولا عن الشئون العامة للقوات المسلحة.

● هل كان وجيه أباظة يجب أن يدخل مجلس الثورة ولكنه تنازل لإحداث التوازن بين الأسلحة لأن عدد ضباط الطيران كان كبيرا فى المجلس وقالوا: إن عدد ممثلى سلاح الطيران فى مجلس قيادة الثورة أكثر من أى سلاح آخر؟

- ليس بالضبط فكان مجلس الثورة فى الأصل ٩، فى اللجنة التأسيسية فجاء جمال واقترح ضم زكريا، وحسين الشافعى، وعبدالمنعم أمين، ويوسف صديق، للجنة التأسيسية. وكنا فى اللجنة التأسيسية ثلاثة من سلاح الطيران جمال سالم، وحسن إبراهيم، وأنا. أحسست أن جمال يريد أن يقوى جبهته فاقترحت ضم اثنين من الطيران هما: وجيه أباظه وعلى صبرى، جمال عبدالناصر فهم ما أقصده وأخذ موقفا وقال: لا... وكان سيحدث صدام فى أول يوم...

يقول وجيه أباظة عن دوره ليلة الثورة كلمات قصيرة محدودة، إذ يحاول أن ينكر ذاته وينسبه إلى زملائه حتى لو كان هو معهم يقول:

« كان دورى ليلة الثورة مع باقى ضباط الطيران هو الاستيلاء على معسكرات سلاح الطيران الملكى، وقد حضر البغدادى وحسن إبراهيم إلى منزلى يوم ٢٢ يوليو فى الساعة التاسعة مساء، واتفقنا على تعيين حسن محمود قائدا لسلاح الطيران، ومحمد صدقى محمود نائبا له «وقد اعتقل صباح يوم ٢٣ يوليو لمدة خمسة أيام».

وكان موقعى هو قيادة سلاح الطيران، وعمر الجمال لغرب القاهرة، ومحمد شوكت، وصادق القرموطى لمحطة الماظة الجوية.

وقد تم الانقلاب بيسر وسهولة ودون أى معارضة، وقد أذعت بالميكروفونات عن قيام حركة الجيش لتطهيره.. وفى هذا اليوم حضر لى محمد عبدالرحمن أباظة متسللا، وقال لى إننا نفكر فى تطهير البلد ويجب عزل الملك، ولما أخطرته أن هذا ليس فى خطتنا ثار وغضب!!.

❑ ❑ ❑

يوضح توفيق عبده اسماعيل، أحد الضباط الأحرار، قصة الثورة منذ قام بالجيش تنظيم الضباط الأحرار على أثر حرب سنة ١٩٤٨، وبعدها كان للتنظيم دور عقب إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦.

«كان الجيش بعد قرار مصطفى النحاس باشا- وتصديق البرلمان عليه - بإلغاء المعاهدة قد تحرك لحماية القاهرة من الجيش الإنجليزى، وجاءت الأوامر للقوات المصرية أن تقف عند الكيلو ٧٧....

«وفوجئنا بالطيران الإنجليزى يسقط علينا منشورات تقول إن هذه المنطقة مخصصة لهم، وفقا لمعاهدة سنة ١٩٣٦، ولابد أن نعود للخلف حتى الكيلو ٣٠، وإلا فسوف نتعرض لهجوم ورفض الضباط... وكانت أعصابهم مشدودة عندما جاءتهم التعليمات بالانسحاب والتراجع..

«وكان السؤال المطروح على ألسنة الضباط الأحرار: هل يمكن أن نفعل شيئا... وما هو هذا الشيء..

هنا لمع اسم وجيه أباظة... لأننا كنا قريبين من منطقتهم...

«إن أغلب هذه المنطقة، تابعة للعائلة الأباظية، لهم فيها ناس وأقارب، وأصدقاء وأرض، ومصالح، لقد ظهر اسم وجيه أباظة، كصاحب الدور الأساسى فى العمل الفدائى... فقد قاد العمليات ضد المعسكرات البريطانية...

«وكان من بعض الأحزاب السياسية، ولكن أغلبهم كان من الطلبة الوطنيين.

وكان وجيه أباظة هو قاعدة الفدائيين الرئيسية، هو الذى يمولهم، ويحميهم، وينظمهم، ويخطط لهم...

«وكانت الحكومة تشك فيه، ولكنها لم تقترب منه، أولا لموقعه كضابط فى الطيران، وثانيا لأسرته الكبيرة... وثالثا لأنه كان هناك إعجاب به وبدوره....

«ولقد سمعنا عن أسطورة وجيه أباظة ... وما يقوم به فى الشرقية...

ومع حريق القاهرة... وفكر تنظيم الضباط الأحرار أن يقوم بعمل شئ مثل أحمد عرابى...

«أن يعلن الضباط استياءهم للملك من هذا الموضوع.... ويبدأ يطلب من الأسلحة أن تحضر عددا من الضباط، ليذهبوا معه إلى قصر عابدين، ووجد فى النهاية، أن العدد سيكون محدودا جدا، لقد ذهب عرابى من مظاهرة عسكرية ضمت كل ضباط الجيش، ولكن هذه المظاهرة التى فكر فيها عبد الناصر سيكون عددها قليلا، مما لا يليق بالتنظيم ، ولا يجدى فى المطالبة، ولا يحقق شيئا إلا العصف بهؤلاء الضباط، واستبدل عبد الناصر المظاهرة العسكرية، بفكرة الانقلاب وبدأ التفكير فى أن يكون الانقلاب عام ١٩٥٥، خلال هذه الفترة يستكمل التنظيم مقوماته وينتشر ويقوى نفسه...

«ثم تقرر أن يقترب الموعد، وأن يكون الانقلاب فى نوفمبر ١٩٥٢ عند افتتاح البرلمان بأن تتم محاصرة مبنى البرلمان، ويقوم الجيش بحركته.

«وعندما أعلن عن موضوع التعديل الوزارى، تقرر أن يقترب موعد الحركة، وكان محددا له يوم ٢٢ يوليو، ولكنه تأجل يوما واحدا لاستكمال الاستعدادات.

«وعندما كنت آخذ التعليمات لأوزعها على الضباط، قالوا لى: سوف يقابلك ضابط فى مطار هيلوبوليس اسمه وجيه أباظة ...

كنت سعيدا، لأننى سوف ألتقى بالضابط الأسطورة.

«وكان الموعد فى الساعة الثالثة ذهبت قبل هذا الموعد بقليل وتصادف خروج قوات من بوابة سلاح الطيران، ولما سألتهم عن وجهتهم، قالوا: إنها تعليمات حيدر باشا بسبب إعلان حالة الطوارئ... .

وأثناء هذه المناقشة، جاء وجيه أباظة... وكان أول لقاء لى معه... وهو الذى أنهى المناقشة، وأعاد القوات... ووقف معنا... حتى الساعة السادسة صباحا...

بعدها ذهبت لمطار الماظة... لكى أقابل حسن إبراهيم وكان يقف هو وزميله فى النقاط المحددة لهما... ثم عدت إلى مطار هليوبوليس.

وكان هناك ضابط طيار لابد من القبض عليه، اسمه إسماعيل حقى هارون... قوى البنية... جريئا... مندفعا.

أرسلوا له سيارة مدرعة فيها كمال رفعت، وآمال المرصفى، ومحمد البلتاجى وصعد إلى شقته كمال رفعت، ولما فتح الباب وهو يرتدى البيجامة قال له: أنت مطلوب تعالى معنا.

وسأله: مطلوب من من...

ولم يقل له كمال رفعت من الذى طلبه.

ورفض الرجل، وحاول أن يضرب كمال إلا أنهم فى النهاية استطاعوا إنزاله من منزله وصحبوه من روكسى فى الساعة السابعة والنصف فى سيارة بها، إسماعيل هارون، والبلتاجى فى العربة المدرعة...

وقال لى وجيه أباظة: كل شئ تحت السيطرة، والمفروض أن نبحث الخطوات التالية.

فسألته: هل ستتركنا...

قال: أنتم فى صحبة ضابط آخر، وأنا سأذهب لأرى الخطوة القادمة ونعد لها...

فى الساعة الثامنةوالنصف، وجدته فى القيادة مع اجتماع به جمال عبدالناصر، يتناقشون فى الخطوة التالية...

«ورأيت إحسان عبد القدوس داخل القيادة....

«هذه هى مواقف وجيه أباظة الأربعة..

«موقف سمعته... وهو دوره فى العمل الفدائى

«وموقف عاشرته... وهو دوره ليلة ثورة يوليو

«وموقف شاركت فيه ورأيت فيه جرأته وشجاعته وهو حصار مطار الماظة...

«وموقف رأيته.. وهو اجتماعه مع جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس القيادة يضعون خطة المرحلة التالية عقب نجاح ليلة ٢٣ يوليو.

❑ ❑ ❑

لم يغادر وجيه أباظه سلاح الطيران حتى يوم ٢٦ يوليو.

كان قد أمضى ثلاثة أيام بعيداً عن بيته.

يقول ممدوح أباظه شقيقه الأكبر إنهم لم يروه فى تلك الفترة، لكنهم لم يكونوا على علم بتفاصيل وحقيقة دوره فى الثورة. قلت لممدوح أباظه:

● صباح ٢٣ فتحت الراديو وسمعت أن الثورة قامت؟ هل علمت أو توقعت أن وجيه أباظه أحد المشاركين فى الثورة؟.. وكيف علمت؟

- فى ٢٣ يوليو سمعت عن الثورة، ولا أذكر أن وجيه كان مشاركا فيها أم لا وتقريبا اتصل بنا وعرفنا منه بعض الملامح عندما قال إن كل شئ مستتب، لأنه فى هذا الوقت إسماعيل أباظه والد حسن وفرج ومصطفى وفايز ووالد مصطفى اغتيل فى صباح ٢٣ يوليو وأحضروه ليدفن.

وجيه لم يحضر، لا هذه ولا تلك، وكان فى القيادة.. ولا قال لنا أنه لن يحضر ولقد فسرنا عدم حضوره لهذا السبب، ولكنى كنت مطمئناً ودخل فى علمى أنه مشارك، فى هذا الأمر بشكل أو بآخر، ولا أتذكر التفاصيل ولا من الذى قال لي.

● **هل تذكر أول لقاء لك مع وجيه أباظه بعد قيام الثورة؟ وهل فى تلك الأيام من ٢٣ يوليو حتى خروج الملك فى ٢٦ يوليو رأيت وجيه أباظه؟**

- أذكر أن فريد أبو حديد الذى كنت أعمل معه فى وزاة «المعارف» ذهب إلى القيادة التقى مع محمد نجيب، وعندما عاد قال لى أن وجيه مهم عند محمد نجيب وظل يكلمنى عن وجيه، ولكنى لا أتذكر ما هو دوره... ولكننا كنا على اتصال..

● **ألا تذكر المناصب التى أسندت له بعد الثورة؟**

- أعتقد أنه كان له شأن فى هذه العملية، وأحد كبار أسرتنا قال لوجيه: أنتظرك على الغداء وكان متفقاً معه على ذلك.. وغضب لأنه لم يحضر... ولم يعتذر، ولكن وجيه قال له: إن ماحدث أن محمد نجيب مش عارف كان رايح فين ورحت أودعه فقال له: تعالى اطلع... وأخذنى معه.

❑ ❑ ❑

يوم ٢٦ يوليو كان عليه أن يذهب إلى بيته، وينام ساعة، فقد ترتب كل شئ.

وسوف يرحل الملك بعد ساعات، ولم تعد هناك مشاكل فى القاهرة.

بعض أفراد من الطيارين أرسلهم إلى الإسكندرية..

وجاءه التمام، بأن كل شئ يسير فى الطريق المرسوم، وأنه لامشاكل، ولاعقبات وأن المسألة قد انتهت تقريبا.

لم يذهب إلى بيته، ولكنه ذهب إلى صديقه حلمى سلام وفقاً لشهادة الرجل الذى قال:

«يوم السادس والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢. وساعتها: الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم نفسه- وهى «الساعة» التى حددها «مجلس قيادة الثورة» لـ«فاروق» لكي يغادر وبلا رجعة، أرض مصر- فى هذه الساعة نفسها جاء إلى بيتى «قائد الجناح وجيه أباظه» - وكان واحدا من «الضباط الأحرار» الذين أسهموا إسهاما مؤثرا.. وفعالا.. فى وصول «الثورة»، قبل أن تقوم.. وبعد أن قامت. جاءت إلى بيتى فى ذات اللحظة التى كان «فاروق» يلقى فيها «نظرة الوداع» على قصر رأس التين.. الذى وقّع، من فوق «مائدة رخامية» كانت تتوسط إحدى قاعاته. وثيقة تنازله عن «عرش مصر». وحملنى «وجيه» بين ذراعيه القويتين، وأخذ يقبلني، ويدور بى فى أرجاء الحجرة التى استقبلته بها.. وهو يصيح (رحل.. رحل.. مبروك لك.. مبروك لنا. مبروك لكل مصرى على أرض مصر).

« ثم جذبنى «وجيه» من يدي، وهو فى حالة انفعال لاتوصف. واندفع خارجا من البيت.. وأنا معه.

«وأمام البيت.. كانت هناك «سيارة جيب» تقف فى انتظاره.. ركبناها معا، وتوجهنا إلى «محطة مصر الجديدة الجوية» حيث كان فى انتظارنا بها «قائد الأسراب» حسن إبراهيم.. عضو مجلس قيادة الثورة.. والذى وقعت على عاتقه مسئولية تحريك «القوات الجوية»، التى أرهب زئيرها فى سماء الإسكندرية، وأشعره أن «الأمر» جد، ولا هزل فيه.

ومع حسن إبراهيم. وجيه أباظه. وعبد الحميد الدغيدي.. ومحمد شوكت. وعمر الجمال. وآخرون من مجموعة «الضباط الأحرار» بالقوات الجوية - شربنا «نخب انتصار الثورة»: أكوابا من عصير البرتقال، كان لها - فى ذلك «اليوم المشهود» - مذاق خاص تميزت به عن كل ماسبق لنا أن شربناه منها.. كان لها مذاق «الشهد» على ألسنتنا..

بدأت الثورة منذ أيامها الأولى تخوض المعارك على الجبهات المختلفة، ولكن أعنف هذه المعارك تلك التى دارت بين قيادات الثورة أنفسهم والانقسام الذى حدث داخل مجلس الثورة عام ١٩٥٤.

عندما وقع الخلاف بين محمد نجيب وزملائه أعضاء مجلس الثورة وحدث خلاف يهدد الثورة، استغلته كل القوى التى تجمعت واتخذت موقفا من الثورة، فقد أضيرت قوى الأحزاب السابقة والإقطاع وغيرهم.

وبصرف النظر عن الأسباب الموضوعية للخلاف بين نجيب وزملائه أعضاء مجلس الثورة فقد كان من الطبيعى أن يقع مثل هذا الخلاف بين الشباب المتحمس الذى قام بالثورة، وبين الرجل المحافظ الذى قادها...

لقد كانوا تقريبا من جيل واحد، وكانوا أصدقاء من قبل، وكانوا يجلسون معاً، ويأكلون معاً، ويتكلمون معاً. .

ولاشك أن ذلك قد ترك أثراً فى نفسه، وأيضاً كان هناك من يوقع بين كل الأطراف من الذين يستفيدون من وجود أى خلاف.

وربما كان وضع محمد نجيب الذى ظهر على أنه وجه الثورة قد سبب ضيقاً للآخرين الذين أحسوا أنهم هم صانعو الثورة. . وأن دوره فيها محدود جداً. . وهو الاعلان عنه كقائد لها ليلة ٢٣يوليو.

«ولم يكن ذلك صحيحا على إطلاقه. فيكفى محمد نجيب أنه تصدر المسئولية.

«ولو كانت الثورة قد فشلت، فإن مصيره كان الإعدام بلاشك، فقد كان واجهة لعمل خطير، وتحمل فيه مسئولية كبري... ولكن الأهم من ذلك كله، أنه كان هناك اتجاهان... بدأت بقايا قوى الأحزاب القديمة تلعب عليهما. . وتوسع التناقض بين الرجل، وبين مجموعة مجلس قيادة الثورة كلها.

يقول محمد نجيب فى مذكراته إن مجلس القيادة كان يجتمع فى غيابه ويتخذ قرارات متنافرة مع آرائه، ويضرب مثلاً بأنه لم يوافق على حل تنظيم الإخوان

المسلمين، وأنه كتب استقالته وقال فيها أنه على قادر على التعاون مع المجلس وغير موافق على كثير من قراراته.

وافق المجلس على استقالته، وعين جمال عبد الناصر رئيساً للوزراء، وذهب عبد المحسن أبو النور إلى بيته. وأنه استطاع بواسطة التحايل سحب الأسلحة من جنود الحراسة من على البيت «وفوجئت فى الصباح بتغيير الحرس، ومنع الخروج أو الدخول للمنزل وقطع التليفون على حد تعبير نجيب».

ثم جاء خالد محيي الدين مع ثمانية من ضباط الفرسان ليبلغوه أن مجلس الثورة قرر إعادتة، وتعيين خالد محيي الدين رئيس للوزراء.

ويلخص محمد نجيب الأزمة من وجهة نظره فى موضوع الديمقراطية... وأنه كان مع الديمقراطية... وكانوا هم معادين لها.

ولم يكن هذا الآن صحيحاً على هذا النحو.

ويقول محمد حسنين هيكل أنه بعد إبعاد نجيب عرض جمال عبدالناصر رئاسة الجمهورية على الأستاذ أحمد لطفى السيد «باشا» مؤسس الجامعة وأستاذ الجيل كما كان يطلق عليه بعد ترجمته الهامة لفكر أرسطو، ولكن «لطفى السيد» قال لجمال عبدالناصر أنه يعرف الأهمية التاريخية والوطنية التى قامت بها ثورة يوليو، وأنه يؤمن بأن لاأحد يستطيع أن يتحمل مسئوليات استمرار أى عمل غير الذين بدأوه، وأن مصر فى حاجة إلى دم جديد وأن شبابها لايجب أن يتردد أو يقبل قيام ازدواجية بين شكل السلطه وحقيقتها.

وكانت أول مرة يسمع فيها جمال عبد الناصر من يقول له: أنت الذى يتحتم أن يتقدم لرئاسة الجمهورية.

❑ ❑ ❑

الحقيقة أن أزمة مارس ١٩٥٤ كانت بين تيارين..

إما أن تستمر الثورة.. أو لا تستمر.

وكان محمد نجيب قد بدأ يتصل ببعض القوى القديمة، وربما كان يتصور أنها ستدعم موقفه، إذا ما ساعد الضباط فى العودة إلى مواقعهم فى الجيش.

وكان هذا أمر مستحيلاً من حيث المنطق البحت...

وفى ذلك الوقت وجه أنور السادات إلى محمد نجيب انتقادات عنيفة[1] وجرده من كل علاقة له بالثورة قبل أن يطلبوا منه أن يتولى القيادة.

وتصاعدت خلال شهر مارس ١٩٥٤، الأزمة بعد أن عاد محمد نجيب إلى موقعه عقب الاستقالة الأولي.

فقد قامت مظاهرات من الجامعة ابتهاجاً بعودته ويقول محمد حسنين هيكل إن عبدالناصر عرض رئاسة الجمهورية على الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا مؤسس الجامعة المصرية وأستاذ الجيل كما كان يطلق عليه بعد ترجمته الفكر ارسطو ولكن لطفى السيد قال لجمال عبدالناصر أنه يعرف الأهمية التاريخية والوطنية للدور الذى قامت به ثورة ٢٣ يوليو وهو يؤمن بأنه لاأحد يستطيع أن يتحمل مسئوليات استمرار أى عمل غير الذين بدأوه، وأن مصر فى حاجة اليوم إلى أم جديد، وأن شبابها لا يجب أن يتردد أو يقبل قيام ازدواجية بين شكل السلطة وحقيقتها ولأول مرة سمح جمال عبدالناصر من يقول له «أنه هو الذى يتحتم عليه أن يتقدم لرئاسة الجمهورية[2]، وسارت على كوبرى قصر النيل قاصدة ميدان الجمهورية، ولما تصدت لها الشرطة، دخلوا فندق «سميراميس» القديم، وحدث احتكاك بين المتظاهرين وبين البوليس وأطلقت فيه الرصاصات، وأصيب أحد الضباط وألقى القبض على الطالب الذى أطلق عليه النار واتضح أنه من الإخوان المسلمين..

وصدر قرار بإيقاف الدراسة بالجامعات من أول مارس، لمدة أسبوع.

وتبين من التحقيقات أن الإخوان المسلمين هم الذين قاموا بهذه الحوادث وألقى القبض على عدد من زعمائهم.

---

(١) قصة الثورة كاملة ـ أنور السادات

(٢) ملفات السويس ـ محمد حسنين هيكل.

فى ٦ مارس أعلن عبد الناصر - رئيس مجلس الوزاراء - قرار مجلس قيادة الثورة بانتخاب جمعية تأسيسية تتولى مناقشة مشروع الدستور.

وتقوم بمهمة البرلمان حتى يعقد البرلمان الجديد، وإلغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحف وتعيين محمد نجيب رئيساً لمجلس قيادة الثورة، ورئيسا للوزراء.

وتنحى عبد الناصر عن رئاسة الوزارة..

وبعدها أعلن المجلس قراره بالسماح بقيام الأحزاب.

وحل مجلس الثورة... واجتمع ضباط الجيش من جميع الأسلحة.

ورأوا الثورة مهددة إذا عادت الأحزاب القديمة... وقد بدأت تتحرك فعلاً.

وقرروا معارضة مجلس الثورة، والاعتصام فى ثكناتهم حتى يتم إلغاء كل هذه القرارت، وطالبوا بأن تستمر الثورة، وتواصل طريقها.. وكانت وجهة نظرهم.. لماذا إذن كل بما قمنا به.. إذا كنا سوف نسلم البلاد للأحزاب القديمة وهى كما هي.

بعدها قرر مجلس قيادة الثورة إرجاء تنفيذ قرارته، وتشكيل مجلس وطنى استشارى يضم كل الطوائف.

وتخلى محمد نجيب عن رئاسة الوزارة، وشكل عبد الناصر الوزارة، واتخذ مجلس قيادة الثورة ستة قرارات لتأمين مسيرة الثورة.

١- محاسبة المسئولين عن الفساد السياسى فى العهود الماضية وطرق إبعادهم من العمل فى محيط السياسة وحرمان عدد منهم من حقوقه السياسية.

٢- تطهير الصحافة.

٣- منح سلطات للمسئولين فى الجامعات لضمان انتظام الدراسة فيها...

٤- البحث فى إصدار قانون لحماية الثورة والأسس التى يقوم عليها المجلس الوطني.

٥- القيام مشروعات هامة لمصلحة مختلف طبقات الشعب وتنشيط الاقتصاد القومى والقضاء على الفساد.

٦- اختيار عناصر صالحة فى مجالس البلديات وحلّ مشكلة المواصلات بالقاهرة.

وبدأ مجلس الوزراء يطبق قراره بالحرمان من حق تولى الوظائف العامة ومن

كافة الحقوق السياسية وتولى مجالس إدارة النقابات والهيئات لمدة عشر سنوات كل من سبق أن تولى الوزارة فى الفترة من ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ إلى ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢، أى فى السنوات العشر السابقة على الثورة وكان منتمياً إلى حزب الوفد أو حزب الأحرار الدستوريين أو الحزب السعدي.

أما من لم يكن منهم منتمياً إلى هذه الأحزاب فلا يحرم إلاّ بقرار من مجلس قيادة الثورة.

والوزاراء الحزبيون الذين حُرموا من حقوقهم السياسية بموجب هذا القرار هم:

من الوزاراء الوفديين: مصطفى النحاس، على زكى العرابي، عبد السلام فهمى جمعة، مكرم عبيد، أحمد نجيب الهلالي، فؤاد سراج الدين، مصطفى نصرت، أحمد حمزة، عبد الحميد عبد الحق، عبد المجيد عبد الحق، محمد محمد الوكيل، عبد الفتاح الطويل، عثمان محرم، محمد صلاح الدين، محمود سليمان غنام، حسين الجندي، إبراهيم فرج، عبد الفتاح حسن، عبد اللطيف محمود، حامد زكي، ياسين أحمد، عبد الجواد حسين.

ومن الوزراء الدستوريين: محمد حسين هيكل، أحمد على علوبه، رياض عبد العزيز سيف النصر، عبد المجيد إبراهيم صالح، على عبد الرازق، أحمد عبد الغفار، أحمد رمزي، عباس أبو حسين.

ومن الوزراء السعديين: إبراهيم عبد الهادي، محمود غالب، ممدوح رياض، على أيوب، عبد الرزاق السنهوري، أحمد مرسى بدر، الدكتور نجيب إسكندر، عبد المجيد بدر.

❑ ❑ ❑

كان لوجيه أباظه دور بارز فى أزمة مارس ١٩٥٤ وكان مع استمرار الثورة، وتدعيمها، وضد أن يعود الضباط إلى ثكناتهم، وفقاً للاصطلاح الذى كان شائعا فى ذلك الوقت يقول:

«كنا قد اجتمعنا بمنزل سعد زايد اجتماعا حضره جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وأبو الفضل الجيزاوى وعدد آخر من الضباط للتشاور وأخذ الرأى فيما إذا كنا سنستمر أم نعود للثكنات وانتهى الاجتماع إلى ضرورة استمرار الثورة».

«وفى يوم تقديم محمد نجيب لاستقالته عقد ضباط الفرسان اجتماعا طالبوا فيه

ضمن مطالبهم بإلغاء البوليس الحربي، وإدارة الشئون العامة، وهو الاجتماع الذى انتهى بترشيح لنجيب رئيسا للجمهورية، وخالد محيي الدين رئيسا للوزراء.

«وبعد الاجتماع حضر جمال عبد الناصر وكان مأخوذا من الطريقة التى عومل بها فى سلاح الفرسان، ودخل غرفة الاجتماعات حيث كان هناك عدد من الضباط الأحرار الرافضين لاقتراحه الذى عرضه على سلاح الفرسان.

«وأذكر أن جمال عبد الناصر سحب طبنجة ووضعها على رأسه وهو واقف فوق مائدة الاجتماعات، وهدد بقتل نفسه إذا ماحدث صدام بين وحدات الجيش وأسلحته المختلفة.

«وفى هذا الاجتماع قررت إخراج الطائرات محملة بالصواريخ فوق سلاح الفرسان، كما ذهب أبو الفضل الجيزاوى وسعد زايد ومجموعة ضباط المدفعية وحاصروا سلاح الفرسان بالمدفعية، واستولى مجدى حسنين على مخزن ذخيرة السلاح.

«وعندما قامت الطائرات التى أعطيتها الأمر بقيادة يوسف سعودى وحسام نوفل وعز الدين العيادى بالتحليق (طيران منخفض) فوق الفرسان، تحولت دفة الموقف، وانتهت أزمة الفرسان.

كان هناك عدد من الطيارين المعادين، استدعاهم وجيه أباظة إلى منزله، فى عزومة على الغداء، وقال لهم إنهم لن يخرجوا من هنا إلا بعد أن تنتهى الأزمة.

وفعلاً ظلوا فى بيته حتى إنهاء الأزمة.

❑ ❑ ❑

بانتهاء أزمة مارس

استقرت الثورة فى الحكم..

وكان وجيه أباظة يواصل تدعيمها كان طريق موقعه الجديد فى الشئون العامة للقوات المسلحة..

لم تكن هناك وزارة إعلام

وكان هو مسئولا عن إعلام الثورة...

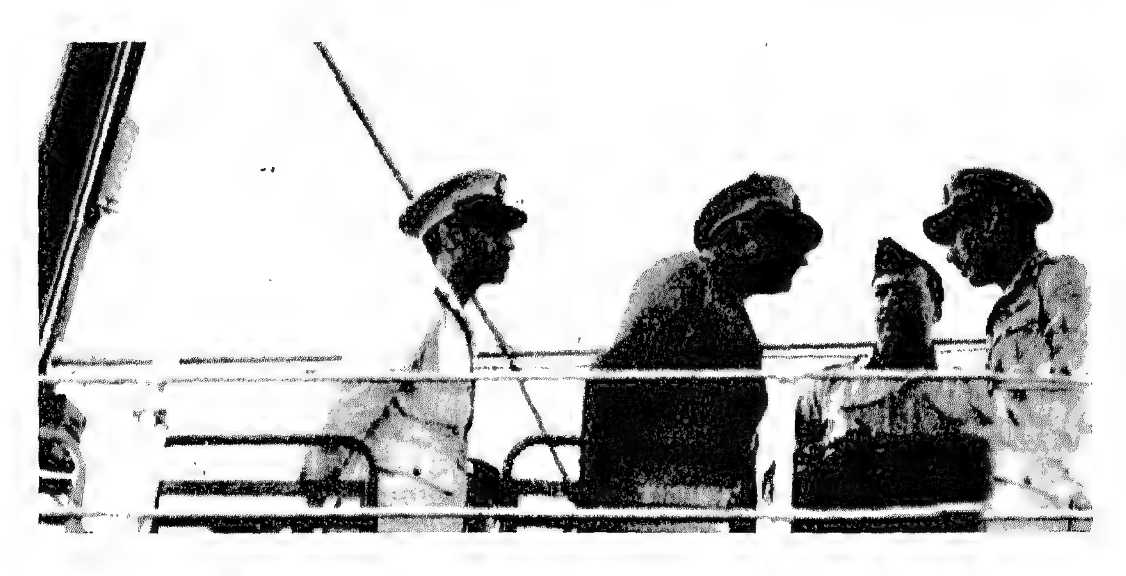


مع محمد نجيب في بداية الثورة



مع على ماهر أول رئيس وزراء اختارته الثورة

وجيه أباظه يصافح حسن ابراهيم . . وكان وجيه اباظه هو الذى ضم حسن ابراهيم لتنظيم الضباط الاحرار ويرى فى الصورة أنور السادات



فى الأيام الأولى للثورة مع عبد الناصر وعبد الحكيم عامر



تحت جناح طائرة وجيه اباظة الاول من اليسار



فى مقدمة الصفوف . . بعد قيام الثورة مباشرة وجيه أباظه فى أحد المؤتمرات الشعبية مع قادة الثورة

الشئون العامة

عندما قامت الثورة، لم تكن تملك إعلاما... لم يكن التليفزيون قد ظهر بعد.. لم يكن للثورة صحافة مستقلة تنشر وجهة نظرها.. ويبدو أن الصحافة القائمة، لم تكن - في معظمها ترحب بالثورة. خاصة بعد إلغاء الأحزاب، وإلغاء صحافة الأحزاب أيضا.. وقررت الثورة أن تتولي إعلامها بنفسها..

وعهـدت بهذه المهمـة إلى وجيه أباظه.. الذى أنشـأ صحافـة الثورة، وأنشأ شـركة للسينما، وأنشأ شركة للإعـلان.. وابتكر وسائل عديدة، وفريدة للإعلام عن الثورة.. واستـعان بفنانى مـصر، وبكتـابها، وأدبائها، صـحفـييهـا لتقـديم إعلام ناجح وواعٍ، وصادق، وجديد عن الثـورة، وقادتها الذين لم يكن أحد يعرفـهم من قبل، فكلهم من الشبان، ومن الوجوه الجديدة على الحياة السياسية المصرية.

واختار للعمل معـه كتيبة مخلصة وواعية، واسـتطاع أن يكون من زملائه، ومعاونيه أسرة متكاملة تربطها الحب والصداقة، أكثر مما يربطها العمل..

لذلك، فإنه يوم اتجـه إلى عمل آخر، فـضلوا جميعـا أن يتركوا مـواقـعهم فى إدارة الشئون العامـة للقوات المسلحة التى كـان يرأسها، والتى عهـد إليـهـا بمسئولية الإعلام عن الثورة.

كانت هى وزارة الإعلام... ووضعت لبنة إنشاء هيئة الاستعلامات.

ابتكرت انتاج الفيلم التسجيلى عن الثورة.. واستـعانت بأفلام روائية أنتجتها، تنشر من خلالها قصة الثورة وفكرها. وأقامت إدارة الشئون العامة متحف الثورة.

وأنشأت المسرح العسكري، لعرض مسرحيات كتبت خصيصا تحمل مضمونا ثوريا، كان مطلوباً فى تلك المرحلة.

وأقامت المعارض، واتجهت إلى الفنانين كل الفنانين.. فى الغناء والتمثيل، والرسم ليقوموا بتهيئة المواطنين لمشروعات الثورة وأهدافها.

وأصدرت لهم مجلة فنية ذات طابع جديد، ومضمون مختلف..

ودخل وجـيه أباظه نقـابة الصحـفيين، وأصـبح واحدا مـن أبناء مهنة حـملة القلم والفكر. واخترع وسائل جديدة للإعلان، بعد أن كوّن فرقة من الشباب المصرى يحترف المهنة لأول مرة، هم الذين حملوا مـشعلها بعد أن هاجر اليهـود الذين كانوا يسيطرون على مهنة الإعـلان فى مصر، وكـان وجيه أباظه هو الذى فكر فى الإعـلان بالفوانيس المعلقة على أعمدة الكهرباء فى الشوارع.

وهو أول من استخدم الإعلان على الترام ووسائل النقل المختلفة. . قبله كان الإعلان قاصـرا على الصحف، ولكنـه استطاع أن يخلق له أوعـية جديدة بـدأت بالإعلان عن مشروعات الثورة، ثم امتدت إلى الإعلانات التجارية لتغطية النفقات، بحيث لا تتحمل ميزانية الدولة أية مصروفات. . .

وقد تمكن وجيه أباظه بمشروعاته الفنية من اكتشاف فنانين جدد. . . بدأوا مع الثورة وعاشوا معها، وكانوا نبضها أبرزهم عبد الحليم حافظ.

❑❑❑

وكان وجيه أباظه هو الذى أنشأ مجلة التحرير...

وهو الذى أنشأ جريدة الجمهورية... كصحافة جديدة ومختلفة للثورة.

وهو الذى أنشأ جريدة الشعب، بل إن ترخيص الجريدة كان باسمه.

❑❑❑

كانت تعاون وجيه أباظه مجموعة من ضباط الثورة. . الضباط الأحرار، وكانوا أقدر الناس على أن يقـومـوا بالإعـلام، عن أفكارهم، وعن المبـادىء السـتـة التى ثاروا من أجلها، وتمسكوا بها، ومن هنا فـإن هذه المجموعة، قد التقت فى إدارة جـديدة أنشأتها الثورة لأول مرة، اسمها الشئون العامة للقوات المسلحة.

كانت هى وزارة الإعلام. . وهى وزارة الثقافة، وهى أيضا مؤسسة الصحافة. . وهى مؤسسة السينما. .

من بين أعضاء هذه المجموعة: محمد أبو الفضل الجيزاوى الذى لعب دورا هاما ليلة الثورة، عندما يتذكر هذه الفترة من عمر الثورة، وكيف أنشأوا إعلام الثورة يقول:

«إنه فى ذلك الوقت. . لم تكن تملك الثورة إعلاماً إلا في الإذاعة ولقد نجح المرحوم وجيـه أباظه فى إعلام الثـورة نتيجـة أفكاره المبتكرة، وحب الناس له، وأنشـأنا جريدة الجمهورية وقطار الرحمة ـ وشركـتى النيل للإعلان والسينما وكنا نعاونه بإخلاص لأنه كان مبادرا فى كل شيء، وكانـت شخصيته جذابة، فكنا نقابل السـيدة أم كلثوم، وعبد الوهاب ونتفـاهم معـهما وكـان عبد الحليم حـافظ قد بدأ فى الشـئون العامـة للقوات

المسلحة، وقد يسر لنا قطار الرحمة الاختلاط بالجماهير، وكذلك من خلال «هيئة التحرير» فى كل المحافظات، وكنا نمدها بالكتب والنشرات و الصور... لقد كان عمل الشئون العامة كبيرا.

كان وجيه أباظة فكر بلا حدود واستمر في العمل بكل جهده ونشاطه حتى حدث شيء غريب هو نقله لمطار حلوان ـ وقد حزنا وعرفنا أن وراء هذه العملية أنور السادات ـ واعترضنا وطلبنا من كمال الدين حسين أن يبلغ جمال عبد الناصر أنه وإذا كان لابد من نقل وجيه أباظة، فإننا بالتأكيد سنترك الشئون العامة، ونعود لوحداتنا ، ومن هذا المنطلق رجع عبد الناصر في قراره بنقله، وأصبحت العلاقة بيننا أكثر قوة عندنا كثوار، بعد ذلك التقينا فى مجلس الأمة الأول كأعضاء فيه...

كنا كتيبة الإعلام وعرفنا الناس بالثورة ـ فى وقت لم يكن أى نوع من الإعلام، هذه الكتيبة كانت بقيادة وجيه أباظه، وكانت تستعين أولا بالفنانين، ثانيا بالأدباء، وثالثا برجال الصحافة وأصحاب الأقلام، كان لابد من اعلام قوى يبرز منجزات الثورة وأعمالها ومنها صدور قانون الإصلاح الزراعى الذي يقول إن الأرض من حق الفلاح الذى يزرعها بدلا من أن يموت بالأنكلستوما، فأخذنا الأرض من الإقطاعيين ووزعناها على الفلاحين، حتى نواجه الطبقة العاتية التى كانت على علاقة بالرأسمالية فى الخارج، وبدأنا السد العالى ـ وقانون العمال والتأمينات، إن الثورة غيرت المجتمع تغييرا جذريا.

حول هذه القضايا الرئيسية التي تهم الناس كان يدور فكر الاعلام وهدفه وكانت النواة الأصلية لهذا الإعلام هم وجيه أباظه ـ وجمال الليثى ـ ومصطفى كامل مراد ـ وعلى الجارحى ـ ومصطفى بهجت بدوى وغيرهم كما ساهم الفنانون والصحفيون أيضا.



توفيق عبده إسماعيل أحد الضباط الأحرار الذين كان لهم دور بارز ومتميز فى الثورة، وإن كان قد اختلف معها ونقل إلى خفر السواحل ثم اعتقل بعد ذلك يقول:

«إن وجيه أباظه هو الذى بنى إعجاب الشعب بالثورة.

«ففى سنة ١٩٥٤ شيد وجيه أباظة إعـجاب الشعب بالثورة، فكان هناك من يتصارع ومن يتشاجر، لكن وجيه كان مـختلفا، كان يبنى هالة للثورة بوسائل عديدة منها قطار الرحمة، وحفلات الفنانين، والمطبوعات وغيرها حتى استطاع أن يشعر الناس بالثورة».

❑❑❑

ويقول مصطفى كامل مراد الذى كان يعمـل مع وجيه أباظة فى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة، إن وجيه أباظة كانت له أفكار براقة، ولامعة...

مثلا لقد قرر الاستعانة بالفنان العالمى «طرزان»، وكان صاحب شهرة واسعة فى مصر ليس للدعاية للثـورة فحسب، بل وإبراز صـورة مصر الحـقيقيـة، ووجههـا المشرق فى عهدها الجديد أمام العالم كله.

وأرسل إليه يعرض استضافـته، هو وزوجته فى القاهرة، ووافق الرجل.. وجاء إلى مصر، ورتب وجيه أباظة له زيارة سياحية لكل مناطق مصر، وجهز له طائرة هليوكوبتر تنقل بها، وقد بهرته مصر من خلال هذه الزيارة، حتى أنه عندما عاد إلى أمريكا أدلى بعشرات الأحاديث للصـحف، والإذاعات حول مصر وعظمتهـا، وكانت أحسن دعاية لمصر فى عهدها الثورى الجديد.

وكانت هذه ـ كما يقـول مصطفى كامل مراد ـ واحدة من الأفكار المتـميزة والجديدة والجريئة لوجيه أباظة.

لقد كان يتصرف بروح الثورة، وكانت أعماله كلها بعيدة عن الروتين، لذلك انطلقت إدارة الشئون العـامة للقوات المسلحة فى عـهده، وأدت أحسن الخدمـات للثورة، وأنشأ صحافة جديدة للثورة.. وشركة للإعلان، وأخرى للتوزيع، وثالثة للسينما.

وقد ارتبطنا بوجيه أباظة كمجموعة من العاملين معه، وكنا نتعاون معاً ونعمل معاً، وكنا نتصـرف بروح الأسرة، وكأصـدقاء، حتى أنه عندما ترك الـشئون العامـة للقوات المسلحة تركناها معه.

بعد ذلك التقينا فى أول برلمان للثورة، وكان له دور فيه أيضا. .

❑❑❑

يقول جمال الليثى الذى عمل مع وجيه أباظه فى الشئون العامة للقوات المسلحة، أنه لم تكن لى صلة بوجيه أباظه وبعد نجاح الثورة، كنت مسئولا عن مدرسة المدفعية حتى طلب منى أن أذهب للعمل مع وجيه أباظه فى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة. . وكانت هى وزارة إعلام الثورة، وقالوا لى أنه رجل عظيم.

بدأت العمل معه بأن وزعنا على الأقسام، أنت تمسك السينما تحت رئاسته، وأنت تمسك الصحافة. . وهكذا بدأ عملا جادا إلا أن هذه الحكاية أوغرت صدور ناس كثيرة، لأنه كان يقابل الفنانين، والصحفيين والمسؤولين - وفجأة جاءت رسالة بنقل وجيه أباظه إلى القوات الجوية، فاستغربنا ماذا فعل، وهل هذا هو جزاء الإخلاص والأمانة؟

كان وجيه أباظه رجلا إعلاميا درجة أولى، وأيقنت أن هناك وشاية وفى الغالب تكون من صلاح سالم لأنه كان يغار منه جدا - وذهبت إلى مقر جمال عبدالناصر، وكان فى اجتماع فخرج منه وقابلنى فقلت له: هل حضرتك أرسلت تطلب نقل لوجيه أباظه.

قال: نعم. . . لقد فوجئ جمال عبد الناصر بأننى أسأله عن السبب.

وقلت له: أريد أن أعرف لماذا ينقل مثل هذا الرجل خاصة أنه مخلص ونظيف ويحب مصر. . .

عبد الناصر عجبنى عندما سألني: انت شايف إيه. . . طب خلاص.

وقام كمال حسين مسكنى من أذنى. وقلت له يعنى أروح أبلغ. .

- قال لي: أيوه

بعدها ألغى جمال عبدالناصر قرار نقله

أذكر أنه ذات مرة طلبنا زكريا محيى الدين لمقابلته. . وفى مكتبه وجدنا لديه ملفات كثيرة عن القوات البريطانية فى القاعدة، وطلب منا أن نحول ما فيها إلى منشورات، وكان موجوداً محمد غانم، وكمال رفعت، عبد الفتاح مصطفى فكان معنا ضابط اسمه سعيد النكلاوى أبوه مصرى وأمه انجليزية. . ويجيد اللغة الإنجليزيه فقال

لى تقعد معاه ويعطيك الأفكار من الملفات وكان فيه مطبعة فى شبرا أعرفها، وأعرف رئيس العمال بها، وتفاهم معه وجيه أباظة فقال الرجل، واسم «عم سيد» إنهم يغلقون يوم الأحد، ويمكنه أن يفتح المطبعة، ويطبع لنا المنشورات، وطلب الورق فقط، وسوف يقوم بطبعها، وعم وجيه يتسلم المنشورات ويوزعها ويدفع الفلوس الخاصة بالطباعة.

وجيه أباظه أقام حفلات ومهرجانات الأندلس، البعض يظن أن هذه حفلات مجرد ترفيه، ولكن كل فنان كان يطلع يقول كلاماً سياسياً ويتحدث عن عبد الناصر وغيره، ويتحدث فى السياسة ويوعى الناس، وكانت هذه الحفلات مذاعة على الهواء. مثلا أذكر يوم إعلان الجمهورية ـ وجيه أباظه عرف الخبر وقال لي: ونزلنا كان يوسف وهبى موجوداً ونقلنا له الخبر، فخرج وأمسك بالميكروفون ـ وكما قلت كانت الحفلات مذاعة على الهواء ـ وقرأ يوسف وهبى الخبر قائلا: «أيها الشعب لقد أعلنت الجمهورية». فهو أول من أذاع النبأ.

وكان معنا مدحت عاصم، نجتمع ونفكر ونخطط فى «بوستر» لمحاربة الشائعات وأيضاً نعمل على نشر الإشاعات البناءة.

بعد ذلك فكر وجيه أباظه أن ينشىء مجموعة شركات باسم النيل السينما، والنيل للإعلان ـ وطبعا لعدم وجود خبرة واجهتنا مشاكل ومتاعب وعندما صفيت الشركة على الورق وجدوا أنها لم تحقق ربحا، ولكنها لم تكن خاسرة.

أنتجنا فيلم «اللهمعنا» عن الثورة، وأفلاما أخرى روائية وتسجيلية عن إنجازات الثورة، عن الجيش.

وأذكر أنه جاءنا ذات يوم رجل يونانى عجوز، قال إنه مهندس، وإنه أفنى عمره فى دراسة مشروع دون أن يلتفت إليه أحد، وهو يريد أن يقدم المشروع للمسئولين، لأنه مشروع المستقبل لمصر..

كان الرجل هو «دانيوس» وكان المشروع هو السد العالي، وقد أخذ وجيه أباظة منه المشروع إلى جمال عبد الناصر، وبعد دراسة المشروع أمر جمال عبدالناصر أن يصرف للرجل عشرة آلاف جنيه مكافأة صرفها له وجيه أباظه.

حلمى سلام كاتب كبير عاصر الحركة الوطنية والثورة منذ كانت جنينا لم تولد بعد... وكان معاونا لها بقلمه كصوت للوطنيين فى نضالهم منذ ما قبل الثورة.

وبعد الثورة استمر فى هذا الدور دعما لهم فى معاركها حتى أصبح رئيسا لمجلس إدارة دار التحرير التى أنشأتها الثورة لتصدر صحفا تعبر عنها. . . قبلها كان مسئولاً عن مجلة التحرير التى تصدرها الشئون العامة للقوات المسلحة من دار التحرير وكان أنور السادات يشرف على الدار...

وكان كل الصحفين يرغبون فى التعامل مع وجيه أباظه وحده، وليس مع أنور السادات المشرف على دار التحرير.

وكان هناك فرق بين تعاملهم مع وجيه أباظه، وتعاملهم مع أنور السادات.

ولقد وقف وجيه إلى جانب صديقه حلمى سلام، ولكن أنور السادات كانت لديه هواجس مختلفة، ويروى حلمى سلام قصته مع دار التحرير، ومع أنور السادات عندما ابتعد عن العمل مع وجيه أباظه، قائلا أنه وجد بعض المضايقات فى دار الهلال، فقد كان مسئولا عن المصور الذى هو واجهة الدار، وقد حوله بروح الشباب إلى مجلة للثورة، وكان أصحاب دار الهلال لايعرفون ما هو موقف الثورة، وكان لديهم هاجس أنها يمكن أن تُضرب، أو تنتهى وهم يريدون أن يظلوا فى الجانب الآمن. لذلك لم يكونوا راضين عن المصور كمجلة وكرمز على الدار. وقد أخذت طريق الثورة بعنف شديد جدا، وبكل حماس للشبان باعتبار حلمى سلام واحداً من المتحمسين للثورة وللبلد عموماً ويقول حلمى سلام:

«لقد أحسست بذلك حينما زارنى أميل زيدان، وطلب أن يرى كل شيء يكتب، وكل صورة تنشر، لم يعجبنى هذا الكلام، لقد كنت مدير تحرير المصور، وكان يريد أن أعرض عليه كل شيء فى البداية كان يريد «الماكيت» ثم المادة الأصلية والصور الأصلية إلى آخره. . ذهبت لعبد الناصر وشرحت له الموقف، قال لى بصراحة إنه مهم أن تظل فى «المصور» لأنى لا أعرف عندما تترك المصور، من سيتولى شئونه، وهل سيقع فى أيدى موالية أم معادية، وفى هذه الحالة سأضطر أن أضرب وأنا لست مستعدا أن أضرب الآن. مصلحتنا أن تظل فى المصور، لكنه من ناحية أخرى أنا لا أريد أن يتم هذا على

حساب أعصابك إلا على حساب نفسيتك، اجلس مع نفسك ٤٨ ساعة، وراجع نفسك وراجع حساباتك، إذا وجدت أنك لست قادرا، ارجع إلى وخذ مجلة «التحرير» وتريحنى من ثروت عكاشة، وهى تصدر كل أسبوعين تحولها إلى مجلة أسبوعية وتتوكل على الله، وعدت إليه بعد ٤٨ ساعة وكنت متأزما قلت له ليس لدى إحساس أننى لن أستطيع أن أكمل فى دار الهلال فقال:

ـ اذهب لأنور السادات، وكان وقتها مديرا عاما لدار التحرير وكانت المجلة تابعة لهذه الدار، فقد صدرت أساسا عن الشئون العامة للقوات المسلحة، ثم أتبعت لدار التحرير فقال لي: اذهب لأنور السادات واتفق معه على خطوات إصدارها إسبوعيا، ثم أخبرنى ما الذى حدث بينك وبيه.

«ذهبت لأنور السادات وكانت مفاجأة بالنسبة لى أن قال لى أنور إن مرتبك كبير وسيسبب لى متاعب فى دار التحرير.

«ومرتبى لم يكن كبيراً، وكان فى ذلك الوقت١٧٥ جنيهاً ،فى حين كان مرتب حسين فهمى رئيس تحرير الجمهورية ٣٥٠ جنيها.

قلت له: إن مرتبى ليس كبيرا بالشكل الذى تتصوره... وافهم أننى لا أساوم ثورة ٢٣ يوليو على أى شئ أكون فعلته لها أو أى خدمة أكون قدمتها لها.

لكن فى نفس الوقت ليس عندى استعداد أن تساومنى ثورة يوليو على مرتبى الذى أنت تعلم أننى عملته بعرق جبينى.

وأنا أرى أن اميل زيدان وشكرى زيدان، عندما يكونان راضيين ومن غير إكراه على دفع مرتب ١٧٥ جنيهاً، فإن هذا يعنى أننى أستحق ٥٠٠ جنيه من منطلق الراسماليين أمثالهم.

قال: على أى حال سنتفق.

وبالمناسبة فإن مثل هذه التصرفات الصغيرة هى التى باعدت بينى وبين أنور السادات جدا بالرغم من أننا كنا أصدقاء قبل الثورة.

رجعت إلى عبـد الناصر كطلبه عندما طلب إخبـاره؟ فأنا لست ذاهبًا أشكو أو أقوم بوقيعة. أنا سأقول ما حدث بناء على طلبه.

استمع عبدالناصر على طريقته وكان مـستمعًا عظيمًا وقال: وماذا يهمه فى مرتبك ألا يحمد الله على ما هو فيه... على كل حال لا تشغل بالك بحكاية مرتبك القديم، ومرتبك الجديد، لا تقلق بخصوص مرتبك ولم يزد على ذلك.

فى ذلك الوقت كانـت لى مكانة خاصة جـدًا عند عبد النـاصر، الذى لم يدع هذه المسألة تمر لأنه فى أعقـابها كرهنى أنور السادات جدًا جدًا، وسـاءت العلاقة بينى وبينه وكنت لا أراه حتى عندمـا تكون هناك مشكلة، أو كنت أريد مقابلتـه لأعرض عليه أى أمر مع أنى رئيس تحرير مجلة التحرير وهو مدير عام مجلة التحرير.

وذات مرة ـ وكان عنده سكرتير اسمه السيد أبو المجد ـ ذهبت إليه فى دار التحرير، دخل له سيـد أبو المجد، ويقول له فلان موجـود يريد أن يراك فجاء السـيد أبو المجد، وقال لى انتظر قليلاً.

...هذا الانتظار طال إلى ساعـة، وأنا أطلت حبال الصبر عامـدًا متعمـدًا، حتى لا يقول لعبد الناصر إنى ذهبت إليه ولـم أنتظر.

خلال هذه السـاعة وصل فتـحى رضوان وكان وزير دولة، والـله أعلم إن كان على موعـد أم لا، فسلم علىّ فـتحى، وكنا أصـدقاء جدًا، وأخـذ وجهتـه إلى مكتب أنور السادات فجرى أمامه سيد أبو المجد وفتح له الغرفة.

الرجل الذى ادعى أن لديه اجتماعـاً ـ كما قال لى سكرتيره كان واضعـاً قدميه على المكتب وآخذ وضع استرخاء ويدخن السيجارة بالمبسم الأسود، عمليًا يريد أن يقول لى: إننا لم نعد أصـدقاء... وأنت رئيس تحريـر... وأنا مدير دار التحـرير... وأقابلك عندما أريد مقابلتك.

● **هل دخلت عليه فى مكتبه ووجدته فى هذه الجلسة؟**

- لا لم أدخل... فقط رأيت المنظر.

وهذه إحدى الواقعتين. واقعة مرتبى وعبد الناصر. والواقعة الثانية الشهيرة بينى وبينه هى واقعة صلاح سالم عندما ذهب إلى لبنان والعراق وقام بجولة هناك، وأحضر صوراً كثيرة يريد نشرها فى المجلة، وعددها ٣٠ صورة سياسيًا وفنيًا هذا مستحيل أن تنشر ٣٠ صورة واخترت الغلاف موضوعها، ونشرت له صورة الأسبوع، مع ٦صور بالداخل، وكان وقتها مفتوناً بنفسه إلى أبعد حد، ويرى أنه وزير الدعاية لنفسه... وليس للثورة... وكان لديه حضور ومواهب لا شك فى هذا.

وصدرت المجلة وجن جنون صلاح سالم، لأنه كان متوقعًا أن أنشر له على الأقل ٢٠ صورة.

وذهب إلى مجلس الثورة، وفى الاجتماع المشترك بين الوزارة المدنية مجلس قيادة الثورة، الذى كان يعقد فى ثكنات قصر النيل، ووضع جدول أعماله وليس لديه فيه غير قضية واحدة... إما هو فى مجلس الثورة أو حلمى سلام فى دار التحرير.

حاول جمال عبد الناصر أن يهديء من غضبه، ولكنه كان منفعلاً جداً ومجنوناً جدًا فقال عبد الناصر لأنور السادات: أطلب حلمى واشرح له الموقف، حتى يهدأ صلاح يعتبر نفسه فى أجازة على أن تفهمه ماذا حدث.

فوجئت وكان معه بكباشى اسمه حسن طايل ـ أصبح بعد ذلك سفيرًا فى النمسا ـ وكان يحمل له الحقيبة السوداء التى ليس فيها شيء، لكنه كان حريصًا على أن يمشى حاملها ليعطى إيحاءً أن الدولة كلها داخل الشنطة... فلقد كان ممثلاً عظيماً.

كلمنى حسن طايل وقال لى: جناب البكباشى يقول لك لاتذهب إلى مكتبك... وسامى داود سيتولى المجلة.

هذا هو التبليغ الذى أُمرت به، أما السبب فلا أعرفه، وتعتبر نفسك فى أجازة مفتوحة، ولا تذهب إلى المكتب.

والرئيس عبد الناصر فسرها لى بعد ذلك، وكان متعمداً ألا يرانى لأن صلاح سالم اعتقد أنى أحاربه لحساب عبد الناصر حتى لا تتأكد عنده هذه المشاعر.

فلم أنجح أن أراه وقابلت عبد الحكيم عامر وكان قائدًا عامًا للقوات المسلحة وكانت علاقتى مع عبد الحكيم طيبة جداً.

وعبد الحكيم إنسان بالرغم من كل ما يقال عنه، فهو مصرى أصيل وشهم، رويت له ما حدث فأبدى دهشته وقال لى: ألم يتصل بك أنور؟

فقلت له: بل الذى كلمنى هو حسن طايل.

ونحن نتكلم دخل أنور السادات من الباب الذى بين عبد الحكيم عامر، وشمس بدران قائلاً: صباح الخير.

أنا رديت، وعبد الحكيم عامر لم يرد، ثم بدأ المشير يسأله منفعلا: من الذى قال لحلمى اعتبر نفسك فى أجازة مفتوحة؟

قال له أنور: والله يا حكيم أنا خشيت أن حلمى يذهب المكتب، وأنا كنت مشغولاً فيفاجأ بسامى داود جالساً على مكتبه، فقلت لحسن يبلغه حتى لا يحدث ذلك.

وبطريقة لا يمكن تخيلها رد عبد الحكيم وقال له: يا أخى عيب... هل نجد هؤلاء الناس فى الشارع ..يا أخى عيب... هل أنت لا تعرف حلمى.. ولا تعرف أنه لا يعامل بهذه الصورة، قال ذلك بعصبية شديدة جداً حتى عزّ على أنور السادات أن يتعامل هكذا أمامى.

فقال له: أعصابك يا حكيم... سأتركك لما أعصابك تهدأ. وسوف أرجع إليك مرة أخرى.

فإذا بعبد الحكيم يقول: «روح يا شيخ بلا قرف».

وعندما تنحيت عن مكانى فى دار التحرير وكان معاشى ١٠٠جنيه، فصرفت لى الدار ١٠٠جنيه وكانت لايمكن أن تكفينى بعد مرتب ٥٠٠جنيه.

بعدها بسنوات قلت ليوسف السباعى ـ وكان نقيب الصحفيين ـ اذهب لأنور السادات، كلّمه بخصوص معاشى وهو ١٠٠جنيه وعندى أربعة أولاد.

ولكن يوسف السباعى لم يحك لى هذه الواقعة وروتها لى أمينة السعيد. فقد تحّرج فى أن يقولها.

وكانت أمينة السعيد تسألنى عن السادات قائلة: أنت بينك وبينه إيه؟

قلت لها: لماذا..

قالت: يوسف السباعى تحدث معه عليك وعلى معاشك قال له: لا تذكرلى سيرته أنا لا أحب أن أسمع اسمه.

هذا الكلام حدث قرب السبعينات، والذى وقع بينى وبينه كان فى الخمسينات. علمًا بأنى أخذته من السجن وشغّلته فى دار الهلال. هذه واقعة مشهورة وشهودها موجودون . . . وأمينة السعيد مازالت موجودة.

● ماذا كان دور وجيه أباظة فى إدارة الشئون العامة؟

- فى الأول سوف أنتهى من الحديث عن أنور السادات فقد كانت مجموعة الطيران لا تحترمه، وليس فيهم شخص كان يحمل له أى قدر من الاحترام، وعلى رأسهم وجيه نفسه، وقد لعب دورًا كبيرًا فى إفساد العلاقة بين وجيه أباظة وعبد الناصر، ففى مرحلة ساءت العلاقة بين وجيه أباظة وعبد الناصر كان وراء هذا الإفساد فى تقديرى أنور السادات.

أعود إلى وجيه أباظة فأقول إنه أقام أشياء عظيمة: فى إدارة الشئون العامة تستطيع أن تقول إن الثورة شعبيًا تدين لوجيه أباظه بأشياء عظيمة: قطار الرحمة ـ الحفلات الفنية ـ أغانى الثورة فى حديقة الأندلس ـ اكتشاف محمد قنديل وعبد الحليم حافظ وغيرهما. كان وراء هذا كله وجيه أباظة لأنه كان صاحب فكر ولاّد. . لم يكن ضابطًا منغلقًا بل كان متفتحًا وغير منغلق.

الجانب الشعبى فى الثورة ـ العلاقة بين الشعب والثورة كان وجيه أباظة له دور كبير فى تأصيله عن طريق قطار الرحمة، وهذه الحفلات وبوسائل أخرى. فدوره فى الشئون العامة متميز، فهو أعظم الذين تولوا هذا المكان لأنه تولاه ببدلة عسكرية، وبعقل شعبي، فكان ناجحاً جدًا.

● وأنت فى مجلة التحرير هل كان موجودًا؟

- كان موجودًا. . . وكانت المجلة تصدرها دار التحرير من الشئون العامة.

● **هل كانت هناك صلة بينكما؟**

- طبعًا أنا صلتى لم تنقطع به أبدًا إلى أن توفى رحمه الله تعالي، ولم تكن تملك إلا أن تحبه، فهو من الناس الذين يدخلون قلبك بدون حاجز بينك وبينه. هناك أشخاص تحترمهم، لكن لا تحبهم وتظل سلبيًا بالنسبة لهم. وربما أحسست أنت بنفس الإحساس، كان وجيه أباظة ودودًا، وفلاحًا جدًا، ابن بلد حقيقى.

● **أقام متحفًا للثورة فى هذه الفترة؟**

- نعم وكان يتضمن ماكينة الرينو، التى كانوا يطبعون عليها المنشورات، وحتى كان هناك تمثال شمعى لأخى البلتاجى الذى كان محافظ الجيزة، لأنه هو الذى كان فى مرحلة يتولى طباعة المنشورات، على الماكينة.

والمتحف كان مقامًا فى أرض المعرض الصناعى الزراعى فى صالة من الصالات المشهورة جدًا، وكانت هناك أيضاً صور من المنشورات والبيان الأول للثورة وكل ما يخص الأيام والساعات الأولى للثورة.

وعندما ذهبت لزيارة المتحف بناء على دعوة من وجيه أباظة الذى شدد على أن أذهب وأقول ملاحظاتى كتبت مقالاً فى المصور عنوانه «أين نصيب الشعب فى متحف الثورة؟» لم يغضب منه، ولكن الذى تضايق هو أبو الفضل الجيزاوى لأنه كان يأخذ الجانب التنفيذى فى عملية المتحف وكان نائب مدير الشئون العامة.

بعد إدارة الشئون العامة رأس مجلس إدارة شركة النيل للسينما، والإعلان، فى هذه المرحلة تفضل مشكوراً وطبع مقالاتى كلها التى كتبتها قبل الثورة والتى تعتبر تمهيداً لها فى كتاب صدر عن شركة النيل للإعلان اسمه «دقات الأجراس» على ورق فاخر وبغلاف فاخر جدًا، فقد كانت عملية تقدير متبادل.

- نحن لم نعمل معًا إنما كان اللقاء الوطنى فى المرحلة الأولى من خلال سلاح الطيران والمرحلة الثانية من خلال الشئون العامة.

وفى كل المراحل كان وجيه أباظة هو هو لم يتغير.

سعـد الدين وهبه الكاتب الوطنى الكبيـر، صاحب المواقف الصلبة كـان له احتكاك مباشر بوجيه أباظه.

كان سعد الدين وهبة يعمل فى جريدة الجمهورية، وكان وجيه أباظه مسئولا عن دار التحرير، التى تصدر الجـمهورية، ومجلة التحرير، وعددا من الصحف الأجـنبية. كما كان مسئولا عن شركة الإعلانات.

ويروى سعد الدين وهبه مواقف وجـيه أباظه الشجاعة فى تلك الفترة معـه شخصيا يقول:

«لى مع وجيه أباظه عدة مـواقف لا أنساها ما حييت بعضها لى وبعـضها له فى عام ١٩٥٩ كنت أعمل فى إحدى صحف دار التحرير.

« وكان وجيه أباظه فى ذلك الوقت العضو المنتدب للشركة المصرية للإعلانات، وهى إحدى شركات دار التحرير أى أننا كنا نعمل معا فى دار صحفية واحدة.

«كنت أكتب فى الجريدة التى كنت أعـمل بها مقالا سياسـيا كل أسبوع، وذات يوم دعانى رئيس التحرير وأبلغنى بخبر خطير، وهو أن الرئيس جمال عبد الناصر أصدر أمرا بمنعى من الكتابة فى السياسة، وسـألته... ولماذا لم أبلغ أنا مباشرة وهل هناك من بين ما كتبته مقال لم يعجب الرئيس أو اعتبره خروجا على الخط السياسى الذى يقوده.

«وأذكر أن رئيس التحرير طلب أن اتحول للكتابة فى الأدب أو الفن قائلا لي:

ـ أنت قادر على ذلك طبعا...

«كانت صدمـة عنيفة، ولكنى تماسكت وتظاهرت بالهدوء الشديد، وأنا أكـاد أنفجر من الداخل.

وبدأت فى مناقشة رئيس التحرير لمعرفته بأى تفصيلات.

ولكنه باح لى بمن نقل له هذه التعليـمات، وهو وجيه اباظه العضو المنتـدب لشركة الإعلانات المصرية.. وكـان وجيه أباظه قد عاد فى اليوم السـابق من زيارة لدمشق قابل

فيها بالقطع الرئيس عبد الناصر الذى كان يقضى أياما فى الأقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة.

وبعد دقائق استأذنت رئيس التحرير وخرجت إلى مكتب وجيه أباظه على الفور.

كان مكتبه يقع فى الدور الثالث بجريدة الجمهورية، يجاور المكتب الذى يحتله عبد العزيز عبد الله وأحمد حمروش.

وعندما دخلت على وجيه أباظه وجدت لديه جاريه العزيزين يهنئانه بسلامة العودة من دمشق ويسألان عن أخبار الإقليم الشمالي.

ودون مقدمات اتجهت إلى وجيه أباظه ودار بيننا الحوار التالي:

ـ هل كنت فى دمشق؟

ـ نعم.

ـ هل أبلغك الرئيس تعليمات خاصة بجريدة كذا؟

ـ نعم لقد كانت معى جميع إصدارات الدار، وقد تناولها الرئيس منى وقلب فى صفحاتها جميعها، وكان يعلق على كل ما يراه: ده كويس.. دا مالوش داعي.. الباب ده بقى قديم... وهكذا وبالنسبة لجريدتكم فقد أبلغت رئيس التحرير بملاحظات الرئيس على الجريدة فسألته.

هل من بين هذه الملاحظات ملاحظة أو أمر يقضى بعدم استمرارى فى كتابة المقال السياسى.

ورد وجيه أباظه فى شدة:

ـ لم يحدث بل الذى حدث هو العكس تماما، وقد نقلته لرئيس التحرير عندما كان الرئيس يقلب صفحات الجريدة، وشاهد مقالك قال بالحرف الواحد «المقال ده كويس»

وبهدوء شديد تناولت ورقة من فوق مكتبه وكتبت عليها.

السيد الأستاذ وجيه أباظه أبلغنى فلان أنك أبلغته بتعليمات الرئيس الخاصة بالجريدة... والتى تقضى أن أتوقف عن الكتابة فى السياسة إلى آخر القصة ووقعت الخطاب ووضعته أمام وجيه أباظة.

تناول قلما أحمر وكتب ما قاله لى شفويا... حملت الخطاب لرئيس التحرير الذى فسر الموقف بأنه ربما فهم خطأ من وجيه أباظه وقال: إذا كنت تريد أن تعود للمقال السياسى فالجريدة جاهزة.

فقلت له: فى الحقيقة لقد زهقت من السياسة سأكتب منذ الأسبوع القادم فى الفن والأدب.

❑❑❑

كانت هذه المرحلة من حياة وجيه أباظه، جزءا من الحوار الطويل الذى دار بينى وبينه، عندما قلت له:

● بعد الثورة كان لوجيه أباظه الدور الأكبر فى بناء صحافة الثورة، وبناء إعلام الثورة ثم وجدنا أن وجيه أباظه يتجه إلى العمل السياسى من خلال انتخابات مجلس أمة فى أول برلمان بعد الثورة وهو برلمان ٥٧ الذى رأسه عبد اللطيف بغدادي... لماذا اتجهت إلى البرلمان؟

- بصراحة من سنة ١٩٥٥ وبعد القرار الذى صدر بتصفية شركة النيل للإعلان بدون مناسبة، ومع العلم بأنى كنت سلمت كل شيء، طلبنى الرئيس عبد الناصر فى التليفون قائلا: أنت تعلم أنى أحبك مثل أخواتى الليثى وعز بالضبط، ولكن جاءني أنور السادات يبكى بالدموع بسبب المنافسة التى بينك وبين شركة الإعلانات المصرية التى يرأسها، ومن رأيي أن نوحد المجهود وأن تعطى له الشركة.

ولم يكن عندى مانع، ولكن اتخاذ القرار فجأة فى مجلس قياده الثورة جعلنى أتأثر داخليا فقلت له:

ـ يا سيادة الرئيس... أنت المسئول ولك أن تتخذ القرارات التي تراها..

فرد قائلا: إذا أردت أن تسلم له الشركة فسلمها... وإن لم ترد فلا تفعل.

وقررت أن أسلم له الشركة لذلك ذهبت إلى محمد رشدى بك رئيس مجلس إدارة بنك مصر قبل العيد بأيام قليلة، وطلبت سلفة على المرتب وكان ٧٠ جنيها وكانت السلفة ٤٠٠ جنيه.

وكان البعض يعتقد أنى اتقاضى مبالغ كبيرة حتى أن المشير عامر قال: إنه كان يعتقد أننى أتقاضى من كل واحدة من الشركات الثلاث ١٥٠ جنيها فى الشهر.

فقلت له: إننى اتقاضى ٧٠ جنيها على مسئوليتي عن الثلاث شركات.

أخذت «فلوس» السلفة من البنك، ووزعتها على عمال الشركة بنفسى من ثلاثة إلى عشر جنيهات لكل واحد على أساس أنهم يعملون فى الشركة، التى أغلقت ونحن على أبواب العيد، وبعد أن وزعت النقود سافرت إلى البلد، وأقسمت بينى وبين نفسى أن أتقاعد، وألا أشتغل أبدا.

فى هذه الأيام كانوا يشكلون لجان الاتحاد القومى ودخلت الانتخابات فى بلدنا وكانت النتيجة فوزى بالتزكية ...

وقبل الانتخابات، طلبوا منى أن أدخل الاتحاد القومي... فقلت «أرزجن» ولكني بعد أن فكرت وجدت أنه لابد ألا أتخلى عن دوري مع الناس.

وأذكر أننى قابلت الرئيس عبد الناصر مع البغدادي، وحسن إبراهيم، وسألنى عن غيابى وطلب أن أمر عليه مرة أخري. فقلت: حاضر.

ثم سألني: أنت زعلان من شيء..

فقلت : لا ولكن يوجد شخص نسيبنا قال فى مجتمع ما أننى اختلست ثمانية آلاف جنيه من الشركة وثمن الشركة كله لا يساوى ثمانية آلاف، ولكنى وقعت عقود إعلانات بكذا ألف جنيه.

فقال: أنا أعلم أن هذا غير صحيح ولا أريد أن تستمع إلى كلام الناس أو تتصور أن هناك من يحاربك..

فقلت له: يا سيادة الرئيس أريد أن أقول لك شيئاً بصراحة، نحن فى منزلنا بالذات ممكن أن نعيش بـ ١٠٠٠ جنيه فى الشهر، وممكن أن نعيش فى نفس الوقت بخمسة جنيهات فى الشهر، ولا يوجد فرق فى الحالتين.

قبل أن أذهب للرئيس في هذه الزيارة مع البغدادى وحسن إبراهيم، كان قد تم اتفاق معهما على أن أعمل فى رئاسة الجمهورية مع الرئيس، ولا أعلم ما هو هذا العمل لكنه لم يفاتحنى فى الأمر.

ثم بعد ذلك طلبنى الرئيس وقابلته مرة ثانية، قال لي: أنت عملت من قبل فى مواجهة الشائعات،ألا تستطيع أن تعمل الآن شيئا لمواجهة الشائعات؟.. وطلب منى دراسة عن أسلوب مواجهة الشائعات.

وبعد أربعة أيام ذهبت إليه وقلت له: يا سيادة الرئيس الشائعات كثيرة جدا ونستطيع أن نوقف هذه العملية بصفة نهائية بحل واحد.

● ما هو ؟

- الانتخابات.

●كيف؟

- سيادتك تعلن عن الانتخابات، وتعديل فى الدوائر يستغرق فترة، وتقول هذه البلد دخلت الانتخابات، وهذه لم تدخل، وهؤلاء المرشحون دخلوا أو لم يدخلوا، وهذه العملية سوف تأخذ خمسة أو ستة شهور... فرفض.

.. وعندما بدأ الاستعداد للانتخابات كانت الأسماء تتقدم للترشيح، وكل عضو فى مجلس قيادة الثورة مسئولا عن محافظة أو محافظتين، وسأل الرئيس عما إذا كنت قد دخلت الانتخابات؟ فلما علم أننى رافض قال: إنه من الضرورى أن أدخل، وقال لى

لطفى واكد: لابد أن تـدخل. واعتقـادى أن الرئيس سـوف يـقفل الـدوائر لكل ضـباط ٢٣ يوليو.

وكان من رأيي أننى لو دخلـت الانتخابات سـوف أدخل حرا، ونظرت إلى الدائرة التى من المفروض أن أدخل فيها فوجدتها منقسـمة قمسين، جزء منها تابع إلى القليوبية عند حدود كفر شكر وجزء تابع للشرقية.

وسأل الرئيس زكريا محيى: لماذا لم تعط الإشراف على مـديرية الشرقية لوجيه؟ ألم أقل إن كل عضو مجـلس قيادة الثورة يشرف على البلد المجاورة للمـحافظة التى يوجد بها؟ فلماذا لم تعط لوجيه الشرقية؟

فقال زكريا: ولكن وجيه ليس عضواً بمجلس الثورة.

فرد الرئيس: إنه ساهم مساهمة كبيرة فى الثورة فسلموه المحافظة.

وأنا بكل صراحة كانت لى وجهة نظر أخرى فى حكاية الانتخابات.. وفرضت أمام نفسى رقم (١) ألا يحدث تدخل فى الانتخابات.

رقم (٢) أن يدخل الناس الممتازون فى أماكنهم، لينفعوا البلد فهناك أطباء ومهندسون وفلاحون ممتازون وممكن ينفعوا البلد.

وسألنى المشير عامر: ماهو العدد الذى تعتقد أنه يمكن أن ينجح؟

وكانت عندنا ٢٥ دائرة، فقلت له سوف ينجح حوالى ١٦ شخصا، بدون أن يتدخل أحد، وكـان هناك لواء اسمه عـبدالمطلب أو أبوطالب، لا أذكـر بالضبط، مسـئول عن الانتخابات، يعمل مع زكريا محيي الدين، قال أنت عملت ضجة على أن بلبيس سوف ترجح الانتخابات وهى ٢٦٥ صوتاً فقط.

فقلت له: بل ٢٢٦٥ صوتاً ،فهذا اللواء أبوطالب أصر على أنها ٢٦٥ صوتا فقط.

فقلت له: أنا ليل نهار أدرس هذا الأمر، وبكل ثقة... كـلامى صحيح، ولا يحتاج لمناقشة وأكدت انها ٢٢٦٥ صوتا.

فقال: إذن نحضر الخريطة فأحضروها. . . ونظر اللواء فيها وقال هاهى ٢٦٥ صوتا كان رقم ٢ فى «تنية» الخريطة وعندما رآه قال: فعلا ٢٢٦٥ صوتا.

وفى هذا الوقت نجح فى الشرقية اثنان من الوزراء هما: على صبرى وسيد مرعى، وأنا، وكنا ثمانية عشرة شخصا دخلنا مجلس الأمة.

وفى الحقيقة كان البغدادى ممتازا جدا فى إدارة الجلسات، عرفته بالأعضاء وكانت مجلة المصور قد نشرت صورهم جميعا، وتاريخ حياتهم، ووضعتهم له فى كتاب، وتعرف عليهم شخصيا، وكانت معاملته معهم طيبة فبدأوا يحبونه.

● عندما اشتكى أنور السادات لجمال عبدالناصر أن شركة النيل للإعلان طغت على الشركة التى كان يرأسها، هل تعتقد أن هذا كان أول خلاف بينك وبين أنور السادات؟

ـ لا . . أول خلاف كان قديما . . عندما كنا فى تشكيل التنظيم الصغير الذى كوناه فى الطيران . . ونحن فى الجيش... وكان يضم أيضا الأخ عبداللطيف بغدادى وسعودى أبو على وحسن عزت وقد تحدثنا عنه من قبل وأردنا أن ننشىء محطة إذاعة فوافق على أن يقوم بهذا العمل وأخذ النقود.

وكان الشيخ حسن البنا هو الذى أعطانا هذه النقود لعمل إذاعة، وكان السادات قد قال لنا إنه سيقوم بإنشاء هذه الاذاعة باعتباره فى سلاح الإشارة، ولكنه أخذ يماطل ثم لم يفعل شيئا، ولم يرد النقود.

وعندما طالبته بها قال: إنها ضاعت. . . ومن هنا بدأ يحدث الخلاف.

وبعد قيام الثورة كان يضع فى ذهنه هذا الموضوع القديم، رغم أنى كنت ـ وقتها ـ أعالجه بهدوء أكثر من البغدادى وسعودى اللذين كانا يعالجانه بعنف نوعا ما.

وطبعا نحن سددنا المبلغ للشيخ حسن البنا منذ البداية باختصار يمكنني أن أقول أنه كان «مش كويس» معى .

● هل منعته من دخول جريدة الجمهورية؟

ـ لقد قيل ذلك.. ولكنه لم يحدث..

● هل أغلقت حجرته؟

ـ أنا لم أغلق حجرته... وإنما أغلقتها النيابة العامة.

● ولماذا أغلقتها؟

ـ حدثت اختلاسات فى دار التحرير، وكانت معه مجموعة متآلفة مع بعضها، وبعد هذه العملية أغلقوا المكاتب كلها، وعندما ذهبت وجدت المكاتب «مشمعة»، ضعفت ونزعت الشمع من على المكتب، رغم المسئولية الخطيرة.

وفى الحقيقة وجدت أن الإدارة هناك مفلطحة جدا، والذين يسيطرون عليها هم اليهود وقد استغنيت عنهم كلهم.

فقد كان «زيودور حكيم» يتقاضى ـ وهو مدير عام ـ مرتباً قدره ثلاثون جنيها فى الشهر، ولكن عمولته ١٨ ألف جنيه... واستبعدت اليهود جميعا، وأحضرت عبدالحميد حمروش، وزكريا خضر وعدداً من الشباب المثقفين الممتازين، وقلت لهم «اشتغلوا منتجين».

فقالوا: كيف؟

قلت لهم: سوف أساهم وأنتج معكم.

وفعلا عملت معهم وإلى جانبهم حتى تخرج جيل جديد ممتاز، وهم الذين حسّنوا أداء الخدمة الإعلانية فى مصر.

وأذكر انه فى بداية الخلافات طلب أنور السادات أن نذهب إلى محمد نجيب لكى يضع حلا بينى وبينه... لأننى على حد تعبيره أطلق عليه إشاعات.

وكنت أعرف أن سبب هذه الإشاعات هم ضباط المدفعية الذين كانوا لايطيقونه ويريدون أن يتخلصوا منه.. ولديهم مبرراتهم.

وذهبنا لمحمد نجيب الذى سألنى فأجبت: بأنه ليس عندى كلام وكل مايقوله مضبوط. فما كان من محمد نجيب في نهاية اللقاء إلا أن «شتمه»!!

ثم علم جمال عبدالناصر بطريقه ما ـ أنه ليس هناك عمار بينى وبين السادات.

وعندما ذهبت مديراً للشئون العامة للقوات المسلحة، كان كمال الدين حسين فى وزارة التربية والتعليم، وحسن إبراهيم فى الخارجية، وجمال سالم فى وزارة المواصلات، فوجد السادات نفسه فى النهاية هو الوحيد بدون عمل، فسألوه عن العمل الذى يريده فقال:

ـ أريد أن أذهب إلي إداره الشئون العامة. . التى أنا مديرها.

وأصدر جمال سالم قرارا بأن يتولى أنور السادات مسئولية إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة.

وأرسل لى القرار ونصه «السيد وجيه أباظة ينقل قائداً لمحطة حلوان الجوية».

فرددت على الاشارة قائلا: «نأسف لعدم إمكان التنفيذ لأنه ورد من غير جهة الاختصاص».

وأنا أعرف جمال سالم لأنه كان زميلى، وأعرف أنه يغضب جدا من هذا الأسلوب.

وعندما وصلت إليه التأشيرة التي بعثت بها إليه رد بأن يتم تنفيذ القرار خلال ٤٨ ساعة.

فأرسلت له مرة أخرى نفس الرد «بأنه لم يصدر من جهة الاختصاص». . . وجهة الاختصاص هو القائد العام للقوات المسلحة.

وقامت ضجة شديدة انتهت بأن سألنى جمال عبدالناصر: إذا كنت أعترض على وجود أنور السادات فى الشئون العامة.

فقلت له: اطلاقا بل يأتى.

كان معى أبو الفضل الجيزاوى، ومصطفى بهجت بدوى، ومصطفى مراد، وجميعهم قرروا أن يتشاجروا معه. وكنا فى ذلك الوقت فى مبنى وزارة الحربية. وكان من رأيى أنه لاداعى للمشاجرة وأن البقاء سيكون للأصلح.

وتركت له الحجرة الكبيرة التي كنت أجلس فيها، وجلست فى حجرة صغيرة مع الضباط، واستمروا يرسلون له الاستمارات، وهو يقول لهم ضعوها هنا، إلى أن تكوم أمامه عدد رهيب من الاستمارات.

وكانت حجرته طوال اليوم مليئة بالزوار، وأما من ناحيتى فكانوا إذا أحضروا لى ورقة أخلصها فوراً. . . وضج الناس من إهماله، وشكوا منه، لذلك أصدر جمال عبدالناصر قراراً بنقله الى قشلاقات الجيش الانجليزى، وأنشأ له مكتبا وسكرتارية هناك...».

وتنتهي رواية وجيه أباظة، وفيها بعض الاختلاف عن رواية بعض زملائه والذين عملوا معه. وربما كان سبب هذه الاختلافات أننا نتحدث عن وقائع عمرها يقترب من نصف قرن، لذلك فإن الاختلاف فى الرؤية، وفى التفسير وارد. ولابد أن نقدر أن الذاكرة بعد هذه المدة من الصعب أن تستوعب كل شيء. المهم أن هناك إجماعاً حول القضايا الأساسية وهى إنشاء إعلام الثورة وصحافة الثورة حتى عند صدور قرار بالنقل منها.

❑ ❑ ❑

يروى الدكتور الحسينى الديب فى كتابه إدارة الصحف قصة صحافة الثورة، التى كان وراءها وجيه أباظه قائلا:

كان «أحمد حمروش» عضوا بتنظيم الضباط الأحرار يعمل فى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة عند قيام الثورة، واقتناعا منه بضرورة إصدار مجلة تحمل فكر الثورة ورأيها وبمبادرة خاصة منه عرض الأمر على «جمال عبد الناصر» الذى وافقه على ذلك فاتصل ببعض الكتاب منهم: «عبد الرحمن الشرقاوى وعبد المنعم الصاوى وحسن فؤاد

وصلاح حافظ وفتحى غانم ويوسف إدريس ومصطفى بهجت بدوي، زميله فى إدارة الشئون العامة والذى تولى مسئولية إدارة المجلة.

وفى أول سبتمبر ١٩٥٢ قدمت «إدارة اشئون العامة»للقوات المسلحة إخطارا إلى إدارة المطبوعات والنشر بإصدار مجلة أسبوعية باللغة العربية باسم «التحرير» ويتولى رئاسة تحريرها اليوزباشى «أحمد حمروش».

وفى ٨ سبتمبر سنة ١٩٥٢ صرحت إدارة المطبوعات والنشر بإصدار مجلة التحرير.

وقد صدر العدد الأول منها فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ مطبوعا فى دار الهلال وبدون أى دعم مالى من أى جهة، معتمدا على الإعلانات والتوزيع فقط.

وفى أول يوليو ١٩٥٣ قدمت «هيئة التحرير» إخطارا إلى إدارة المطبوعات والنشر عن إصدار جريدة يومية صباحية باللغة العربية باسم الجمهورية تنشرها الهيئة ويتولى رئاسة تحريرها «حسين فهمي» بصفته رئيس التحرير المسئول وقد تم تعيين «أنور السادات» مديرا عاما لدار التحرير.

وقد صدر العدد الأول من جريدة الجمهورية يوم فى ٧ ديسمبر ١٩٥٣.

وفى مايو سنة ١٩٥٦ قرر الرئيس «جمال عبد الناصر» إنشاء جريدة يومية مسائيةباسم «المساء» ليتولى رئاسة تحريرها «خالد محيي الدين»

وقد وقع «جمال عبد الناصر» على الإخطار نيابة عن هيئة التحرير باعتباره سكرتيرا عاما لها، «خالد محيي الدين» بصفته رئيس التحرير المسئول.

فى مايو سنة ١٩٥٦ قرر «جمال عبد الناصر» إنشاء جريدة يومية صباحية «جريدة الشعب» يتولى رئاسة تحريرها «صلاح سالم» .

وقد أرسل «وجيه أباظه» كتابا إلى مصلحة الاستعلامات فى ٢١ سبتمبر سنة١٩٥٥ طالبا التصريح له بإصدار مجلة أسبوعية اسمها «الشعب».

وفى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٥ قدم «وجيه أباظه» إخطارا إلى إدارة المطبوعات والنشر

لإصدار المجلة باعتباه صاحبهــا، على أن يكون رئيس تحريرها «حازم فودة» عضونقابة الصحفــيين، وعلى أن تكون باللغة العربية وتنشــر الموضوعات السيــاسية والاجتمــاعية والفنية الجامعة.

وقد قــدم «وجيه أباظه» أيضــا «ضمانة» من «على الجــارحي» مدير شركــة النيل فرع القاهرة بمبلغ ١٥٠ جنيها موثقة من مصلحة الشهر العقاري.

وفى ٥ أكــتوبر سنة ١٩٥٥ تم التــصــريح «لوجيــه أباظه» بإصــدار مجلة «الشــعب الأسبوعية»

وصدر العــدد الأول من جريدة الشــعب اليومــية يوم ٤ يونيــه سنة ١٩٥٦، وصدر العدد الأخير منها يوم ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٥٩ حيث اندمجت جريدة الشعب مع جريدة الجمهورية تحت اسم «الجمهورية جريدة الشعب».

❑❑❑

خلال فترة وجوده فى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة، سوف يكون لوجيه أباظة دور هام فى أخطر مشروعات الثورة، وقراراتها..

مشروع السد العالي..

قرار كسر احتكار السلاح..

وكأن القدر، كان يصر على أن يكون دائما فى بؤرة الأحداث.



في الشئون العامة عبد اللطيف البغدادي وجيه اباظة حسن ابراهيم انور السادات



الفنانون فى قطار الرحمه وترى فى الصورة الفنانه فاتن حمامه



اثناء تصوير فيلم الله معنا الذى انتجته الشئون العامه للقوات المسلحة



في شركة النيل للاعلان التي اقامها وجيه اباظة

جوني ويزملر (طرزان) دعاه وجيه اباظة لزيارة مصر كدعاية لمصر



جوني ويزملر (طرزان) في زيارة الشرقية

قطار الرحمة

أول مشروع جماهيرى قامت به حركة الجيش، ولم يكن قد مضى عليها خمسة شهور، كان من ابتكار وجيه أباظة.. وكان أولا من أجل فلسطين، حتى تظل القضية الفلسطينية حيّة متيقظة فى نفوس الجماهير.. وكان ثانيا من أجل الدعوة للثورة، والتعريف بقادتها، فى وقت لم تكن هناك أجهزة تليفزيون ولا فيديو.. وكان انتشار الراديو محدوداً.. بل محدوداً جداً، فلم يكن هناك إلا الذهاب للناس.

وأن يقول الفنانون لهم مايريدونه، حتى يمكن أن يسهل استيعابه يستوعبونه.. وعن طريق هذه الفكرة المبتكرة فى ذلك الوقت عرف الناس الثورة.

وقد أطلق وجيه أباظة على فكرته اسم «قطار الرحمة».. التى كانت تحقق ـ عدا الهدف الأساسى وهو جمع التبرعات رحمة باللاجئين الفلسطينيين ـ وما يستتبع ذلك من إيقاظ الضمير الوطنى، وتهيئة الجماهير حول أبرز قضايا الثورة بمشاركة كبار فنانى مصر!

وكان المشروع يقوم على أساس أن تنطلق ـ فى منتصف ديسمبر ١٩٥٢ ـ من القاهرة ثلاثة قطارات يحوى كل منها عربات نوم، وطعام، وبضاعة، وتحمل قوات رمزية من الجيش، وموسيقى عسكرية.

وأيضا.. فى المقدمة الفنانن الذين تطوعوا للإسهام فى التعبئة حول الثورة والتعريف بها وجمع التبرعات.

وقد تقرر إعداد ثلاثة قطارات يتكون كل منها من العربات المختلفة ومعها قوات رمزية من الجيش وموسيقى عسكرية وبعض أهل الفن والتمثيل.

ووفقا للخطة فكان القطار الأول يمر بجميع البلاد الواقعة بين أسوان والقاهرة فى مدة عشرة أيام وأن يقف فى كل مدينة وقرية وعزبة وكفر ويتألف فى كل منها موكب وطنى تتقدمه الموسيقى وتنشد فيه الأناشيد ويسعى أهل الفن والتمثيل كل منتدى وكل ناحية للتحدث الى السكان عن الأهداف الوطنية وعما يجب على كل مواطن أن يؤديه بوطنه فى ظل شعار «الاتحاد والنظام والعمل» وهو الشعار الذى رفعته حركة الجيش فى بدايتها.. هذا إلى جانب التعريف بالحركة وأهدافها، وقادتها...

وكان يرافق قطار الصعيد من أهل الفن والتمثيل ١٨ فنانا وممثلا فى مقدمتهم أنور وجدى وليلى مراد وعز الدين ذو الفقار وإسماعيل ياسين وثريا حلمى.

وكـان يوسف وهبى عـلى رأس الفنانين الذين يرافـقـون قـطار الرحـمـة من الاسكندرية الى القاهرة.

وتمتد منطقة قطار الرحمة الثالث من دمياط الى القاهرة.

ويقضى النظام الخاص بتنفيذ المشروع بأن المتبرعين يتوجهون بأنفسهم إلى القطار ويسلمون رجال الجيش الواقفين فيه مايجودون به.

وان المواد الرئيسية التى يراد التبرع بها، هـى مواد البناء التى يشيد بها اللاجئون الفلسطينيون بأنفسهم مساكن لهم.

كانت الفكرة التى قدمها وجيه أباظة موضع إشادة بالثورة وبالقائمين عليها حتى أن اللواء محمد نجيب تلقى برقية من أهالى بيروت نصها:

«جهادك المسـتمر من أجل فلسطين واللاجئين والآن قطـارات الرحمة، كل هذا انتزع من قلوب المساكين ومن ٣٠٠ مليون مسلم والرحماء من بنى البشر الدعوات الخالصة الى الرحـمن الرحيم أن يسبغ عليك ثوب السـتر والعفو والعافـية ويشد أزرك فى سبيل نجاح مصر والعـروبة ولسوف تجد عند الله أنت وجيش مصر الموفق أحسن المثوبة دنيا وآخرة حياكم الله.

❑ ❑ ❑

بعثة المصور التى رافقت هذه القطارات تقـدم وصفا تفصيليا «١٦ يناير ١٩٥٣» لهذه الفكرة كاملة:

كنا فى قطار الجنوب.. قطار الرحمة العائد من الصعيد..

فى كل محطة وقف فـيها القطار، كـانت عرباته تتزايد وتتـزايد، حتى اذا بلغ الواسطى، كان يلهث من كثرة العربات التى ألحقت به، ومن ثقل محتوياتها.

كانت جـميعـها مـحملة بالمؤن والأقمـشة والأغطية والـثياب وغـيرها.. ومن الطريف أن كل مديرية كانت تتبرع بالكثير من منتـجاتها المحلية.. ففى قنا امتلأت

العربات بالقلل القناوى. . وفى دير مواس فاضت أنهار العسل، وفى الحوامدية تكدست صناديق السكر. . وهكذا.

وفى قطار الشرق، المسافر الى دمياط، ألقى وجيه أباظة فى الفنانين المرافقين للقطار كلمة حماسية، طلب فيها منهم أن يؤججوا نيران الوطنية فى نفوس سكان الأقاليم، حتى يقف المصريون صفا واحدا ضد الاستعمار، ثم قال لهم:

ـ اخطبوا فى الجماهير، وقولوا لها إن الجيش قد اتخذ الأهبة لتحرير البلاد. . قولوا لهم اننا لن نهدأ ولن نلين، حتى نرى وادى النيل حرا كريما مستقلا!

وتحمس حسن فائق، وضمت مارى منيب قبضتها بشدة، وقالت من تحت أضراسها: «آه ياناری لو إيدى طالت الجدع المستعمر ده!»

وتحرك القطار. . وعقد الفنانون اجتماعا سريعا، لتنظيم صفوفهم. . تألف من أمينة رزق، وليلى فوزى، وهدى شمس الدين، وسعاد مكاوى، وأميرة أمير، وزهرة العلا، ومارى منيب، وحسن فائق، وشكوكو، وشرفنطح، والجنيدى، وسلطان الجزار، وحسين رياض، ومحمد إدريس، وكارم محمود، وجلال حرب. . وكان الاجتماع «بقيادة» المخرج جمال مدكور!

وبدأ سيل الفكاهات. . من سلطان الجزار. . فقد لوحظ أن القطار يتوقف كثيرا فى غير المحطات، ولما سألته ليلى فوزى لماذا وقف القطار أجابها:

ـ يظهر أن السواق تاه عن السكة، قام وقف يسأل حد عن طريق دمياط!

ثم أخذ يضرب الأمثلة على مايشاع عن بخل أهل دمياط، فذكر بعض النكات الشائعة عنهم وقال ان سكان دمياط مسرورون جدا الآن، ولما سئل لماذا أجاب:

لأنهم رفعوا اللافتة التى تحمل اسم دمياط من محطة السكك الحديدية، ووضعوا بدلا منها لافتة تحمل اسم غزه، وذلك حتى يفرغوا حمولة القطار عندهم!

وعرف أهل دمياط كيف يدافعون عن كرمهم، فبلغت جملة تبرعاتهم النقدية

أربعة آلاف جنيـه، كما تبـرعوا بما يساوى ستـة آلاف جنيه من البضـائع والأغطية والثياب!

وفى المساء أقيمت حفلة ساهرة كبرى، أحياها الفنانون. . ومن الطريف أن أحد الأهالى تبـرع بخروف للمـشـروع زينه بالأعلام، ولفـه بشـعار العـهد الجـديد: الاتحاد. . النظام. . العمل. .

ووقفت السيدة مارى منيب تطرى مـحاسنه وتعرضه فى المزاد، حتى ارتفع ثمنه إلى ثمانية وأربعين جنيها. . وعندئذ قال سلطان الجزار مخاطبا الموجودين:

ـ ياعالم ده خروف مـحشى وطنية. . تجرى فى عروقه دمـاء الأحرار. . ترعرع فى دمياط التى حاربت الاستعمار منذ الحملة الفرنسية!

واختتمـت الحفلة بنشيد «الاتحاد. . النظام. . العمل». . فـانهالت بعده الأوراق المالية من كل جانب!

واشتـرك جميع الفنانين بمقطـوعاتهم التمـثيلية والغنائيـة حتى تجاوزت السـاعة منتصف الليل، فانتهى الحفل!

وفى شربين ألقت الفنانات خطابات حـماسية، دعْين فيـها إلى التكتل والاتحاد فى سبيل عودة مجد العرب. .

وتلتهن أمـينة رزق، فألقت كلمة طالبـت فيها الجـمهور بتـرسم خطى القائد العظيم محـمد نجـيب فى التقشف، والعـمل على سنن مبـادىء الحركة المبـاركة، والاستمساك بشعارها الخالد.

وبينما هى تشتعل حماسا فى كلمتهـا، قاطعا أحدهم طالبا منها أن تقدم مشهدا تمثيليا، فنظرت إليه عاتبة وقالت:

ـ روح الله يسامحك!

وضج المكان بالتصفيق! . .

واستأنف القطار سيره إلى المنصورة فى طريقه إلى القاهرة مارا بالبلاد الواقعة على خط الشرق . .

وفى كل منها كانت حصيلته تتكاثر، وعرباته فى ازدياد. بينما عجلاته توقع فوق القضبان لحنا إنسانيا رائعا . . لحن الرحمة!

وتحمس الفنانون للثورة . .

❑❑❑

عاد وجيه أباظة من قطارات الرحمة ليحضر مندوباً عن الرئيس احتفالاً يقيمه الفنان حسين صدقى بمناسبة المولد النبوى . .

وقد نشرت الصحف صورة الحفل، ومندوب الرئيس ـ وجيه أباظة ـ مع حسين صدقى أما التفاصيل فكانت تهدف إلى تعبئة الجماهير للثورة وتحويل الاحتفال الدينى أيضا إلى مناسبة وطنية . . قالت المصور:

اختار الأستاذ حسين صدقى مساء الأحد الماضى، الليلة الكبرى للمولد النبوى، موعدا للاجتماع بممثلى شعب الوادى عسكريين ومدنيين، رسميين وأهليين، ومعهم رجال السلك السياسى العربى حيث دعا حضراتهم لمشاهدة فيلمه الوطنى «يسقط الاستعمار» بدار سينما ركس، فى حفلة تبرع بإيرادها ـ كدفعة أولى ـ لمشروع تقوية الجيش.

فكانت مظاهرة وطنية لم تشهدها المجتمعات الفنية من قبل، بدأها الأستاذ حسين صدقى بكلمة قال فيها: «ان الجيش قد تقدم باسم الشعب فأسقط الملك الطاغية وأخرجه من بلادنا وباسم الشعب سيتقدم الجيش لتطهير وادى النيل من الاستعمار باذن الله.

أيها السادة، إن الشعب المصرى اليوم كله من جنود الجيش، وأن الجيش المصرى اليوم هو الشعب، وهانحن نقدم للجيش وثيقة شعبية سجلتها السينما المصرية لغضبة مصر المسلحة ضد عدوها ثم فى القتال.. هانحن ندعوه إلى تحرير وادى النيل من عار الاحتلال الأجنبى، كما حرره من الاحتلال الداخلى.

ثم قال: على هذه القاعدة أقدم فيلمى هذا «يسقط الاستعمار»، فإلى العلا وإلى الأمام ياجيش الاتحاد والنظام والعمل. إن الله معكم لأن الشعب معكم.

ثم بدأ عرض الفيلم الذى يصور كفاح مصر والسودان فى سبيل الوحدة والجلاء، منذ وطئت أقدام المستعمرين أرض بلادنا العزيزة، وتركزت دعوة الفيلم فى تعبئة الشعور الوطنى، واجتماع شعب الوادى حول جيشه الذى تلتقى حوله آمال العرب جميعا.

□□□

منذ بدأ قطار الرحمة - وربما قبلها - التصق وجيه أباظة بالفن وبالفنانين..

أصدقاؤه هم كل فنانى مصر.. يحرص على متابعة أعمالهم، يلتقى معهم، يحل مشاكلهم..

أمسك ذات مرة بالقلم وسجل خواطره، لأنه يريد أن يجرب نفسه فى تأليف رواية طويلة..

وكتب أكثر من فصل، ولكن المسئوليات والأعباء الكثيرة التى تحملها، جعلته يؤجل العمل.

والذين قرأوا كتاباته، لاحظوا فيها لمسة فنية، خفيفة الظّل والروح... هى جزء من شخصيته.

يقول الفنان الكبير فريد شوقى إنه تعرف على وجيه أباظة فى الحلمية سنة ١٩٥١ عن طريق ضابط طيار كان صديق له هو الطيار المغربى.

كنت قد بدأت الفن عام ١٩٤٧، وحتى عام ١٩٥٢، كان لى ٢٠ فيلما.. وعندما قامت الثورة عقد يوسف وهبى اجتماعاً فى النقابة لنذهب لنحيى الثورة.

كان المسيـرة تضم عدداً كبيراً من الفنانين أذكـر من بينهم يوسف وهبى وحسن رمزى ـ مـحمد كريم ـ مـحمد فوزى ـ فـريد الأطرش ـ زينب صدقى. وكنت أنا أصغر الموجودين. واتفق يوسف وهبى معنا، ألا يتكلم أحد إلا هو. .

وذهبنا إلى قادة الثورة، واستـقبلنا محمد نجيب يومها رأينا جـمال عبدالناصر ـ وعبدالحكيم عامر ووجيه أباظة والباقون كله «حشو»!

وأذكر أن يوسف وهبى وقف خطيـبا يقول: أين أنت يا أمى لترى قـائد جيش مصر وزعـيم حركتهـا يحيى ابنك. . اخرج يا أبى من قبـرك لترى الفن، ورجال الثورة يقدرونه. .

ولم يمتثل فريد الأطرش لطلب النقيـب يوسف وهبى بألا يتكلم أحد غيره وبدأ يلقى خطابا استهله قائلا: «مولاى محمد نجيب». .

خرجنا بعـد ذلـك فى قطـارات الرحمـة، الذى فكر فيـه وأشرف عليه وجـيه أباظة وكان هدف قطـارات الرحمة الأسـاسي تعبئـة الشعب مع الثـورة، وتعريف الناس بها.

كانت الثورة مـجهولة. . وكان رجـالها مجهولون، وكـان الفنانون هم النجوم اللامعة فى سماء الوطن. .

لذلك رأى وجيه أباظة أن يستعين بهم فى التعريف بالثورة، فيتوقف القطار فى كل محطة. . ويتحدث الفنانون ويهتفون بحياة الثورة.

وأقول لك بأمـانة إن الناس عرفت جمال عـبدالناصر عن طريق مـشروع قطار الرحمة، الذى كان له أثر كبير فى الدعاية للثورة، ومشروعاتها ورجالها أيضا. .

كان من نصيبى أن سافرت فى قطار من القاهرة إلى الإسكندرية، لأن القطارات كلها خرجت فى واقت واحد متوجهـة إلى كل أنحاء مصر. . واستغرق قطارنا فى رحلته إلى الإسـكندرية أكثر من ١٢ سـاعة، يتـوقف فى كل قرية يتـجمع الناس ونتكلم فيهـم، وأستطيع أن أقول لك ـ بدون مبالغـة إن الثورة بدون هذا الدور لـم تكن لتعرف، بل لـم تكن لتستمر أساساً. .

لذلك كرمتنا الثورة، ومنحتنا الأوسمة والنياشين، وكنا نجلس فى قاعة الجامعة فى الصف الأول، عندما جاء جمال عبدالناصر ومعه وجيه أباظة لتكريم الفنانين، ووصفهم بأنهم سفراء لمصر فى الخارج،، بل إنهم أفضل سفراء! وكان وراء هذه النظرة الجهد الذى قام به وجيه أباظة فى تقديم الثورة للفنانين،وفى تقديم الفنانين للثورة..

لقد كان معى فى قطار الرحمة الذى اتجه إلى الإسكندرية يوسف وهبى وأنور وجدى وفاتن حمامة وهدى سلطان وشادية وليلى مراد واسماعيل يس، عبدالحليم، وكان وجها جديدا وقمنا بدور كبير عن طريق وجيه أباظة خلال الرحلة وبعدها أقمنا حفلا فى مدينة الإسكندرية والهدف هو التعبئة للثورة وكما قلت فقد منحتنا الثورة أوسمة من الدرجة الأولى تقديراً لهذا الدور..

بعد قطار الرحمة كانت حفلات الأندلس، وهى حفلات غنائية ـ أخذت عنها فكرة أضواء المدينة فيما بعد ـ وكانت تذاع على الهواء مباشرة بعد أن أنشىء مسرح فى حديقة الأندلس.. ومن هذه الحفلات تخرج أشهر فنانين عبدالحليم حافظ وكان يحرص على وجودى فى هذه الحفلات، بل إننى إذا تغيب يرسل من يحضرنى من بيتى،وكانت فيللا ١٢ غرفة مؤجرة مكان «شيراتون» الآن، دكان إيجارها ١٩ جنيها.. لقد وجد أن لى تأثيرا فى الناس، فكنت «الفيديت» للثورة ولم يكن وجيه أباظة الذى كان حريصاً جدا على كرامة الفنان، ينادى أى فنان باسمه مجرداً، دون أن يسبقه بلقب أستاذ.. وبعد ذلك ـ ولأنه فنان ويقدر قيمة الفن ـ أنشأ أول شركة مساهمة سينمائية فى عهد الثورة، اسمها شركة النيل للسينما، وانتجت عددا من الأفلام لعدد من المخرجين الكبار.

لذلك فكرت فى عمل شركة اتحاد الفنانين، تقليدا لما قام به وجيه أباظة من قبل.

لقد رأيت أمجادى فى الزقازيق عند حسن أباظة، فقد كنت أطوف مع كل فيلم من أفلامى عندما يعرض فى الأقاليم، وكنت أجلس فى الصف الأخير، لارصد انفعالات الناس، وإحساسهم للفيلم، وفى الزقازيق وكانت الجماهير تحتشد، إقبالا

على أفلامى، حتى أنهم لايجدون مكانا فكانوا يقطعون تذاكر لأفلامى على الواقف، بعد أن يعطوا نمرا للحائط.. هكذا كان يقول لى صديقى حسن أباظة وهو ما رأيته فعلا بنفسى، لقد وجدت تذوقا نادرا للفن فى الزقازيق وتقديرا للفنانين، لذلك، لم يكن غريبا أن يخرج منها وجيه أباظة...

❑❑❑

الفنانة الكبيرة نادية لطفى، لها دور وطنى رائد، ومشهود، ولها أيضا دور اجتماعى كبير فى كل المجالات.

وهى نموذج للفنان الصادق، الذى يحس بمسئوليته بالنسبة وطنه، ولأهله وللأسرة الفنية كلها، وفى كل قضية لجدها فى المقدمة باذلة جهدها، وعطاءها الكبير، لعملها ولواضعها ولزملائها، ولعمل الخير، وأداء الواجب بالنسبة للجميع..

وقد تعرفت على وجيه أباظة كما تقول من عدة لقاءات عائلية، فهناك شىء يربطنى بالعائلة الأباظية عموماً.

وعلى حد تعبير نادية لطفى ـ من وسط دموعها ـ أنها وجدت فى وجيه أباظة إنسانا فيه خير، وفيه خصوبة مثل طمى النيل، واذا تواجد فى مكان فإنه يزرع سلوكاً.. يزرع بنى آدمين.. يشع حباً.. والحب لديه يعدى، وأنا أعتقد أن سلاح وجيه أباظة كان هو الحب.

لقد التقيت به، بعد وفاة زميل صحفى يعمل فى مجال الفن وكنت أقوم بتمثيل فيلم «بمبه كشر».

ولقد ترك هذا الصحفى وراءه أولاداً، يتعلمون، ومسئوليات كبيرة، وكان مسرفاً، فلم يخلف وراءه لهذه الأسرة إلا الديون..

ولما ضاقت بنا الدنيا، قلنا لنذهب إلى وجيه أباظة.. كان معى عبدالمنعم مدبولى، وسمير خفاجى.

زرنا محافظة البحيرة، ورأينا اللمسة الفنية لوجيه أباظة فى أعمال كثيرة. كان

يربى فيهم الإنسان، يربى الخلق، وتحولت هؤلاء المشردات إلى أمهات، وتغير تاريخ الأولاد على يديه..

وعندما وضعنا أمامه مشكلة زميلنا الصحفى، تكفل برعاية أولاده فى كل شىء وكأنه ولى أمرهم تماما.

وعندما مرض الفنان الراحل رشدى أباظة، كنت أنا وهو اللذين نشرف على رعايته..

وأذكر أنه كان هناك شخص آخر رقيق جداً اسمه طاهر أباظة..

لذلك فقد بكيت طويلاً عندما سمعت خبر وفاته.. لقد بكى قلبى، وحزن.. وعزاؤنا فيه هم أولاده الذين ترك فى كل واحد منهم جزءا من روحه وشخصيته وطباعة..

ولا تنسى أيضا السيدة اعتماد زوجته.. وهى الأم بمعنى الكلمة، وهى نموذج كامل للمرأة المصرية..

إنه يمكن أن تحب شخصاً جداً جداً، ويكون بينك وبينه حوار مشترك، إذا كان على مبدأ أو قيمة.

وليس شرطاً أن تكون له مواقف جيدة معى بالذات.. لكن كل مواقفه، وعواطفه الآخرين كانت كبيرة وكانت محل إعجاب من خلال تفانيه فى عمله، من أجل الآخرين، ومن أجل المجتمع..

ولم تتمالك السيدة نادية لطفى نفسها، فانخرطت فى بكاء طويل.. وقالت لى فى النهاية: إننى أبكى لمبدأ فقدناه.. ولا أبكى لشخص.

❑ ❑ ❑

وقد ظل اهتمام وجيه أباظة بالفنانين ورعايته لهم.. حتى أن الأجيال الجديدة من الفنانين يذكرون مواقفه معهم.

الفنان القدير جورج سيدهم أحد أفراد فرقة ثلاثى المسرح ذات التاريخ الفنى العريق واحد من الفنانين الذين أحبوا وجيه أباظة وهو يروى عددا من المواقف معه، حتى بعيدا عن مجالات الفن.. قال لى جورج سيدهم:

إننى لا أنسى لوجيه أباظة موقفه، يوم وفاة زميلنا الضيف أحمد، لقد وجدته يقدم العزاء، وهو يبكى.

ولا أنسى يوم ذهبت إلى دمنهور، هناك وجدته وقد أسس فرقة رائعة للفنون الشعبية، تضارع الفرقة القومية من الأطفال المشردين و. .

ولا أنسى يوم ذهبت إلى طنطا، وقد نقل إليها تجربته فى إنشاء فرقة للفنون الشعبية.

كل ذلك رأيته، وشاهدته، وعشته، ولم أكن أعرف وجيه أباظة معرفة شخصية، ولم ألتق به لقاء شخصيا.

لقد تعرفت على وجيه أباظة من خلال مشكلة. . وجدته فيها إلى جانبى، وهو لايعرفنى معرفة شخصية.

كان الأرمن الذين يستأجر منهم مسرح الهوسابير يهددوننا بالطرد، ويطلبون زيادة الإيجار. .

وضاقت بى الدنيا. . وقررت أن ألجأ إلى محافظ القاهرة كمحاولة ربما تنجح.

وكان المحافظ هو. . وجيه أباظة، الذى كنت أعرف أنه فنان، صادق وأن مجالات عطائه لبلده واسعة، ومتنوعة. .

فى مكتبه، قلت لسكرتيره: أريد مقابلة السيد المحافظ، ولما سألنى عن السبب قلت له: موضوع شخصى!

ودخل عليه. . وبعد لحظة، كان يفتح لى الباب، لأقابل السيد المحافظ. ووضعت المشكلة أمامه، وعلى الفور، وأنا جالس معه، طلب المسئول، وحدثه تليفونياً وقال لهم: إن الرئيس يقدر الفن والفنانين، وركب هؤلاء الناس، وأنتم ضيوفاً عندنا «مش عاوزينكم تكونوا ضيوف تقال» بهذا اللفظ. .

وكان قد سألنى عن الإيجار الذى تدفعه، وكان الإيجار هو ٣٧٥ جنيها. . بينما كانوا من قبل يؤجرون المسرح للحكومة بمائتى وعشرين جنيها. .

ووجدت وجيه أباظة يقول للرجل: هما الناس دول أغنى من الحكومة، إزاى تأجروا لهم أغلى من الحكومة. . الإيجار يكون زى الحكومة من يوم ما أجروا. .

وقال لى: اذهب إليه، واذا لم يحل المشكلة تعالى إلى مرة أخرى.

لقد كـان وجيـه أباظة يشبـه لى أولى الأمر الذين لديهم حل لكل مـشكلة فى الدنيا.

ولا أحب أن أقارن هذا الموقف بموقف المحافظ بل الحكومة عندما احترق المسرح فى أحداث الأمن المركزى، ذلك الموقف الذى جعلنى أحس بعدم الانتماء...

لذلك لم أستغرب أن أرى لأول مرة فى حياتى جنازة بالطابور..

كان الناس يقفـون فى طابور طوله حوالى كيلو متـر، حتى أننى وقفت فى هذا الطابور ساعة قبل أن أتمكن من دخول العزاء.

إن هذا وحده يكفى.. تقديراً للرجل.. ولدوره..

❑❑❑

وأخيرا نلتقى بالعمدة... الفنان الكبير صلاح السعدنى، يتحدث أيضا عن وجيه أباظة الذى تنبأ له بمستقبل فنى لامع، وهو مازال طالبا فى المدرسة الثانوية.

وكان صـلاح السعدنى قد صـعد خشبـة المسرح لأول مرة أمام وجـيه أباظة.. الذى تتبع مسيرته الفنية..

قال لى العمـدة... صلاح السعدنى «إنه بالنسـبة لجيلى عندما نتكـلم عن وجيه أباظة، فإننا نتكلم عن ٢٣ يوليـو.. كان هناك تنظيم الضبـاط الأحرار، الذى قام بثورة فى مـواجهـة حكم ملكى دام ١٥٠ عاما، وفى ظـل وجود ٨٠ ألف جندى انجليزي، حُمـر الوجوه، فى منطقـة حولوها إلى ترسانة مـسلحة، وفى مواجـهة إقطاع، ورأسمالية، أسماها عبدالناصر طبقة النصف فى المائة التى تملك كل شىء، وتتحكم فى كل شىء.

وقتهـا كنت طالباً فى مدرسة بالجيـزة، وكان ٧٠٪ من التلاميذ حـفاة الأقدام، لدرجة أن الثورة أنشأت ـ فـيما بعد ـ مصانع لعمل أحذية «بلاسـتونيل» حتى يجد الأولاد، ما يضعونه فى أقدامهم.

وجيه أباظة، وكل الأسماء التى تواترت فى الخمسينات، فى بداية تكوين الوعى السياسى عندى، كانوا هم الذين خرجوا واضعين رءوسهم على أكفهم ليغيروا الواقع المصرى البغيض..

بعد ذلك عرفت أنه كان من قبل فى تنظيم سرى داخل سلاح الطيران قبل أن ينضم لتنظيم الضباط الأحرار.

هذا هو الملمح الأول فى شخصية وجيه أباظة... بالنسبة لى.

أما الملمح الثانى، فهو تجربته فى دمنهور وأنت فى طريقك إلى الإسكندرية، بالطريق الزراعى، وقبل أن تصل اليها، تبدأ الملامح تتغير، فقد كان هناك شئ مختلف يحدث فى البحيرة.

أذكر أننى وأنا طالب حضرت «ماتش» كوره للأهلى فى استاد دمنهور، وكان فريداً وجديداً فقد أنشىء قبل افتتاح استاد القاهرة. وأذكر أيضا ان أول مرة أمثل فيها على المسرح، كانت فى البحيرة، فقد ذهبت إليها مصاحباً لفرقة عبدالرحمن الخميسى عام ١٩٦١ وكانت تقدم مسرحية من تأليف أخى محمود السعدنى.

وتغيب ثلاثة من أعضاء الفرقة، مما أوقعنا فى «حيص بيص» واستعانوا بى، وبمحمود السعدنى، وعبدالرحمن شوقى، لنقوم بالتمثيل بدلا من هؤلاء الثلاثة الذين تغيبوا. وأذكر أن محمود السعدنى بكل جبروته الإعلامى، خاف من المسرح وأعطى ظهره للمتفرجين وبعدها ذهب يشكو لوجيه أباظة.

وكانت هذه بالنسبة لى أول مرة أصعد على المسرح فى فرقة محترمة وكان ذلك أمام وجيه أباظة.. قبلها كنت أمثل مع فرقة المدرسة.

وكانت أول لقاء لى مع الخال وجيه أباظة، فى البنوار الرئيسى بجانب خشبة المسرح، فقد كان مسرح دمنهور مثل مسرح دار الأوبرا.

وأذكر أن عمنا وجيه يومها هنأنى بشدة على أداء دورى، ولما عرف أننى مارلت تلميذا فى الثانوى أعطانى مجموعة أقلام حبر هدية.. وتنبأ لى بمستقبل مشرق فى التمثيل، وقال لمحمود السعدنى: سيكون لأخيك صلاح مستقبلاً ممتازاً.

بعد ذلك عندما بدأت التمثيل فى مسرح التليفزيون، كانت فرق التليفزيون المسرحية المحافظات. . .

وكان أول مسرح فى المحافظات، قمت بالتمثيل عليه. . وأنا عضو بهذه الفرق، هو أيضا المسرح فى محافظة البحيرة. .

ولقد كان اسم وجيه أباظة في البحيرة قد ارتبط فى البدايات بما قدمه للريف المصرى الذى ظلم منذ أيام الفراعنة. .

وعندما ذهب هو إلى الريف، نقل إليه المدينة بكل ما فيها حتى الفنادق، والمسارح، والمرافق المختلفة حتى لاتحدث غربة للمواطن بين القاهرة والإسكندرية، وهذا الريف المحروم، الذى كرس وجيه أباظة جهده، لانتشاله، والتقدم به فى تجربة نموذجية، مازالت تعيش فى وجدان وضمير المصريين جميعا. . .

وكان وجيه أباظة كشخص إنساناً ودوداً، ودمث الخلق، وباشا بالمعنى المصرى. .

وينهي صلاح السعدني رؤيته قائلاً: إن علاقتي بوجيه أباظة قد استمرت بعد ذلك، وبعد أن ترك كل مواقع المسئولية، وهولم يجلس فى بيته، يجتر الماضى، بل عمل، وأخلص فى عمله، فأنشأ شركة وصلت لإقامة مصنع للسيارات. . وهذا جزء من دفع عجلة الإنتاج، وتنمية الاقتصاد المصرى، وإعطاء فرص عمل للشباب، ومجالاً للتصدير في النهاية يقل صلاح السعدنى:

لقد كان طاقة وجيه أباظة من العمل الجاد والمخلص حتى اللحظة الأخيرة من حياته.

❑ ❑ ❑

كان قطار الرحمة واحداً من المحطات فى حياة وجيه أباظة... ضمن أعماله فى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة. .

وهناك قضايا أخرى كانت مصيرية بالنسبة للثورة .

بدأت عن طريق وجيه أباظة أولها. . قضية تسليح الجيش...

وما أثارته من أزمات...

هيئة التحرير

قام وجيه أباظه بدور فعـال فى تأسيس هيئة التحرير.. أول التنظيمـات السياسية التى أقامتها الثورة..

كان مسئولاً فى هيئة التحرير عن «مديرية الشرقية»

وقد أعطاه هذا التنظيم فرصـة لتجنيد عدد من العناصر التى شـاركت معه خلال فترة العمل فى العمل الفدائي..

ويقول أحـمد أبو الدهب الذى عمـل معه أثناء مـعارك الفدائيين ضـد القوات البريطانيـة: إن وجيه أباظه، ضم إلى هيـئة التنظيم عدداً من الأشـخاص من أبناء الشرقية ذوى التاريخ الوطنى فى مقاومة الاستعمار.

وكان هدف التنظيم فى ذلك الوقت، هو مواجهة الاحـتلال بتجمع شعبى يضم كل العناصر صاحبة المصلحة فى الاستقلال...

وكان إلى جوار هيئة التحرير منظمه للشباب أقامتها الثورة يشرف عليها «الرائد» وحيد جوده رمضان..

وبموجب لائحـتها الداخـلية تم تقسـيم الأعضـاء إلى ثلاث مراتب: منـضمين وعاملين ومنتسبين، وتم انتخـاب جمال عبد الناصر سكرتيراً عاماً لهـيئة التحرير، وعين حسين إبراهـيم مراقبـا عاماً، وحـسين الشافـعى مراقبـا للمناطق، وإبراهيم الطحاوى سكرتيراً عاماً مساعداً، وأحمد عبد الله طعيمه مديراً للنقابات.. لابد أن نلاحظأن الهيئة قد تجاهلت في تشكيلاتها محمد نجيب.

كانت الثورة قـد أصدرت قراراً بحل الأحزاب السيـاسية يوم ١٦ يناير ١٩٥٣، وأعلنت تشكيل هيـئـة التحـرير يوم ٢٣ يناير.. أى بعـد أسبـوع تقريبـا من حل الأحزاب السياسية، حتى لا ينشأ فراغ سياسي.

ولم تكن هيئة التـحرير هى حزب الثورة، فالثورة لم تقم خـلال مراحلها، أى حزب ولكنها لجأت إلى إنشـاء تنظيمات واسعة، تضم أكبر قاعـدة من الجماهير، صاحبة المصلحة فى المرحلة، وفى المعارك التى تخوضها.

وكانت تلك المرحلة. هى بداية الـتفاوض من الانجليز، وكـان مطلوباً أن تواجه الثورة المفاوض بجبهة واحدة، مستفيده من التجارب الحزبية السابقة ، التى دخلت فى مزايدات أضرت بالقضية الوطنية .

ولم تكن مهمـة التنظيم الجديد، مجرد هذا التجـمع، الذى يملأ الفراغ الناشئ

عن حل الاحزاب السياسية، ولكنه كان أيضا يجند العناصر القادرة على القيام بالعمل الوطني، فى مواجهة الإنجليز، ذلك أن العمليات الفدائية، قد بدأت من جديد ضد المستعمرات البريطانية فى منطقة القناة.

ولكنها هذه المرة كانت عمليات مخططه. يشرف عليها ويرسم خططها، ويوجهها زكريا محيي الدين الذى كان مسئولا منذ اليوم الأول عن أمن الثورة.

كانت العمليات الفدائية ضد الإنجليز تنشط عندما تتعثر المفاوضات، وكان المعنى المطلوب توصيله أن الجنود فى القواعد البريطانية، لن يكونوا مستقرين فى مصر أبداً.

ويقول جمال الليثي، إن وجية أباظه قام بطبع سبعة منشورات باللغة الإنجليزية، واستطاع توصيلها إلى المعسكرات.

وأنه جاءه وجيه أباظه ذات يوم، وطلب منه أن تطبع المنشورات باللغة الإنجليزية، ولجأ إلى مطبعة فى شبرا يملكها رجل أرمنى رئيس العمال بها مصري، ووطني، كان يقوم بطبع هذه المنشورات وحده، يوم الأحد، فى يوم الإجازة، ولم يكن صاحب المطبعة يعرف..

فقد كان معه المفتاح بصفته المسئول، وفى كل يوم أحد، منذ الصباح الباكر كان يفتحها، ويقوم بطبع المنشورات لحساب الشئون العامة للقوات المسلحة، التى كان يشرف عليها وجيه أباظه..

وعن طريق الذين جندهم من هيئة التحرير فى الشرقية، وغيرهم كان يتم توزيع هذه المنشورات داخل المعسكرات..

وكانت هناك مجموعة من الضباط الأحرار يشرفون على هذا العمل من بينهم كمال رفعت، ولطفى واكد الذى لعب دوراً أساسيا وكان سكرتير هيئة التحرير فى الشرقية، وأيضاً عبد الفتاح أبو الفضل، وغيره.

قالت هيئة التحرير، كلنا هيئة التحرير تعبيراً عن تجميع كل المواطنين، وكان شعارها، «الاتحاد- والنظام- والعمل» وكان فكر الثورة قد استقر على هذا التنظيم لعدة أسباب:

أولاً: إنها كانت تجمع فئات تحت هدف واحد هو طرد الاستعمار، وكان هذا التنظيم يضم المصريين جميعاً باستثناء الإقطاعيين، والقيادات الحزبية، السابقة على اعتبارهم من المتعاونين مع الاستعمار، أو من الذين لم تكن لهم مصلحة أكيده فى طرده. أما بقية فئات الشعب وأفراده، فقد اعتبروا أصحاب مصلحة فى طرد الاستعمار، وإن اختلفت المواقع التى ينظرون منها إلى هذه القضية.. فنظرة الرأسمالى الكبير إلى طرد الاستعمار فى تلك الفترة، هى أنه يمكن من أن يرث رأس المال الأجنبي، ونظرة العامل إلى الاستقلال أنه خطوة نحو التحرر الكامل..

الأخري- فبينما ترى شريحة منهم أن الاستقلال يمكن أن يكون خطرة نحو التحرر الاجتماعى طريق إجراء ثورة اجتماعية، كانت شرائح أخرى ترى أن الاستقلال هو خطوة نحو أجراءات أصلاحية يمكن أن تتم بعد ذلك تحقق لهم عملا أفضل ومستوى أحسن فضلاً عن تحرير الإرادة الوطنية، كان هناك إجماع بين أفراد الشعب وبين فئاته على ضرورة تحقيق الاستقلال، وطرد المستعمر..

وكان تحالف هيئة التحرير فى ذلك الوقت مفتوحا تتوحد من خلاله هذه الجماهير كلها.

ثانيا: لم يكن فكرة الثورة قد تبلور بعد فى نظرية سياسية، فى أى شكل من أشكال التنظيم يمكن أن يلتف حوله المتحمسون، ويجمعهم، وفضلا عن ذلك كان الضرورى أن يتجمع المواطنون وأن يواجهوا إلى جانب الاستعمار/ الأحزاب القديمة التى صدر قرار بحلها.

ثالثا: أنها الأداة الشعبية التى يستطيع رجال الثورة من خلالها أن يلتقوا بالجماهير، وأن يلتصقوا بهم، كما يلتقون فى نفس الوقت بالمشاكل اليومية، ويعملون على حلها. . وإذا كانت المشاكل التى كانت تتصدى لها الثورة فى ذلك الوقت صغيرة، فالتنظيم الذى قام بالثورة نفسه كان يهتم أولا بالقضية الكبري، وهى قضية تحرير الوطن أولا. . . ويضعها فوق كل المشاكل الأخري. .

رابعاً: كانت المهمة البارزة التى قامت بها هيئة التحرير فى تلك الفترة هى التعبئة الوطنية، وحشد الطاقات من اجل معركة الاستقلال، ولذلك قامت بدور كبير فى تدريب المواطنين على السلاح، وتوعيتهم. .

خامسا: كان من الطبيعى فى مثل هذا التنظيم الواسع أن يتسلل إليه بعض العناصر المضادة لأهداف الوطن، وآماله حتى فى الاستقلال.

❑❑❑

جمال عبد الناصر عندما تحدث عن هذه الفترة من عمر التنظيمات الشعبية تحدث عن هيئة التحرير قائلاً:

(١) نجحت الثورة وبدأنا نواجه أول مرحلة للقضاء على الاحتلال، والقضاء على السيطرة البريطانية، والتخلص من الـ ٨٠ ألف عسكرى بريطانى والحصول على الاستقلال الكامل، وأول سؤال سألناه لأنفسنا ونحن نبدأ هذه المرحلة من هو الشعب، من هو الشعب الذى سيكافح من أجل إخراج الإنجليز، لم يكن ممكنا أن أستدعى عملاء للإنجليز وأقول لهم تعالوا وأصدرهم لكى يكونوا هم الذين يتولون القيادة فى إخراج الإنجليز. . بالعكس فالذى كان سيحصل أنهم كانوا سيقفون معهم، لكى يبقوا أكثر مدة فى مصر.

إذن فى هذه المرحلة كان لابد أن نسأل أنفسنا: من هو الشعب؟

---

(١) اللجنة التحضيرية للمؤتمر القومى العام.

من هو الشعب الذى سيخرج الإنجليز من القناة، ويأخذ الأسلحة ويحارب حرب عصابات، ويحاصر المعسكرات البريطانية.. لم آت بالناس الذين يتعاملون مع الإنجليز، لم آت بالناس الذين كانت مصالحهم مرتبطة بمصالح الإنجليز، وأقول لهم أذهبوا الى القناة لتحاصروا الإنجليز لكى تشعر بريطانيا أنها تدافع فى القناة عن نفسها، ولا تدافع عن الشرق الأوسط، لكن كان لازم أن أسأل نفسى سؤالا: من هو الشعب ؟؟».

الشعب هو صاحب المصلحة فى خروج الإنجليز مرت هذه المرحلة هناك ناس ذهبوا للقناة وهناك ناس ماتوا فى القناه، وهناك ناس حاربوا فى القناة، وناس قاتلوا فى هذا الفترة والإنجليز اقتنعو اليس بالمفاوضات فقط، بل بالمفاوضات، واقتنعوا بحرب العصابات، اقتنعوا أنهم فى منطقة الشرق الأوسط، لايدافعون عن الشرق الأوسط، ولن يستطيعوا أن يدافعوا عن الشرق الأوسط، ولكن أصبحوا يدافعون عن أنفسهم، وأصبحت كل عربة يخرج فيها عشرة عساكر.

«أصبح مفروضا فى كل عربة يكون فيها سائق واحد أن يكون معه ثلاثة أربعة ليحموا هذه العربية من أن تضرب، الذى قام بهذه العملية هو الشعب، كان فيهم ناس رأسماليون وأولاد المعركة الوطنية الشعور بالوطنية كان موجودا الذى يشعر بالوطنية هو الشعب».

❑❑❑

ميثاق هيئة التحرير يتحدث عن تأسيس الهيئة قائلاً:

«لقد رأيناها جريمة كبرى أن ندع هذه الحرب الطاحنة بين الأحزاب تطحن الأمة بين شقى رحاها، وتطيل أمد عبوديتها، فعزمنا أن نضع حدا لها، وقررنا أن نبدأ من البداية، قررنا أن نخوض معركة التحرير التى خاضتها الأمم بعزم جديد حتى لا تكون بعد اليوم مهانة ولا خيانة، قررنا أن نبدأ من البداية فأنلنا وصمة العار التى دمغت جباهنا، وأطحنا برأس الحكم الفاسد الذى تراكمت حوله الخيانات، واحتمت به خصوم البلاد، ثم سارت حركتنا على النهج الذى تعرفونه، وبتأييد الشعب على اختلاف طوائفه، يزيد يوما بعد يوم حتى بلغ الحد الذى أصبح معه

فى حاجة إلى هيئة تنظمه، وتبرز وحدته وتنسق جهود العاملين فيه فى مختلف الميادين».

المذكرة التفسيرية للنظام الأساسى للهيئة تقول: من وحى الحركة الإصلاحية ومن صميم الضمير المستجيب إلى دواعى الخير، تأسست بمدينة القاهرة جماعة «هيئة التحرير» فى مختلف البلاد، وهم أولئك الذين يؤمنون بمبادىء الحركة التى قامت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتحطيم الأصنام، وفك القيود التى تحول دون وصول مصر العزيزة إلى المكان اللائق بها بين الأمم، وقد قررت الحركة أن تكفل لمصر حياة كريمة دعائمها الطهر واستقامة الأهداف وخدمة المثل العليا، والعمل المستمر الجاد الذى يعيد بناء أمة وادى النيل فتصبح صرحا قويا راسخ الأركان تسهر عليه دولة صالحة، تكفل للشعب رفاهيته وسعادته، وتضمن له عدلا اجتماعيا لا يترك تحت سماء مصر جائعا أو جاهلا، بل تجعل من كل فرد عضوا صالحا وصحيحا فى جسم أمة ترتفع هاماتها فى المجال الدولي، فيصل ماضيها بحاضرها المجيد بحاضر مشرق سعيد.

ولا شك أن النهوض بهذا الواجب رسالة من خير الرسالات التى أخرجت للناس، ولا بد لتحقيق هذه الرسالة من أن تعتمد على شباب طاهر يؤمن بمصريته ويتفانى فى تحقيق عظمة بلاده، ومن أجل ذلك وابتغاء مجد الوطن وحده رأى فريق من أبناء هذه الأمة أن يؤسسوا منظمة تضم العاملين لخير الوطن، وسؤدده من مختلف طبقات الشعب، فينخرط فى فلكها الطلاب والعمال من مختلف الحرف، والفلاحون والموظفون وغيرهم، بحيث يتألف منهم بناء الوطن الشامخ الذى تربط أجزاءه، وتوحد عناصر المعانى والأهداف ويحرر الجميع من تقديس الفرد والتفانى فى الأشخاص فلا يعبدون إلا الله الواحد القهار، ولا يؤمنون إلا بالله سبحانه وتعالى وبحق الوطن الطبيعى فى الحرية والمجد فى الحياة، وشعار الجميع... الاتحاد والنظام والعمل.

ويقول ميثاق هيئة التحرير «نحن أعضاء هيئة التحرير، وقد آلينا على أنفسنا أن نجلى الغاصب عن وادى النيل بلا قيد، ولا شرط، وأن نكفل للسودان تقرير

مصيره، دون أى مؤثر خارجي، وأن نقيم فى وطننا مجتمعا قويا أساسه الإيمان بالله والوطن، والثقة بالنفس، وأن نكفل الحقوق والحريات للمواطنين. فينال كل فرد حقه فى حياة كريمة تقوم على المساواة فى الحقوق وتكافؤ الفرص، وتضافر قوى الشعب لتحقيق رسالة الإصلاح الكبري، وأن نجعل نصب أعيننا وحدة الوطن المقدسة، تعبئة فى برامج التعمير والإنشاء، وأن نعمل ما من شأنه قيام مصر برسالتها العالمية، دولة قوية تحمل مشعل العدل، والحرية، وتسعى لخير بنى الإنسان وتعاون الشعوب العربية، وترعى المبادىء القويمة، التى نصت عليها المواثيق الدولية وهذه هى أهدافنا:

١- إجلاء القوات الأجنبية عن وادى النيل... دون قيد أو شرط... وتحريره من كل استعمار سياسى او اقتصادى أو اجتماعى

٢- تمكين السودان من تقرير مصيره دون أدنى تأثير خارجى

وكانت الأهداف الداخلية التى نص عليها ميثاق هيئه التحرير:

١- تحقيق الأهداف والمصالح الاساسية للشعب، بحيث يكون آمنا على حقوقه وحرياته وفقا لدستور يسجل إرادته.

٢- إقامة مجتمع على أسس من الإيمان بالله، والوطن، والثقة بالنفس للتخلص مما يعانيه من أسباب التخلف والضعف.

٣- توجيه النظام الاقتصادى إلى مافيه تحقيق العدالة الاجتماعية، وحسن توزيع الثورة، ووسائل الإنتاج واستغلال موارد البلاد الطبيعية وتشييد الصناعة على نطاق واسع، وتشجيع رؤوس الأموال بها.

٤- كفالة الحقوق والحريات الأساسية من الناحيتين السياسية والاجتماعية فالمواطنون سواء أمام القانون، ومن حقهم التمتع بحرية الفكر والرأى والعقيدة وممارسة الشعائر الدينية، ومن واجب الدولة إزاءهم تأمينهم ضد البطالة والمرض والشيخوخة.

٥- تبصيــر المواطنين بواجباتهم وحثــهم على التضامن والتضافــر والعمل المنتج للنهوض بتبعات الإصلاح.

أما الأهداف الخارجية لهيئة التحرير كما جاءت فى ميثاقها فيقول:

١- دعم الصلات مع الشعــوب العربية لتحقــيق التعاون الفعــال بينها فى شتى الميادين.

٢- تعزيز ميثاق جــامعة الدول العربية ليكون أداة لخدمة شعــوبها وبلوغ أمانيها المشتركة.

٣- تأكيد استعدادنا للتفاهم مع أى شعب يظهر حسن نواياه نحونا.

٤- التمسك بمباديء ميثاق الأمم المتحدة والمطالبة للعمل بها فى خدمة الشعوب ورفاهيتها.

التنظيم الذى رأته الثورة فى ذلك الوقت كان مـعبرا عن طبيعة مـرحلة التجمع الوطني، وكانت أولى أهدافــه كما اتضح من مـيثاقه هو تحـرير مصر، ومواجــهة الاستعمار فيها، واعطاء السودان حق تقرير مصيره كاملا.

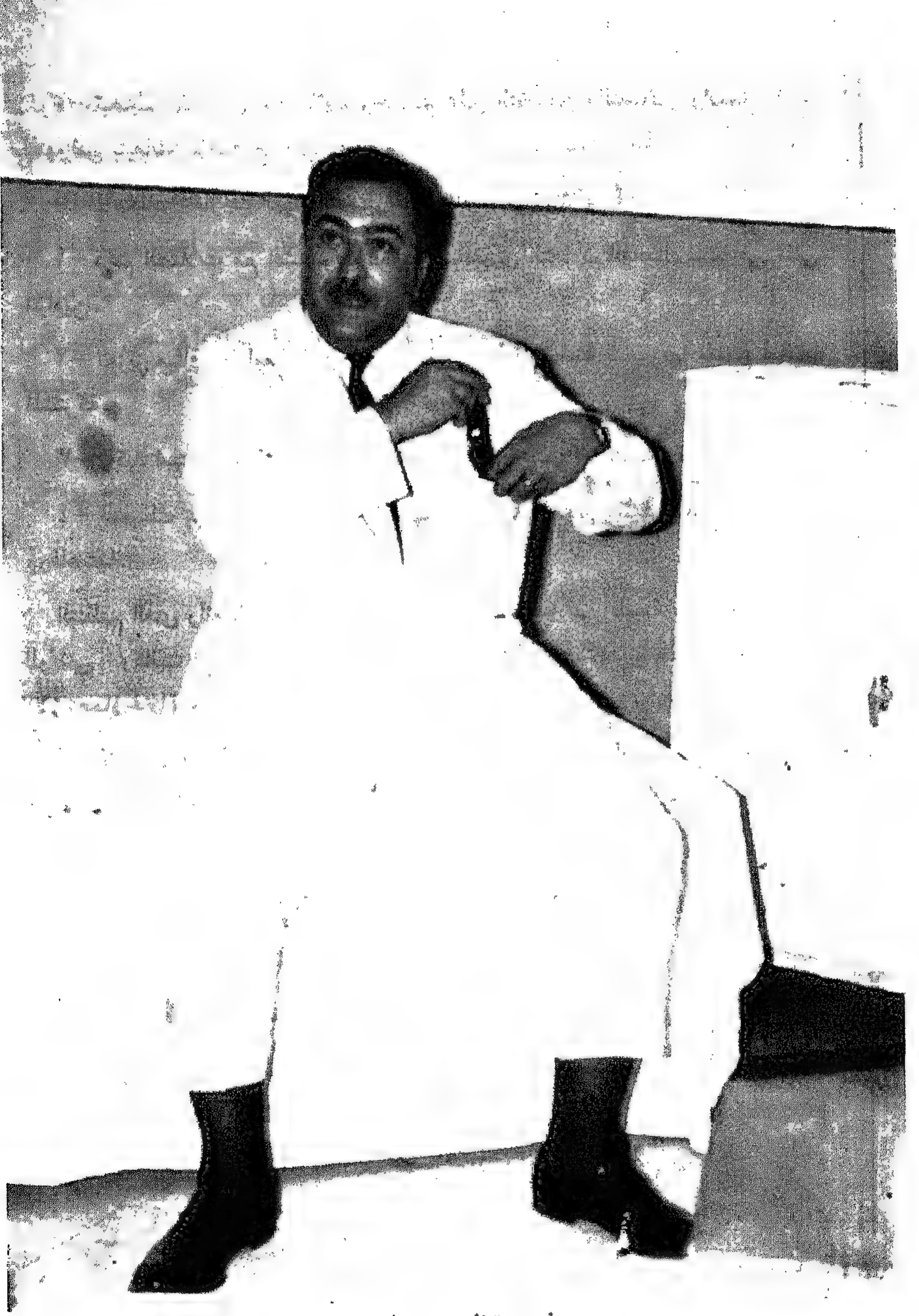
أما الأهداف الداخليــة فتعـبر عن رؤية إصلاحــية، يمكن أن يقوم بهــا مثل هذا التجمع الذى كان من المفروض أنه يواجه الفراغ الناتج عن حل الأحزاب.

❑ ❑ ❑

وكان وجيــه أباظة مسئولاً عن إدارة الشـئون العامة للقوات المسلــحة يعمل فى عدد من المجالات غير مسئولية الإعلام عن الثورة.

كان عليه أن يستانف نشاطه فى مواجهة الاستعمار البريطانى.

وأن ينشط لتكوين تنظيم قوى لهيئة التحرير فى الشرقية.



فى هيئة التحرير بالشرقيه

النضال الوطنى ١٦

الجـــلاء

كان على الثورة الوليدة أن تواجه أكبر وأعنف معاركها، وهى معركة تحقيق الاستقلال الوطنى، ووضع حـد لنهايـة الاستـعمـار البريطـانى الذى بدأ عام ١٨٨٢، وكـان تحقـيق الاستقـلال، هو الهدف الأساسى للحركة الوطـنية المصرية، وسقط من أجل تحقـيقه آلاف الشهـداء، وسالت من أجله بحور من الدمـاء، وقامت عشـرات الحركات السـرية بعد أن فشلت الأحزاب فى تحقيق الاستقلال..

وكانت قد أجريت عشرات المفاوضات مع الإنجليز، ولكنها كانت دائما تصل إلى طريق مسدود.

وكانت هذه المفاوضات هى موضوع المزايدات بين الأحزاب السياسية والقصر الملكى.

ومنذ قام الاحتلال لم تضع القوى الوطنية السلاح أبداً، على اختلاف المراحل السياسية التى مرت بها...

وبعد الثورة بدأت جولة جديدة من المفاوضات مع المستعمر البريطانى وشكل وفد للتفاوض من: محمد نجيب وجمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر، صلاح سالم - عبداللطيف البغدادى والدكتور محمود فوزى.

وفى الوقت الذى كانت تدور فيه المفاوضات كانت العمليات الفدائية قد نشطت.

فى هذه المرة العمليات مخططة، يشرف عليها زكريا محيى الدين الذى تولى أمن الثورة وأصبح مسئولا عن المخابرات الحربية التى أشرفت على العمل الفدائى.

كان وجيه أباظة فى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة.. مسئولا عن إعلام الثورة.

وكان يعمل فى عدة اتجاهات:

الأول: هو إمداد العمل الفدائى بالأفراد الذين سبق أن تعاونوا معه.

الثانى: تعبئة هيئة التحرير التى يشرف عليها فى الشرقية من أجل المعاونة فى العمل الفدائى.

الثالث: هو طبع وتوزيع المنشورات الموجهة إلى الجنود الإنجليز وأسرهم.

الرابع: هو التعبئة العامة، عن طريق إعلام الثورة الذى أصبح مسئولا عنه.

❑❑❑

كانت مفاوضات الجلاء شاقة وقاسية، وكان الوفد المفاوض المصرى، يحس أنه يخوض معركة شرسة ضد قوى مدربة ومتمرسة.. ولكنه كان يملك شيئا واحداً هو إصراره على ضرورة تحقيق الجلاء.

وكانت قد طرحت فكرة التفاوض مع الإنجليز داخل اجتماعات مجلس الثورة ولم

يكن جميع الأعضاء موافقين على أن تسير الثورة فى نفس الطريق القديم، طريق التفاوض ولكن الرأى الذى وافق على المفاوضات هو الذى حصل على الأغلبية ويروى صلاح سالم قصة هذه المفاوضات قائلا:

فى منتصف ابريل عام ١٩٥٣، فى مبنى القيادة العامة، للقوات المسلحة بكوبرى القبة، ولم يكن أحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة، قد عين وزيرا بعد. بدأنا فى الاجتماع، باستعراض الموقف من جميع نواحيه. وكان النقاش دائرا، حول مبدأ الدخول فى مفاوضات مع بريطانيا، والأسس التى يتم التفاوض عليها.. وقبيل منتصف الليل فى هذا اليوم، وبعد اجتماع دام أكثر من ١٠ ساعات، أخذت الأصوات على مبدأ المفاوضة.. فتمت الموافقة، على مبدأ محاولة الوصول إلى أهداف البلاد، عن طريق التفاوض، بالأغلبية ضد صوتين. وقد علق أحدهما، الدخول فى مفاوضة، على شريطة أن تحترم بريطانيا اتفاقية السودان التى وقعتها مع مصر، منذ شهور، وكانت بريطانيا قد بدأت تتلاعب وتلعب بنصوص هذه الاتفاقية عند تشكيل لجنة الحاكم العام، أما الصوت الآخر المعارض، فكانت حجته ألا أمل مطلقا، فى الوصول إلى أية نتيجة مرضية.. وعلى كل حال فهو لا يعتبر معارضة أساسية.

وهناك قرار تاريخى، قد صدر بالإجماع فى هذه الليلة بالذات، وهو.. تشكيل لجنة مشتركة من الضباط والوزراء، مكونة من خمسة أعضاء ويوكل إليها جمع المعلومات والبيانات المختلفة، عن كافة نواحى الحياة فى مصر. كما تختص هذه اللجنة بعمل تقدير للموقف يوضح مدى تأثر، نواحى الحياة المختلفة فى مصر، إذا ما حدث كفاح مسلح مع بريطانيا فى القنال، فى حالة فشل محاولة التفاوض. وتختص هذه اللجنة أيضا، بوضع الخطط العامة، لمجابهة كل خطر تتعرض له البلاد، نتيجة للكفاح وكان من اختصاص اللجنة الخماسية تشكيل لجان فنية مختلفة، توجه مختلف الموضوعات وكان على اللجنة الخماسية، أن تقدم لمجلس الثورة، تقريرا شهريا عن نتيجة بحوثها.

لقد صدر هذا القرار التاريخى، وفى أذهاننا جميعا، كل ما حدث فى أكتوبر عام ١٩٥١، حينما قرر الوفد إلغاء معاهدة ٣٦، وبدأ الكفاح.. ذلك الكفاح العجيب الذى قدر له أن يعيش أياما، وانتهى بحريق القاهرة وسقوط الوزارة، علما بأن «على ماهر»

حينما تولى الحكم فى ٢٧ يناير، عـقب حريق القاهرة المشئوم، قد سـمح بعودة العمال إلى القنال.

وفى غمرة هذا الكفاح العنيف جدا جدا جدا!. هرع رئيس الحكومة، وملك البلاد، وولى أمرها ونعمتها، إلى السفيـر الأمريكى، يقبلون مواطىء أقدامه، لكى يتوسط بين حكومة الكفاح جدا!. . وبين عدوتها اللدودة بريطانيـا، لعقد اتفاق «الجنتلمان» بينهما، لكى تسمح بريطانيا، وجنود بريطانيا فى القنال، بمرور البتـرول إلى القاهرة، مركز قيادة الحرب والكفاح العنيف. . أما المضحك حقا فهو أن بريطانيا قد قبلت هذا!!

لقـد وضح لأمـريكا، منذ الاتصـال الأول، أننا لا يمكن أن نقـبل نوعـا من دفـاع مشترك، أو مـحالفة. . وكل ما يمكن أن نقبله، هو الاتفاق على تنـظيم عملية الجلاء. وكان كـلامنا عاما، ولم ندخل مـعهم، فى أى تفـصيل. وحدثت بعـد ذلك اتصالات مشابهة، برجال السفارة البريطانيـة وكنا فى ذلك الوقت، تركز كل جهودنا، لحل قضية السودان أولا، و أوضحنا لهم موقفنا، دون أى لبس أو أى غموض.

وعند عودة «سلويـن لويد» من السودان، مر بالقـاهرة والتقى بجـمال عبـدالناصر، وعبدالحـكيم عامر، وحضـر الاجتماع «كـرزويل» و«إيفانس» من السفارة البـريطانية. . وتكلموا عن الأسس التى تبنى عليها المفاوضات إن حدثت، وكان «سولين لويد»، يقرن دائما الدفاع عن الشرق الأوسط بالجلاء عن القنال.

وفهم «سولين لويد» من «جمال» أن الحلف الوحيـد الذى يعنينا، هو ميثاق الضمان الجماعى، وأن مصر حريصة على أن يدخل هذا الميـثاق، فى حيز العمل، فإذا ما أبدت انجلترا اسـتعـدادا لتزويد دول هذا الميـثاق، بما تطلبـه من عتـاد وسلاح، فسـيكون هذا الميثاق، هو الأداة الفعالة لحفظ كيان هذه المنطقة، والمحافظة على أمنها وسلامتها.

أصـبح موقـفنا واضحـا، دون لبس أو غـموض، وكـان محـور حـديثنا فى بعض المناسـبات الخاصـة، يدور حول مـا سمـيناه بمعركـة الثقة، مـوضحين لهم أن الـشعب المصرى، قد كفر بانجلترا، وبالتالى بالغرب بأجمـعه، نتيجة لما أصاب البلاد من احتلال دام أكثر من سبعين عاما. فإذا ما أرادت بريطانيـا صداقة حقيقة بين الشعبين، تحل محل العوادة التى تمكنت مـن صدور المصريين، فعـليها أولا وقبـل كل شىء، أن تكسب ثقة

مصر، ولن تنال هذه الثقة، إلا بتسليمـها المطلق بالجلاء الكامل عن أراضينا، وتترك ما عدا هذا لمستقبل الأيام.

وفى الجلسة التى أمضيت فيها اتفاقية السودان، وعقب التوقيع مباشرة، أبدى الطرفان استعدادهمـا الكامل، للبدء فورا فى حل قضية القنال، وكثـرت الاتصالات الخاصة بين الفريقين، منذ ذلك التاريخ.

وبدا لنا أن موقف انجلتـرا، لا يزال كما كـان وأنهم مازالوا يفكرون بعقليـة المفاوض البريطانى، فى الشـرق الأوسط، إلى تنسيق للتحـالف، فى مقابل مـساعدات مخـتلفة عسكرية واقـتصادية. وكثـيرا ما لوّحوا بأن هذا العـمل لو تم، سيعزز للنظـام الحاضر، ويزيده قوة وثباتا!!

❏❏❏

مازالت رواية صـلاح سالم مـستمرة يقـول إنه فى شهر مـارس ١٩٥٣ ألح الجانب البريطانى فى طلب الدخول فى مـفاوضات لحسم الخلاف، فـأوضحنا لهم أننا لن نقبل البدء فى مثل هذه المفاوضات إلا إذا اتفقنا عـلى الأسس التى تقوم عليها وبعد أخذ ورد طويلين قبلوا استبعاد فكرة الحلف. أو الدفاع كله.

وفى منتصف أبـريل، تقدموا كـتابة بالنقط الرئيـسية التى يقـترحونـها للمفـاوضات وهى..

* تنظيم جلاء كافة القوات عسكرية البريطانية.
* موضوع القاعدة
* الدفاع الجوى
* المعاونة العسكرية المطلوبة لمصر
* المعاونة الاقتصادية لمصر.

وفى اليـوم التالى، رددنا عليـهم وأصررنا على أن تقـصر المفاوضـات على الأول، والثانى فقط فوافقوا . على ذلك، وحدد لبدء المفاوضات على هذا الأساس يوم ٢ ابريل وتبادلنا أسماء المفاوضين من كل جانب.

أثناء هذه الفترة تم استعراض للموقف بالتفصيل.. مجلس قيادة الثورة والمؤتمر المشترك، وحددنا بالتفصيل ما يمكن أن نقبله، ومالا يمكن أن يقبل بحال، وافق المؤتمر المشترك على قبول مبدأ المعارضة بعد نقاش طويل، على أن تكون سريعة حاسمة.. فإما قبول وجهة نظر مصر، أو رفض لها فنكون بذلك قد استنفدنا، الرسائل السليمة لحل القضية.

دراساتنا ومناقشاتنا تساءل أحدنا، عما إذا كان مناسبا، أن نطلع بعض السياسيين القدامى على الطريق الذى نسلكه فى هذه المفاوضات، وعلى الحدود التى نقبلها ونقف عندها. وترك هذا الاقتراح جانبا إذ إن الأغلبية الساحقة من رجال مصر الذين ظهروا على مسرح السياسة قبل الثورة والذين مازالوا على قيد الحياة، قد قالوا كلمتهم، ووضح لنا موقفهم تمام الوضوح خلال المفاوضات التى أجروها قبل معاهدة عام ١٩٣٦ وبعدها وأن ما قبله هؤلاء الساسة فى مفاوضاتهم المسجلة، فى المحاضر لا يمكن أن نقبله أبدا وعلى هذا فلا يعقل أن يعترض واحد منهم، على حل يعطى البلاد من حقوقها أكثر بكثير، مما طالب «هو» رسميا به، وعجز عن الوصول إليه.

واتفق فيما بيننا، على أن نتصل ببعض هؤلاء الرجال، وخاصة الذين لم تلوث لهم سمعة فى الماضى، إذا ماتقدمت المفاوضات قليلا، وتبين لنا موقف الإنجليز.. حتى يشعروا بأننا لا نهمل أى عنصر ولا نستأثر الأمجاد فالمجد للوطن وحده، والكسب لبلادنا يكون لأى فرد من الأفراد.

كل حال، إذا ما اتصل بنا أى فرد يستوثق من الطريق ومن الهدف الذى نسلكه نصبو اليه ظن نخفى عنه سرا وكما فعلنا فى مفاوضات السودان، حيث كنا نطلع الرأى العام على تفصيلات على كل جلسة من جلسات المفاوضات، وعلى العقبات التى تواجهنا، فإننا سنحاول جهد طاقتنا، أن نحذو فى مفاوضات الجلاء، حذو موقفنا خلال مفاوضات السودان.



صلاح سالم فى وثيقة مجهولة بالنسبة للجميع، وهى سلسلة مقالات كتبها فى ذلك الوقت، فى مجلة التحرير، ثم نشرها فى كتيب صغير عنوانه «الجلاء» يروى جانبا من

موقف جمعية «الإخوان المسلمين» اثناء المفاوضات قائلا: فى يوم ٢٥ ابريل، أى قبل بدء المفاوضات الرسمية، بيومين اثنين اتصل بنا فريق من رجال الإخوان المسلمين، كعادتهم دائما منذ قامت الثورة، جاءوا يتساءلون عما يمكن معرفته بشأن هذه المفاوضات، ووجهوا لنا دعوة، فى نفس اليوم، باسم المرشد العام.

وكنا فى هذا الوقت

رغم كل ما بدا من بعض رجالات هذه الجماعة منذ قامت الثورة نؤمن بنظريتنا المعروفة وهى أن نكتل كل القوى فى البلاد بعد أن تطهرت من حفنة السياسيين الذين حكموا البلاد، حكما فاسدا مباشرا..

يروي صلاح سالم أيضاً جانبا من موقف الاخوان المسلمين من قضية الجلاء، والمفاوضات مع الانجليز قائلاً: إنه في يوم ٢٥ ابريل - اجتمعنا.. جمال عبدالناصر، وعبدالحكيم عامر، وكمال حسين، وأنا.. مع المرشد العام، وكان معه حسن عشماوى، وصالح أبو رقيق ومنير الدلة، ربما فرد أو فردين آخرين من الإخوان، لا أذكرهما تماما..

وفتح موضوع المفاوضات.. وأوضح الرئيس جمال موقف الجانب المصرى فى صراحة ووضوح. كما أوضح الغرضيين الرئيسيين اللذين يجب الوصول إليهما، إذا ما قدر للمفاوضات النجاح، وهما:

* جلاء كل عسكرى عن أرض الوطن..

* التحلل من قيد أى تحالف، أو أى دفاع مشترك.

وهنا أفاض الرئيس جمال فى الكلام عن هاتين النقطتين، قائلا بصراحة: إن مدد التنفيذ ليست فى المرتبة الأولى فى نظره، ولكن المهم هو الوصول بأى شكل، إلى تحقيق هاتين النقطتين، إذ بهما تصبح لمصر السيادة الفعلية على أراضيها كاملة، ويصبح لمصر أيضا استقلالها الكامل غير المنقوص.

ومن المعروف أن بريطانيا، لم تسلم قط، فى أى مفاوضة سابقة، لا بالجلاء الكامل، ولا بكسر قيد التحالف، أو الدفاع المشترك.. إلا فى مفاوضات «صدقى - بيفن» فقد

سلمت بالجلاء الكامل خلال ٣ سنوات، ولكن فى مقابل دفاع مشترك لمدة ٢١ عاما، وتسليم مطلق لانجلترا فى السودان.

ظل المرشد العام، ينصت طويلا.. ثم بدأ يتكلم عن أعداء مصر، وأنه يجب علينا أن نحدد من هم أعداء مصر ودرجة خطورتهم..

وهنا تساءل «كمال حسين» عن رأى فضيلته فى سؤاله هذا ورجاه إن كان قد بحث هذا الموضوع أن يدلى إلينا بالإجابة عليه...!

وبعد صمت ليس بقليل، قال فى تؤدة.. إن أعداء البلاد ثلاثة.. الشيوعيون والصهيونيون ـ يقصد إسرائيل ـ والإنجليز.

فالصهيونيون رغم خطورتهم على كيان العرب، واجتثاثهم لأهالى فلسطين، إلا أن خطرهم، يمكن أن يوقف عند حده، لو حصلنا على السلاح.

وكما علمت منكم أن هناك خطرا على الجيش المصرى، بشأن الأسلحة الثقيلة، من جانب الدول الكبرى.

أما الشيوعية، فهى الخطر الأعظم على كيان الإسلام، لأنها تبيح كل شىء.. وتكلم عن «العرض» قائلا، إنه ليس هناك أسرة فى الدول الشيوعية لأن الزوجة ملك للجميع، ونحن لا نقبل أن نصل إلى هذا الحد، وهذا خطر يهدد كيان ديننا الحنيف، فإذا ما كان الانجليز عقلاء، وسلموا لنا بالجلاء الكامل والحرية الكاملة.. فماذا يمنع من أن نعقد معهم تحالفا ضد الشيوعية.. ويسلحونا.. وبذلك نأمن خطر إسرائيل كما يمكننا أن نتفاوض معهم على أن نستعمل جزءا من أسلحة «القاعدة» التى سيتركونها فى القنال.. ولقد سمعت أن فى هذه القاعدة أسلحة يبلغ ثمنها ٥٠٠ مليون جنيه.

ورد عليه الرئيس جمال قائلا: يجب ألا نسلم لهم مطلقا بهذا الرأى.. وهو التحالف ضد الشيوعية، فهذا هو كل ما يرمون إليه. ولو سلمنا لهم بهذا المبدأ، لانتهينا من المفاوضات فى الشهر الثانى من قيام الثورة. ونحن برفضنا مبدأ المحالفة، نؤمن إيمانا عميقا، بأن المحالفة لا يمكن أن ننتفع بها، إلا إذا كنا ندا فى القوة لبريطانيا.

ولقد علمتنا التجارب أن التحالف بين القوى والضعيف، مثل التحالف بين القط والفأر!

ولسنا ببعيدين عما حدث عقب محالفة عام ١٩٣٦ فلقد نصت المحالفة على أنها بين سيدين متساويين، ولكننا عوملنا من جانب بريطانيا، منذ اليوم الأول لتوقيع المحالفة، معاملة المستعمرات البريطانية.. ولا يمكن أن نكرر هذه المهزلة.

حقيقة أنى أشاركك فى الرأى بأن الشيوعية خطر يهدد البلاد والدين، ولكن خطرها بعيد، وغير ملموس، أو على الأقل لم يقع بعد، فهو فى حيز الاحتمال، أما خطر السيطرة البريطانية، والنفوذ البريطانى فهو قام فعلا، وماثل فى الأذهان، وأمام الأعين منذ أكثر من ٧٠ عاما. وعلى كل حال.. فإذا كان هذا رأيكم، فليس من الصالح فى شيء، أن تظهروا للإنجليز هذا الرأى. إذ إن من صالحى كمفاوض، أن تطالبوا بأكثر مما أطالب به، ثم انتهت هذه الجلسة، وكان هذا هو رأى الإخوان.

❑❑❑

نعود إلى صلاح سالم وهو يروى قصة المفاوضات قائلا:

« أنه فى صراحة كاملة أوضح «جمال عبدالناصر» لروبرتسون، أنه لا يوجد مصرى واحد يشعر بأن «روسيا» عدوة له، لأنه لم ير فى حياته جنديا روسيا واحدا، يحتل أراضيه، ولكن العدو الوحيد، فى نظر كل مواطن هو انجلترا، ثم ما معنى أن ندافع، ونقنع الشعب بالدفاع عن حرية لا وجود لها، وعن أرض لازالت مغتصبة؟..

وعلى أسوأ الظروف، إذا ما وصلت روسيا واحتلت أراضينا، فلن يكون موقفها أسوأ من موقفكم الحالى، فى نظر الشعب، وأنتم.. تدعون الصداقة والمودة!

وإنى أذكر جيدا، أن أحد المفاوضين المصريين، سأل الجنرال روبرتسون «هل تمكنتم من إقامة دفاع أو شبه دفاع عن هذه المنطقة، وأنتم تحاولون ذلك منذ أكثر من عامين؟.. وما هو السبب فى عدم تمكنكم من إقامة مثل هذا الدفاع فى هذه المنطقة التى تدعون أنها حيوية لكم، وإنه بدونها يصبح الدفاع عن أوروبا، لا قيمة له إذ يسهل جدا تطويقها.. وهل حل جنودكم القابعون فى القتال مشكلتكم هذه!!

وصمت الجنرال روبرتسون، ولم يجب.. واكتفى بعد قليل بقوله: «إن لنا خططنا!»».

واستمر الجانب المصرى، يوضح موقفه.. ذاكراً أنه يستحيل إقامة قاعدة فى منطقة معادية.. ومعنى القاعدة نفهمها كعسكريين، لا تعنى فقط مجموعة المخازن والمنشآت، إذ لاتعنى شيئا تلك المخازن بدون خطوط المواصلات المختلفة، والمساعدات التى يمكن أن يقدمها الشعب لهذه القاعدة وتموينها بالأيدى العاملة التى تشقى فى أوقات الحروب، وبالمواد التموينية التى يتعذر جلبها عبر البحار.

«وإننا لانقبل قيام قاعدة بريطانية فى أرضنا، فإذا ما أصررتم على أهمية هذه القاعدة، لأمننا وسلامنا، فلتكن القاعدة مصرية تماما، تخدم مصر والدول العربية، وميثاق الضمان الجماعى. وأخيرا.. إذا لم تنجح بين بعض الدول، بين بلجيكا والجلترا بأمريكا ويوجوسلافيا بهما اسبانيا، وميثاق الأمم المتحدة كنا وكأننا نتأهب للدخول حربية وكان أهم ماهو كيفية حسم الأمر، وكيفية الى نهاية مافى أقصر وقت. الشعوب العربية هذه شيئا ولن تحقق أغراضها.

«ولقد أبدى الجنرال روبر ترسون موافقته التامة على ذلك موضحاً أنه كممثل لبريطانيا فى المحادثات المقبلة، يؤكد أن انجلترا ستعالج القضية بلغة جديدة، واضعة فى الاعتبار أهمية الحصول على ثقة وصداقة الشعب المصرى وأنه بالنسبة لموضوع الجلاء فهو يقرر أنه أن أمره مفروغ منه!

«وتكلمنا قليلا عن ألمانيا الأوروبى والجيش، وحصار برلين وهو خبير بهذه الموضوعات، لخدمته الطويلة فى ألمانيا عقب الحرب وفى نهاية الجلسة رغب روبرتسون فى الانفراد بجمال عبدالناصر، وتكلما نصف ساعة، غادرنا على أثرها منزل المستشار الشرفى.

«كان لمجلس قيادة الثورة فى الأيام القليلة السابقة ليوم ٢٧ ابريل ١٩٥٢، وهو اليوم الذى اتفق على أن يكون بدأ للمفاوضات الرسمية قلت أن اجتماعات تعقد، ومذكرات توزع على الأعضاء، وسكرتارية تعمل ليلا ونهاراً حتى أنى لا أغالى إذا ماقلت إن أعضاء الجانب المصرى، اطلعوا على كل سطر كتب فى تاريخ القضية المصرية، وخاصة فى المفاوضات التى جزت فى السنوات الأخيرة كما درس الجانب المصرى بعض الاتفاقيات المماثلة بين بعض الدول.

«فى يوم ٢٥ أبريل، أى قبل بدء المفاوضات بيومين، دبر الجانب البريطانى مقابلة خاصة بين الفريقين للتعارف حيث قابلنا الجنرال روبرتسون للمرة الأولى، ومعه بعض معاونيه، فى منزل المستشار الشرقى للسفارة البريطانية.

واستعرض الجنرال، الموقف العسكرى فى العالم بصفة عامة، وفى منطقة الشرق الأوسط بصفة خاصة، وتعرض لموقف الدول العربية، وعدم تمكنها من صد أى عدوان قوى عليها. وسرعان ما وافق الجانب المصرى، على هذه الحقيقة، موضحا بأن «أمريكا» نفسها، لا تقوى بمفردها على صد عدوان قوى عليها، من الجانب الآخر. وأننا إذ نتفق معه فى الرأى، فى أن القوات العسكرية للدول العربية، محدودة وضعيفة، إلا أن هذا مرجعه إلى موقف العالم الغربى مع هذه الدول بالذات. وضربنا مثلا بالحظر المفروض على هذه الدول، فيما يختص بتزويدها بالسلاح.. ومصر بالذات، قد دفعت فى بعض الحالات ٨٠٪ من قيمة أسلحة، لم تصلها إلى الآن، وهى واجبة الوصول منذ سنتين على الأقل! ولا يصح أن نلام على ضعفنا فى حين أن انجلترا وحدها هى السبب الرئيسى، فى هذا الضعف حتى بعد إبرام اتفاقية ١٩٣٦ الملغاة، والتى تعهدت فيها بتقوية الجيش وتدريبه.

وتكلمنا طويلا عن «العرب»، ككتلة كبرى، تملك قوى مادية وبشرية، لا يمكن الاستهانة بها، وفى طاقة ميثاق هذه الدول أن تجند أكثر من ١٥ فرقة مسلحة، إذا ما وقف الغرب، موقفا وديا مع هذه الدول.

وإذا كانت انجلترا حريصة فعلا، على الدفاع عن هذه المنطقة، فلتترك أهلها يدافعون عنها، بدلا من خلق المتاعب والعراقيل أمامها.

وفى تمام الساعة الحادية من صباح اليوم المذكور أتانا تشريفاتى مجلس الوزراء أن الوفد البريطانى قد وصل وأن الأعضاء فى قاع اجتماع المجلس ـ وكنا مجتمعين فى صالون الرئاسة فى ذلك الوقت ـ ولقد أخبرنا التشريفاتي، بأن السفير البريطانى السير رالف ستيفنسون، جاء مستندا على ذراع أحد زملائه، وأنه غادر عربته وهو شبه محمول، لأنه يعانى آلاما شديدة فى ظهره من مرض اللمباجو، ذلك المرض الذى أقعده عن العمل شهورا طويلة بعد ذلك، واضطر بسببه أن يترك العمل فى القاهرة لمستر هانى.

ثم رأينا ستيفنسون، ولمسنا آلامـه، فلقد كان حينما اجتمعنا به، يحضـر متوكئا على ذراع أحد معـاونيه، وعلقت على ذلك فى إذن «عبـد الحكيم»، بأنى أستنتج من ذلك، أنهم ربما يكونون جادين فى هذه المرة، للوصول إلى الاتفاق. وإلا أخروا الاجتماع إلى العام القادم، حتى يشفى «سستيفنسون» ولقد أحضروا للسير «سستيفنسون» كرسيا خاصا يجلس عليه، وكان يغادر الجلسة إلى المستشفى مـباشرة، ويحضر فى الجلسة التالية، من المستشفي، بعد جلسة الكهرباء.. إلى جلسة المفاوضات!!

وكان الوفد البريطانى مكونا من السفير والجنرال السـير بريان ومارشال الطيران سيرر رالف ساندرز البربجادير وف والبريجادير هـوب كان يرتدى ملابسه الاسكتلاندية وقائد اللواء الجوى ديفز.

لقد كنت أجلـس على يسار عبـد الحكيم فتقـاربت رؤوسنا أخذنا نهـمس والخواطر تتدافع فى رؤوسنا عن الطوابير والمناورات فى رفح كانت أسهل وأجمل؟

احنا كـان مالنا ومـال المصايب دى؟ هل حـقا سـيبـدأ الجلاء فى نهـاية عقـد تلك الجلسات؟ وهل يتوقف الأمر على اللياقة فى الكلام وسوق الحجج والبراهين ؟

وكعـادته رأى حـجج وبراهين يمكن أن تقـال أكثـر ممـا قـيل فى خـلال السبـعين عـامـا الماضية.

ونظرت إلى يسارى فوجدت «على زين العابدين» يجهز أقلامه وما أكثرها، فأهدانى كعادته لأنى حكما أحمل معى قلما أو ورقة .

وصحوت من تأملاتى على صوت الرئيس يفتتح الجلسـة بقراءة مذكرة طويلة مقدمة من الجانب المصرى بدأها بالترحيب بهم وأمله أن تثمر فى هذه المباحثات الثمرة المرجوة فى سرد موجز لتاريخ البريطانى فى مـصر، وأثر ذلك إذا ماردت كل أثر للثقة والصداقة نحوهم، وقارن بين ترك تلك المشكلة تتـعقد يوما بعد يوم دون حل والعواقـب الوخيمة التى ترتبت على ذلك وبين حالة الثقة والمحبة والاستقرار التى تنشأ فى هذه المنطقة لمصر حقوقها وشعرت.

وتكلم طويلا عن مصر القوية الحرة الأبية وأثرها فى دعم السلام ورجا الرئيس ألا يتكلموا مطلقا عما يسمى بالفراغ الناشيء من جلاء القوات البريطانية من القنال قائلا . .
إن الفراغ الحقيقى هو الناشيء عن بقاء الموقف الحالى كما هو، إن مصر قادرة بمواردها على خلق قوة حقيقية متماسكة فى هذه المنطقة تساندها ثقة ومحبة وتعاون شعوب العرب.

وليكن رائدنا جميعا ميثاق الأمم المتحدة الذى حقق قاعدة سليمة للتعاون المثمر والسلام، لقد أمضينا هذا الميثاق ونحن مصممون دائما على احترام هذا التوقيع بشرف وتكلم وعلى أن نتحمل فى سبيله كافة المسئوليات الملقاة على عاتقنا.

ولقد اتفقت الشعوب العربية حول ميثاق لأمنهم وسلامتهم، طبقا لروح ميثاق الأمم المتحدة، وهذا الميثاق العربى يمكن أن يكون ذا أثر فعال فى تحقيق سلامة وأمن هذه المنطقة الحيوية إذا ما أجيبت شعوب العرب إلى مطالبها، وتحققت سيادتها الكاملة، ومصر التى تنظر إلى المستقبل بثقة واطمئنان تؤرقه للوصول لا إلى حريتها فقط، بل وإلى حرية قوة وشعوب العرب والعالم الإسلامى التى تترقب بصبر نافد نتيجة مثمرة لجهدنا الذى سنبذله سويا فيجب ألا نخذلهم.

ويجب أن نثبت أن التصميم الذى حقق حلا لمشكلة السودان لقادر على حل مشكلة القنال.

ثم بدأ على الفور السفير البريطانى يتكلم فشكر للرئيس مؤكدا أن حكومة صاحبة الجلالة قد فوضته منذ نهاية مفاوضات السودان فى الدخول فى مباحثات لحل المشكلة الكبرى الأخيرة واسترسل يقول:

أرجو الوصول الى حلول سليمة لبناء علاقتنا على وإنى أوافقكم على أننا لايصح أن نفشل هذه المرة لأن النتائج ستكون قاسية على كل من الطرفين، وسيقوم الجنرال روبرتسون بعد دقائق يشرح الموقف العسكرى والاستراتيجى الذى يؤثر على قاعدة القنال؟

فى الوثائق البـريطانية التى حصـل عليها مـحمد حـسنين هيكل ونشرها فـى كـتابه ملفات السـويس، عدد من البرقيـات المرسلة من القاهرة عن لقاءات بين مسـئولين من السفارة البريطانية وقيادات الإخوان المسلمين يوافقون فيها على الاشتراك مع الإنجليز فى حلف للدفـاع عن الشرق الأوسط فـفى إحـدى هذه البـرقـيات يقـول إيفانز المسـتشـار الشرقى للسفـارة البريطانية وهو يسرد ماحـدث فى أحد اجتماعاته الـسـرية مع قيادات الإخوان يقول: [١].

قال الهضيبى: إنه بلا ريب يأمل فى تحقـيق ذلك. بيد أن الكثير يتوقف على الإطار الذى تتخـذ فيه ترتيبـات من هذا القبيل. وأضـاف أن الاشتراك فى منظمـة للدفاع عن الشرق الأوسط يعتبر غير مقبول لقطاعات كبيرة جدا من الرأى العام الإسلامي.، أليس ممكنا اتخـاذ الترتيبـات العمليـة اللازمة. فى حين تبـقى بلدان الشرق الأوسط مـحايدة رسميا؟ واقتـرح أن حياد بلدان الشرق الأوسط. لو أمكن الحفاظ عليه، سـيكون مفيداً للغرب، مثلما كـانت تركيا ذات فائدة للحلفاء أثناء الحرب الأخـيرة. بيد أنه سلم بأن فرص احترام هذا الحياد ضئيلة جدا، وأنه لذلك من المهم أن تتخذ الاستعدادات لمواجهة كل احتـمال وتتضـمن هذه الاستعدادات تدعـيم الجيوش العـربية. ومنشآت القـاعدة. وحسب الاقتضاء قطع التـعهدات السرية بالنسبة لاستخدامـها. وفى حالة وقوع هجوم. ستطلب مصر، بلا ريب، مساعدة الـدول الصديقة. وردا على سؤال حول ما إذا كانت مصـر ستطلب فـورا المساعـدة لو أن بعض دول الشرق الأوسط الأخـري، مثل إيران، تعرضت لهـجوم أم لا، قال: إن هذه المسألة هى إحـدى المسائل التى يتعين النظر فـيها بحرص، وإنه فى رأيه، أن الرد يتوقف بدرجة كبيرة على ما إذا كان ميثاق الأمن العربى سوف يتسع نطاقه أم لا، وأعترف بأن الميثاق غير فعال تماما فى الوقت الحاضر.

وقلت إن هذه الواجهة من الحياد لن تخدع بالتأكيد أحدا، والروس قبل الجميع، وأن الشرق الأوسط بسبب ما يحتويه من نفط، وقيمته الاستراتيجية عموما، سيكون بالتأكيد هدفا مباشرا لأى معتد.

٥ـ وكان الهـضيـبى ودوداً للغاية، ومن المحـتمل أن يكون هذا الحل الوسط الـفائز

(١) الملحق الوثائقى فى كتاب ملفات السويس ـ لمحمد حسنين هيكل.

بالنسبة للحياد، والذى ربما يعكس خلاف الرأى داخل الإخوان، وليس التزام المرشد العام ببدعة الحياد، محاولة غير مناسبة تماما لتكون أداة مفيدة. وما زال من غير المؤكد ما إذا كان من الممكن تشجيع الهضيبى على اتخاذ خط أشد جرأة أم لا، وما إذا كان هو ومؤيدوه يستطيعون عن طريق التعليم والتثقيف أن يستميلوا أعضاء الإخوان إلى سياسة من هذا القبيل.

ووثيقة أخرى سرية حصل عليها محمد حسنين هيكل حول نفس الموضوع مرسلة إلى وزارة الخارجية البريطانية تاريخها ٢٧ فبراير ١٩٥٣ تقول:

أجرى المستشار الشرقى مؤخرا اتصالاً مع الدوائر الموجهة فى جماعة الإخوان المسلمين، وعقد عدداً من الاجتماعات التى تعتقد أن نتائجها جديرة بأن تبلغ لكم.

فى ٧ فبراير قدم المستر ايفانز الى الدكتور سالم الذى كان يشغل فى وقت ما منصب المراقب العام لوزارة الحربية، وأحد المؤيدين الأقوياء، وإن لم يكن عضوا فعليا فى جماعة الإخوان المسلمين. وصالح أبو رقيق وهو عضو فى الشعبة السياسية بجماعة الإخوان. وقد ذكر أبو رقيق أن لديه تصريحا من المرشد العام للاجتماع ومستر إيفانز. وبعد الملاحظات المعتادة عن التعاون بين المسلمين والمسيحيين. قال إن الإخوان المسلمين يشعرون بسعادة بسبب البيان الذى أدلى بـه «مستر أتلي» أثناء زيارته الأخيرة لآسيا بأن الإسلام هو الحصن الحامى ضد الشيوعية، وذلك باعتبار أنها كانت أول مناسبة تتاح منذ فترة طويلة يتم فيها التشديد على الإسلام فى هذا الصدد علنا. وعلى هذا المستوى العالي. وهو يتفق فى الرأى بأننا نواجه عدوا مشتركا يتمثل فى الشيوعية. وقال إنه لو تم حل المشكلة المصرية. فإنه سيكون للإخوان المسلمين يد مطلقة الكفاح ضدها. إن الإسلام يحتاج إلى الأصدقاء، وقد خلص إلى نتيجة مؤداها أن بريطانيا العظمى تعتبر. من جميع البلدان. أكثرها ملاءمة للقيام بهذا الدور. وقد بدا كما لو كان لا يعول كثيرا على الأمريكيين.

٣ـ وعندما اقتربت المناقشة بشكل محتم من مسألة الجلاء، أوضح مستر إيفانز أن قاعدة قناة السويس جوهرية للدفاع عن الشرق الأوسط، وأنه حتى لو تركت المنشآت البريطانية تحت الحماية العامة للقوات المسلحة المصرية إلى أن يحين الوقت الذى تنشأ فيه

الحاجة إليها. فإنه ستكون هناك حاجة إلى وجود عدد معين من الفنيين البريطانيين لصيانتها. وما كان أبو رقيق ليعقب على ذلك قبل التشاور مع المرشد العام. إلا أنه بدا كما لو كان يوافق على ذلك، وقال دكتور سالم إن ذلك يرقى إلى «الدفاع المشترك»، إلا أنه ينبغي تجنب هذا المصطلح بكل حرص.

٤- وفى ١٦ فبراير، دعى مستر إفانز إلى اجتماع آخر مع أبو رقيق ودكتور سالم، وكان الاجتماع معززا هذه المرة بحضور منير الدلة وهو عضو مجلس الإرشاد فى جماعة الإخوان المسلمين. وكان الاجتماع وديا. وقد استنتج مستر إيفانز أن المرشد العام قد أسعده الاتصال الذى أقيم مع السفارة، وكان من الواضح أن أعضاء الإخوان الحاضرين يشعرون بالسعادة بسبب اتفاق السوادن برغم أنهم قد شددوا على أهمية التنفيذ المخلص. وقال مستر إيفانز إن ما نريده هو السودان المستقر، الذى تربطه علاقات الصداقة مع كل من المملكة المتحدة ومصر. وقد تناول الاجتماع نفس مبررات مسألة الجلاء مثلما حدث فى اجتماع ٧ فبراير. بعد أن دكتور سالم قال إنه يفضل أن تعقد أية اتفاقات دفاعية فى نهاية الأمر معنا، وليس مع الأمريكيين، وأوضح تماما أن الإخوان يشكون فى دوام الاهتمام الأمريكى بالعالم الإسلامي، ويشكون فى النوايا الأميركية تجاه إسرائيل.

٥- وفى ٢٤ فبراير دعى مستر إيفانز لمقابلة حسن الهضيبي، المرشد العام نفسه. ونرفق مع هذا تسجيلا كاملا لهذه الحادثة.

٦- والنقطة الرئيسية المثيرة لاهتمام التى ظهرت فى هذه المحادثات هو موقف الإخوان تجاه مقترحاتنا الدفاعية. وسوف نكتب لكم على نحو منفصل عن ذلك فى المستقبل القريب. ومن ناحية أخري. سوف نضيف هذه المحادثات إلى الأدلة التى يبدو أنها تتجمع من غالبية المواقع العربية بأن منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط فى شكلها الحالى لا يحتمل أبداً أن تلقى قبولا من جانب دول الشرق الأوسط.

❑ ❑ ❑

أخيرا توصل الجانبان المصري والبريطاني إلى اتفاقية الجلاء، وتحقق الأمل الذى سعت له مصر طويلا وتم التوقيع عليه في البهو الفرعونى بمبنى البرلمان وجاء فيه:

أولا: تقرر جلاء القوات البريطانية جلاء تاما عن الأراضى المصرية خلال فترة عشرين شهرا من تاريخ التوقيع على هذا الاتفاق.

ثانيا: انقضاء معاهدة التحالف الموقع عليها فى لندن فى ٢٦ أغسس سنة ١٩٣٦ وكذلك المحضر المتفق عليه، والمذكرات المتبادلة والاتفاق الخاص بالإعفاءات والميزات التى كانت تتمتع بها القوات البريطانية فى مصر وجميع ما تفرع عنها من اتفاقات أخري..

ثالثا: تبقى أجزاء من القاعدة التى كانت للإنجليز فى قناة السويس فى حالة صالحة للاستعمال، معدة للاستخدام، وفى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو على تركيا، تقدم مصر لبريطانيا من التسهيلات ما قد يكون لازما لتهيئة القاعدة للحرب وإداراتها، وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانيء المصرية فى حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى للأغراض سالفة الذكر، وفى حالة حدوث تهديد بهجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو تركيا، يجرى التشاور فورا بين مصر وبريطانيا.

رابعا: تقرر الحكومتان المتعاقدتان أن قناة السويس البحرية التى هى جزء لا يتجزأ من مصر ـ طريق مائى له أهميته الدولية من النواحى الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية، وتعربان عن تصميمهما على احترام الاتفاقية التى تكفل حرية الملاحة فى القناة الموقع عليها فى الاستانة فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨.

خامسا: لا يمس الاتفاق ولا يجوز تفسيره على أنه يمس بأية حال حقوق الطرفين والتزاماتهما بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة.

سادسا: مدة الإتفاق سبع سنوات من تاريخ توقيعه، وتتشاور الحكومتان خلال الاثنى عشر شهرا الأخيرة من تلك المدة لتقرير ما قد يلزم من تدابير عند انتهاء الاتفاق، وعلى بريطانيا أن تنقل أو تتصرف فيما قد يتبقى لها وقتئذ من ممتلكات فى القاعدة ما لم تتفق الحكومتان على مد هذا الاتفاق.

وقع الاتفاق عن مصر جمال عبد الناصر رئيس الوزارة وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى وصلاح سالم ومحمود فوزي.

ووقعه عن الحكومة البريطانية أنطونى ناتنج وزير الدولة بوزارة الخارجية البريطانية، ورالف ستيفنسون السفير البريطاني، وميجر جنرال روبنسون كبير المفاوضين العسكريين البريطانيين.

وكانت الوزارة البريطانية وقتئذ برئاسة ونستون تشرشل الذى كان يعارض دائما فى الجلاء، وكان أنطونى إيدن وزيرا للخارجية، الذى قال: «إن الجلاء عن قاعدة قناة السويس أفضل بكثير من الإبقاء على ثمانين ألف جندى محاصرين من شعب معاد لهم». (1)

وكان جمال عبد الناصر قد أذاع بيانا يعلن فيه بشرى الجلاء جاء فيه:

«إننى أسرح بخواطرى فى هذه اللحظة المجيدة عبر أسوار الحياة إلى الذين جاهدوا من أجل هذا اليوم ولم يمتد العمر بهم ليعيشوه، أسرح بخواطرى إلى الرحبات المقدسة التى تعيش فيها أرواحهم الخالدة ونشعر أنهم تابعوا كل ما فعلنا، كما تابعنا نحن كل ما فعلوا وحملنا الأمانة بعدهم ورفعنا المشاعل على الطريق.

«إننى أتجه إليهم بقلب شعب وأتجه إليهم بوفاء جيل.. إليهم جميعا.. الزعماء الذين كافحوا: أحمد أعرابي، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وسعد زغلول، والشباب الذى باعوا أرواحهم للفداء على كل بقعة من ثرى الوطن.

أتجه إليهم بقلب شعب وبوفاء جيل وأقول لهم: سوف نمضى على الطريق، لن نضعف ولن نتخاذل، ولن ننسى الأمانة التى حملناها ولا الواجب الوطنى الذى عاهدنا الله أن نقوم به.

(1) عبد الرحمن الرافعى ـ ثورة يوليو

ترك الإنجليز المواقع التى كانوا يحتلونها فى المواعيد المحددة فى الاتفاقية.. وتركوا آخر موقع يحتلونه فى بورسعيد يوم ١٣ يونيو ومن المصادفات أن تم الجلاء يوم ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦، بعد مرور خمسين عاماً على حادثة دنشواى التى وقعت فى ١٣ يونيو ١٩٠٦.

❑❑❑

كان وجيه أباظه.. فى قلب معركة تحقيق الجلاء.. ولا شك أنه كان من أسعد الناس بتحقيق هذا الأمل الذى كافح من أجله طويلا.. طالباً.. وطيارا.. وقائدا للعمل الفدائي..

وسوف تدخل الثورة معارك أخرى...

ولن يكون وجيه أباظه بعيدا عنها..

فسوف يكون هو الأصل، والأساس فيها..

صفقة الأسلحة

تسليح الجيش من الكتلة الشرقية كـان واحداً من أخطر قرارات الثورة حتى ذلك الوقت من عام ١٩٥٥ . وقـد ارتبط إعلان هذا القرار بوجيـه أباظة .. وسوف نرى أن القرارات المصيرية فى تاريخ ثورة يوليو رسم القدر دوراً لوجيه أباظة فيها .. كان كسر احتكار السلاح واحداً من هذه القرارات المصيرية .

قبل أن يعلن جمال عبد الناصر القرار اتصل بوجيه أباظة

وأبلغه أنه سوف يزوره فى المعرض الذى تقيمه الشئون العامة للقوات المسلحة بالسراى الصغرى بأرض المعارض بالجزيرة.

وكان المعـرض يحوى نماذج من تطور أسلحـة الجيش. . . ، وصـوراً لأنشطته المختلفة.

وكعادته فى الاهتمام بالأمور الفنية فقد ألحق بالمعرض مسرحاً صغيراً

يعرض من خلاله المسرح العسكرى بعض المسرحيات الوطنية للجمهور مساء

وفى النهار يعرض أفلاما تسجيلية عن تطور أسلحة الجيش.

□ □ □

كانت قضية تسليح الجيش المصرى تؤرق النظام الجديد الذى قام عقب الثورة ، خاصـة وأن قادته من العـسكريين الذين عـانوا من أزمة السـلاح، وفسـاده خلال الحرب التى خاضوها عـلى أرض فلسطين ، وكان أحد المبادىء الستة التى رفـعتها الثورة هى إقامة جيش وطنى قوى . .

لذلك كان لابد من البحث عن وسيلة لتسليح الجيش.

وكان مستحيلاً أن تسلح انجلترا مصر بينما الجيش البريطانى مازال على أرضها.

وكـانت فرنسـا تشتـرط أولاً عـدم مسـاعدة ثورة الجـزائر. . . وعدم الاتجـاه بالمساعدة حتى الفنية إلى المغرب الذى كانت تسيطر عليه .

واتجهت مصر إلى الولايات المتحدة الأمريكية طالبة السلاح .

ويقول على صبـرى: إن المفاوضات مع الأمريكان للحـصول على السلاح من أمريكا بدأت بعد الثورة مباشرة . . وعلى وجه التحديد فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ .

وكان هناك توجس عند القيـادة الجديدة فى الأمريكان، المدى الذى يمكن لنا أن نعتـمد فيـه على أمريكا . . أرسلنى عـبدالناصر إلى واشنطن مـع لجنة من الجيش والبحرية ، لنتفـاوض على صفقة السلاح . . فالتعاون فى مـجال السلاح هو آخر وأقصى مرحلة من مراحل التعاون.

إذ إنه يمكن التنسيق فى المجالات السياسيـة ، أو الاقتصادية أو الإدارية وغيرها

فقط ، إنما إذا وصل إلى مجال السلاح يكون الموقف مختلفاً .

فى أمريكا ظلت المفاوضات تطول ، وتؤجل لأسباب واهية ، وكنت أرسل تقارير متشائمة بعد كل لقاء فى «البنتاجون» أو «وزارة الخارجية» . وأخيراً طلبت لقاء مع «الجنرال برادلى» رئيس الأركان وصارحته بشكوكى فى المماطلة.

وحدد لى موعداً فى اليوم التالى مع لجنة المفاوضات.

وقالوا لى بصراحة إنهم لا يستطيعون تدعيم مصر بالسلاح ، طالما أن هناك قضايا لم تحل . .

فالعمليات الفدائية فى منطقة القناة يمكن أن تستأنف فى أى وقت.

وجلاء الانجليز لم يتم.

وأن هناك صورة للدفاع عن الشرق الأوسط عموماً تدرس وأن الولايات المتحدة، مستعدة أن تؤيد مصر تأييداً كاملاً ، فى محاربتها للشيوعية.

لذلك فهم مستعدون لتزويدنا بقنابل مسيلة للدموع.

وأسلحة خفيفة لقوات البوليس والأمن .

لم انتظر أى تعليمات.

فقد عدت فوراً إلى القاهرة

وتركت أعضاء البعثة، وكان هدفى مناقشة جمال عبد الناصر،

وأن أضع أمامه انطباعاتى بصفة عامة.

إننا لا نستطيع أن نفصل الاستراتيجية الإنجليزية عن الأمريكية بصفة عامة، ربما كانت هناك اختلافات طفيفة . .

فى طريقه إلى مؤتمر باندونج التقى جمال عبد الناصر بشواين لاى رئيس وزراء الصين الشعبية ، وخلال هذا اللقاء الذى استعرضا فيه الموقف الدولى ، سأل عبد الناصر شواين فجأة سؤالا مباشراً. هل يقبل الروس أن يبيعوا لمصر سلاحاً؟

وروى له محاولاته المتكررة مع الغرب ، وأن الحصول على السلاح بعد السياسة العدوانية لإسرائيل قد أصبح ضرورة حياة أو موت .

وقال شواين لاى إنه سوف يعرض الأمر على السوفييت ، وإن كان تقديره أنهم سيوافقون .

بعدها ، وعندما عاد إلى القاهرة .تسلم رسالة من بولجانين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى يقول فيها إنهم على استعداد للتباحث حول هذا الأمر .

بعدها جاء شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفييتى لمصر.

وقدم مشروعاً لاتـفاقية لتوريد أسلحة قيمـتها ٨٠ مليون دولار على أن تدفع قيمتها بالقطن المصرى .

❑❑❑

سافرت بعـثة من مصر برئاسـة حافظة إسماعيل فى سـرية شديدة إلى براغ فى تشيكوسلوفكيا .وكان معه عباس رضوان ومحمد شوكت.

كانت مهمتهم عقد صفقة الأسلحة.

ويقول حافظ إسماعيل أنه أثناء الاجتماع تبدل رئيس الاجتماع التشيكى بنائب رئيس لجنة العلاقات الاقتصادية بمجلس وزراء الاتحاد السوفيتى .

وتم عقد الصفقة التى تعهد الاتحـاد السوفييتى بنقلها بحراً إلى الموانىء المصرية، وكانت شروط الدفع أن يسترد سلعاً مصرية بدلا من السلاح.

وأيضا يتم سداد الدين على أقساط سنوية بفائدة ٢٪ .

❑❑❑

ويقول محمد حسنين هيكل إن نبأ الصفقة بدأ يتسرب ، وعندما وصلت الأنباء إلى دالاس وزير الخارجـية الأمريكى عن طريق شـقيقه مـدير المخابرات، رأى أن يوجه إنذاراً لجمـال عبد الناصر أن ليـوقف الصفقة مع السوفـييت وإلا ترتب على ذلك عواقب وخيمـة ، ثم طلب إلى كيرميت روزفلت أن يطير إلى مـصر ليقابل عبد الناصر.

ويقول هيكل أنه فى السـاعة الواحدة والثلث من صبـاح الثلاثاء ٢٧ سبتـمبر ١٩٥٥، اتصل به الوزير المفوض فى السفارة الأمريكيـة المستر اكليرجر وسأله وهو منفعل عن صحـة مايتردد انهم عقدوا صـفقة سلاح بالفعل مع الاتحاد السـوفيتى؟

واستطرد يقول: «إن الموضوع خطير جدا، بل هو بالغ الخطورة، فقد تلقت واشنطن معلومات عنه من براج ثم إننا هنا حصلنا على تأكيد إضافى له» أرجوك أن تتصل بالرئيس الآن فورا، وأرجوك أن تنصحه بالانتظار قبل الإقدام على شيء نهائى، لأن هناك رسولا موفدا إليه من الرئيس الأمريكى» وفى الصباح الباكر سرد هيكل للرئيس ماحدث .

«أندهش أنهم عرفوا الآن ، ولكن دهشتى فى أنهم لم يعرفوا قبل الآن» .

واستطرد «جمال عبد الناصر» وكأنه يتحدث مع نفسه ، وفى الحقيقة فإنه كان يفكر بصوت عال قال :

«نحن أمام مشكلة . ليست المشكلة أننا عقدنا صفقة سلاح مع الاتحاد السوفيتى، فذلك أمر يخصنا ،ولا نسمح لهم أو لغيرهم بالتدخل فيه ، وعلى أى حال فحين اتخذنا قرارنا كنا نعرف أن القرار سوف يضعنا فى موقف صدام مع أمريكا.

«المشكلة التى نحن أمامها الآن هى هذا الرسول الموفد من «إيزنهاور».

إذا جاء وسألنى، فسوف أقول له : نعم ، لقد عقدنا صفقة سلاح مع الاتحاد السوفيتى ، وهذا قرار يخصنا أولا ولا يخص غيرنا .

ولكن المسألة هى : لماذا أعطيهم حق سؤالى فيسمعون منى: لا أو نعم.

ولماذا يكونون هم أول من أقول لهم ما حدث ، فى حين أن الشعب المصرى لا يعرف. . .

وكذلك لا تعرف بقية الشعوب العربية .

« وهم جميعا سندنا فى الصدام القادم مع الأمريكيين بسبب صفقة السلاح مع السوفيت» .

واستطرد «جمال عبد الناصر» : «الحل الوحيد لهذه المشكلة هو أن نعلن نحن اليوم نبأ الصفقة ، وأن يجيء الإعلان بطريقة تبدو وكأنها طبيعية ».

واستكمل كلامه «سوف أجد مناسبة أعلن فيها اليوم نبأ صفقة السلاح لأنى لا أريد لمبعوث «ايزنهاور» أن يجيء ليسألنى : حدث أم لم يحدث؟

وإنما أريد حين يجىء أن يجد نفسه أمام أمر واقع.
ويكون سؤاله لى : ثم ماذا بعد الآن ؟».

❑❑❑

ووجد عبد الناصر المناسبة. كان غريباً حقاً أن يجىء كل أعضاء مجلس قيادة الثورة، فقد دعى أعضاء مجلس الثورة، والوزراء والصحفيون يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٩٥ - لزيارة معرضا للقوات المسلحة أقامه وجيه أباظة مدير إدارة الشئون العامة.

وكان الأغرب أن كل الوزراء تقريباً كانوا فى انتظار عبدالناصر مع أعضاء مجلس القيادة. وأن يدعى الصحفيون ، ومراسلوا وكالات الأنباء لحضور هذه المناسبة .

وطافوا جميعاً بالمعرض ، ثم انتهوا إلى قاعة المسرح العسكرى حيث شاهدوا فيلماً تسجيلياً عن مظاهر نهضة الجيش .

بعد مشاهدة الفيلم كانت المفاجأة الضخمة التى عرف على أثرها.. لماذا جاء هذا الحشد لزيارة هذا المعرض.

وقف جمال عبد الناصر يلقى خطاباً.

شرح فيه قصة تسليح الجيش المصرى ، وأنهاه بالمفاجأة التى زلزلت العالم فى ذلك الوقت.

وهى أن مصر وقعت اتفاقاً تجارياً ، مع تشيكوسلوفاكيا لتزويد الجيش بكل حاجته من الأسلحة .

فعندما قامت الثورة التجأنا إلى كل الدول من أجل تسليح هذا الجيش... إلى انجلترا

إلى فرنسا. إلى أمريكا

إلى باقى الدول من أجل تسليح الجيش .. من أجل السلام ومن أجل الدفاع.

فماذا أخذنا؟

الحقيقة أننا لم نأخذ إلا مطالبات ، فقد أرادوا أن يسلح الجيش بعد أن نوقع

على مواثيق .. وأننا أعلنا أننا إذا أردنا أو صممنا أن نسلح جيشنا من أجل حريتنا، ومن شخصيتنا المستقلة .. من أجل حياة ثورتنا .. ومن أجل عزة وطننا .. ومن أجل كرامة مصر ..

وأعلنا أننا لن نسلح الجيش على حساب استقلالنا .. وأننا لن نسلح الجيش على حساب حريتنا ..

إننا أرقنا ماء الوجوه ..

ونحن نطلب السلاح..

ونحن نستجدى السلاح..

ولكننا فى نفس الوقت صممنا على المحافظة على المبادىء ..

وصممنا على أن نحافظ على مثلنا العليا..

وماذا كانت النتيجة ؟

لم نستطع أبدا يا إخوانى أن نحقق الهدف الأكبر الذى قامت هذه الثورة من أجل تحقيقه..

وهو إقامة جيش وطنى قوى..

فإن فرنسا كانت تساومنا دائما على شمال أفريقيا ..

وتقول لنا دائما إننا نعطيكم السلاح على شرط ألا تندوا موقفنا فى شمال أفريقيا..

على شرط أن تتخلوا عن عروبتكم.. على أن تتخلوا عن إنسانيتكم..

على شرط أن نرى المذابح التى تحدث فى شمال أفريقيا ونسكت عليها..

ونغمض العين عن عروبتنا.. وكيف نتخلى عن إنسانيتنا..

إننا لا يمكن أبدا أن ننفصل عن عروبتنا..

وإننا لا يمكن أن ننفصل عن إنسانيتنا ..

ولكن إمداد فرنسا لنا بالسلاح كان دائماً سيفا فوق رقابنا..

وكنت دائما يا إخوانى أهدد بقطع السلاح..

وكنت دائما يا إخوانى أهدد بتموين إسرائيل بالسلاح.. مع قطع السلاح عن مصر ..

أما قصة أمريكا . .

فقد قامت الثورة ونحن نطالب بالسلاح . .

ونحن نوعد بالسلاح . . وماذا كانت النتيجة

كانت الوعود . . وعودا مرتبطة بشروط . .

نأخذ السلاح على أساس أن نوقع على ميثاق أمن متبادل . .

نأخذ السلاح على أساس أن نوقع على حلف من الأحلاف . .

ورفضنا أن نوقع وثيقة الأمن المتبادل . .

ورفضنا أن نوقع على حلف من الأحلاف . .

ولم نستطع أبدا يا إخوانى أن نأخذ من أمريكا قطعاً من السلاح . .

وكانت انجلترا تقول لنا إنها مستعدة لتموييننا بالسلاح . .

وكنا نقول لها إننا نقبل هذا شاكرين . .

وماذا كانت النتيجة . .

لقد مونتنا انجلترا بمقادير من السلاح لا تحقق هدفنا الذى قامت هذه الثورة من أجله . .

وماذا كانت النتيجة أيها الإخوان، كان الجيش المناوىء لنا يمون بالأسلحة من دول متعددة من العالم .

□ □ □

بعد شرح طويل لمواقف هذه الدول من مصر والبلاد العربية ، وتزويدها لإسرائيل بالسلاح انتهى جمال عبد الناصر إلى أن مصر تقدمت بطلبات للحصول على سلاح إلى أمريكا ، إلى انجلترا . . إلى فرنسا ، إلى روسيا ، إلى تشيكوسلوفاكيا ، إلى باقى الدول وانتظرت الرد فماذا كانت النتيجة .

«وصلتنى ردود من بعض هذه الدول بأننى يمكن أن أسلح الجيش بالأسلحة ولكن بشروط . .

ورفضت هذه الشروط . .

فهذا هدف من أهدافنا ، وقد قلت اننا قد نستجدى السلاح . .

وقد نطلب السلاح . .

وقد نريق ماء وجهنا من أجل السلاح . .

ولكنا لن نتخلى أبدا عن مبادئنا . .

وانتظرنا حينما وصلنا رد على هذا الطلب من حكومة تشيكوسلوفاكيا تقول انها مستعدة أن تموننا بالسلاح حسب حاجتنا . .

وحسب حاجة الجيش المصرى على أساس تجارى بحت . .

وأن هذا التعامل يعتبر كأى تعامل تجارى آخر . .

فقلنا فى الحال هذا الاتفاق .

ووقعت مصر فى الأسبوع الماضى اتفاقية تجارية مع تشيكوسلوفاكيا من أجل تموينا بالسلاح . .

وهذه الاتفاقية تسمح لمصر بأن تدفع الثمن منتجات مصرية مثل القطن ومثل الأرز، وقبلنا هذا العرض شاكرين ».



وقامت الدنيا . . ولم تقعد . .

وفى خضم الأزمة الطاحنة مع الغرب . .

كان هناك مشروع آخر . .

فجر أكثر من مشكلة . .

بدأه أيضا وجيه أباظة .

السد العالي

بدأت قصة السد العالى بوجيه أباظة...

وكأن هناك قدراً محكماً يربط كل الأحداث الوطنية الكبري التى مرت بها مصر بهذا الرجل٠٠٠ الذى لم يكن معايشـا، ولا شاهدا فحسب... ولكنه شارك فى كل هذه الأحداث....

لقد وضعه القدر من قبل في بؤرة أحداث صفقة الأسلحة التشيكية

والآن تضعه الأحداث أمام الحدث الثاني الكبير فى حياة مصر فى ذلك الوقت

وهو مشروع السد العالى... والمعارك التى دارت من أجل بنائه....

وكانت البداية من عند وجيه أباظة مدير إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة. كان يجلس فى مكتبه، عندما دخل عليه رجل يونانى عجوز، يحمل معه كما هائلا من الأوراق، والخرائط، والمستندات.

وانتقل مدير الشئون العامة للقوات المسلحة من مكتبه إلى منضدة كبيرة فى حجرته ليستمع ما إلى ما يقوله هذا الرجل العجوز...

وضح الرجل واسمه دانيوس أوراقه، وفرد خرائطه، وكان يشرح بحماس مشروعاً توصل إليه... هو مشروع السد العالى.

وكان يحضر اللقاء جميع زملاء ومعاونى وجيه أباظة، أبو الفضل الجيزاوى، جمال الليثى، مصطفى كامل مراد، مصطفى بهجت بدوى وغيرهم........

استمعوا إلى شرح الرجل واقتنعوا بالمشروع...وكانت هذه هى بداية قصة السد العالى الطويلة ويقول جمال الليثى إننا حملنا المشروع إلى جمال عبد الناصر.

ودرسه مجلس الإنتاج القومى وقد منح عبد الناصر «دانيوس» اليونانى صاحب فكرة المشروع مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه.

وهكذا بدأ مشروع السد العالى....

وقام بيت خبرة ألمانى بدراسة المشروع، إيجابياته، آثاره الجانبية.

وقام بيت خبرة فرنسى بدراسة نفس المشروع وعهد إلى الأمريكان بإرسال وفد من الخبراء لدراسة إنشاء مشروع جديد لتخزين المياه، اسمه السد العالى وكانت كل الدراسات إيجابية، لقد أجمعت على أن هذا المشروع هو الحل لمشاكل مصر الزراعية لإمدادها بالطاقة اللازمة للصناعة. وبدأ البحث عن موارد لتمويل إقامة هذا المشروع العملاق...

وأيقنت الدول الغربية أن إنشاء السد العالى يمثل ضرورة حيوية لمصر، فبدأت تستخدم كل أنواع الضغوط حتى تركع مصر.....

ومن هنا بدأت المعركة التى انتهت بالعدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦.

❑❑❑

لقد أثير كلام كثير حول مشروع السد العالى، وبعض الذين أثاروه كانوا يرون أنه من أهم مشروعات الثورة التى يريدون هدمها ولأنه بنى بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى الذى يكرهونه، لذلك فقد انهالوا عليه، حتي طالب البعض بهدمه...

وهناك تقرير هام عن دراسات انشاء السد العالى وضعه المجلس القومى للإنتاج سنة ١٩٥٥، لم ينتبه إليه أحد، ربما لأن مجلس الإنتاج ألغى، وضاعت أوراقه.

ومن حسن الحظ أننى أحتفظ بصورة من هذا التقرير الذى بدأ على أساسه المشروع، وهو يحكى قصة السد، والدراسات التى أجريت عليه، فى أكثر من مائتى صفحة يتضح منه أن بيوت الخبرة التى درست المشروع كلها غربية، ولم يدخل الاتحاد السوفيتى فى الدراسات المبدئية كما أنه لم يكن أبداً مرشحاً للاسهام في بنائه... فالسد العالي بناه الشعب المصري، بمعاونة فنية من الاتحاد السوفيني في ذلك الوقت.

❑❑❑

يقول تقرير مجلس الانتاج القومي الذي أعده مجموعة من أبرز الخبراء والعلماء المصريين إن «مشروع السد العالى» هو دعامة الرئيسية التى ترتكز عليها سياستنا المائية الجديدة: سد يسمح بالتخزين المستمر الى منسوب (١٨٢) بما يهيىء سعة مقدارها ١٣٠ مليارا من الأمتار المكعبة، يخصص منها ٣٠ مليارا من الأمتار المكعبة لمقابلة رسوب الطمى و٣٠ مليارا أخرى لضمان الوقاية من غوائل الفيضانات.

واذا كان البرنامج القديم لمشروعات ضبط النهر ـ شاملا خزانات البحيرات الاستوائية وقناة السدود وخزان مروى ـ كان مقدرا له أن يستغل من مياه النيل لصالح مصر والسودان معا صافيا قدره ٦٦ مليارا من الأمتار المكعبة سنويا مقدرا عند أسوان، وذلك مع مايشوب هذا البرنامج من الاعتبارات، فإن السد العالى وحده كفيل بضمان ٧٠ مليارا من الأمتار المكعبة سنويا من مياه النيل لصالح البلدين معا، وهو مع خزانات البحيرات الاستوائية وقناة السدود كفيل بضمان ٧٦ مليارا من الأمتار المكعبة سنوياً.

ويتضح من هذه الأرقام أن البرنامج المعدل يضمن لمصر والسودان عشرة مليارات سنويا زيادة عما كان مقدرا فى البرنامج القديم.

ومع ذلك فلا وجه لمقارنة «التخزين المستمر» الذى يهيؤه السد العالى «بالتخزين السنوى» الذى كان مفتوحا فى مروى، فبينما يعرض التخزين السنوى البلاد إلى أزمات عنيفة نجد أن التخزين المستمر كفيل بأن يضمن الوفاء التام

باحتياجات الزراعة فى أقل السنين إيرادا، وبينما لا يحول التخزين السنوى دون كوارث الفيضانات العالية الخطيرة. إذ التخزين المستمر كفيل بأن يقى البلاد شرورها أيا كانت.

وهكذا نرى أن «السد العالى» هو حجر الزاوية، بل هو الأساس الأول لبرامجنا نحو الاستغلال الكامل السريع لمياه النيل.

إن الأساس الأول الذى ترتكز عليه خطة التنمية الاقتصادية فى مصر هو زيادة العناية بتنمية الموارد الإنتاجية فى صورها المختلفة.

ولقد آمن المجلس أن الموقف يتطلب أولا مشروعات عاجلة، لمواجهة حالة الركود الاقتصادى قبل أن يتطور إلى أزمة حقيقية، كما آمن بأن هذه المشروعات العاجلة لا تكفى وحدها، ويجب أن تفكر بل يجب أن نبدأ فى تنفيذ مشروعات طويلة المدى ذات أثر بعيد فى تدعيم اقتصادياتنا وفى رفع مستوى المعيشة لأهل هذا البلد فى هذا الجيل والأجيال المقبلة.

ولاشك أن أيا من هذه المشروعات، سواء العاجلة أو الطويلة المدى، لابد وأن تهدف إلى زيادة الرقعة المزروعة، وزيادة إنتاج الوحدة من الأراضى، مع بناء صناعية تشارك الإنتاج الزراعى فى تدعيم الاقتصاد المصرى.

ولزيادة الرقعة الزراعية وزيادة إنتاج الحدة لابد من توفير المياه بالكميات المناسبة وفى الأوقات المناسبة، ثم لبناء نهضة صناعية، لابد من توفير القوى المحركة الرخيصة أولا.

ونظرة سريعة على «مشروع السد العالى» تظهر أنه قد عالج المشكلتين معا فهو فرصا ضخمة - ولكنها متكافئة - للزيادة السريعة فى الإنتاج الزراعى والصناعى على السواء.

من أجل هذا تبنت الثورة فكرة «مشروع السد العالى» فما أن تبينت إمكانياتها المبدئية حتى حشدت لها جميع القوى الفنية فى الداخل والخارج للقيام بسلسلة واسعة من الدراسات والأبحاث فى كافة النواحى.

كانت الأبحاث أولا لاختيار الموقع الذي يقام عليه مشروع السد العالي

* قامت عدة بعثات فنية مصرية فى أكتوبر سنة ١٩٥٢ بمعاينة المنطقة بين كيلو ٥ وكيلو ١٤ أمام خزان أسوان، ووقع اختيارها على المسافة بين كيلو ٥ وكيلو ٨

لموقع السد.

* تم التعاقد مع شركة «هوختيف» الألمانية لتقديم تقرير عن مشروع لإقامة سد عال بمنطقة أسوان، شاملا النواحى الفنية والاقتصادية وبرامج الإنشاء.

* قام سلاح الطيران المصرى بعمل صور جوية للمنطقة، وقامت شركة «هوختيف» الألمانية بعمل خرائط كنتورية مها.

* قامت المساحة بعمل خرائط مساحية للمنطقة.

* قامت بعثة فنية مصرية، وبعثة أخرى من قبل شركة هوختيف، بعمل مساحة جيولوجية سطحية للمنطقة، وطلبت البعثتان عمل أخرام رأسية ومائلة لاختيار الفوالق والكشف عن الحالة الباطنية للمنطقة وعمل الاختبارات اللازمة للتسرب.

وقد تكررت هذه الأبحاث جميعها على منطقة كلابشه، التى يقع على بعد ٤٨ كيلو مترا تقريبا جنوبى خزان أسوان، بوصفها المنطقة الوحيدة جنوبى الموقع والتى يحتمل صلاحيتها لإنشاء الخزان الجديد.

وعلى ضوء هذه الأبحاث جميعها استقر الرأي على كيلو ٦,٥ جنوب سد أسوان الحالى ليكون موقعا للسد العالى،حيث تركزت الأبحاث التفصيلية فى هذا الموقع.

ولم تكن إقامة السد العالي عشوائية فقد شملت دارسات مجلس الانتاج القومي كل شئ بالتفصيل وقالت «إن الغرض من السد العالى هو التوسع الزراعى وتوليد الكهرباء، ووقاية البلاد من أخطار الفيضان وتحسين الملاحة، ولذلك فقد روعى عند حساب سعة الخزان أن تكون كافة لتحقيق هذه الأهداف جميعها، وبعد دراسات علمية على كل من هذه الأهداف قال التقرير إن شركة «هوختيف» الألمانية قامت بعمل تصميم مبدئى للسد العالى قدمته فى مارس ١٩٥٣.س

* يعمل السد بارتفاع مائة متر، وبطول خمسة كيلو مترات منها حوالى ٥٥٠ مترا بمجرى النهر، على أن يكون على شكل جبل من ركام الجرانيت يقفل مجرى النهر، ويسمح بمرور التصرفات اللازمة للزراعة والزائدة عن حاجة التخزين فى حالة الفيضانات الخطرة بمعدل ٧٠٠ مليون متر مكعب يوميا من سبعة أنفاق بالبر الشرقى، وعلاوة على ذلك فللخزان رياح على منسوب ١٨٢ بالبر الغربى يسمح بمرور ١٠٠ مليون متر مكعب يومياً، وذلك لضمان عدم ارتفاع المنسوب عن ١٨٢

بأى حال من الأحوال. ومنسوب أعلى السد ١٩٦.

أما أنفاق توليد الكهرباء فستكون بالبر الغربى، وهى أربعة أنفاق كبيرة تغذى كل منها أربعة تربينات قوة التربينة الواحدة ١٢٠ ألف حصان، وأقل قوة مولدة من هذه المحطة هى ١٠ مليار كيلوات ساعة سنويا.

ويعتبر الخزان من حيث السعة أكبر خزان فى العالم.

وقد أعدت الشركة برنامجا للتنفيذ حددت فيه المدة اللازمة للانتهاء من بناء السد العالى بتسع سنوات، ويمكن بدء الانتفاع به من السنة الخامسة.

وبعد أن تقدمت شركة «هوختيف» بهذا التصميم المبدئى، قام المجلس بالاشتراك مع خبراء وزارة الأشغال بمراجعته، واتضح أنه بنى على أساس البحث الجيولوجى الذى قام به الدكتور «هنكى» خبير الشركة المذكورة، وكان قد استنتج أن قاع النهر الصخرى يقع على عمق أمتار قليلة.

وقد قامت وزارة الأشغال بعمل اختبار لقاع النهر بموقع السد، فظهر أن القاع الصخرى للنهر تعلوه طبقة من الرمل يبلغ عمقها أكثر من ٥٠ مترا.

ولذلك تبين أن تقرير «شركة هوختيف» وتصميمها المبدئى ومقاياساتها عن السد وضعت على أسس لا تطابق الموقع، مما دعا إلى قيام الشركة بعد ذلك بمحاولات عدة لتعديل تصميمها بحيث يتفق مع حالة القاع وطبيعة تكوينه.

وعلى أثر تقديم التقرير من «شركة هوختيف» قام المجلس باستدعاء لجنة من الخبراء العالميين لفحص التقرير وللاجابة عن النقاط المثارة حوله.

وقام التفتيش العام لضبط النيل بتنفيذ ما أشار به الخبراء من عمل قطاعات عرضية على النهر قبل وأثناء الفيضان عند محور السد وخلف مدينة أسوان.

كما عهد إلى التفتيش بتنفيذ ما أوصى به الخبراء من تحديد كمية الطمى التى تمر بفتحات سد أسوان الحالى فى جميع فصول السنة.

❑❑❑

تقدمت «شركة هوختيف» فى شهر يونيو سنة ١٥٤ بتصميم معدل للسد عند الكيلومتر ٦,٥ على ضوء البيانات التى تكتشف لها فى هذا الموقع والأبحاث والدراسات التى تمت به، ودعت الخبراء المصريين للسفر إلى ألمانيا لمناقشة هذا التصميم مع خبراء «شركات هوختيف ودرتموندر»، وقد أسفرت هذه المناقشة عن

وضع تصميمين جديدين للمشروع أحدهما عرف «بالسد ذى القاطع الرأسى» والثانى عرف «بالسد ذى القاطع الأفقى» والقاطع الرأسى من الخرسانة، فزاروا بعض السدود المختلفة بأنحاء ألمانيا خصوصا ما كان منها فى مرحلة الإنشاء، كما قاموا أيضا بزيارة أحد آبار المناجم أثناء إنشائه بواسطة طريقة التثليج المقترحة، لمعرفة مدى صلاحية هذه الطريقة فى إنشاء القاطع الرأسى للسد العالى.

واستمر عمل الأبحاث اللازمة بموقعى كيلو ٦,٥٠٠ والكلابشه، وعندما أوشكت هذه الأبحاث على الانتهاء، رأى المجلس دعوة لجنة من الخبراء العالميين لزيادة الموقعين سالفى الذكر أثناء الفيضان.

وقام الخبراء بزيارة الموقعين اللذين وقع عليهما الاختيار لإنشاء السد، وبعد أن عاينوا الأبحاث الجارى عملها، واطلعوا على النتائج التى أمكن الوصول إليها، أبدوا ارتياحهم بالنسبة للمباحث التى تمت وقدموا تقريرا يتلخص فى أن:

كلا الموقعين صالح لإنشاء السد العالى وأنه إنه يوجد أمثله كثيرة من السدود الناجحة أنشئت بطرق مشابهة للطرق المقترحة لانشاء السد العالى. وأن إنشاء سد عال فوق أساس رملى لا يعتبر مشكلة عسيرة وهذا لا يمنع من الأخذ بكافة الاحتياطات الممكنة، نظرا لسمك وطبيعة التكوين الرسوبى، وضغوط وعوامل قوة الاحتمال والهبوط المنتظر نتيجة أحمال السد وضغوط المياه التى ربما تؤثر على سلامة الأجزاء الصماء كالنواة والقاطع الرأسى والفرشة الأفقية للسد، وكذلك نقاذية الأساس وأخطار التسرب.

❑❑❑

أوصى الخبراء ببرنامج يشمل عمل حوالى عشرة ثقوب اختبارية وهو أقل عدد من الثقوب يمكن تنفيذه لإمكان الوصول إلى نتيجة سليمة.

وذكروا فى تقريرهم بأن البت فى اختيار الموقع سيستلزم بطبيعة الحال ضرورة اجراء بعض الأبحاث الأخرى لإمكان وضع التصميم النهائى للمشروع، قدموا كشفا يشمل التجارب المطلوب إجراؤها على عينات التربة التى تستخرج من الثقوب الاختبارية، كما طلبوا عمل حصر وتجارب عن المواد الممكن الحصول عليها من المواقع القريبة من السد لإمكان ابداء رأى نهائى فى الموضوع على ضوئها، وأشاروا كذلك بضرورة الاتصال بجناب البروفسير كارل ترازكى عن كثب، لمعرفة

رأيه فى المشروع وما عسى أن يشير به أيضا، حتى إذا ما اجتمعوا فى شهر نوفمبر ١٩٥٤ كان اجتماعهم حاسما وأمكن تحديد الموقف بالنسبة لإنشاء السد العالى بصفة نهائية.

❑❑❑

يصف تقرير المجلس القومى للإنتاج الذى أعد عن مشروع بيوت الخبرة التى درست السد العالى من كل انحاء العالم فيقول بالنص

«بناء على ما أشار عليه الخبراء العالميون فى اجتماع شهر أغسطس سنة ١٩٥٤ من ضرورة الاتصال «بجناب البروفسير كارل ترزاكى» عن كثب معرف رأيه وما عسى أن يشير به أيضا، وبالنظر لما يتمتع به جنابه من شهرة عالمية فى إنشاء السدود وكلمة مسموعة بين الخبراء العالميين، ولأن جنابه سبق أن طلب بعض بيانات تقتضى مقابلته شخصيا لشرحها له، كما يقتضى الأمر مناقشته فى المشروع وتعرف ما قد يطلب من بيانات أو أبحاث قبل الاجتماع المقرر انعقاده فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٤، فقد رؤى إيفاد بعثة من خبراء المجلس إلى أمريكا، لعرض ما تم من أبحاث على البروفسير كارل ترزاكى ومعرفة مطالبه التى يشير بها تمهيدا للاجتماع الحاسم المقرر انعقاده بالقاهرة فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٤ كما تقدم.

وقد قامت البعثة بمقابلة جناب «البروفسير ترازكى»، واجتمعت به فى عدة جلسات عرضت عليه فيها الأبحاث التى تمت بالسد العالى، والنتائج التى أمكن الحصول عليها، وكذا الأبحاث الإضافية التى أشار الخبيران العالميان «المستر أ. س. ستيل والمسيو أندريه كوين» بعملها فى اجتماعهما الأخير بمصر فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٤ كما تقدم، ثم استمعت البعثة لما أبداه «البروفسير ترزاكى» من آراء تضمنها التقرير المقدم من جنابه، والذى جاء فيه أن إنشاء السد العالى فى كلا التصميمين المقترحين بمعرفة الألمان يتوقف على نجاح إنشاء السد الأمامى الجزئى الذى يجب أن تتركز الجهود فى وضع تصميمه. كما أشار جنابه أيضا بضم دكتور لورنزج. ستراوب خبير الطمى والنحر والمستر أ. ايشى خبيرحقن التربة إلى هيئة الخبراء فى الاجتماع المزمع انعقاده بالقاهرة والمحدد له يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٤.

انتهزت البعثة هذه الفرصة فزارت مكتب إصلاح الأراضى الأمريكى، كما زارت كثيرا من السدود الكبرى المشابهة لسد أسوان العالى، خصوصا ما كان منها

تحت الإنشاء، مما زاد اطمئنان البعثة بأن مباحث مشروع السد العالى تسير فى الطريق السليم. كذلك قابلت البعثة الدكتور «لورنزج. ستراوب والمستر أ. ايشى» وهما الخبيران اللذان أشار جناب «البروفسير ترزاكى» بضمهما إلى لجنة الخبراء العالميين واتفقت معهما على الحضور فى اجتماع ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٤.

❑❑❑

اجتمعت لجنة الخبراء العالميين بالقاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٥٤ وقد حضر جميع الذين وجهت لم الدعوة وهم «المستر كارل ترزاكى والمستر أ. س ستيل الأمريكيين، والمسيو أندريه كوين الفرنسى، والهر ماكس بروس الألمانى، والمستر لورنزج. ستراوب الأمريكى»، كما انضم إليهم «الميسو أ. ايشى الفرنسى» يوم ١٨ نوفمبر، ثم «الهر مور» الألمانى يوم ٢٦ نوفمبر.

على ضوء المباحث والدراسات التى أجريت على موقعي الكلابشة وكيلو ٦,٥، وعلى ضوء المعاينة والدراسات التى قام بها الخبراء العالميون استقر الرأى نهائيا على إقامة السد العالى عند كيلو ٦,٥، حيث اتضح أن هذا الموقع هو أنسب وأصلح المواقع من كافة الوجوه كما اتضح - إلى جانب مزاياه الإنشائية والاقتصادية - سهولة الحصول على جميع مواد البناء المطلوبة للسد بكميات كافة من جهات قريبة منه.

وتحدثت الدراسة عن كميات مواد الإنشاء والحفر:

إجمالى المواد التى ستستعمل فى. إنشاء السد٤٢ مليار مترا مكعباً مكعبات حفر أنفاق تمرير الكهرباء وأن تصرفات النهر بالجهة الشرقية ٧,٩٥٧,٠٠٠ متراً مكعباً

مكعبات حفر أنفاق الكهرباء بالجهة الغربية ٩,١١٥ مليار متراً مكعباً

فإذا عرفنا أن حجم الهرم الأكبر يعادل ٢٥٠٠٠٠٠ متراً مكعباً تقريباً، اتضح أن إجمالى مكعبات إنشاء السد العالى تصل فى مجموعها إلى نحو ١٧ مرة حجم الهرم الأكبر.

❑❑❑

قدم الخبراء العالميون ٠- بعد اجتماعهم الختامى - تقريرا موحدا أجمعوا فيه على صلاحية مشروع السد العالى، وشمل هذا التقرير التوصيات الأساسية التالية:

أولا - إقامة السد العالى عند الكليو ٦,٥٠٠ جنوب سد أسوان الحالى، حيث

اتضح أنه أنسب وأصلح المواقع المختارة للسد.

ثانيا - إن إنشاء السد العالى حسب التصميم الذى اعتمده الخبراء فيه أقصى الضمانات لسلامته مع وفائه بكافة المطالب التى أنشئ من أجلها.

ثالثا - الشروع فورا فى حفر الأنفاق الجانبية المقررة لتحويل مياه النهر.

رابعا - أقر الخبراء برنامجا للتنفيذ يستغرق عشر سنوات يتم فيها إنشاء السد بجميع أجزائه ومشتملاته.

خامسا - يوصى الخبراء بضرورة القيام فورا بإعداد الرسومات التفصيلية والمواصفات لأجزاء المشروع المختلفة.

* يتكلف إنشاء السد العالى، بما فيه الأعمال المدنية الخاصة بتوليد القوى الكهربائية والأعمال الخاصة بالوقاية من الفيضانات وتحسين الملاحة مبلغ ١١٠ مليون جنيه، وبإضافة ١٠ مليون جنيه للتعويضات تكون جملة تكاليف هذا السد ١٢٠ مليونا من الجنيهات.

* ستستغل مياه الرى الناتجة من إنشاء السد العالى فى استصلاح مليونى فدان يتم منها فى العشر سنوات الأولى استصلاح ١,٤٠٠,٠٠٠ فدان تتكلف مشروعات ريها وصرفها حوالى ٤٩ مليونا من الجنيهات.

ويتم فى هذه المرحلة تركيب ٨ تربينات تبلغ تكاليفها ١٦ مليون جنيه، كما تبلغ تكاليف مد الخط الكهربائى من أسوان إلى القاهرة مبلغ ٢٤,٥ مليوناً من الجنيهات، وبذلك تكون جملة تكاليف المشروع فى العشر السنوات الأولى مبلغ ٢٠٩,٥ مليونا من الجنيهات، يخص منها محطة توليد الكهرباء والخط الكهربائى مبلغ ٧١,٥ مليون جنيه، وعلى أساس توليد ٤,٣ كيلوات ساعة من هذه المحطة سنويا يكون سعر توليد الكيلوات ساعة بأسوان ٠,٦٥ مليما، وباعتبار أن ٣,٣ مليار كيلوات ساعة ستنقل للقاهرة سنويا يكون سعر الوحدة الكهربائية المبيعة بالقاهرة فى هذه المرحلة ٢,٤٦ مليما.

* وفى العشر سنوات التالية يتم استصلاح ٦٠٠,٠٠٠ فدان، هى باقى المساحة المترتبة على إنشاء السد العالى، وتتكلف مشروعات ريها وصرفها نحو ٣٢ مليونا من الجنيهات. وعلى هذا الأساس تبلغ تكاليف السد العالى والأعمال المترتبة عليه فى جملتها حوالى ٢٤١,٥ مليونا من الجنيهات.

وتقدر زيادة دخل الحكـومة المباشر بعد تنفـيذ المرحلة الأولى بحوالى ١٨ مليون جنيه سنويا، أما زيادة الدخل القومى من الزراعة والصناعة والوقاية من الفيضانات وتحسين الملاحة فتقدر بحوالى ٢٥٥ مليون جنيه سنويا.

أما قيمة الأراضى المستصلحة، ومساحتها مليونا فدان فتقدر زيادتها بنحو ٣٠٠ مليون جنيه.

❑❑❑

وقف عبد الناصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ليضع أمام جماهير الشعب العربى قصة السد العالى كاملة والشروط التى حاول الغرب أن يفرضها لبناء السد وكيف انتهت الدول الغربية إلى قرارها برفض بناء سد أسوان العالى وفى نهاية خطابه أعلن عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس العالمية وتحويلها إلى شركة مصرية. . . .

❑❑❑

كان أيدن يقيم حفل عشاء للملك فيصل الثانى ملك العراق ومـعه رئيس وزرائه نورى السعيد، عندما دخل عليه أحد الحراس يضع أمامه ورقة صغيرة تحمل خمس كلمات

«لقد أمم عبد الناصرقناة السويس»

وقف أيدن منفعلا. .

بينما يقول له نورى السعيد :

«اسحقه الآن. . . وبلا تردد. .

اسحقه وبلا رحمة» . . .

النضال الوطنى ١٩

تأميم القناة

يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦، أعلن جمال عبد الناصر أخطر قرار في تاريخ مصر.

القرار هو تأميم قناة السويس... فسوف تسترد مصر أموال القناة.... وتقوم ببناء السد العالي. الذى رفض البنك الدولي تمويل مشروع بنائه!

وكانت قد أُعدت ـ من قبل ـ خطة لتأميم القناة.

وكان هذا القرار بداية مرحلة جديدة من العمل الوطنى.

فسوف تحاول فرنسا وانجلترا بكل الوسائل استرداد القناة.

ولما فشلت محاولاتهما لجأتا إلى الحرب، ولكنهما لم تتمكنا أيضا من استردادها بالحرب...

لقد أصبحت قناة السويس مصرية.

وكانت من قبل دولة داخل الدولة..

فلم تكن المسألة هى ما تحققه من مواد فقط، ولكنها كانت أيضا بل وأولا خطوه ضرورية لإتمام تحقيق الاستقلال الوطنى الكامل.

❑❑❑

لقد اقترنت قناة السويس بشخص اسمه «فردينان دى ليسبس» واستردتها مصر باسم نفس الشخص «فردينان دى ليسبس»

وتقول الرواية التاريخية أن الصداقة بين «فردينان دى ليسبس» وسعيد ترجع إلى أيام أن كان مسيو دى ليسبس «والد فردينان» قنصلا عاما فى مصر أيام محمد على.

وكان محمد على شديد الميل لفرنسا ويعتمد على مساندتها فى مواجهة انجلترا.

ولذلك كانت الصلات وثيقة بين قصر الحاكم وبيت القنصل الفرنسى «كانت عوارض السمنة بدأت تظهر لدى ابن محمد على الأمير سعيد باشا وهو صبى-وهو أمر يتميز به كل ذكور الأسرة الحاكمة المصرية

فأمر أن يدرب ابنه تدريبا رياضيا وعسكريا شاقا وكاملا، وبدأ سعيد يقضى يومه متسلقا حبال السفن، ويجرى حول أسوار القاهرة.

وعندما ينتهى من هذا المجهود الشاق يستريح فى المساء ويتناول العدس والخضروات.

ولم يكن مسموحا لأحد باستثناء قنصل فرنسا العام أن يرى الصبى خارج القصر.

وهكذا تحول سعيد إلى القنصلية كمصدر للراحة من إرهاق التمرينات، ومتاعب الجوع.

هناك فى بيت صديقه الوفى «فردينان دى ليسبس» يستطيع، وهو بعيد عن أعين والده أن يأكل الوان الطعام المختلفة» .

هذه الصداقة - وليس شيئا آخر - هى السبب الرئيسى وراء حفر قناة السويس التى مثلت أكبر عملية استعمارية فى التاريخ.

وكانت شركة قناة السويس ممثلة للاحتكار الاستغلالى فى أسوأ صورة. .

لقد أسهمت مصر بأكثر من ٩٧٪ من نفقات إنشاء القناة. فضلا عن آلاف الأرواح التى دفنت تحت الرمال

ومقابل هذا كله لم يكن نصيب مصر من الأرباح يتجاوز ١٥٪، وفقدت هذا النصيب بعد أن باعت أسهمها بثمن تافه وكان لم يمض على حفرها عشرة أعوام.

ورضيت بعد ذلك بما تتصدق به عليها شركة القناة.

أما الأرباح الضخمة التى كانت تجنيها، فكانت تتدفق إلى الخارج.

لقد قاوم المصريون الذين كانوا يساقون بالسخرة هذه المعاملة الصارخة الظلم بكافة الأساليب.

ويزخر تارخ حفر قناة السويس بثورات العمال على الفرنسيين منذ بداية حفرها فقد توالت ثورات العمال فى برزخ السويس، وازداد عصيانهم فى ساحات الحفر كما تعددت حوادث هروبهم - من منطقة القناة. واتخذت حركة الهروب شكلا جماعيا.

واضطر سعيد، إزاء ثورات العمال، أن يتخذ تدابير قاسية للغاية فجمع مشايخ البلاد وجعل كل واحد منهم مسئولا عن العمال الذين يجيئون من ناحيته. ووضع ضباط البوليس فى خدمة الشركة.

أن قبض على زعماء العمال الثائرين وألقى بهم فى غياهب السجن لقد بدأت ثورة المصريين على شركة قناة السويس منذ حفر القناة.

وكانت هناك حركة عصيان منظمة بين عمال الحفر من المصريين، لها قيادتها فقد رفضوا.. أن يساقوا سيرا على الاقدام إلى بورسعيد وقد ربط بعضهم إلى بعض كالجمال أو مثل قطعان العبيد والتى كان يسوقها تجار الرقيق أو أن يعملوا تحت سياط الملاحظين وسجونهم.

❑❑❑

فى ١٤مارس ١٨٦٩ وصلت مياه البحر الأبيض المتوسط إلى البحيرات المرة، وفى اغسطس من نفس العام اتصلت مياه البحر المتوسط بمياه البحر الأحمر.

وحدد يوم الافتتاح فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩.

ودعا إسماعيل ملوك وأمراء أوروبا لمشاهدة الافتتاح العظيم لأكبر مشروع فى القرن التاسع عشر الذى يرمز إلى تضحيات المصريين وراحت دماء الفلاحين، وعرقهم ودموعهم وسط بذخ ومجون إسماعيل، ولم تكن الميزانية المصرية تتحمل مزيدا من الأعباء المالية بسبب ديون الخديوي.

وفى الإسماعيلية أقيم الحفل الكبير وسط البذخ والمجون، وقدر ما أنفقه اسماعيل رغم خزائنه المفلسة من نفقات حفلات افتتاح القناة فى الإسماعيلية بمليونين من الفرنكات.

ويقدر المؤرخون ما أنفقه إسماعيل عموما فى احتفالات القناة بمبلغ مليون وأربعمائة ألف جنيه.

وهكذا بلغت النفقات التى تكبدتها مصر فى حفر القناة فى تقدير المؤرخين ١٦ مليونا و٨٠٠ ألف جنيه.

.. وحين اشتدت وطأة الأزمة المالية بسبب سفه واستهتار اسماعيل اضطر إلى بيع حصة مصر فى الأسهم إلى انجلترا ٣,٩٨٧٦,٤٠٠ جنيها.

وتعهـدت الحكومة المصـرية بدفع مبلغ قـدره ١٩٨,٨٢٨ جنيهـا مقـابل فائدة الأسهم التى كان اسماعيل قد رهنها من قبل سنويا لمدة ١٩ سنة

وكانت نـهاية المطاف تصـفية الوجـود المصرى داخل الـشركة عندمـا اضطرت الحكومة المصـرية تحت وطأة الأزمة المالية إلى بيع حـصتهـا من صافى الأرباح إلى البنك العقارى الفرنسى. . .

❑❑❑

باعت مصر اسهمها فى قناة السويس ونصيبها فى الأرباح، بعد أن كبدتها القناة من الأعباء وما جلبت عليها من الدمار المالى ممثلا فى القروض ثم التدخل الأجنبى السيـاسى والعسكرى، وأقيم عند مدخل الـقناة من ناحية بورسعـيد، وعلى طول اللسان الممتد داخل البحر الأبيض المتوسط تمثال «الفردينان دى ليسبس».

وكان التمثال يرمز فى نظر الأوروبيين لتخليد ذكرى الرجل صاحب أكبر مشروع فى تاريخ القرن التاسع عـشر، وقد حطم المصريون التمثـال عقب خروج الإنجليز من مصـر واسترداد القناة وكـان «فردينان دى ليسبـس» نموذجا لمجموعـة الأفاقين الأوروبيين الذين تدفقوا على مصر فى النصف الثـانى من القرن التاسع عشر بعد انهيار دولة محمـد على وفتح مصر على مصراعيها للجمـاعات الأوروبية المغامرة التى تجرى وراء المال والذين أطلقوا على مصر «كاليفورنيا الجديدة».

وزاد عدد الأوروبيين فى مصر زياده لم تعرفها البلاد فى تاريخها الطويل بحيث أصبحت الهجرة الأجنبية كما يصورها بعض المؤرخين «إعصارا».

ويصف المؤرخ الأمريكى «دافـيد لاندز» أنه دخلت مصر أفضـل وأسوأ عناصر أوروبا والبحر المتوسط:

أصحاب البنوك، والمرابون، التجار، واللصـوص، السماسرة الإنجليز الهادئون، تجار الشرق الأدنى. الزئبقيون، مـوظفون لمكاتب الشركات الجديدة. وعاهرات.. جاءت حثالة العناصر الأوروبية إلى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لتقوم بنهب ثروات مصر.

وكان ضعف الحكام وتكالبهم لإرضاء الدول الأوروبية - إلى جانب الامتيازات الأجنبية - مما شجعهم على إتمام نهب ثروة مصر على نحو لم يشهده تاريخ الاستعمار فى جميع أنحاء العالم.

❑❑❑

يكمل محمد حسنين هيكل رسم صورة دور شركة قناة السويس فى كتابه الوثائقى الهام، ملفات السويس، يقول أنه:

«عندما قامت بريطانيا بعد ذلك بسبع سنوات بغزو مصر واحتلالها سنة ١٨٨٢ أدرك «ديليسبس »حقائق الواقع الجديد.

أن الشركة التى ادعت لنفسها جنسية فرنسية تتحول إلى الجنسية البريطانية. لم تكن بريطانيا هى القوة المحتلة لمصر فقط.. لكن بريطانيا كانت أيضا فى ذلك الوقت المستعمل الرئيسى لقناة السويس، بضرورات خط المواصلات الإمبراطورى إلى الهند.

ومع أن المركز الرئيسى لشركة قناة السويس ظل رسميا فى باريس، فإن إدراتها الفعلية راحت تنتقل يوما بعد يوم إلى لندن.. أصبحت الشركة تحصل الرسوم من مكتبها فى لندن.. ووضع مكتب لندن تحت إشراف الحكومة البريطانية كجزء من الاميرالية «وزارة البحرية البريطانية»

ثم اشتركت شركة قناة السويس فى الحرب العالمية الأولى، وكأنها دول مستقلة. وبرغم أن معاهدة القسطنطينية سنة (١٨٨٨)، كانت تنص على حياد قناة السويس، إلا أن شركة القناة دخلت بها إلى الحرب.

فشاركت فى الحصار.

وشاركت فى مصادرة بواخر الدول المعادية لبريطانيا، وفى الاستيلاء عليها، وكانت حجتها «أن الدفاع عن قناة السويس يسبق حيادها».

فى فتـرة ما بين الحـربين العالميتـين، راحت شركة قناة السـويس تواصل دورها كدولة داخل الدولة فى مصر.

وكانت لها سياساتها الخاصة المستقلة.

فحينما استسلمت فرنسا للمحور، ووقعت باريس فى قبضة مدرعات «هتلر»، قررت الشـركة أن تنقل مقـرها الفرنسى إلى الجزائر الـتى تحولت فى ذلك الوقت إلى مركز بديل للعاصمة الفرنسية.

ومن الجزائر راحت الشـركة تقرر بنفسـها مـا تشاء من سيـاسات مسـتقلة عن الحكومة فى مصر.

خلال فترة الجزائر أصبح «فـرانسوا شارلو» - ابن «شارل رو» نائب «ديليسبس» القديم - هو رئيس مجلس الإدارة الجديد لشركة قناة السويس.

كـان «فرانسـوا» دبـلومـاسـياً فى وزارة الخـارجية الفـرنسية، وأصـبح سكريترا عـاما لها.

ثم فـصله المارشال «بيـتان »رئيس فـرنسا المتـعاون مع الألمان بـدعوى أن «رو» صديق بأكثر مما يجب للانجليز.

وحين أنشأ الجنـرال «شارل ديجول» «حـركة فرنسـا الحرة» فى لندن كـحكومة فرنسية شـرعية مؤقتة فى المنفى ولم يكن «ونستـون تشرشل» رئيس وزراء بريطانيا وقت الحرب يريد لشركة قناة السويس أن تعمل من باريس المحتلة.

وفى نـفس الـوقت لـم يكن عـلى استعـداد لأن يـتركهـا لفرنسـا الحرة بقـيادة «ديجول».

وهكذا اختارت الشركة أن تنتقل شكليا إلى ظلال الوجود الفرنسى فى الجزائر، وفى نفس الوقت أرضت الجنرال «ديجول» بأن قدمت لـ «حركة فرنسا الحرة» تبرعا أولياً مقداره مليون جنيه استرلينى.

وبعد انتهـاء الحرب، وحتى قيام الثورة المصـرية سنة ١٩٥٢، راحت شركة قناة السويس تتصرف مرة أخرى كدولة مستقلة.

كان رئيسها «فرانسوا شارل رو» يزور مصر محاطا بكل المراسم التى يحاط بها رؤساء الدول.

وكان طرفا حاضرا فى كل الموتمرات الدولية ابتداء من المؤتمرات التى وضعت اتفاقيات صندوق النقد الدولى والبنك، إلى غيرها من التجمعات المكلفة بوضع النظام الاقتصادى العالمى الجديد، كما أنه كان طرفا حاضرا فى كل المؤتمرات السياسة التى يعقدها الأقطاب فى الغرب، خصوصا إذا كان موضوع البحث يتصل بالشرق الاوسط.

وكان معظم أعضاء مجلس الإدارة قد أصبحوا الآن من البريطانيين، وإن تنازلت الشركة، فقبلت دخول بعض المصريين بعدد محدود كأعضاء فى مجلس إدارتها، حددت لهم اختصاصات لا علاقة لها على الإطلاق بإدارة الشركة ولا بقضاياها الحساسة، كذلك تنازلت الشركة فقبلت استخدام بعض الساسة المصريين من كل الأحزاب كمستشارين لها فى بعض المشاكل، التى كانت تطرأ مع الحكومة المصرية.

وفى كل الأحوال فإن الشركة قد احتفظت لنفسها فى مصر بكل حقوق الاستقلال. بما فيها علم خاص بها.

وشفرة خاصة لمراسلاتها.

وجهاز مخابرات يعمل لخدمتها فى جمع المعلومات.

بل ويقوم عند اللزوم ببعض العمليات «القذرة» لحماية مصالح الشركة.

كما يفعل جهاز مخابرات أى دولة.

وقد حدد «فرانسوا شارل رو» منذ البداية وضع الشركة فى مصر تجاه الحكومة المصرية، حين قال فى خطاب رسمى له:

إن الشركة «تتحمل مسئوليات خاصة تجاه جماعة من الشعوب لها مصلحة فى

القناة، وتتحمل مسئوليات محددة بالنسبة للاقتصاد العالمى، وتجاه مستعملى القناة، وهو ما يعطيها شخصية متميزة لا يمكن انكارها، ويستحيل التعرض لها».

ثم حدد علاقة الشركة بالحكومة المصرية فى نفس الخطاب بقوله:

«إن الشركة لابد أن تحافظ على التوازن بين عناصر مختلفة يقوم عليها دورها، وهذه العناصر هى:

الحكومة المصرية.

والحكومة البريطانية.

وشركات السفن العالمية.

والمساهمون الدوليون فى شركة القناة.

مع مراعاة الاحتفاظ بطابعها كمناشأة فرنسية»[1].

«ثم أضاف إلى ذلك فى نفس الخطاب «إن وكيل الشركة فى مصر هو الدبلوماسى المعتمد من الشركة إلى بلاط ملك مصر». ولم يستطع أحد فى مصر أن ينازعه فى هذه الدعاوى كلها.

وأخطر من ذلك أن الشركة أصبحت لها سياسة مستقلة خاصة تجاه إسرائيل، ولقد كانت للشركة اتصالات وثيقة مع عدد من اليهود فى فرنسا قبل الحرب وأثناءها وبعدها، وكان للشركة بطبيعة الحال اهتمام بالضفة الأخرى الشرقية لقناة السويس، كما كان لها رأيها فى خطوط المواصلات من سيناء إلى فلسطين.

وتدل وثائق الشركة على أنها تبرعت إلى الحركة الصهيونية قبل سنة ١٩٤٨ بمبالغ طائلة.. كما أنها بعد حرب فلسطين أقامت مكتبا للاتصال ولتنسيق المعلومات مع المخابرات الإسرائيلية.

---

(١) ملفات السويس ـ محمد حسنين هيكل

وفقا لرؤية محمد حسنين هيكل فإن شركة قناة السويس بعد قيام الثورة مباشرة، راحت تستعين بفرنسا، وبانجلترا، للاحتفاظ بنفوذها..

يروى محمد حسنين هيكل - بالوثائق - جانبا آخر من قصة قناة السويس، قائلا إن شركة قناة السويس كانت إلى جانب قوات الاحتلال البريطانى تسيطر على مرافق كثيرة . وكانت نافذة إلى صميم الاقتصاد المصرى.

وكان نفوذها فى البنوك والتجارة واصلا إلى الاعماق.

ولم تكن الحكومة المصرية تعرف شيئا عن سياسات شركة قناة السويس التى كانت تتصرف بمنطق الدولة المستقلة..

❑❑❑

كانت مصر قد طلبت المساهمة الدولية - عن طريق البنك الدولى للإنشاء والتعمير لإقامة السد العالى.

وفى أغسطس سنة ١٩٥٥، زارت مصر بعثة من البنك لدراسة المشروع، وتقديم تقرير عنه.

وكان عبد الناصر قد أعلن قراره بتنويع مصادر السلاح، بعد أن يئس من الحصول على تمويل من الغرب ولم ينس الغرب لعبد الناصر هذا الموقف...

كما لم ينس له أنه اعترف بالصين الشعبية، وأن مصر كانت أول دولة عربية تتخذ هذا الموقف .

وفى أكتوبر ١٩٥٥ أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية تصريحا قالت فيه:

«إن الولايات المتحدة على استعداد للمساهمة فى تمويل مشروع السد العالى وفى تمويل مشروع وادى الأردن، وأن هناك «مشروع مارشال» للشرق الأوسط على نمط مشروع مارشال الأوروبى.

وطلبت الولايات المتحدة إرسال مسئول مصرى كبير لبحث المشروع معه، فسافر الدكتور عبد المنعم القيسونى وزير المالية المصرى فى نوفمبر سنة ١٩٥٥، والتقى بالمسئولين الأمريكيين وحمله دالاس رسالة إلى عبد الناصر تقول: إن الاتحاد

السوفيتى يساعد مصر بالسلاح وإن ذلك يعنى الموت بينما ستساعد أمريكا مصر ببناء السد العالى.. وذلك يعنى الحياة.

□□□

فى منتصف ديسمبر ١٩٥٥ أصدرت الحكومتان الأمريكية والبريطانية بيانا مشتركا، أعلنتا فيه مساهتهما فى تمويل المرحلة الأولى للسد بما قيمته ٧٠ مليون دولار.. تدفع منها الولايات المتحدة ٥٦ مليون دولار، وتدفع بريطانيا ١٤ مليون دولار، ويقرض البنك الدولى مصر ٢٠٠ مليون دولار دفعة أولى ثم تزيد إلى ٤٠٠ مليون.. وتبحث الحكومتان بعد ذلك اشتراكهما فى المرحلة الثانية.

وكان نص البيان الذى أرسل إلى مصر مختلفا فقد تضمن عدة شروط اعتبرتها مصر ماسة بسيادتها، وتدخلاً فى سياستها وفرضا للوصاية عليها....

كان الشرط الذى أرسل إلى مصر يطلب أن تقدم مصر ضمانات بأنها سوف تركز على جهودها وبرامجها فى التنمية على إقامة السد العالى، وأنها لن تبعثر مواردها على مشروعات أخري.

«وأن يعلق قرض البنك الدولى على أن تقدم مصر ضمانات كافية بألا تعقد أى قرض خارجى، ولا أية اتفاقيات دفع بغير موافقة البنك».

ويقول المستر أيدن فى مذكراته «أنه كان يعتقد أن بقاء عبد الناصر مرتبط بما يستطيع أو لا يستطيع تقديمه للملايين من الفلاحين الجائعين، وهؤلاء هم الذين قدمت لهم الثورة قانون الإصلاح الزراعى، وكان أول ما قدمته، ولكنه لا يكفى ولا تستطيع أن تقدم شيئا حقيقا إلا عن طريق السد..

ولهذا فإن بقاء عبد الناصر مرهون باقامة السد ومن هنا يمكن إرغامه على أن يتعاون ويستجيب لنا أو «يستجيب أو يستسلم» على حد تعبير يوجين بلاك... بعد ذلك.

وعندما يتحدث أيدن عن هذه الفترة يقول أنه «تجمعت لدينا من كل المصادر السرية، وغيرها معلومات عن نشاط المصريين فى أنحاء الشرق الأوسط، فى ليبيا

والأردن، والعراق، و فى كل مكان كـان صوت العرب ينشر العـداء ضد الغرب، وضد أذناب الاستعمار، كما كان يسمى أصـدقاءنا وذلك فى نفس الوقت الذى كانت تطلب منا فيه الأموال لبناء السد».

وكان هناك شرط آخر هام وجوهرى، وجدت أمريكا أن الحاجة إلى تمويل السد العالى أحسن وقت لفرضه...

الشرط الذى كتبه هربرى همفرى وكيل الخارجية الأمريكية بخط يديه يقضى بأن يكون. «السد مقابل الصلح» مع إسرائيل.

وفى هذا الوقت أعلن «بن جـوريون» أنه لابد أن يقـابل عبـد الناصـر وجهـا لوجه، وأن أية مفاوضات للصلح مع مصر، لابد أن تكون علنية ومباشرة، وحمل هذا الشرط روبرت اندرسون مبعوث ايزنهاور إلى عبد الناصر.

ورفض عبد الناصر فورا.

وظهرت نتيجـة هذا الرفض فى تعليقات الصحف الأمريكية، «اخـتفى مشروع السد العالى من أية مناقشات فى وزارة الخارجيـة بعد فشل محاولة أندرسون» «ما دمنا لم نستطع شراء الصلح الإسرائيلى مقابل السد فقد مات الحماس».

□□□

كانت زيـارة شبيلوف وزيـر خارجيـة الاتحاد السـوفيـتى لمصر فـرصة لإطلاق إشاعات أنه قادم إلى مصر لتوقيع اتفاق بناء السد العالى.

وطار يوجين بلاك، مـدير البـنك الدولى إلى مـصـر فى يونيـو سنة ١٩٥٦ ويروى عبد الناصر بعض أسرار هذه المقابلة فى خطابه يوم ٢٦ يوليو بالإسكندرية، وهو الخطاب الذى أعلن فيه تأميم القناة

«وحيـنما وصل يوجين بلاك، وهو مـدير البنك الدولى، وبدأ يتكلم مـعى فى تمويل السـد العالى، قـال إننا بنك دولى، ولسنا بنكا سـياسـيا، وليس لى شـأن بأمريكا فأنا مستقل وأقول الرأى الذى أومن به.

وقلت له: كيف يكون مجلس الإدارة ممثلا لدول، ولا يكون سياسيا، فمجلس الإدارة أغلبه من الدول الغربية السائرة فى فلك أمريكا.

«وابتدأت أنظر إلى مستر بلاك، وهو جالس على الكرسى وكنت أتخيل أننى أجلس أمام «فردينان دى لسبس».

وعاد بى تفكيرى إلى الكلام الذى كنا نقرؤه ففى عام ١٨٥٤، وصل إلى مصر فرديناند دي لسبسبس وذهب محمد سعيد باشا الخديوى، وجلس بجانبه وقال له نريد أن نحفر قناة السويس، وهذا المشروع سيفيدك فائدة لا حد لها. فهو مشروع ضخم وسيعود على مصر بالكثير.

وعندما كان بلاك يسترسل فى كلامه مع، كنت أحس بالعقد الموجودة فى الكلام الذى يقوله ويعود بى التفكير إلى «فردينان دى ليسبس».

ثم قلت له: نحن عندنا عقدة من هذه الموضوعات ونحن لا نريد أن نرى كرومر فى مصر ثانية ليحكمنا، عقدوا فى الماضى قروضاً، وفوائد على القروض، وكانت النتيجة أن احتلوا بلدنا فأرجو أن تضع هذا الاعتبار فى نفسك، وفى كلامك معى، فنحن عندنا عقدة من ديليسبس، ومن كرومر.. عندنا عقدة من الاحتلال الاقتصادى[1].

❑❑❑

فى نفس الوقت الذى كان فيه يوجين بلاك عائدا إلى بلاده طار السفير المصرى فى الولايات المتحدة الدكتور أحمد حسين إلى القاهرة لمقابلة عبد الناصر. ليعرف منه حقيقة الموقف، بالنسبة لبناء السد العالى..، وكان عبد الناصر فى برج العرب فى رحلة استجمام قبل سفره لحضور مؤتمر دول عدم الانحياز فى بريونى.

وفى برج العرب صحب عبد الناصر أحمد حسين فى سيارته إلى كابين بعيد عن الشاطئ وكانا وحدهما... وأخذ أحمد حسين يشرح موقف امريكا وهو موقن بأنها سوف تبنى السد العالى... ولكن عبد الناصر كان عند رأيه بأن أمريكا لن تمول بناء السد العالى.

---

(١) كانت كلمة السر هى «فريدنان دى ليسبس»، بحيث عندما يرددها جمال عبدالناصر فى خطابه، المذاع على الهواء فإن الفرق المختلفة تتحرك للاستيلاء على قناة السويس، وتستردها لصالح مصر.

كان أحمد حسين واثقا من النوايا الأمريكية إلى أقصى حد بينما كان عبدالناصر متشككا فى هذه النوايا، وأخيرا حسم عبد الناصر الموقف قائلا:

- اذهب إلى دالاس وأخبره أننا وافقنا على كل شـروطه وعليه أن يقوم بتمويل السد.. وفى نـفس اللحظة التى دخل فيـها أحمـد حسين مـبنى وزارة الخارجـية الأمريكية ليلتقى «بدالاس» ويبلغه موافـقة مصر على كل شروط أمريكا، فى نفس هذه اللحظة كان المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية الأمريكية يصدر بيانا يعلن فيه سحب العرض الأمريكى بمساعدة مصر فى بناء السد العالى.

وقد روى «جـورج إلن» وكيل الخـارجية الأمـريكية بعـد ذلك تفـاصـيل هـذه المقـابلة قائلا: لقـد قرر «دالاس» أن يلـقن مصـر درسـا، وأن يكون هذا الدرس مدويا ومرعبا.

وأذاعت وزارة الخارجيـة الأمريكية مذكرة قـالت فيها أن تشك أنهـا فى مقدرة مصر على تخـصيص موارد كافية لـنجاح المشروع وهى أصبحت غيـر مؤكدة الآن أكثر منها فى أى وقت مضى».

❑❑❑

رفض الغرب تمويل مشروع السد العالي... وكان رد عبد الناصر جاهزا...

فقد كون لجنة منذ الشهور الأولى للثورة لدراسة مستقبل قناة السويس.

وتقول وثائق قناة السويس المؤممة أن وفـدا برئاسة «سابا حبشى باشـا» قد التقى بجميع المسئولين المـصريين بعد الثورة لإقناعهم بمد فترة امتيـاز شركة قناة السويس العالميـة الذى كان مقررا أن ينتـهى سنة ١٩٦٨ ، وأن اللجنة عندما التقت بجـمال عبد الناصر كان هو المسئول الوحيد الذى سمع وجهة نظر الأعضاء واستفسر منهم فى أمور عديدة حول القناة ولكنه لـم يبد رأيه.

الدكتور مصطفى الحفناوى الذى حصل على دكتوراه من باريس فى قناة السويس، وأمضى عمره يطالب بتأميمها، وكان عضواً بمجلس إدارة أول شركة مصرية للقناة بعد التأميم.. يقول إنه هو الذى وضع مشروع قانون التأميم، قال لى: أنه دعى لإلقاء محاضرة فى نادى ضباط الجيش فى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٢، وكانت المحاضرة حول قناة السويس وأنه فى نهاية المحاضرة وقف جميع الضباط الذين استمعوا إليه يرددون خلف جمال عبد الناصر قسما بأنهم سيعملون على أن تسترد مصر حقها فى قناة السويس عن طريق تأميمها.

❑❑❑

كانت الدراسات عن تأميم قناة السويس معدة ولكنها تنتظر التوقيت المناسب، وقد أعطى رد الغرب برفض تمويل بناء السد العالى لعبد الناصر هذا الوقت المناسب.

ويقول جمال عبد الناصر فى حديث له عندما سأله مندوب مجلة «لوك الأمريكية»: «هل كنتم ستستولون على القناة حتى لو ظلت عروض الولايات المتحدة وبريطانيا بمساعدتكم فى بناء السد العالى قائمة؟».

وكان رد عبد الناصر «لقد كنا ندرس مسألة تأميم القناة ولكننا لم نكن قد توصلنا إلى قرار فجعلتمونا أنتم نستقر على القرار».

وكانت الثورة قد انشأت سنة ١٩٥٣ مكتبا لأبحاث قناة السويس ملحقا برئاسة الوزارة.

وفى عام ١٩٥٤ وجه عبد الناصر رسالة إلى الشعب المصرى بمناسبة الذكرى الخامسة والثمانين لافتتاح قناة السويس قال فيها «ألم تكن القناة من الأسباب الرئيسية التى دفعت بالاستعمار إلى احتلال بلادنا بعد أن بيعت أسهم مصر فيها بأبخس الأثمان ؟؟.

ألم يتخذ الاستعمار من القناة ذريعة يسوغ بها بقاء الاحتلال، ومن الدفاع عنها سببا لربط مصر بالعجلة الاستعمارية.

«ذلك عهد سجلنا نهايته، وانقضاءه بحمد الله باتفاقية الجلاء».

ثم قال كلمات ذات معنى عميق وهى. «لقد كانت «مصر للقناة» ذلك هو الماضى، ولم تعد «مصر للقناة»... ذلك هو الحاضر... وسوف تكون القناة لمصر... ذلك هو المستقبل»...

وفى سنة ١٩٥٦ قبل تأميم القناة بشهور، وقبل زيارة يوجين بلاك القاهرة، نشرت مجلة المصور على غلافها عنوانا يقول: ماذا يقرأ عبد الناصر... وفى التحقيق الصحفى الذى نشرته المجلة قال عبد الناصر أنه يقرأ كتابا عن قناة السويس.

❑❑❑

ويقول على صبرى أن التأميم كان قد درس قبلها بسنوات، وكان الأمر ينتظر فقط الوقت المناسب لإعلانه، لقد كانت الاستعدادات لتأميم قناة السويس قد بدأت سنة ١٩٥٤ بعد توقيع اتفاقية الجلاء مباشرة.

ولقد كانت هذه العملية محصورة، فى أفراد يقل عددهم عن أصابع اليد الواحدة كان مطلوبا منهم أن يجمعوا المعلومات، ولكنهم لا يعرفون أسباب ذلك.

ولقد تمت عملية تموية كبيرة، فالمعلومات التى جمعت عن قناة السويس كانت تحت ستار التعبئة فى حالة الحرب وكانت تشمل جميع الأنشطة فى البلاد، جميع المصانع والورش، والنشاطات الاقتصادية، والشركات بما فيها شركة قناة السويس التى دخلت خضم حصر كبير وضخم لإمكانيات التعبئة فى حالة الحرب وفقا لقواعد تأمين البلاد.

في ١٤ يونيو ١٩٥٧

أعلن عبدالناصر تأميم شركة قناة السويس العالمية.

وأصبحت شركة مصرية خالصة.

وكانت الحجة البارزه والواضحة هى السد العالي.

ومن المفروض أن يبدأ العمل فى السد العالى.........

كان السد العالى مشروع بدأ عن طريق... وجيه أباظة

وكانت صفقة الأسلحة أعلنت فى معرض أقامه وجيه أباظة

ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد.

سوف تقوم حرب لاسترداد القناة......

وسيكون لوجيه أباظة أيضا دور آخر.

العدوان الثلاثى

لم يكن استرداد مصر للقناة عملا سهلا... لقد اقتضى أن تخوض مصر حربا لتؤكد حقها وحدها فى قناة السويس.

وكانت هذه الحرب بداية مرحلة جديدة فى العالم كله... وكانت أيضا بداية مرحلة جديدة من المد القومى العربى... كما كانت أخيرا بداية مرحلة جديدة فى حياة الشعب المصرى..

بعد العدوان الذى فشل استردت مصر القناة، وتأكدت زعامتها للعالم العربى، واستردت بقية مفاتيح الاقتصاد وبتمصير الشركات والمصالح الأجنبية.

وكان لوجيه أباظة دور بارز أثناء العدوان الثلاثى الذى تعرضت له مصر..

عندما كان جمال عبدالناصر يلقى خطابه الذى أعلن فيه تأميم قناة السويس، كان المصريون يستولون على مقر الشركة فى الإسماعيلية - وبورسعيد - والسويس والقاهرة.

وأعلنت فرنسا، وبريطانيا، أنهما ترفضان الاعتراف بقرار التأميم، وتقدمت انجلترا باحتجاج رسمى رفضته الحكومة المصرية، فاتخذت قرارا بتجميد الأرصدة المصرية لديها، وقدرها ١١٢ مليون جنيه. كذلك جمدت أمريكا أرصدة مصر لديها وهى ٦٠ مليون دولار.

واجتمع فى لندن وزراء خارجية الدول الثلاث: سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا - جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية - كرستيان بينو وزير خارجية فرنسا، للتباحث فيما يمكن أن يتخذوه من إجراءات، وأصدروا بيانا عارضوا فيه التأميم «لأن للقناة ذات صفة دولية» وأن تأميمها يمثل انتهاكا لحقوق الإنسان بسبب إرغام الموظفين على العمل تحت التهديد، وهو البيان الذى هدد باتخاذ عقوبات عسكرية اقتصادية ضد مصر.

وقال وزير خارجية فرنسا: أنه إذا لم توافق مصر على بيان الوزراء الثلاثة، فسوف تتخذ الاجراءات الكفيلة بردعها.

وقررت الحكومة البريطانية - ٢ أغسطس - دعوة الاحتياطى.. بسبب حالة الطوارئ.. وحركت فرنسا أسطولها فى البحر المتوسط إلى جهة غير معروفة.

ورفضت مصر البيان الثلاثى، وقالت إن ما اقترحه من تأليف لجنة دولية لإدارة القناة يمثل استعمارا دوليا، ورفضت حضور مؤتمر لندن الذى اقترحه بيان الدول الثلاث لتحضره الدول التى لها مصلحة حيوية فى القناة.

وفى المؤتمر قدم دالاس وزير خارجية أمريكا مشروعا بتدويل القناة، بإدارتها بواسطة مجلس إدارة دولى، وأن تفصل إدارته عن السياسة القومية.

وشكل المؤتمر لجنة خماسية يرأسها «روبرت مانزيس» رئيس وزراء استراليا لعرض الآراء التى أبديت فى المؤتمر على جمال عبدالناصر.

ولم يوافق جمال عبدالناصر على ما توصل إليه المؤتمر، وعندما رفضت مصر قرارات مؤتمر لندن، ومقترحات دالاس وفشلت اللجنة الخماسية المكونة من مندوبين عن أمريكا - السويد - إيران - أثيوبيا - برئاسة ماتريس، طُلب إلى المرشدين ترك العمل فى القناة والانسحاب، كخطوة لعرقلة الملاحة..

وفعلا انسحب المرشدون الأجانب، لإظهار عجز المصريين عن إدارة القناة.

ولكن القناة لم تتوقف فقد كان هناك توقع لاتخاذ هذه الخطوة، لذلك تم إعداد طاقم كامل من المرشدين المصريين، واليونانيين، واليوغوسلاف والروس والألمان، عينتهم الإدارة المصرية.

وذهبت بريطانيا وفرنسا إلى مجلس الأمن، لبحث الموقف..

وكان ذلك مخططا للتغطية على الاستعداد للحرب، وتوصل مجلس الأمن إلى عدة مبادئ منها: أن يكون عبور القناة حرا، ومباحا لكل دول العالم.

- احترام سيادة مصر.

- عزل إدارة القناة عن سياسة أى دولة.

- تقرير طريقة تحديد الرسوم بين مصر والدول التى تستخدم القناة.

- تحديد نسبة عادلة من رسوم القناة لتحسينها.

- عند حدوث نزاع بين الشركة السابقة وبين الحكومة المصرية يحل عن طريق هيئة للتحكيم.

وكان هذا انتصاراً لمصر.

قال على أثره همرشلد للدكتور محمود فوزى «إنهـا نتيجة ممتازة، فبعدما أنهى البريطانيون استعدادتهم العسكرية ضدكم مر القطار وفاتت المحطة».

وعلى حد تعبير مـحمد حسنين هيكل فقد كان همرشلد مـخطئا، فالقطار كان على وشك دخول المحطة.

❑❑❑

يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، تحركت القوات الإسرائيلية نحو سيناء، وتحركت القوات المصرية لمواجهتها.

وبدأت معارك فى رفح، وفى أبو عجيلة.

فى نفس الوقت استدعى كل من سفـير مصر فى لندن وسفير مـصر فى فرنسا إلى وزارتى الخارجية الإنجليزية، والفرنسية وسلما إنذارا بطلب من مصر وإسرائيل أن يوقـفا إطلاق النـار وأن تنسـحب الـقـوات عشـرة أميال من كل جـانب على طرفى القناة.

ويطلب من مصر القبول باحتلال القوات الإنجليزية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بورسعيد والإسماعيلية والسويس.

وأن يتم ذلك خلال ١٢ ساعة.

فإذا لم يتم ذلك، فإن الـقوات الإنجليزية والفرنسيـة ستتدخل بأية قـوة لحماية الملاحة فى قناة السويس.

بدأت تنفضح أبعاد المؤامرة.. وهكذا.

وقرر عبـدالناصـر أن يرفـض الإنـذار تماما، ويعلن أن مصر لن تـقبل ما جـاء فى الإنذار.

وذهب إلى الأزهر، ووقف فوق منبره يعلن أننا سنقاتل ولن نسلم أبدا.

ولجأت مصر لمجلس الأمن لوقف العدوان، ولكن انجلترا وفرنسا استخدمتا حق الفيتو ضد اقتراح وقف العدوان.

وقدم همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة استقالته «لأن مبادئ الأمم المتحدة أهم من سياسة أى دولة» على حد ما جاء فى الاستقالة التى لم تقبل.

واقترح مندوب يوغوسلافيا دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى اجتماع عاجل، وعارضت انجلترا وفرنسا وتمت الموافقة على الاقتراح بالأغلبية.

وقررت الجمعية العامة «وقف إطلاق النار فورا وانسحاب القوات الأجنبية من الأراضى المصرية، وانسحاب القوات المصرية من الأراضى الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدانة.

ومنع الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة من إرسال عتاد حربى إلى الشرق الأوسط واستئناف الملاحة فى قناة السويس وضمان سلامتها.

❑❑❑

ولم يتوقف العدوان، وأعلن «أيدن» أنه يرفض القرار ولن ينفذه.

واشتدت الغارات الجوية على مدن مصر رغم القرار، مما دفع «انتونى ناتنج» وزير الدولة البريطانى إلى الاستقالة، وشارك فى المظاهرات التى سارت فى لندن تندد بالعدوان البريطانى.

ووجه بولجانين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى إنذارا إلى بريطانيا وفرنسا، قال فيه «إنهما قد تستهدفان هجوما من دولة أقوى منهما، تستطيع أن تضربهما لا بالسفن، ولا بالطائرات ولكن بالصواريخ.

وأخيرا استجابت الدول المعتدية لقرار الأمم المتحدة، وتم إيقاف إطلاق النار.

وكانت الصورة على الجبهة الداخلية فى مصر مختلفة تماما..

يقول ثروت عكاشة الملحق العسكرى لمصر فى فرنسا فى ذلك الوقت أنه كان يتابع بدقة الحشود العسكرية وتحركاتها والموقف السياسى فى فرنسا، وكان يبلغ عبدالناصر بكل المعلومات أولا بأول، وأنه تمكن من الحصول على تفاصيل خطة العدوان الثلاثى على مصر، وأبلغها إلى جمال عبدالناصر عن طريق الملحق

الصحفى المصرى فى السفارة برسالة شفوية، فقد خاف أن يكتب رسالة فتتسرب إلى إية جهة، وتلقى عبدالناصر أيضا تقريرا من الملحق العسكرى فى تركيا، وكان صلاح سالم قد عاد من لندن يحمل المعلومات نفسها.

ومع كل هذه التقارير فإن احتمالات اشتراك إسرائيل فى الحرب ظلت تبدو بعيدة.

❑❑❑

مساء ٢٩ أكتوبر، أى فى يوم تحرك القوات الإسرائيلية، عقد عبدالناصر اجتماعا عاجلا فى مبنى القيادة العسكرية المشتركة فى مصر الجديدة حضره عامر والبغدادى وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى، وقرر المجتمعون استخدام القوات الجوية لمواجهة قوات العدو الإسرائيلى عند ممر متلا.

ويقول عبداللطيف البغدادى «أن صدقى محمود رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية كُلف بضرب تلك القوات التى أنزلت عند الممر، وكذلك مطارات العدو فورا، ولكن ظهر عليه الاضطراب والارتباك وأبدى أن هناك بعض الصعوبات التى تعترض قيام الطائرات القاذفة بعملياتها فورا، بحجة عدم توافر الوقود اللازم لها فى مطار غرب القاهرة، وهو القاعدة الخاصة بقاذفات القنابل، ولما كانت القاعدة العامة المأخوذ بها هى ملء خزانات الطائرات بالوقود يوميا بعد انتهاء طيرانها اليومى، لذا اقترحت عليه أن تقوم الطائرات بالمهمة المطلوبة منها، فى تلك الليلة بما تحمله فى خزاناتها من وقود، على أن تتخذ الإجراءات اللازمة فى الوقت نفسه ليتم توافر كميات الوقود الضرورية فى الصباح مصرحا بأنه غير مرتاح إلى صدقى للاضطراب الذى ظهر عليه، وطلب منى عبد الحكيم عامر المساعدة فى الإشراف على القوات الجوية.

ويقول البغدادى: أنه أحس أن عبدالحكيم عامر غير راض عن قرار عبدالناصر بإشرافه على القوات الجوية لأن عبدالناصر قال له «اعمل وكأنك رأيت أن تمر عليهم بالقوات الجوية كزيارة لهم عند ذهابك إلى منزلك».

وهكذا كان عبـدالناصر يتجه منذ اللحظة الأولى فى العدوان إلى تغـيير صدقى مـحمود قائد القـوات الجوية الذى ظل فى موقعـه إلى بعد هزيمة ١٩٦٧، وحوكم وأدانته المحكمة بالإهمال خلال العدوان الإسرائيلى الذى انتهى بالهزيمة.

كان عبـدالحكيم يدير معركة سـيناء بحالة عصبيـة عـلى حـد رواية البغـدادى الـذى يصور إدارة عامـر لمعركة سنة ١٩٥٦ وكأنها إحـدى المعارك التى نراها على شـاشة التليفزيون...

القائد يتصرف بعـصبيته ويريد أن يحقق نصرا سـريعا، ووسيلته إلى ذلك دفع مزيد من القوات إلى المعركة. وكلما تأخر سماعه نبأ النصر الذى كان يتعجله يدفع إلى المعركة بقوات جديدة!

عندمـا وصل الانذار البـريـطانى الفـرنسي. ووقع حـدثان هـامـان، أغـفل الكثيرون تفاصيلهما.

الأول أن صلاح سالم لم تتحمل أعصـابه الإنذار الذى وجه إلى مصر، وكان من رأيه أن أعضاء مجلس الثورة قد أدوا دورهم وأن عليهم أن يستسلموا.

واقترح أن يذهب جمال عبدالناصـر إلى السفير البريطانى «تريفيان» وأن يسلم نفسه. ولم يعجب هذا التردد عبدالناصر الذى هاجم صلاح واتهمه بالجبن - على حد رواية صلاح نصر - ولكن صلاح سالم لم يتحمل هذا الاتهام القاسى.

وعندما دخل جندى المراسلة حاملا إليهم فناجين القهوة استوقفه صلاح سالم - على حـد رواية صلاح نصـر لى - وطلب منه أن يخلع ملابسـه العسكريـة فورا أمامهم. واستسلم الجندى، ونفذ الأمر صاغرا.

ولا أحـد يدرى لماذا فـعل صـلاح سالم ذلك ولـكنهم سـرعـان مـا تبـينوا الحقـيقـة عندما خلع صلاح سالم أيضا ملابسـه المدنية، وارتدى ملابس الجندى، وانطلق إلى السويس.

وصدر قرار بتعيينه مسئولا عن المقاومة الشعبية فى منطقة السويس. وكان أول عمل قام به أن أغرق ٦ سفن كانت تحمل أسمنتاً فى القناة، وبذلك استحالت الملاحة فيها فقد تم إغلاقها.

الحدث الثانى: أن بعض رجال الأحزاب السابقة على الثورة كانوا قد اجتمعوا، وقرروا أن يوجهوا رسالة إلى عبدالناصر يطلبون إليه أن يسلمهم زمام الأمور، فهم أقدر على التفاهم مع الإنجليز والفرنسيين، وإنقاذ البلاد مما أوصلها إليه العسكريون.

وكانت مشكلتهم فى اختيار من يعلق الجرس فى رقبة القط، أى من يذهب إلى عبدالناصر، ويخبره بهذا القرار، ويتقدم إليه بمطلبهم.

وعندما وصلت إلى عبد الناصر أنباء هذه الاجتماعات عن طريق سليمان حافظ، اعتبرهم دعاة استسلام، وقال أنه سوف يأمر بإطلاق الرصاص فى حديقة مبنى مجلس الوزراء على أى شخص يأتى إليه طالبا منه الاستسلام.

وصدر قرار باعتقالهم كما صدر أيضا قرار باعتقال اللواء محمد نجيب الذى رددت الإذاعات المعادية، أنهم يستعدون لتنصيبه رئيسا عند نجاح خطة الغزو، وكان سليمان حافظ أيضا قد طلب فى لقاء مع البغدادى أن يتنحى عبدالناصر، ويتولى محمد نجيب المسئولية بالتعاون مع رجال الأحزاب السابقين حتى يتمكنوا من التفاهم مع الغزاة وكان ذلك أيضا مطلب الإنجليز وفقا لما أذيع وما نشر بعد ذلك..

ويقول البغدادى أن عامر تضايق من الحرب وقال لعبدالناصر «أن الاستمرار فى المعركة سيترتب عليه تدمير البلاد وقتل الكثرين من المدنيين، والشعب سيكره النظام والقائمين عليه وأنه يفضل تفاديا لهذا التدمير أن نطلب إيقاف القتال».

وقد أعاد ترديد هذا الرأى أمام البغدادى الذى صدم «وناقشته فى ضرورة أن نكسب بشرف أو نخسر بشرف».

وكان جمال عبدالناصر قد أعلن على حد رواية البغدادى أنهم لن يسلموا أبدا ومن الأشرف «أن ننتحر جميعا».

وطلب من زكريا محيى الدين إحضار عدد من زجاجات السم (سيانور البوتاسيوم) تكفى لعدد أعضاء مجلس الثورة لاستخدامها عند الهزيمة.

وذهب كمال الدين حسين إلى الإسماعيلية ليقود المقاومة الشعبية من هناك. وقال عبدالناصر للبغدادى «إننى سوف أذهب إلى بورسعيد أقاتل مع الناس هناك» ولكن البغدادى أصر على أن يصحبه. وطلب البغدادى أن يبلغ عامر بقرار سفرهما إلى بورسعيد حتى لا يفجأ به وهو قائد الجيش.

وقال لى كمال الدين حسين: إن عبدالناصر بكى عندما رأى تنظيم وحماس قوات الدفاع الشعبى فى الإسماعيلية، وبعد أن تفقد هذه القوات، قرر استئناف رحلته إلى بورسعيد، إلا أن كمال الدين حسين ألح عليه أن يقضى الليل فى الإسماعيلية وأن يذهب إلى بورسعيد مع أول ضوء نهار.

ونام عبدالناصر والبغدادى على سرير واحد صغير هو سرير كمال الدين حسين فى مبنى قيادة قوات الدفاع الشعبى. ولكنه سرعان ما أيقظهما بعد ساعات ليقول لهما أن القوات المعتدية أنزلت جنود المظلات فى بورسعيد - يوم ٥ نوفمبر - فى مطار الجميل، وعند كوبرى الرسوة وفى منطقة المقابر.

وتكبد فوج المظليين الأول خسائر جسيمة إلا أن العدو عاد وأنزل جنودا آخرين. ونصحهما كمال الدين حسين بالعودة إلى القاهرة وعدم الذهاب إلى بورسعيد.. واستجابا للنصيحة وعادا..

❑❑❑

وكان عبدالناصر قد اتخذ قرارا بسحب القوات المصرية من سيناء، بعد أن تأكد أن الهدف هو تطويق القوات المسلحة والقضاء عليها عن طريق انزال قوات عسكرية فى منطقة القناة.

وصدر قرار الانسحاب ـ وهو قرار صائب ـ صلاح نصر هو الوحيد الذى قال لى أن عامر هو الذى اتخذ هذا القرار بالانسحاب، بينما يرى أمين هويدى أن عبدالناصر هو الذى اتخذ القرار مما كان له أثر على نفسية عامر الذى اتخذ قرار الانسحاب عام ١٩٦٧، بناء على القرار السابق لعبدالناصر.

ويقول البغدادى الذى لم يكن يفارق جمال عبدالناصر فى تلك الفترة أن عبدالناصر هو الذى اتخذ قرار الانسحاب عام ١٩٥٦.

ويقول كمال الدين رفعت أن عبدالناصر اتخذ قراره بانسحاب القوات المسلحة من سيناء بعد افتضاح مؤامرة الدول المعتدية الثلاث حتى لا يقع الجيش المصرى فى مصيدة خطتهم .

وعندما أصدر هذا القرار أسرع عبدالحكيم عامر بسحب القوات إلى الدلتا لتكون فى مواجهة القوات البريطانية إذا ما تقدمت إلى القاهرة، ونقل قيادات القوات إلى الزقازيق بدلا من الإسماعيلية.

وكانت فكرة عبدالناصر تقضى بالانسحاب من سيناء، والدفاع عن القناة، وأوكل الدفاع عن الإسماعيلية إلى كمال الدين حسين.

❑❑❑

كانت حرب ١٩٥٦ نصرا سياسيا بكل المقاييس رغم أن القوات المسلحة لم تؤدى واجبها كما تقضى الأصول والتقاليد العسكرية. الأمر الذى أدى إلى طرد الضباط الأربعة المسئولين عن قيادات القوات المختلفة فى بورسعيد. وفشل العدوان الثلاثى فى تحقيق أهدافه، فلا هو أسقط النظام، ولا هو أعاد القناة ولا أوقف بناء السد العالي.

❑❑❑

بعدها - وفى ٢٠ نوفمبر أعلن فى بريطانيا أن أيدن يعانى من إرهاق شديد، وأنه سوف يعتزل. . وهكذا سقط أيدن. .

أما جى مولبيه رئيس وزراء فرنسا فقط سقط بعد ذلك. وفى ديسمبر تم انسحاب القوات المعتدية، وكانت قد تعرضت لمقاومة شعبية باسلة فى بورسعيد التى احتلتها ، . . . كما اضطرت إسرائيل إلى الانسحاب أيضا . .

وكانت حرب السويس حدا فاصلاً، بين عهدين فقد أنهت التدخل العسكرى الاستعمارى فى العالم كله، وفشل العدوان فى تحقيق أهدافه، وتحقق انتصار سياسى لمصر.

وتوحد العرب فى هذه المعركة التى شارك فيها الشعب العربى كله والتهب حماسهم ووقف العالم كله مع مصر، ومع زعامتها التى بدأت تبرز على المستوى العالمي.

وكان للعمال العرب دور بارز سواء فى المقاطعة أو فى رفض تفريغ السفن للدول المعتدية حتى فى موانى أوروبا، أو بنسف أنابيب البترول . .

❑ ❑ ❑

وبدأ عبدالناصر مرحلة جديدة من الصعود، فقد أصبح زعيما عربيا، وضرب النموذج لكل الدول الصغيرة ولحركات التحرر فى التصدى للاستعمار.

وكان من أبرز نتائج هذه الحرب التى أكدت استرداد مصر للقناة، أن الثورة قامت بتمصير المصالح الأجنبية فقد اتخذت قرارات تمصير الاقتصاد، بدءا من مصالح الدول المعتدية.

❑ ❑ ❑

كان وجيه أباظه مسئولا عن إعلام الثورة فى هذه المرحلة الحاسمة.

وكان للإعلام دور واضح ومؤثر فى تعبئة الشعب.

وكان له دور أيضا فى إرسال فدائيين إلى منطقة القناة . .

إلى بورسعيد بالذات . .

ودارت ملاحم فدائية رائعة . . لم يكن وجيه أباظه بعيدا عنها.

الديمقراطية

قضية الديمقراطية مع الثورة، قضية طويلة، ومعقدة.. نلقي بعض الأضواء عليها من خلال مسيرة الحياة الديمقراطية، منذ عرفت مصر الحياة النيابية.. حتى قام أول برلمان في عهد الثورة...

والحكاية طويلة، وتختلف فيها الآراء، ومن التعسف منافشتها خلال صفحات محدودة، ولكننا سوف نتعرض بسرعة لهذا الموضوع الشائك...

فبعد ساعات من طرد الملك، توجه إلى ثكنات مصطفى باشا بالإسكندرية ـ مقر قيادة الثورة، وفد من السياسيين برئاسة لطفى السيد يمثلون المستقلين وحزبى السعديين والدستوريين، وكان الوفد يضم الباشوات محمد حسين هيكل، إبراهيم عبدالهادي، بهى الدين بركات، دسوقى أباظة، والتقوا بقادة الثورة مهنئين وقدموا تمنياتهم الطيبة.

وكان مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد، وفؤاد سراج الدين سكرتيره العام يمضيان إجازة الصيف فى أوربا كعادتهما كل عام، وعندما عادا يوم ٢٧ يوليو بعد رحيل الملك، التقيا على الفور بالقائد العام لأن «أول واجب رأيت أن أقوم به هو زيارة محرر الوطن» على حد تعبير النحاس باشا!

فى يوم ٢٨ يوليو التالى اجتمعت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار، وقررت إعادة انتخاب جمال عبدالناصر رئيساً لمجلس قيادة الثورة.

وكان جمال عبدالناصر قد قدم استقالته من رئاسة الهيئة التأسيسية بعد نجاح الثورة معتبراً أن الثقة التى منحها له الضباط لرئاسة التنظيم الذى يقوم بالثورة. قد انتهت بانتهاء المهمة الأساسية للتنظيم، وهى القيام بالثورة.

وقد قامت الثورة، ونجحت فى طرد الملك كما كان مخططاً من قبل، وقال لى كمال الدين حسين أنه ليلة الثورة. وهو يواجه بعض ضباط الملك، قال لهم بانفعال إن هذه ثورة، وأن هدفها طرد الملك، «ولقد كان فى ذهننا دائماً الثورة العرابية، وفشل أحمد عرابى فى تحقيق أهداف الثورة عندما توسم أن الخديوى يمكن أن يستمر، ويحدث التغيير المطلوب»!

فى هذا الاجتماع للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار طرحت قضية الديمقراطية ومسيرة الحكم فى الفترة المقبلة.

وكان هناك تيار يرفض الديمقراطية إلا بعد تطهير الحياة السياسية، وتحقيق الثورة أهدافها، وكان هناك تيار يؤيد الديمقراطية على رأسه جمال عبدالناصر.

ويقول أنور السادات «البحث عن الذات ص ١٥٨» «أننا تعودنا فى العسكرية على سرعة الإنجاز»، هذا إلى جانب الهدف الرئيسى الذى قامت الثورة من أجله، وهو إصلاح أحوال البلاد فى أسرع وقت، وطرح الموضوع للمناقشة والحقيقة والتاريخ أصر جمال عبدالناصر على رفض الديكتاتورية لأنه كما وصفه هو طريق

الدم، والعمل الذى يبدأ بدم لابد أن ينتهى بدم، وقال إنه يفضل ألف مرة إعادة البرلمان الحزبى القديم وتسليم مقاليد الأمور للأحزاب برغم الرفض المطلق من جانب الشعب على أن نلجأ الى أسلوب الديكتاتورية فكيف نخرج البلاد من ديكتاتورية الأحزاب لندخلها فى ديكتاتوريتنا.

وانتهى النقاش بأخذ الأصوات فكانت النتيجة ٧ ضد واحد وهو عبد الناصر.. سبعة أصوات مع الديكتاتورية وصوت واحد من الديمقراطية هو جمال عبدالناصر..

وأعيد التصويت مرة ثانية، وكانت نفس النتيجة .. واستقال جمال عبد الناصر .. وذهبوا اليه،وقرروا أن يأخذوا بوجهة نظره ، باختيار الطريق الديمقراطى».

❑ ❑ ❑

كانت الديمقراطية هى القضية الأولى التى حاولت الثورة فى أيامها الأولى التصدى لها.. وكان الاتجاه هو أن يعهد إلى حزب الوفد ، وهو حزب الأغلبية فى ذلك الوقت يتولى السلطة .. وبعد خروج الملك بأربعة أيام طالبت الثورة الأحزاب بتطهير صفوفها وأن تعلن برامج واضحة، ومحددة . .

ولم تكن للأحزاب من قبل أية برامج مكتوبة، فقد قامت على أساس تكتلات من المصالح والأهداف المتعارف عليها بين مؤسسى الحزب، وأغلبها انشق على حزب الوفد، لأسباب مختلفة.

وأعلنت الثورة أنها ستجرى انتخابات للبرلمان فى شهر فبراير بعد أن تكون الأحزاب قد طهرت نفسها..

وتظاهرت الأحزاب بأنها استجابت لدعوة الثورة ، وبدأت الصراعات لتصفيات على أسس شخصية .

قرر «الوفد» فصل اثنى عشر عضوا من أعضاء الهيئة الوفدية الثانويين.

وقال الحزب السعدى إن رئيسه إبراهيم عبد الهادى تنحى وكذلك وكيله حامد جوده. وفيما بعد أعلن الاثنان عدم تنحيهما . .

وقال حزب الأحرار الدستوريين انه لا يحتاج إلى تطهير.

❑ ❑ ❑

عقد جمال عبد الناصر أربعة اجتماعات مع فؤاد سراج الدين سكرتير عام حزب الوفد لإقناعه بقانون الإصلاح الزراعى ، قبل أن يصدر.

ورفض حزب الوفد القانون، ووضع مقترحات بديلة، فيما اذا كان الهدف هو الحصول على أموال للخزينة العامة، فإن فرض الضرائب التصاعدية يحقق هذا الغرض.

وكان فكر ضباط الثورة أن يحققوا العدل الاجتماعى، وأن يقضوا على الاستعمار. . ولم يكن ذلك ممكناً بدون مواجهة أعوانه وطبقة كبار الملاك التى خلقها لتكون عوناً وركيزة له. .

لذلك كان تحديد الملكية الزراعية. ، خطوة هامة، ليس فقط على طريق مواجهة الاستعمار، وأيضا تحقيق العدل الاجتماعى بتوسيع قاعدة الملكية الزراعية. وتقليم أظافر الإقطاع. .

وكانت آراء المصلحين الاجتماعيين، وبعض السياسيين قد ارتفعت فى وقت مبكر تطالب بتحديد الملكية الزراعية كخط على طريق الإصلاح الاجتماعى. .

وكان مستحيلاً أن توافق الأحزاب القائمة على تحديد الملكية. . .

ورفض الوفد العودة للحكم على هذا الأساس، بل إن الوزارة التى جاءت بها الثورة برئاسة على ماهر باشا استجابت لنداء كبار الملاك، وبدأت تراوغ فى إصدار القانون. .

واتخذت الثورة ثلاث إجراءات .

ففى يوم ٧ سبتمبر شكلت وزارة جديدة برئاسة محمد نجيب، بعدها بيومين وفى يوم ٩ سبتمبر أصدرت قانونين فى وقت واحد . .

الأول بتحديد الملكية الزراعية بمائتى فدان للأسرة، ومائة فدان للأبناء.

والثانى بتنظيم الأحزاب السياسية وأن على كل من يريد أن يقدم حزباً أن يتقدم لوزير الداخلية وللوزير الحق فى الاعتراض من خلال شهر وفى حالة الاعتراض يعرض الأمر على القضاء الإدارى ليفصل فى الطلب خلال جلسة تحدد بعد أسبوعين.

وقدم عبد السلام جمعة إخطار حزب الوفد، فقد تنحى مصطفى النحاس عن رئاسة الحزب الفعلية، وتحول إلى رئيس فخرى. .

وتقدمت أوراق ١٦ حزباً سياسياً، ليس من بينها الإخوان المسلمون الذين كتبوا إقراراً بأنهم لا يعملون بالسياسة وأنهم جمعية دينية فقط.

وقدم إبراهيم دسوقى أباظة قضية لمحكمة القضاء الإدارى لأن سليمان حافظ وزير الداخلية اعترض عليه، كما اعترض على الرياسة الشرفية لمصطفى النحاس لمخالفتها لقانون الأحزاب، واعترض كذلك على عضوية عبد الفتاح الطويل لحزب الوفد. .

وفى منتصف عام ١٩٥٣، أعلن حل الأحزاب السياسية، وفترة انتقال لمدة ثلاث سنوات تنتهى من منتصف يناير ١٩٥٦ حتى تتمكن الثورة من إقامة حكم ديمقراطى دستورى.

وشكلت لجنة لوضع دستور جديد بين خمسين عضوا يمثلون مختلف الاتجاهات والأحزاب والطوائف، وأعدت هذه اللجنة تقريراً قالت فى نهاية بالنص بعد أن استعرضت موضوع نظام الحكم من جميع جوانبه . . «لذلك رأت اللجنة بإجماع الآراء ترك النظام الملكى، والأخذ بالنظام الجمهورى، ويسرها أن تتلاقى فى هذه

النتيجة مع ما تحس أنه هو الاتجاه الشعبى الواضح، على أنها مع ذلك ترى استفتاء الشعب للتعرف على رأيه فى هذه المسألة الجوهرية».

وأعلنت الجمهورية فى يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ بقرار من مجلس قيادة الثورة.

فى الموعد المحدد لانتهاء فترة الانتقال صدر الدستور، ونص على إجراء استفتاء عليه وعلى رئاسة الجمهورية فى يونيو ١٩٥٦ على أن يعمل به من تاريخ الموافقة عليه.

وصدر أول قانون للانتخاب بعد الثورة ، خفض من الناخب إلى ثمانى عشرة سنة حتى يتاح للشباب أن يسهموا فى الحياة السياسية، وأعطى المرأة حق الانتخاب، وكذلك أفراد القوات المسلحة، فى خطوة لتوسيع قاعدة المشاركة السياسية وكما نص على إنشاء مجلس أمة يتكون من ٣٥٠ عضواً منتخبا عن كل دائرة نائب واحد..

ونص الدستور أيضا على أن «يؤلف المواطنون اتحاداً قومياً للعمل على تحقيق الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ، ولحث الجمهور لبناء الأمة بناء سليماً من النواحى السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية».

وأجرى استفتاء على الدستور، على رئاسة جمال عبد الناصر للجمهورية يوم ٢٣ يونيو وكانت نسبة الموافقين ٩٧٪ على الدستور وعلى الرئاسة ٩٩٪ .

ويرى المؤرخ عبد الرحمن الرافعى[(١)] أن هذه النسبة طبيعية ومنتظرة لأن الاستفتاء العام حدث بعد تمام جلاء الاحتلال عن أرض الوطن إذ تم الجلاء يوم ١٣ يونيو ٥٦ فكان طبيعياً أن ينتخب الشعب جمال عبد الناصر بعد الجلاء رئيسا للجمهورية فهو بطل الجلاء، وهو روح الحركة وزعيمها، وهو الملهم والموجه لها الى السير فى طريق التوفيق، والسداد، فلا غرو أن يكون انتخابه للرئاسه شبه إجماعى».

---

(١) ثورة يوليو ـ عبدالرحمن الرافعى.

بعد الاستفتاء على رئاسة الجمهورية بشهر واحد فقط، أصدر قراره التاريخى بتأميم شركة قناة السويس يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦.

وبذلت محاولات كثيفة للعدول عن قرار التأميم واعادة القناة إلى فرنسا وانجلترا باءت هذه المحاولات جميعها بالفشل إزاء الرفض القاطع لمصر الثورة، حتى كان العدوان الثلاثى الذى استهدف استرداد القناة، ولكنه لم ينجح فى تحقيق أهدافه. وكان من جراء هذه الأحداث، تأخير إجراء انتخابات مجلس الأمة بعد الثورة.

❑ ❑ ❑

كان وجيه أباظة قد انتخب سكرتيراً عاماً للاتحاد القومى فى مديرية الشرقية وابتعد عن العاصمة، واتخذ له مكتباً فى مدينة الزقازيق عاصمة المديرية.

وكعادته بدأ مهمته الجديدة بنفس الحماس المتأجج فى شخصيته طوال حياته..

الزقازيق نصف مدينة، ونصف قرية، يختلط فيها الريفى بالحضرى، ونظام الحكم المحلى لم يكن قد طبق بعد..

وهى مجموعة أحياء ريفية متناثرة، وقلب المدينة حيث المجلس البلدى هو المنطقة المتحضرة فيها..

ولم يكن لدى وجيه أباظة سكرتير الاتحاد القومى، والمسئول عن التنظيم السياسى فى الشرقية أية سلطة تنفيذية.. ولا أية اعتمادات مالية..

ولكنه بدأ يرفع صوت الناس مطالباً بحل المشاكل التى تعترضهم والتى بذل جهداً فى جمعها وفى حصرها..

وهذه الفترة أعطته مزيداً من الرؤية السياسية الناضجة من خلال احتكاكه بالجماهير احتكاكاً مباشراً.

وهكذا بدأ مرحلة جديدة فى حياته، هى العمل السياسى بين الناس، ووسطهم ومن أجلهم.

ورصد مشاكل المحافظة وطاف بقراها، وعقد المؤتمرات واستمع إلى كل الفئات.

ولم يكن هو غـريباً على المحـافظة، فهو ابـنها ، كمـا أنه لم يكن غريبـاً على مشـاكلها ولكنه احـتاج للدراسة حـتى يتمكن من وضع المشـاكل على الورق بكل أبعادها وتفاصيلها. .

كان وجيه أباظة هو رجل الثورة. . . فى مديرية الشرقية. .

وكان هناك من بين الـقيادات على مـختلف المستـويات، كثيـرون من أبناء نفس المديرية. . بعضهم حتى فى مواقع الوزارة، ولكن الثورة لم تأتمن أحداً منهم على قيادة تنظيمها السياسى الذى كان عليه أن يعمل على تحقيق أهداف الثورة إلا الرجل الذى كـان له دور بارز فى قيـامـها وأصـبح جـزءا نابضا منـها، وتولى بعـد ذلك إعلامها، فلابد أنه أقدر الجميع وأكثرهم إخلاصاً للمبادئ التى ثار من أجلها. .

❑ ❑ ❑

في خطابه بعد انتخابه أمين الاتحاد القومي في مـحافظة الشرقية، يوضح وجيه أباظة أبعاد رؤيتـه الثورية، وهذا الخطاب الوثيـقة الذي يتضـمن موقفـه بوضوح، ودوره في تعبئة الجماهير مع الثورة قال في الخطاب بالنص:

* الشكر علي انتخابي رئيساً للاتحاد القومي بالشرقية وأرجو أن أكون عند حسن ظن الجمـيع. وأرجو أن أوفق بمسـاعدة زملائي في خـدمة مـحـافظة الشرقـية في كـافة النواحي.

* هذه هي المرة الأولي التي ألتقـي فيها بكم. وكنـت أود أن يكون لقائي لأبناء دائرة منيا القـمح قبل ذلك لأعرض عليـهم كشف الحساب السنوي عن أعـمالي - كنائب - خلال العام الماضي - ولكني وجدت أني حتي الآن لم أفعل شيئاً يذكر.

* ولكني أجتـمع بكم اليوم في مناسـبة أهم وأعم. . مناسـبة الظروف الحـالية التي تمر بها البلاد خلال هذا البحر الدولي المضطرب الذي ليس له حدود.

* ولست أدري كيف أبدأ.

هل أبدأ بالمحـيط الواسع. . روسيـا. . وأمريكا. . وإنجلتـرا وفرنسـا. . الكتلة

الشرقية التي تدعو دائماً للسلام أم الكتلـة الغربية التي لا تدعو للحرب فحسب بل إنها بدأتها. . أو كادت تبدأها. .

* أم هل أبدأ بالمحـيط الذي يجـاورنا. . العراق الـثائرة العظيـمـة. . والمملكة السعـودية. . والإمارات العـربية. . واليـمن. . والسودان. . والمملـكة الليبـية ثم لبنان. . والأردن الجريحتين أم أتكلم عن الجزائر العظيمة.

* قلت سـواء بدأت بهذا أم بدأت بذاك فـالعمليـة كلها واحـدة. . متـصلة. . متشابكة.

* إذا تكلمت عن العراق. . فإنما أتكلم عن الثورة. . والحرية.

* وإذا تكلمت عن السـعودية فندعـو الله مخلصين أن يجـمع الشتـات. . ويلم الشمل. .

* وإذا تكلمت عن الإمارات العربيـة فدعواتنا الصادقة من كل جارحـة فيها أن يؤيد الله توازنها حتي تتحرر واحدة إثر أخرى من سرطان الاستعمار.

* وإذا تكلمت عن السودان. . فأنا أدعو الله وإياكم أن يخلص شعب السودان العظيم من حكومـة الاستعـماريين التي تحكمـه من عبد الله خليل ربـيب الانجليز واحـد صنائعهم وعـملائهم. فـالشعب الـسوداني شـعب عظيم مؤمن بالقـوميـة العربية. . مؤمن بوحدتنا. . ووحدة كفاحنا ووحدة أفكارنا. . وتقاليدنا. . والدماء التي تجري في عروقنا والأواصر التي تجمعنا. . وأنا. . من هذا المكان. . علي بعد آلاف الأميال من عـبد الله خليل أقولها له جـلية واضحة صريحـة. . اليوم الحكم للشعوب. . لم تعد لحراب الإنجليز قيمة. . فقد تحطمت علي شواطئنا .

* أم أتكلم عن أمريكا. . الدولة الاستعمـارية الجديدة. . التي لم تحسب حسابا للشـعوب علي الإطلاق ووضـعت أيديها في أيدي صنائعـها وعـملائهـا وزودتهم بالدولار. . بل أغـرقـتهم به. . ولما فـشلت. . بدأت تنشـر عـملية بلـطجة دوليـة واسـعة النطاق؟!

أنزلت دولاراتها في لبنان ولكنها لم تستطع أن تخـضع شعبه العظيم. . فلجأت

إلي أسطولها السادس الذي يرابط في مياه البحر الأبيض فيذكرنا بقرصان القرن الماضي الذي طالما شاهدناه في الأفلام الأمريكية.

إن الحق لا يشتري

إن الحق لا يخضع للقوة.

إن الحق أقوي من هذا ومن ذاك..

وأرجو أن نهمس في ثبات لأمريكا.. أن القومية العربية لن تشتري ولن تهدد.. ولن تستجيب إلا للأصوات المنبعثة من ضميرها ومن واقع حياتها..

أما إنجلترا التي طردناها من القنال.. ثم طردناها من بورسعيد.. أما انجلترا هذه الدولة المتداعية المتهالكة.. فلن أقول لها شيئاً إلا أن نترحم عليها.. إذا جازت هذه الرحمة وأظنها لا تجوز.

أما فرنسا

وأظنكم كلكم تعرفون فرنسا الدولة المفلسة التي لا حول لها ولا قوة..

❑ ❑ ❑

أنزلت انجلترا جنودها في الأردن..

وانزلت أمريكا ـ الدولة اللي طلعت في المقدر جديد ـ أنزلت جنودها في لبنان لحماية شمعون.

لم تعمل هذه الدول حسابا للشعوب ولكنها عملت حساباً للعملاء للصنائع.. ثم وقف أيزنهاور يدلي بمشروعه الجديد وما أكثر مشروعاته وما أتفهها:

قال:ـ

١ـ إنشاء قوة سلام دولية مستعدة

٢ـ وضع حد لأعمال الإثارة من الخارج

٣ـ عمل خطة للتنمية الاقتصادية.. في الشرق الأوسط.

٤ـ إعراب الجمعية عن اهتمامها بلبنان

٥ـ تدابير عاجلة لحفظ السلام في الأردن

٦ـ مراقبة الإذاعات الموجهة في الشرق الأوسط

ثم ألقي سلوين لويد خطابا بعد أيزنهاور فكان كأنه عبارة عن صورة طبق الأصل من خطاب سيده أيزنهاور..

وكأنهما بهذا الخطاب وهذا الخطاب يحاولان أن يبررا الجريمة التي ارتكباها.

* ثم يأتي بعد ذلك دالاس الذي يهاجم القومية العربية.. وهي حقيقة واقعة.. يهاجمها لأنها خطر عليه.. وعلي أسياده والمسيطرين عليه من الاحتكاريين وأصحاب رؤوس الأموال في أمريكا.

* إننا نرفض ما قاله أيزنهاور.. ونحتقر ما قاله لويد ونتجاهل ما يقوله دالاس.

إننا نرفض فرض أي سيطرة في أية صورة من صورها علينا.. وعلي مستقبلنا.. وعلي ثروتنا.. وثروات أولادنا من بعدنا.

إننا نرفض أي مشروع تتقدم به أية دولة من الدول ما لم يشترط أولا.. وقبل كل شئ انسحاب القوات المعتدية من بلادنا.. وإذا قلت بلادنا فأنا أقصد البلاد العربية من الخليج الفارسي إلي المحيط الأطلسي.

* إننا نؤيد جمال عبد الناصر في سياسته لأنه الوحيد الذي وقف في وجه الاستعمار.. وقال لهم لا..

* الدول الاستعمارية بتحسب حساب كل شئ إلا الأشخاص.. وعبد الناصر.. خازوق لهذه الدول.

* قد يسأل أحد الأشخاص.. ماذا إذا اعتدي علي الأردن.. أقول نحارب مع الأردن.

ويتساءل آخر: وماذا لو اعتدت الأردن علي العراق.. أقول نحارب ضد الأردن.

* لن نتساهل في حقوقنا أبداً.. إن القومية العربية أصبحت حقيقة واقعة سوف تكتسح كل من يعترض طريقها..

□ □ □

تولى وجيه أباظة مسئولية ثورية جديدة .. هى قيادة الاتحاد القومى فى «الشرقية» المديرية التى أنجبته ، وكان مكتبه فى المدينة التى كان تلميذاً بمدرستها الثانوية، وطالما سار فى شوارعها قائداً للمظاهرات هاتفاً مع الحرية، ومع مطلب الشعب فى طرد الاستعمار، ومواجهة السلطة الغاشمة..

الآن .. يعود وجية أباظة ليسير فى نفس الشوارع، مع تنظيم الثورة السياسى ولم يتخل عن مطالب الناس..

لقد تم طرد الاستعمار..

واستردت مصر القناة..

ودمرت العدوان الثلاثى..

ووضعت دستوراً جديداً، يعطى للناس الحرية..

وكان عليهم أن يتحركوا من أجل الاسهام فى حياة أفضل.

وكان على وجية أباظة هذه المرة أيضاً أن يحرك الناس ليسهموا فى دراسة مشاكلهم، ووضع الحلول لها، ثم تعبئة جهودهم للقضاء عليها.. وشهدت هذه الفترة من حياته أعمالاً شارك فيها الناس..

أقيم النادى بالجهود الذاتية .. تحت إشراف الاتحاد القومى

بدأت جمعيات تعاونية تقام لتحل قضايا الحرفيين فى المحافظة بعيدا عن الاستغلال.

وضعت خطط لقيام صناعات ، ومنشآت للخدمات..

ولكن وجيه أباظة لم يستمر فى موقعه لتنمية الأفكار التى توصل إليها، والتى بدأ فى تنفيذ بعض منها..

لقد كان عليه أن يخوض معركة جديدة..

هذه المرة كانت معركة - أيضاً - مع الناس..

طلبت إليه الثورة.. أن يدخل انتخابات ليصبح عضواً فى مجلس الأمة الجديد..

وفى تصورى أنه لو لم يطلب منه جمال عبد الناصر أن يرشح نفسه للانتخابات فإنه حتماً كان سيخوضها.. لأنه يجد مجالاً جديداً يفتح أمامه لأول مرة فى تاريخ الثورة، ومن هذا المكان الجديد يستطيع أن يؤثر ، وأن يسهم فى خدمة وطنه.. ووطنه هنا هى مصر كلها أولاً، ومديرية الشرقية التى أنجبته ثانيا..

وهكذا قدم أوراق ترشيحه لعضوية مجلس الأمة، هذه المرة ممثلاً للثورة.. وليس ممثلاً لأسرة ما..

.. فمنذ قامت الثورة، وهو محسوب على الثورة، وليس على الأسرة..

لقد أصبح انتماؤه الأساسى للثورة التى شارك فى صنعها، والتى رأى فيها - منذ كانت جنينا لم يولد بعد - أملاً فى إسعاد ورفاهية أمته..

□ □ □

عندما سألته عن سبب تأخير الحياة النيابيةفى مصر،طوال هذه الفترة منذ قامت الثوة حتى عام١٩٥٧ ،قال لى وجيه اباظة، أننا يجب أن ننظر إلى المعارك التى خاضتها الثورة منذ البداية، حتى العدوان الثلاثى.

صحيح أن الشعب المصرى كافح طويلا، حتى حصل على حقه فى أن يكون له برلمان يعبر عن إرادته، ودستور يحكمه، ولكن هذه المراحل الطويلة، من النضال، ضاعت ضمن الصراعات الحزبية، سيطرة المستعمر، وسيطرة القصر الملكى..

ولابد أن نقول للأجيال الجديدة، كيف بدأت الحياة النيابية، ثم كيف أمكن امتهانها، وتسخيرها إما لمصالح حزبية ضيقة، وإما لخدمة أهداف الملك...

لقد عصف الملك بحزب الوفد، وكان يمثل القوة الشعبية..

وزيفت الانتخابات، وكلما وصل الوفد إلى الحكم، لم يستمر فيه، لأن الملك لم يكن يريد تعبيرا عن إرادة الشعب...

نعود إلى فجر الحياة النيابية، التى يرى وجيه أباظة أنها أهدرت بفعل السراى

الملكية، والاستعمار البريطانى ولكن الشعب ظل مصرا على أن ينال حقوقه...

❑ ❑ ❑

قصة الحياة النيابية فى مصر طويلة....

بدأت متواضعة بقرار من محمد على بإنشاء المجلس العالى وصدرت لائحته سنة ١٨٢٥...

ثم بعد أربع سنوات أنشىء مجلس الشورى، برئاسة ابنه ابراهيم باشا، يضم كبار الموظفين والأعيان من ١٥٦ عضوا....

وكانت تعرض عليه مسائل التعليم والأشغال لأخذ مشورته فيها، ولم يجتمع المجلس أو يمارس أى نشاط طوال عهد عباس وسعيد...

وكان وجوده أيام محمد على شكليا فى أغلب الأحيان ويجمع المؤرخون على أن البداية الحقيقية للحياة النيابية فى مصر هو مجلس «شورى النواب» الذى أنشأه الخديوى اسماعيل وأقام له فيما بعد مبنى البرلمان الحالى...

وكان هذا البرلمان البداية للحياة النيابية فى مصر، ووفقا للائحته فقد تكون من ٧٥ عضوا ينتخبون لمدة ثلاث سنوات من عمد البلاد ومشايخ المديريات، وأعيان القاهرة والإسكندرية ودمياط .

ومهمة المجلس أن يصدر قرارات فيما تعرضه عليه الحكومة من أمور، وترفع قراراته للخديوى، وله أن يأخذ بها أو يرفضها، أما المسائل التى تعرض عليه «فهى ما تراه الحكومة من خصائصه»... فى المسائل المتعلقة بالمنافع الداخلية...

ومحاضر الجلسات يكتبها كاتب المجلس بخط يده، ويرفعها لرئيس المجلس لاعتمادها بالتوقيع عليها...

وكان يشترط فى العضو أن يكون مصريا، ومن المتصفين «بالرشد والكمال»، ولا تقل سنه عن خمس وعشرين سنة، وأن لايكون ممن صدرت ضدهم أحكام جنائية بالليمان، أو من المحكوم عليهم بالإفلاس، أو الطرد من وظائف الحكومة بحكم، واشترط فى العضو العلم بالقراءة والكتابة فى الانتخاب السابع، أى بعد

مضى ثمانى عشرة سنة على بدء هذا النظام فمدة كل مجلس ثلاث سنوات...

أما الناخبون فقد اشترط إلمامهم بالقراءة والكتابة فى الانتخاب الحادى عشر، أى بعد انقضاء ثلاثين سنة على الانتخاب الأول.

ويتم انتخاب نواب كل مديرية فى عاصمتها، وكل ناخب ينتخب العضوالنائب عن قسمة وتقوم لجنة مؤلفة من المدير والوكيل وناظر قلم الدعاوى وقاضى المديرية، بفرز أوراق الانتخاب.

ويجتمع المجلس شهرين فى كل سنة، من ١٥ كيهك لغاية ١٥ أمشير، أما المجلس الأول فيجتمع من ١٠ هاتور إلى ١٠ طوبة فى القاهرة، وجلساته سرية، وللخديو جمع المجلس أو تأخيره، أو إطالة مدة اجتماعه أو تبديل أعضائه.

وكان الخديوى يفتتح المجلس بمقاله - خطبة العرش- ويقدم المجلس جوابه عنها بكتاب وينتخب المجلس من بين أعضائه لجانا تسمى «أقلاما»، ومن أعمالها فحص صحة نيابة الأعضاء، وتعرض قراراتها على هيئة المجلس، ومن يقرر المجلس صحة انتخابهم تعرض أسماؤهم على الخديو ليعطى كل واحد منهم الأمر باعتماد عضويته.

وللمجلس توقيع عقوبات على من يتخلف من الأعضاء بدون عذر عن حضور الجلسات.

ويتمتع الأعضاء أثناء انعقاد المجلس بالحصانة، فلا ترفع عليهم دعوى «جنائية» فى أثناء الانعقاد إلا إذا ارتكب أحدهم جريمة القتل.

إدارة نظام الجلسات ويضع رئيس المجلس، ولا يجوز للعضو أن يتكلم إلا إذا طلب الكلام وأذن له الرئيس، ولا يتكلم وهو فى موضعه، وتصدر القرارات لأخذ الآراء علانية وبالأغلبية.

ونصت اللائحة على أن أعضاء المجلس يحضرون إلى المجلس بملابس «الحشمة اللائقة» ويكون جلوسهم فيه بهيئة الأدب، ولا يجوز لأى عضو فيه طبع مناقشات المجلس أو نشرها إلا بإذن رئيسه

وفى هذا المجلس الأول مثّل دائرة منيا القمح النائب «أحمد أفندى اباظة»

عندما دخل النواب القاعة، طلب شريف باشا وزير الداخلية من المعارضة أن تجلس على اليسار، وسألوا عن معنى المعارضة، فقيل إن الذين ضد أفندينا يجلسون على اليسار، والذين معه يجلسون على اليمين...

وجلس كل الأعضاء على اليمين...

وفيما بعد سوف نرى أن مجلس شورى النواب هو الذى سيحاسب أفندينا حسابا عسيرا.

وقد افتتح الخديوى المجلس «يوم عيد ميلاده» بالقلعة ٢٥ نوفمبر ١٨٦٦ واجتمع الأعضاء برياسة اسماعيل راغب باشا الذى عين رئيسا للمجلس وحضر الخديو، يصحبه شريف باشا وزير الداخلية، وحافظ باشا وزير المالية، وعبد الله باشا عزت رئيس مجلس الأحكام، وإسماعيل باشا صديق مفتش الأقاليم، ورياض باشا المهرداد «حامل الختم»، وأحمد خيرى بك كاتب الخديو، وجاء فى أول خطبة:

«من المعلوم أن جدى المرحوم حين تولى مصر وجدها خالية من آثار العمار، ووجد أهلها مسلوبى الأمن والراحة، فصرف الهمم العالية لتأمين الأهالى وتمدين البلاد، بإيجاد الأسباب والوسائل اللازمة إلى ذلك، حتى وفقه الله تعالى لما أراده من تأسيس عمارية الاقطار المصرية.

وكان والدى عونا له ونصيرا فى حياته، فلما آلت إليه الحكومة المصرية اقتفى أثر أبيه، فى إتمام تلك المساعى الجليلة، بكمال الجد والاجتهاد فلو ساعده عمره لكملها على أحسن نظام.

وكثيرا ما كان يخطر ببالى إيجاد مجلس شورى النواب، لأنه من القضايا المسلمة التى لا ينكر نفعها ومزاياها أن يكون الأمر شورى بين الراعى والرعية، كما هو مرعى فى أكثر الجهات، ويكفينا كون الشارع حث عليه بقوله تعالى «وشاورهم فى الأمر» وبقوله تعالى «وأمرهم شورى بينهم»

فلذا استنسبت افتتاح ذلك المجلس بمصر، نتذاكر فيه المنافع الداخلية ونبدى به

الآراء السديدة، وتكون أعضاؤه متركبة من منتخبى الأهالي، ينعقد بمصر فى كل سنة مدة شهرين، وهو هذا المجلس المقدر بعناية المولى فتحه فى اليوم المبارك على يدنا، الذى أنتم فيه أعضاء منتخبون من طرف الأهالى، وإنى أشكر الله على ما وفقنى لهذا الأمر المبرور، وواثق من فطانتكم بحصول النتيجة الحسنة من حسن المداولة فى المنافع الداخلية الوطنية، وفقنا الله تعالى لما فيه منفعة للجمهور، وعلى الله الاعتماد فى كل الأمور».

ووافق الأعضاء على ما أعلنه رئيس المجلس - إن يوم عيد ميلاد الخديوى يوم عيد لا يجب الاشتغال فيه.

ثم انتخبوا لجنة تتولى تقديم الجواب على خطبة العرش من عشرة أعضاء.

تكونت بالمجلس به خمسة أقلام - لجان- هى : لجنة المدائن «العواصم - لجنة روضة البحرين «الغربية والمنوفية»- لجنة الشرقية - لجنة المنيا- لجنة أسيوط لتحقيق صحة العضوية ، وقد أقرت اللجان أن العضوية سليمة للجميع . . .

وبعد أن قرر المجلس - سيد قراره- صحة عضوية جميع الأعضاء اعتمد الخديوى العضوية، وأصدر لكل نائب أمر اعتماد نصه:

«قدوة الوجوه المعتمدين، والأعيان المنتخبين «فلان من بلدة كذا بقسم كذا بمديرية كذا» زيد إقباله، ودام كماله.

قد علم آل الوطن العزيز، وفهم أهل الفطن والتمييز، دوام شغف فؤادنا، واشتغال فكرنا بما فيه معمورية بلادنا هذه وسعة منفعة ديارنا، وما يقدم أهلها من مدارج التمدن، ويصعد بهم فى معارج التمكن، وقد علمت أن ترتيب مجلس الشورى الوطنية، مما يعود على ديارنا هذه بمزيد المزية، كما جرت فى سائر المدن المتمدنة».

❑ ❑ ❑

كان من أول المسائل التى ناقشها المجلس فى عدة جلسات مسألة السخرة ووضع نظاماً يخفف من وطأتها، وأحيلت على لجنة «قومسيون» سميت لجنة «العمليات» مؤلفة من خمسة أعضاء، واشترك فى المناقشة خمسة مهندسين أوفدتهم

الحكومة لارتباط السخرة بأعمال الرى والهندسة وهم ابراهيم، وثاقب باشا، وعلى بك مبارك.

وقدمت اللجنة تقريرا انتهت فيه إلى تنظيم السخرة لأنها من المنافع العامة، على من تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٥٠ سنة من أهل البلاد التى تستفيد من أعمال السخرة، وجعلها مبنية على قاعدة المساواة بين الأهليين.

ووافق المجلس على التقرير، وطلب عمل إحصاء للأنفس تطبيقا لهذه القاعدة حتى يؤخذ الأنفار للسخرة بالدور.

وناقش المجلس وضع ضريبة على المواشى، لأن أعمال المنافع العامة التى تنفذ بواسطة السخرة، تقتضى مهمات، وأدوات يجب شراؤها بالثمن، ولما كانت المواشى الموجودة بالأقاليم مخصصة لأعمال الزراعة، لذلك يفرض عليها مقدار من الضريبة يوفى ثمن هذه المهمات.

ووافق المجلس على هذه الضريبة، ومقدارها عشرون قرشا فى السنة على كل رأس من مواشى الزراعة كالأبقار والجاموس والثيران والخيول والبغال.

أما الجمال ففرض على كل رأس منها ثلاثين قرشا، وعلى كل رأس من الحمير عشرة قروش واستثنيت من هذه الضريبة مواشى المدن والبنادر.

وفى يناير ١٨٦٧ أعلن رئيس المجلس فض الدورة بشكر الخديوى على منشآته العظيمة لزيادة العمران...!!

❑ ❑ ❑

انتهت عضوية مجلس شورى النواب الأول بعد ثلاث سنوات وانتخب عمد البلاد ومشايخها البرلمان الثانى سنة ١٨٧٠

وقد اقترحه الخديوى اسماعيل فى فبراير ١٨٧٠.. وظلت لجان المجلس كما هى فى البرلمان الأول.. وعقد دورتين، ثم أهمل فى دعوته للانعقاد، وحتى انتهت مدته لم تجر انتخابات جديدة.

وكانت هذه آخر جلسة عقدها ثم تعطلت الحياة النيابية فى أوائل عهد توفيق ٢٦

ديسمبر سنة ١٨٨١ على عهد الثورة العرابية.

أجريت انتخابات جديدة فى عهـد توفيق باشا لمجلس شورى النواب اجتمع فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ على عهد الثورة العرابية.

يطلق على شريف باشا أنه أبو الدستور فى مصر... فقد وضع أول دستور فى مصر قدمته الحكومة لمجلس شورى النواب لإقراره تقديرا لدوره.

إذ خولتـه سلطة «جمعيـة تأسيسيـة» تضع الدستور، وقد أعطى هذا الـدستور النواب سلطة البرلمانات الحديثة، بإقرار القوانين والميزانية.

❑ ❑ ❑

عندمـا جاء دسـتور ١٩٢٣، بدأ معـها فـصل جديد من تاريخ الحـياة النيـابية، تزييفاً للإرادة، وحلاً للبرلمان، بل وتعطيلاً للدستور كما رأينا.. لذلك كانت قضية إقامة حـياة ديمقراطية سليمة هى إحـدى الركائز التى قامت عليها حـركة الجيش بل إنها كانت ضمن أهداف تنظيم الضباط الأحرار.

وأسقطت الثورة الدستور القديم...

ووضعت دستوراً جديداً...

وكان عليها أن تبدأ فى تنفيذ مبدأ الثورة بإقامة حياة ديمقراطية سليمة..

ولكن قوى العدوان كانت تتربص بها...

وكان وجيه أباظة فى محافظة الشرقية.. مسئولا عن الاتحاد القومى...

وكان أيضاً فى صحافة الثورة..

وكان أخيراً فى قلب كل هذه المعارك...

ثم.. إذ به يخوض معركة انتخابات الأمة..

مجلس الأمة

كانت معركة انتخابات مجلس الأمة شرسة، وضارية، فهو أول مجلس نيابي بعد الثورة، والجميع يتطلعون للمشاركة في هذه التجربة الجديدة.

وسوف يكون للشباب دور طليعي في تحديد أبعاد المعركة الانتخابية، فقد أصبح سن الناخب ثمانية عشر عاما، بعد أن كان من قبل ٢١ عاماً.. لناخب عضو مجلس النواب، و٢٥ عاماً.. لناخب عضو مجلس الشيوخ.

ولابد أن المرأة التى أمضت حياتها منذ صدور دستور سنة ٢٣، تطالب بحقها فى المشاركة السياسية، ناخبة ونائبة، سوف تقبل على الإسهام فى هذه الانتخابات.

وكانت قد بدأت تعبئة لقيد الشباب والنساء فى دفاتر الانتخابات.

وخاض الانتخابات أعضاء مجلس قيادة الثورة، ترشيحا فى الدوائر الانتخابية.

عبد اللطيف البغدادي.. رشح فى دائرة قريته شاوه بجوار مدينة المنصورة.

أنور السادات رشح حيث القرية التى جاء منها... ميت أبو الكوم.

زكريا محيي الدين.... فى دائرة كلية البوليس بالعباسية ـ القاهرة.

كمال الدين حسين.... فى دائرة الدرب الأحمر ـ القاهرة.

خالد محيي الدين.... فى دائرة كفر شكر ـ القليوبية.

حسين الشافعي.... فى دائرة مصلحة الكسوة ـ القاهرة.

❑ ❑ ❑

فتح باب الترشيح لعضوية مجلس الأمة، يوم ١٩ مايو ١٩٥٧ وأقفل بعدها بعشرة أيام.. وتقدم للترشيح ٣٤٠٣ شخصا، بواقع عشرة مرشحين لكل دائرة تقريبا.

وأجريت الانتخابات يوم ٣ يوليو.

وقد ركزت الصحف على زيارة زكريا محيي الدين وزير الداخلية لمراكز الاقتراع للاطمئنان على حرية الناخب وسرية الانتخابات.

وكان الاهتمام بتصوير الفلاحات أثناء إدلائهن بأصواتهن لأول مرة.

وقد منحت السيدات الأسبقية فى اللجان أمام صناديق الانتخاب.. فقد كان اشتراك المرأة فى الانتخابات لأول مرة تغييرا جذريا.

وخطوة هامة على طريق توسيع قاعدة المشاركة السياسية.

وكانت مفاجأة الانتخابات الحقيقية هى هذا العدد الهائل من السيدات، اللواتى ذهبن منذ الصباح الباكر، وهن حريصات على استخدام الحق الذى كان المطلب الأول للهيئات النسائية جميعا، لسنوات طويلة.

ودارت حوله خلافات وصراعات كثيرة بين فئات مختلفة من الشعب.

وأدت فى بعض الأحيان إلى إضراب للنساء عن الطعام، واعتصامهن فى نقابة الصحفيين.. كما كان موضوع أكثر من قضية أمام المحاكم تطالب بحق المرأة فى مساواتها بالرجل.. وربما يرى البعض أن إسهام المرأة فى الحركة السياسية، والحزبية والنقابية وأن تكون وزيرة الآن أمرا طبيعيا وعاديا لا يلفت نظر أحد، ولكنه كان فى ذلك الوقت المبكر مختلفا.

وسوف تسفر الانتخابات عن فوز اثنتين من السيدات ليصبحن أول «نائبات» فى مصر.. واحدة فى الجيزة السيدة راوية عطية التى فازت عن دائرة الدقى.. والسيدة أمينة شكرى التى فازت فى إحدى دوائر الإسكندرية.. وقد جعل قانون الانتخاب القيد فى جداول الناخبين إجباريا للرجل.

واختياريا للمرأة.

وأصبحت ممارسة الحق الانتخابى واجبا.

وقيدت المرأة اسمها فى جداول الناخبين.

وكان هذا النص واحدا من النصوص التى اتجهت نحو توسيع قاعدة المشاركة السياسية.

وإلى جانب ما تقرر من منح المغتربين الحق فى مباشرة الحقوق السياسية.. إذ أعطى حق المشاركة في الانتخابات للمصريين المقيمين فى الخارج والمقيدين بالقنصليات المصرية.. واحتفظ لهم بموطنهم الانتخابى الأصلى وهى الجهات التى يقيمون فيها.

كذلك أعطى هذا الحق للمصريين الذين يعملون على السفن المصرية.

كما كان النص على إجبارية ممارسة الحقوق السياسية لأول مرة يعنى الاتجاه إلى توسيع الممارسة الديمقراطية..

وكذلك أيضا تخفيض سن الناخب إلى ١٨ سنة وهو حد لم يصله من قبل أى قانون انتخابى آخر فى مصر.

❑ ❑ ❑

فاز وجيه أباظة فى معركة انتخابات أول مجلس أمة بعد الثورة عن دائرة.. بلدته منيا القمح، التى كان تلميذا فى مدرستها الإبتدائية، وعرفها جيدا وسار من قبل فى شوارعها، وحواريها، وأزقتها. وأصبح عضواً بأول مجلس أمة بعد الثورة.. وقد جاء تشكيل مجلس الأمة ممثلا لجميع المهن والطبقات الاجتماعية في مصر.

❑ ❑ ❑

فى يوم ٢٠ يوليو أقام جمال عبد الناصر حفل تكريم لأعضاء أول مجلس أمة، وقال لهم: «إنهم مجلس الثورة الجديد».

وفى يوم ٢٣ يوليو، افتتح المجلس بخطاب قال فيه: « من قبل لم يكن فى استطاعتنا أن نذهب إلى الممثلين الحقيقيين لهذه الأمة.. وما كان فى استطاعتهم أن

يجيئوا إلينا. كان بيننا وبينكم استعمار جثم على أرضنا منذ مئات السنين بل آلافها، وكان لابد لهذا الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل.. حتى نستطيع أن نلتقى بكم.

وكان بيننا وبينكم ملك استبد وطغي.. وكان لابد أن يذهب هذا الملك.. حتى نستطيع أن نلتقى بكم.

وكان بيننا وبينكم إقطاع استشرى خطره واستفحل ضرره ولم يكتف بأن يملك الأرض وإنما أراد أن يضم إلى ملكية الأرض.. ملكية البشر.. وكان لابد أن ينتهى هذا الإقطاع ويزول.. حتى نستطيع أن نلتقى بكم.

وكان بيننا وبينكم نظام حزبى مزق وحدة البلاد، وفرق شملها ولم تكن المباديء موضوع الخلاف وإنما كانت الزعامات، والأنانية والمال الحرام، وقوت هذا الشعب هو موضوع الخلاف ومحور ارتكازه كان لابد أن يختفى هذا كله ويمحي، حتى نستطيع أن نلتقى بكم.

كان بيننا وبينكم يأس مخيف سيطر على القلوب والعقول، نتيجة لكل ما ذكرنا فإذا الأحداث تترى على هذا البلد، والغالبية من شعبه تكتفى بموقف المتفرج حتى وإن كانت هذه الأحداث تتعلق بالبلد، وشعبه وتقرر مصيرهما معا لمستقبل السنين.. ومع اليأس المخيف أصبح وطننا أرضا مفتوحة مكشوفة أمام كل من تحدثه نفسه بمذهب غريب أو عصبة جاهلة. وفى هذه الظروف ضاع الإيمان.. وضاعت الثقة.. فلم يعد كل فرد فينا يؤمن أو يثق بزعمائه أو يؤمن أو يثق بغيره من المواطنين أو يؤمن أو يثق.. حتى بنفسه».

❑ ❑ ❑

بدأ وجيه أباظه عضو مجلس الأمة تجربة جديدة، يدخلها لأول مرة، وسوف

نلاحظ فى كل مراحل حياته أنه يدخل تجارب لأول مـرة، وأنه ينجح فيها، ويبرز من خلالهـا، ويلمع فى أداء أدواره بها. . لأنه يأخذ كل الموضوعـات التى يدخلها بكل الجدية. .

وكان عليه فى مجلس الأمة أن يعمل فى اتجاهين:

الأول: خدمة الأهداف الوطنية التى دافع عنها، وناضل من أجلها.

الثانى: خدمة دائرته.

بالنسـبة لـدائرته، يقول صـالح الحسينى المحـامى بمنيـا القـمح، إننا فى تلك الانتـخابات لم نكن نؤيد وجـيه أباظة، وكنا نقف مـع منافسـه الصحـفى محـمد عطوة. . وقد أحدث ترشيحه لنا غصـة، وأحسسنا أنه مفروض علينا، وسبب هذه الغصة أن المناصب القـيادية محصورة فى الأسرة الأباظية التى كنـا نرى أنها تتعالى على الناس، وتعاملهم مـعاملة السادة للعبـيد. . ولم نكن سعداء بأن يحـتكر تمثيل هذه الدائرة فى البرلمان إما واحد من عائلـة أباظة أو واحد من عائلة مرعى. .قبل الثورة. . . وبعدها.

وقد حدثت مـفاجئة. . . لقد تنازل المرشـح الآخر، وفاز وجيه أباظة بالتـزكية وأصبح نائبا. . ولم يعد فى حاجة إلينا. . وفوجـئنا به يجرى مسحا شاملا للدائرة ويزورنا ويمد يده لنا. . وامتـص كراهيتنا للأباظيـة. وبدأنا نعمل معـه. . وأنشأ جمعية تعاونيـة صناعية فى مركز منيا القمح دخلها ٧٥٠٠ عضو مـهمتها تصنيع ما ينتجه الفلاح. وما زالت هذه الجمعية تعمل حتى الآن. .

وكان يسلمنا فى أول كل شـهر مكافأته عن عضـويته بمجلس الأمة لتـوزيعها على المحتاجين

ونحن نعلم أنه مـدين. بل أنه إذا وقع أمر مـا يحتـاج مصـاريف فإنه يقـترض ويدفع لنا. . .

أمور كثيرة، جعلتنا نحبه جدا، وأذكر أننا كنا نعقد اجتماعاً لجمع النقود من أجل إنشاء المصنع الذى أعلن عن إقامته فى منطقتنا.

وأثناء اجتماعنا، دخل عبد الحكيم أبو عيد أحد رجال سيد مرعى قائلا:

ـ أظن برضه بتفكروا فى المصنع.

ـ طبعا.

ـ سيدى «سيد» قال... لأ.

ـ لأ.. ليه.

ـ إحنا بنجيب العامل الزراعى بثمانية قروش، ولو اتعمل المصنع هندّور عليه بخمسة وعشرين قرش مش هانلاقيه.

ذهبنا إلى وجيه أباظة فى شركة النيل للإعلان، وروينا له ما حدث، فكتب لنا خطابا يعتبر تاريخيا.. يمكن أن تقول عنه أنه رسم سياسة.. خطاب شديد اللهجة يتضمن معاني لتشغيل العاطلين في منيا القمح فلماذا نقف ضد هذا المشروع.

وأعطانى الخطاب ورحت أنا وحلمى الطوخى أعطيناه لسيد مرعى.

ولكنه لم يتحرك.

وتأكدنا فيما بعد أن كل ما كان يقوله لنا سيد مرعى إنما هو عملية تسويف حتى يفوت الموعد المحدد لإقامة المصنع، ويقام فى مكان آخر، وذهبنا للدكتور ـ عزيز صدقى ولكنه قال لنا: بعد أن أوضحنا هنا فائدة أن يقام المصنع فى «منيا القمح»:

«أعطونى ثلاثة شهور لأفكر»

ويواصل حسن محمود الطاروطي: «كنت مفتش معامل بمديرية الشئون الصحية، بمنيا القمح فى يوليو ١٩٥٩، انتخبت فى الاتحاد القومى بمنيا القمح

وكان ترتيبى فى النجاح لأول...

وكان وجيه أباظة أمين عام الاتحاد القومى ورئيس اللجنة التنفيذية فى الشرقية، وعضو مجلس أمة عن مينا القمح، وعندما عين محافظا للبحيرة. أردنا أن نقيم له حفل شاى ولكن رفض وقال:

«اعملوا لى مؤتمر أقدم فيه كشف حساب عن أعمالى من أجل الناس فى مجلس الأمة».

وفى الحفل قال: أنه اتفق مع عزيز صدقى على المصنع وطلب أن يجمع له ربع التكاليف حتى يقام المصنع، بمنيا القمح

وقال: أنا ذهبت لعمى أحمد أباظه فأعطانى ١٠٠٠ جنيه.

وذهبت لجماعة الألفى وأخذت منهم ١٠٠٠ جنيه.

وباختصار استطعت أن أجمع ٣٠٠٠ جنيه.

طلبنا منه أن يحدد لنا موعدا للدكتور عزيز صدقى... وحصل لنا على الموعد.

وقد استقبلنا الدكتور صدقى استقبالا عظيما... فقد وجدنا الوزير يقف بباب القاعة وسألنا قائلا:

على الله يكون ربنا وفقكم أن يقام المصنع فى منيا القمح

قلنا له: إنشاء الله

وكل واحد منا قال كلمة.

واللى قال إحنا فقراء. والجماعة الكبار فى المركز مزارعين لا يهمهم إقامة المصنع

برضه بابتسامة قال لنا:

- لما أنتم فقرا أمال عايزين مصنع ليه؟

ثم قال: أعطونى ٣ أشهر حتى أشكل لجنة من الوزراء وينزلوا يدرسوا وإذا توصلوا لشيء يمكن ينقلوا المصنع عندكم.

خرجنا ولكه لم يبعث بأى لجنة، وأخذت مدينة ميت غمر المصنع.

انتخابات مجلس الشعب التالى رشح سيد مرعى نفسه، ومعه المرحوم سامى أباظه، وطرحنا قصة المصنع.

وفوجئنا أن الوزاره جاءت اشترت حوالى ٥٥ فدانا من عائلة أبو رشوان فى الصعيد، وهم تجار حبوب فى الشرقية.

وأقامت سورا حول الأرض

ووجدنا بعض المعدات فى صناديق داخل المصنع.

الأمر الذى جعلنا نتصور أن المصنع سيقام، ولكنها كانت فقط خطة انتخابية.

فقد توقف الأمر عند هذا الحد.

ولم يقم المصنع.

كان وجيه أباظه عضو مجلس الأمة يحس بالشعب ويعمل للطبقة الفقيرة، أقمنا معه أكثر من ١٢ جمعية تعاونية لأصحاب الحرف.. ومن ضمنها جمعية أصر عليها وهى جمعية مساعدة الطلاب.. وكان هو رئيس شرف هذه الجمعيات كلها...

ويقول صالح الحسينى المحامى: لقد كنت محامى هذه الجمعيات، وأقوم بعمل الإجراءات القانونية لها، ولإشهارها حتى تمارس نشاطها...

وكان وجيه أباظة موجودا معانا بحكم موقعه كعضو مجلس أمة عن الدائرة..

فكنا نتحرك فى داخل الفئات المختلفة فى المدينة، وفى الدائرة لنقوم بعمل جمعيات لمختلف الفئات مثل الخبازين والحلاقين وغيرهم...

وكل الذين لم يكن لهم نقابات أو حرموا من التنظيم النقابى. فعملنا لهم الجمعيات

وفى منيا القمح بدأت فيها حركة سياسة نشيطة شملت كل الفئات...

وعشنا فترة عمل سياسى ناجح ١٠٠٪.

كانت كل منطلقات وجيه أباظه يحكمها إحساسه بالفقراء والغلابة.

وأن هؤلاء الناس يحتاجون كذا فنعمل جمعيات لصالحهم.

ونشطت هذه الجمعيات نشاطا كبيراً خلال فترة وجوده فى مجلس الأمة، وبعدها تحت رعايته

وكان هذا إحياء لمدينة منيا القمح... ونشاطا شمل القرى المحيطة بها.

بعد ذلك عين محافظا..

وكنا نحس أنه لم ينسلخ أبداً عن الطبقة الفقيرة.

بل كان يعمل لصالحها أيضا ...

وجيه أباظه كان مع الحق ولم يتردد فيه.

ولو كان المظلوم حتى ولو كان غفيرا والظالم أباظياً فقط كان يقف مع الحق.

❑ ❑ ❑

كان لوجيه أباظه دور هام فى أول مجلس أمة..

وتعرف عليه جميع النواب بسرعة.

فقد كانت شخصيته تجمع الناس حوله.

ويقول عطية حتيتة عضو المجلس: إن وجيه أباظه «كان عنصر تجميع، وكلنا كنا نلتف حوله، ونسعى إليه»..

كان محط كل الأنظار.

❑ ❑ ❑

فى المعارك التى خاضها مجلس الأمة.

كان لوجيه أباظه دور بارز فيها وسوف نرى ذلك واضحاً فى أكبر معركتين خاضهما المجلس.. ماسمى بأزمة مديرية التحرير..

بين بعض الأعضاء ومجدى حسنين وماسمى بأزمة التعليم..

بين بعض الأعضاء المجلس وكمال الدين حسين عضو مجلس الثورة، ووزير التربية والتعليم..



فى أول مجلس أمة بعد الثورة . . وكان أيضا صديق طفولته عضواً فى المجلس



النضال الوطنى ٢٣

مديرية التحرير

كانت أول القضايا التى تفجرت فى مجلس الأمة، هي قضية مديرية التحرير... مشروع الثورة الأول لاستصلاح الأراضى الصحراوية...!

ويقول عبداللطيف البغدادى رئيس المجلس إن وجيه أباظة كان له دور فى هذه القضية.

ويقول وجيه أباظة إنه كان يقف مع مجدى حسنين فقدكان المستهدف هو الثورة، وليس مشروع مديرية التحرير.

وأن الأزمة بدأت باتهام مجدى حسنين بمخالفة الدستور بتعيين عدد من أعضاء المجلس كمستشارين فى المديرية... أى أنه اشتراهم.....

والدستور يمنع تعيين الأعضاء فى وظائف حكومية أثناء عضويتهم للمجلس!

وكان من بينهم شفيق أبو عوف، وكنت أعرفه جيدا، وأعرف أن ما وجه إليهم غير صحيح.

❑ ❑ ❑

كانت مديرية التحرير أول تجربة فى مصر لغزو الصحراء..

والحقيقة أنها كانت تجربة رائدة فى خلق مجتمع زراعى جديد فقد اختير الفلاحون فيها، من الذين يجيدون القراءة والكتابة، ووضع لهم زى مختلف، كما كانت التجربة تقوم على أساس خلق مجتمع زراعى صناعى...

والأهم من ذلك، تحويل مساحات من الصحارى الشاسعة إلى أراض مزروعة، وفقا لأحدث أساليب الزراعة والرى....

وكان مجلس الإنتاج القومى - الذى أنشأته الثورة بعد قيامها مباشرة، إلى جانب مجلس آخر للخدمات - قد درس المشروع واستقر عليه.

وشكلت لجنة تأسيسية لمديرية التحرير، وضعت تقريرا عن التوسع الزراعى بإنشاء المديرية أمام مجلس الوزراء فى مارس سنة ١٩٥٣ وجاء فيه:

كان من نتيجة تزايد السكان وعدم مجاراة التوسع الزراعى لحاجياتهم أن انخفض رقم ما يخص الفرد من ٣٨,٠ فدانا للفرد سنة ١٩١٧، إلى ٣,٠ فدانا سنة ١٩٥٣، مما دعا البلاد لاستيراد الأقوات من الخارج، مع ما فى ذلك من صعوبات.

وقد كانت السياسة المائية المقررة سنة ١٩٢٠ تهدف إلى أن يُحتفظ رقم ٣٨,٠ فداناً للفرد وأن تصل المساحة المنزرعة بالقطر إلى سبعة ملايين فدان فى سنة ١٩٥٠، لكن للأسف الشديد لم تسر البلاد نحو هذا الهدف لأسباب متعددة» .

وللعوامل السابق ذكرها توجهت الأنظار نحو الأرض الصحراوية لجودتها وسرعة تجاوبها مع الإصلاح، وأنه يمكن استغلالها اعتماداً على موارد النيل فى فترة الفيضان، وإننا نقدر من الآن أنه يجب أن تسير البلاد نحو التوسع السريع فى إصلاح الأراضى بمعدل لا يقل عن ٢٠٠ ألف فدان سنويا، حتى يمكننا فى سنة ١٩٧٥ أن نصل بمعدل ٠,٣٨ فداناً للفرد الواحد.

وهكذا بدأ التفكير فى سرعة تكوين مديرية التحرير لتشغل مساحة ٦٠٠ ألف فدان قد تصل مستقبلا إلى مليون فدان، تقع بين ترعة النوبارية والطريق الصحراوى بين مصر والاسكندرية، تنتفع بالرى من مياه الفيضان بالرفع ١٠ أمتار و٢٠ مترا وهو الرفع الاقتصادى المعقول، وقد رفع تقرير لوزارة الأشغال بتكاليف الرى لهذه المنطقة فى أكتوبر ١٩٥٢».

كانت المناقشة على قدر حدتها بين مجلس الإنتاج القومى على قدر فائدتها وبعمق جديتها كان لقرار الاجتماع أهميته التاريخية لمصر.. فقد صدرت بعد ذلك موافقة مجلس الوزراء للبدء فى المشروع فى نطاق استصلاح عشرة آلاف فدان، ثم تلا ذلك أن زادت الموافقة إلى أربعة وعشرين ألف فدان بعد سنتين من بداية المشروع فى ١٩٥٥/٦/٢٢ وأدرجت التكاليف اللازمة فى الميزانية «وذلك حسب ما أمكن لوزارة الأشغال توفيره لمياه الرى اللازمة».

«إن مرحلة التحدى للصحراء تحمل فى داخلها كل معانى المخاطرة بارتياد المجهول، لأول مرة فى تاريخ مصر، يقبل المصريون دون أية معونة أجنبية على مشروع ضخم خطير مثل هذا، بناء عالم جديد من الزراعة فى الصحراء، ليس هذا فقط بل تيسير هذا النظام بالمساكن والمصانع والعمل والمدارس والمستشفيات والملاعب والمسارح، والأهم من ذلك لمن هذا العالم؟ ... لفلاحى مصر.. الطبقات التى تكلست منذ آلاف السنين على حياة معينة وعادات معينة وأفكار معينة، كانت حقا مغامرة ولكنها المغامرة المحسوبة.

لذلك فإن المعنى الضمنى فى استصلاح الصحراء فى مديرية التحرير يمكن أن

يؤرخ به للمصريين فى كسرهم لحاجز الحصار الذى ضرب عليهم من خلال قرون الاستعمار الطويلة ليحيوا داخل ما اعتادوا عليه من نمط للإنتاج وأسلوب للحياة وطريقة فى التفكير.

ووافق مجلس الوزراء على تشكيل لجنة مسئولة تكوّن بمثابة مجلس إدارة للمشروع من واحد وعشرين عضوا برئاسة اللواء أركان حرب محمد نجيب رئيس الوزراء، والصاغ مجدى حسنين مدير مكتب رئيس الوزراء عضوا منتدبا لمجلس الإدارة ونائبا لرئيس مجلس الإدارة.

وعهد إلى مجلس الإدارة بتشكيل اللجان المتخصصة ليكون العمل على أساس من التخصص العلمى فتشكلت ثلاث عشرة لجنة متخصصة هى لجان الرى، التخطيط، الزراعة، المالية والاقتصادية، الميكانيكا والكهرباء، والطرق، والمبانى، والمواد، والشئون الاجتماعية، والإنتاج الحيوانى، والتعاون، والجيولوجيا، وأبحاث الحشرات والحيوان.

❑ ❑ ❑

يتحدث مجدى حسنين عن التغييرات التى أحدثها مشروع مديرية التحرير وكيف قاومت بعض القوى المشروع انزعاجا منه ومن تأثيراته قائلا:

لا يتصور أحد مدى الانزعاج الذى أحدثه هذا التغيير الاجتماعى فى مديرية التحرير، ولكنه كان مؤثراً ومدويا فى كل الأوساط المعنية بالتغيير، وإن كانت القوى المناوئة لم تجرؤ على كشف وجهها صراحة فى معارضته وكانت ظروفى لاتسمح لى بنقل المعركة إلى الساحة الشعبية، فعند تركى لمديرية التحرير كانت مصر خارجة من إحدى معاركها الشرسة مع الاستعمار فى عدوان ١٩٥٦ وما أعقب ذلك من هجمة شرسة لقوى اليمين المصرى ضد قواعد التقدم اليسارى بشكل عام، وهو المناخ الذى استطاعت فيه أن تضرب المشروع فى وقت كان شاغل كل وطنى مخلص هو النضال أولا من أجل وحدة القوى الوطنية، وإعادة الجو الديمقراطى الصحى الذى ساد أعوام ١٩٥٦، ١٩٥٧، فلم يكن الواقع يسمح بطرح صراع اجتماعى جديد على الساحة الشعبية.

استدعيت يوما لمقابلة هامة مع مسئولين بالسلطة التنفيذية فى أمر خطير خاص بالمديرية، وتصورت كل التصورات الممكنة لموضوع المناقشة فربما يكون حول المسائل الفنية، أو الزراعية، أو المالية، أو حول خطة جديدة لتوسيع المشروع، أو لمطلب خاص من المديرية. .وقد كانت هناك طلبات خاصة كثيرة من المديرية لا تدخل فى خطتها أو لها علاقة بها، ولكنها كانت تطلب من المديرية لإمكانياتها الخاصة، وقدراتها الذاتية وأسلوبها الثورى فى التنفيذ الضارب لأشكال الروتين المكتبي، الذى تفنن الخبراء الإنجليز فى رسمه كنتاج للعمل الحكومى، لقد طلب مثلا السيد كمال الدين حسنين وكان رئيسا للوزراء من المديرية رسم وتخطيط وتنفيذ إقامة معسكرات الشباب للاصطياف والتدريب بأبى قير، فى وقت قصير قبل الصيف ونفذت المديرية بناء المعسكر فى مدة لا تزيد على ثلاثة أسابيع.

وكانت مديرية التحرير قد ساهمت فى حل مشكلة عمال القناة الذين تركوا العمل بدافع من وطنيتهم فى معسكرات الجيش البريطانى، عندما أحسوا بجدية السلطة فى المطالبة بالجلاء، فبادر عمال القناة بدون تقديم أى ضمان لهم، بترك العمل ١٩٥٤ فقامت المديرية بتقديم العمل لهم، وكذا ساهمت المديرية مساهمة كبيرة فى تعمير بورسعيد ١٩٥٧.

«هذه هى الأفكار التى كانت تشغل ذهنى وأنا فى طريقى إلى الاجتماع ولكن الموضوع الخطير كان بعيدا، عن مثل هذه المنطلقات لم يكن مناقشة فى أمور فنية أو زراعية أو مالية أو فى خطط جديدة للمديرية، أو للتكليف بمهام خاصة كان الموضوع مساءلة حول ما قمت به من تغيير لزى الفلاحين والفلاحات من الجلاليب الزرقاء والسوداء التقليدية إلى ملابس عصرية تتكون من بنطلون وقميص للفلاح وبلوزة وجونلة للفلاحة.

واشتد الاعتراض على أساس أن ذلك خروج على التقليد الوطنى وتغيير للطابع القومى.

ودعم المعترضون اعتراضهم بأن الزى الجديد موحد الشكل واللون بما يوحى

للفلاحين والفلاحات بشكل العمل الصناعى والانتماء فى العمل إلى الدولة مما يخرج الفلاحين والفلاحات عن طابعهم.

وانتهت المناقشة بقرار ضرورة عودة الفلاحين لزيهم الأصلى.

وطلبت مهلة لدراسة الموضوع فذهبت إلى فلاحى مديرية التحرير أطلب منهم خلع زيهم والعودة إلى الجلاليب الزرقاء والسوداء ومناديل الرأس والطواقى.

وكان الفلاحون والفلاحات فى مديرية التحرير يضعون القبعات على رءوسهم والفلاحات تلبسن إيشارب. ورفض الفلاحون دون أى إيعاز منى تغيير زيهم، واستمروا بإصرار فى لبس ما يسهل عملهم.

أردت من هذه القصة العابرة أن ألقى الضوء على أهمية ما كان يجرى فى المديرية حتى فى أدق تفصيلاته عند جبهة المعارضة، وأن الموقف الاجتماعى لم يكن جانبيا أو هامشيا.

❑ ❑ ❑

كان أهم ما أثير عن مديرية التحرير فى ذلك الوقت ومازالت آثاره حتى اليوم، يتحدث عن الإسراف والغمز واللمز وخاصة أن مشروع مديرية التحرير كان أول مشروع فى التاريخ المصرى لاستصلاح الصحراء.

ولم يكن للناس سابق تجربة أو خبرة بمثل هذه المشاريع أو عن تكاليفها أو عن عائداتها وأن استصلاح الصحراء واستزراعها ليس من الاستثمارات التى تأتى بعوائدها فورا.

استغلت الجبهة المعادية للمشروع أنه هو المشروع الأول من نوعه، وأن الناس لا دراية لها بمثل هذه المشروعات وجوانبها الاستثمارية، وظل كل ما تردد من إشاعات وأقاويل فى نطاق الإشاعة ولم تخرج أى منها فى أى شكل رسمى ولا تقرير ولا مساءلة ولا محاسبة على أى مستوى من مستويات الدولة كلها.

ويقول مجدى حسنين لقد «بدأنا فى زراعة البحر. . . بحر الرمال الواسعة فى صحراء مصر الغربية.

كان وزير الزراعة الدكتور عبد الرزاق صدقى قد أدلى أمام مجلس الأمة ببيان

عن وزارته، تعرض فيه لمشروع مديرية التحرير.

وأثناء مناقشة بيان الوزير تقدم العضو محمد رشدى النحال بطلب لتشكيل لجنة لدراسة المشروع ومدى نجاحه وما يثار حوله من إسراف، وتبذير فى أموال الدولة.

وتقدم سيد جلال بسؤال طالبا معرفة تكلفة استصلاح الفدان.. وعدد الموظفين بالمديرية.

وسؤال آخر عما إذا كان عدد من أعضاء المجلس قد عينهم مجدى حسنين فى المشروع.. ونشرت جريدة الأهرام أسماء هؤلاء الأعضاء وهم :اسماعيل نجم - أحمد أبو عوف- حيرم الغمراوى - د. محمود القاضى.

وقال وزير الزراعة أنه لن يجيب عن سالأسئلة عن إذ إنه لم يعد وزيراً للزراعة حيث أنه بعد أن قدم استقالته التحق بالعمل فى هيئة التغذية الدولية التابعة للأمم المتحدة وهو فقط ينتظر الموافقة عليها.

وقد تحمس عدد من الأعضاء لإسقاط العضوية عن زملائهم...

وتردد فى تلك الفترة أن المقصود ليس مجدى حسنين، ولكنه النيل من واحد من مشروعات الثورة....

لقد كان من الطبيعى فى أول تجربة بهذا الشكل لاستصلاح الأراضى الصحراوية، وقهر الصحراء، أن تكون هناك أخطاء، فقد كان الهدف الكبير هو الهدف خلق مجتمع زراعى جديد، يختلف عن المجتمعات الزراعية النمطية.. لذلك لم يكن غريبا أن يقول عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته، أن وجيه أباظة كان يجمع توقيعات من الأعضاء، ضد الاتجاه السائد بإسقاط العضوية عن هؤلاء الأعضاء...

وكانت أزمة كبيرة داخل المجلس الذى انقسم بين مؤيد ومعارض.

انتهت الأزمة بتقرير من مجلس الأمة بأن تصرف الأعضاء الأربعة سليم، بعد أن أحيلوا إلى اللجنة الدستورية وقد نشرت جريدة الأهرام فى صدر صفحتها الأولي:

قرر مجلس الأمة أمس سلامة تصرف الأعضاء الأربعة الذين أحالهم إلى لجنة الشئون الدستورية للتحقيق معهم، قرأ السيد بواقيم غبريال عضو المجلس التقرير الذى أعدته لجنة الشئون الدستورية. . وقال التقرير أن العضو أحمد شفيق أبو عوف تقرر تعيينه مستشارا موسيقيا لمديرية التحرير فى ١٧ يونيو ١٩٥٦، ثم أوقف صرف مكافأته بعد انتخابه عضوا فى مجلس الأمة فى سبتمبر ١٩٥٧، ثم أعيد صرف مكافأته فى أول أكتوبر الماضى، وقال التقرير عن العضو الدكتور محمود أحمد القاضى أنه أبلغ فى ٢٠ أغسطس ١٩٥٧ باختيار المؤسسة له للعمل مستشارا لشئون التخطيط الصناعى بحيث لا تزيد مكافأته عن ٤٨٠ جنيها سنويا وذلك بعد أن زار المديرية واكتشفوا أنه متخصص فى الإنتاج الصناعى، أما العضو إسماعيل نجم فقد تبين من ملفه فى مديرية التحرير أن السيد مجدى حسنين أصدر قراراً فى ٣٠ ستمبر ١٩٥٧ بتعيينه مستشاراً قانونياً لفرع المؤسسة بالإسكندرية ولايوجد مايدل على علم العضو بذلك عدا مذكرة بخط مدير الفرع بالإسكندرية على ورقة عادية بقرار السيد مجدى حسنين لإبلاغ العضو بذلك، وتبين للجنة أن السيد إسماعيل نجم لم يتقاض أى مكافأة من المديرية.

وقال التقرير أن اللجنة بحثت وضع مؤسسة مديرية التحرير ومركزها القانونى وطبيعة أموالها، وهل هى عامة أم خاصة ودستورية الجمع بين العضوية وتناول المكافات منها وتبين للجنة أن المؤسسة عامة لها شخصيتها الاعتبارية وتعتبر أموالها أموالاً خاصة على أن حصولها على المال من الميزانية العامة لا يجعل مالها عاما وأن الأموال التى تخصص لها تدخل فى ذمتها وتعتبر أموالا خاصة طبقا لقانون المؤسسات، وانتهت بعد سماعها لأقوال الاعضاء الثلاثة إلى سلامة موقفهم.

ناقش الأعضاء تقرير اللجنة ثم أخذ الرأى عليه فوافق المجلس عليه كما وافق على إصدار بيان يعلن فيه نتيجة هذا التحقيق ينشر فى الصحف ويذاع فى الإذاعة ويذاع فى دوائر الأعضاء الأربعة الذين تناولهم التحقيق.

هنأ السيد عبد اللطيف البغدادى رئيس المجلس الأعضاء الأربعة بقرار المجلس.

□ □ □

تقرير لجنة التحقيق التى كونهـا المجلس شمل جوانب القضـيه فقد «استمعت للجنة إلى أقـوال السادة الأعـضاء الذين ورد ذكـرهم فيـما أثيـر فى المجلس وهم الدكتور محمود أحمد القاضي، وأحمد شفيق أبو عوف، وإسماعيل نجم، ومحمد مجدى حسنين، وبدأت اللجنة عملها بالاطلاع على أوراق مـديرية التحرير الخاصة بموضوع التحقيق وقد تبينت من الاطلاع عليها ما يأتى:

أولا- أن السيد أحمد شفيق أبو عوف بدأ اتصاله بمؤسسة مديرية التحرير - من واقع هذا الملف - بطـلب من المؤسـسـة مـرفـوع إلى القـائد العـام بتـاريخ ١٤/ ١٩٥٦/٢ - للموافـقة على انتـدابه مستـشارا للمـوسيقى فى غـير أوقـات العمل الرسمية، ثم تقـرر تعيينه مستشـارا موسيقيا للمـوسسة فى ١٩٥٦/٦/٢٧، عقب احالته إلى المعاش بمكافـأة شهرية قدرها خمسة وعشـرون جنيها، وظل كذلك، ثم عرض قـرار بايقاف صـرف مكافأته أخذا بكتـاب ديوان الموظفين الدورى رقم ١٩ لسنة ١٩٥٧ الذى لفت النظر إلى أن الموظفين الذين فـازوا بعضوية مـجلس الأمة يعتبرون متخلين مؤقتا عن أعمالهم من تاريخ أدائهم اليمين الدستورية أمام المجلس فأوقف صرف المكافأة فى ١٩٥٧/٩/١٨.

وفى ١/ ١٠/ ١٩٥٧ أعيد صرف المكافأة لسيادته باعتـباره مستشارا للشئون الفنية وقد تبين من أوراق الملف :أن الأعـمال التى كان يقوم بها فـى المؤسسة هى وضع البرامج الموسيقية والإشراف على تنفيذ الخطط والمناهج، ووضع برامج فرقة الهواة فى المؤسسـة، وبرامج الحفلات والتفتـيش على الفرق وحضور المـؤتمرات الخاصة بتيسير تعليم الموسيقى.

كما تبين أن سيـادته كان متصلا بهذا العـمل منذ سنة ١٩٥٤، حين كان ضابطا برتبة بكـباشى فى الجيش المصـرى، حتى أحيل إلى المعاش فعين مـستـشارا وظل كذلك وقد قطعت مكافأته حتى أعيدت إليه بغير طلب منه.

ثانيا - تبين من الاطـلاع على أوراق السيد العـضو محـمود أحمـد القاضى أنه أبلغ فى ٥٧/٨/٢٠ بوقوع اخـتيار المؤسـسة على سيادته للعمل مـستشارا لـشئون

التخطيط والانتاج الصناعى نظير مكافآت عن الاستشارات اللازمة بحيث لا يزيد مجموع تلك المكافآت عن ٤٨٠ جنيها سنويا.

وفى ١٩٥٧/٩/٢ أبلغته المؤسسة شكرها لما بذله من مجهود فى عمل دراسات لإمكانيات الورش وإمكانيات مصانع المنتجات الخرسانية الموجودة بالمديرية وطلبت منه العناية بالدراسات الخاصة بالآلات الزراعية وموافاتها بالرأى.

وقد جاء بالخطاب المؤرخ ١٩٥٧/٩/٢٨، رقم ٢ من الملف أن السيد عضو مجلس الإدارة المنتدب أمر بصرف مبلغ مائة جنيه مكافأة لسيادته نظير الأعمال الموضحة بالتقرير المقدم منه.

ثالثا - تبين من الاطلاع على ملف السيد العضو الأستاذ إسماعيل نجم أن عضو مجلس الإدارة المنتدب أصدر قرارا بتاريخ ١٩٥٧/٩/٢٠ بتعيينه مستشارا قانونيا للمؤسسة بالإسكندرية بمكافأة سنوية قدرها ثلاثمائة جنيه، ولا يوجد ما يدل على علم أو إخطار السيد العضو بهذا القرار ضمن أوراق الملف عدا مذكرة بخط اليد على ورقة عادية جاء فيها أن القرار أبلغ إلى مدير مكتب المؤسسة بالإسكندرية لإبلاغه إلى السيد العضو.

رابعا - ونظرا لأن السيد العضو محمد مجدى حسنين هو عضو مجلس الإدارة المنتدب للمؤسسة منذ إنشائها كما هو معلوم، فلم تجد اللجنة داعيا للاطلاع على ملف خدمته اكتفاء بالتحقيق.

ولما كانت الوقائع موضوع التحقيق قد وضحت من الأوراق فيما عدا مسألة المذكرة المرفقة بملف السيد الأستاذ العضو اسماعيل نجم فقد اكتفت اللجنة فى شأن باقى الأعضاء بسؤالهم شخصيا لتجلية الأمر.

وقامت فى شأن المذكرة السابقة بسؤال الدكتور عثمان بدران مدير مكتب المؤسسة بالإسكندرية، والسيد محمد عبد الفتاح مدير الإدارة المالية بالمؤسسة، والسيد سعد هجرس مدير مكتب وزير الدولة لشئون الإصلاح الزراعى.

١- وقد ظهر من أقوال السيد العضو أحمد شفيق أبو عوف أنه كان سكرتيرا عاماً لمجلس الفنون الأعلى، وأن له دراية بشئون الموسيقى، وأنه بتلك الصلة

اتصل بشئون مؤسسة مديرية التحرير لنشر رسالته وفنه وأنه كان يعمل أحيانا بالمجان وأنه لم تقرر له مكافأة إلا فى ٥٦/٦/٢٧ بعد إحالته إلى المعاش.

وأن هذه المكافأة قد أوقفت بعد انتخابه عضوا بهذا المجلس ثم أعيدت إليه دون أن يطلب ذلك وأنه يعتقد أن المؤسسة تبينت خطأ التطبيق، باعتباره مستشارا فنيا للموسيقى بالمؤسسة وأنه باشر عمله فى كل وقت قبل تقرير المكافأة وعند انقطاعها غير ناظر إلى قيمتها.

ب - اتضح من أقوال الدكتور محمود أحمد القاضى أنه متخصص فى الإنتاج الصناعى من جامعة الإسكندرية وحاصل على الماجستير منها ثم أوفد فى بعثة إلى مانشستر فحصل على درجة الدكتوراه فى أقصر مدة.

وأنه عين عقب عودته لتدريس هذه المادة التى أوفدوا أحد رجالهم للتخصص فيها. وعرضوا عليه أن يعاونهم بإبداء مشورته الفنية فى مسائل تنظيم الإنتاج الصناعى حتى يعود مبعوثهم فقبل هذه المهمة على الفور دون نظر إلى أى مكسب مادى.

وقد زار المؤسسة بعد ذلك عشرات المرات وذهب إلى الإسكندرية لأداء المأمورية الفنية التى طلبت منه وقدم تقريره دون أن يطلب مكافأة عنها.

وقدر له عضو مجلس الإدارة المنتدب مبلغ ثمانية وثمانين جنيها وكلف بمأمورية جديدة، وقد قبل هذا العمل، وهو يعلم أنه عمل مباح لا يمس كرامته باعتباره عضواً ولا يتنافى معها، وبعد أن تبينت له حاجة المؤسسة إلى فنه الذى تخصص فيه.

جـ - قرر السيد الأستاذ اسماعيل نجم أنه لم يعلم قط بصدور قرار بتعيينه مستشارا قانونيا للمؤسسة، وغاية الأمر أن مدير مكتب المؤسسة فى الإسكندرية اتصل به ليلا فى منزله مساء ١٩٥٧/١٠/١٢ وطلب إليه إفتاءه فى حل إشكال عاجل بين المؤسسة وأحد تجار الإسكندرية فوجهه الوجهة الصحيحة وانحل الإشكال فعلا بالطريقة التى رسمها ولم يتلق مقابل ذلك أجراً، ولم يسبق أن علم بقرار تعيينه مستشارا للمؤسسة بالإسكندرية وما كان له أن يقبله لو أبلغ إليه فلما

نوقش فيما جاء فى صحيفتى الشعب والأهرام على لسانه مشيرا إلى تعيينه مستشارا قانونيا نفى اتصاله بجريدة الشعب أصلا وقال أن ما كتبته الأهرام جاء محرفا ولا يمثل الحقيقة التى ذكرها للمراسل، وهى لا تختلف عما ذكره بالمجلس ولجنة التحقيق.

❑ ❑ ❑

نشر مجلس الأمة بيانا نصه: خاضت بعض الصحف أخيرا فى موضوع مس كرامة أربعة من السادة أعضاء المجلس هم السيد مجدى حسنين، والسيد أحمد شفيق أبو عوف، والسيد الدكتور محمود القاضى، والسيد اسماعيل لجم.

ولما كان المجلس حريصا أشد الحرص على سلامة الحياة النيابية السليمة التى قامت الثورة من أجل تحقيق أركانها، وتطبيقا لأحكام الدستور، فقد بادر المجلس بإحالة الموضوع إلى لجنة الشئون الدستورية واللائحة الداخلية لتحقيقه على وجه السرعة وتقديم تقرير عنه إلى المجلس.

وحيث أن هذا التحقيق - الذى أقره المجلس - قد أثبت سلامة موقف السادة الأعضاء المشار إليهم.

وحيث أن المجلس حريص كل الحرص على ثقة الشعب التى هى سنده فيما هو مقدم عليه من أعمال تتعلق بسيادة مصر ومستقبلها.

وشعورا من المجلس بأن كرامة أعضائه كل لا يتجزأ، وأن ما يمس أيا منهم- بالباطل - إنما هو مساس بكرامة المجلس كله.

لذلك، وحرصا على ماسبق بيانه، يعلن المجلس سلامة موقف السادة الأعضاء الأربعة.

ويطلب إذاعة هذا البيان ونشره فى الإذاعة والصحف وفى الدوائر الانتخابية التى يمثلها السادة الأعضاء الذين لحق بهم ذلك المساس.



يقول وجيه أباظة فى حواره معى حول هذه القضية: لقد كنت أعرف أحوال مجدى حسنين ووالده عندما كان مأمورا فى الزقازيق وعرضت على مجدى حسنين أن يأتى إلى الشرقية، ويأخذ منطقة تسمى صان الصحراوية، وكان عثمان قد حجزها، وأقام فيها مصارف وسواقي، ولا ينقصها إلا الصرف، وطلبت إليه أن يستكمل الصرف، ولكنه رفض. لقد كانت روحه حديدية وفضل أن يبدأ فى منطقة التحدى.

فى نهاية جلسة المجلس وجدت مجدى يمسك بذقنه أى أنه يعنى العبارة المشهورة التى تقول «طيب بكرة تشوف».

فذهبت له معاتبا وقلت له غدا ستعرف من معك ومن ضدك.

وتركته وكان له قريب يسمى يوسف عنبة على ما أذكر وهوالذى كشف عملية دفاعى المستمر عن مجدى حسنين.

وجاءنى ومعه مجدى حسنين ودخلا عندى فى الحجرة أخذنى مجدى بين ذراعيه واعتذر وهو يبكى.

وقلت له: أنت تسرعت فلم يكن أحد يقصد شيئا.

فلم يقصد الرئيس جمال شيئا والبغدادى لم يقصد شيئا.

وأنت الذى وضعت نفسك فى هذه المشكلة.

❑ ❑ ❑

انتهت أزمة مديرية التحرير فى مجلس الأمة.

وكان لوجيه أباظة دور فيها.

ليس مع مجدى حسنين.

ولا مع الأعضاء الأربعة

وليس ضد أحد...

ولكن دفاعا عن الثورة التى عمل منذ فجر حياته من أجلها...

الانتساب

وقعت أزمة ثانية فى مجلس الأمة، هى أزمة «الانتساب»!

كان هناك اقتراح قدمه النائب أحمد رشاد الحاذق بفتح باب الانتساب أمام جميع الحاصلين على شهادة الثانوية العامة والتوجيهية... لجنة التقييم درست الاقتراح ووافقت عليه.. وكانت هذه الموافقة سببا فى أزمة. بدأت المشكلة فى جلسة ١٠ ديسمبر ١٩٥٧...

فى هذه الجلسة وجه الى وزير التربية والتعليم كمال الدين حسين ثلاثة أسئلة، أجاب عليها.

بعدها بدأ المجلس يناقش تقرير لجنة شئون التعليم، عن اقتراح أباحه الانتساب ذلك العام للكليات النظرية لجميع خريجى المدارس الثانوية وهو الاقتراح الذى قدمه النائب رشاد الحاذق...

وقال كمال الدين حسين فى كلامه أن هناك مشكلة للملايين الذين يمثلون المرحلة الابتدائية أو المرحلة الإعدادية ولا يجدون مكانا فى المرحلة التالية. ولذلك ينبغى تدبير أماكن لكل الخارجين من مرحلة فى مدارس المرحلة التالية. كما ينبغى إعطاء أهمية خاصة للتعليم الإبتدائى، ونتوسع بعد ذلك فى المراحل التالية على قدر الإمكان.

إن الضغط شديد على وزارة التربية والتعليم، للتوسع والازدياد، تقابلها محاولات من الدولة للتنسيق فى الناحية المالية بين واجباتها نحو الشعب فى مختلف مطالب الحياة، وذكر أن كل إنسان يريد لابنه أن يكون من أصحاب المؤهلات العليا، غير معترف بفروق الضعف والقوة التى تبرزها نتائج الامتحانات. وكل مصرى يستطيع أن يكون كما يريد بشرط الاجتهاد والعمل.

إننا نستريح إذا اقتنعنا بأنه ليس من الضرورى أن ينتقل الفرد من التعليم الثانوى إلى التعليم العالى، وبأن العمل اليدوى لايقل قيمة عن العمل الذهنى.

ثم أخذ عبداللطيف البغدادى رئيس المجلس الرأى فى الاقتراح برفع الأيدى، فأيدت الأغلبية الاقتراح الخاص بإباحة الانتساب هذا العام للكليات النظرية لجميع خريجى المدارس الثانوية.

وصفق النواب طويلاً بعد ذلك.

وكان رأى مديرى الجامعات... مختلفا

وكان رأى أساتذة الجامعات.. رافضا..

وكان رأى وزير التربية والتعليم مؤيداً لموقف، ولرأى الجامعات..

ولم تكن هناك وزارة للتعليم العالى، كانت فقط وزارة المعارف تشرف على كل أمور التعليم وقد غير كمال الدين حسين اسمها لتصبح وزارة التربية والتعليم وكان إلى جانبه فى الإشراف على المجلس الأعلى للجامعات.

❑ ❑ ❑

لم ينته الأمر عند هذه القصة.. ويقول وجيه أباظة.

- إن المشكلة بدأت بعد هذا التصفيق..

«وأنا كنت مع رأى كمال الدين حسين، فلم تكن القضية الاستجابة لرغبات الأعضاء على حساب المصلحة العامة، فى ذلك الوقت كانت هناك ثلاث جامعات، امكانياتها محدودة».

ولقد تكتل معى نواب الشرقية، فى هذا الموقف خاصة بعد أن تفجرت القضية بشكل أكبر.. عندما اختلف كمال الدين حسين مع المجلس.

وقد ترك الجلسة بعد منتصف الليل، وذهب لمقابلة جمال عبدالناصر وقدم له استقالته وجاء فيها:

«السيد رئيس الجمهورية لقد عهدتم إلى بالقيام بأعباء وزارة التربية والتعليم. وقد حاولت جهدى أن أؤدى واجبى بما يرضى الله والوطن والضمير مترسما مباديء الثورة المجيدة عاملا على خدمة بنى وطنى بكل ما أوتيت من قوة».

«ولكن ظهر من قرار مجلس الأمة فى جلسة اليوم أنه غير مقتنع بما أوردته فى بيانى خاصا بموضوع الانتساب فى الجامعات وما رأيته عن اقتناع وبعد استشارة المجلس الأعلى للجامعات ومجالس الجامعات المختلفة.

«ولما كنت أجد نفسى إزاء مـا عاهدت به ربى وضميـرى من الا أقوم على عمل إلا إذا كنت مـقتنعـا به تمام الاقتناع وبفـائدته للوطن والمواطنين الذين أبذل نفـسى دائما فى خدمتهم. لما كنت أجد نفسى غير قادر على تنفيذ هذه الرغبة من المجلس فإنى أرجو أن تتفضلوا بقبول استـقالتى من وزارة التربية والتعليم راجيا لكم دوام التوفيق فى الأخذ بيد الوطن إلى مراقى العز والسؤدد.

«والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

❑ ❑ ❑

قبلهـا كان كمال الدين حـسين فى الجلسة - التى استـمرت إلى مابعـد منتصف الليل - قد شرح للأعضاء وجهة نظره فـمشكلة البطالة للملتحقين بالكليات النظرية تشتد عامـاً بعد عام، وقد استوعبت الكليـات النظرية ٨١٠٠ طالب منتسب يضاف اليهم سـتة آلاف منتسب راسـبين فى السنة الأولى. وقال انه راجع الجامـعات فى قبـول منتسبين جـدد، فرفضت جـميعهـا لأسباب كـثيرة، منهـا كثرة المتـسبين فى الجامـعات، وقلة من ينجحـون منهم، والعجز عن تعليـمهم لأن هيئـات التدريس محدودة، وكـذلك عند تصحيح أوراقهم. وقد انقـضى معظم العام الدراسى ولم يبق على نهايته إلا فصل واحد، وليس من العدل تأجيل الامتحانات من أجل أقلية ضئيلة ضعيفة.

ورد مقرر لجنة التربية والتعليم، النائب عـبدالحميد الدواخلى، فقال: إن وزارة التربية والتعليم يسرت للطلبة سبل النجـاح، ومن حقهم أن يجدوا السبيل للمضى فى دراستهم. وذكر أن الوزارة فتحت مراكز للتدريب المهنى، وأن هذه المراكز أيضا حددت نسبـة معينة لدرجات النجاح، لـمن تقدموا للالتحاق بهـا. وليس الأمر أمر نظرة استـعـلاء، عن التـدريب المهنى، ولكـنه أمـر طلبـة لايجـدون مكانا لإتمام تعليمهم.

«وإن اللجنة تقترح فـتح دراسات توجيهيـة لهؤلاء الطلبة، واعتبـارهم منتسبين

للكليـات النظرية، على أن يبـدأوا بعـد الفـصل الدراسى الأول. وهى لاتريد إلا التعـاون مع الحكومة على حل هذه المشكلة، بدلا من تركـهم فى الشوارع. وهم إذا نالوا شهادة عالية صارت فرصة الحياة أمامهم أوسع.

ثم قال: إن المشكلة هى هذا العام، والمطلوب هو أن نجد لهـا حلا مؤقتا. وفى استطاعـة رجال التدريس فى الكليـات النظرية بالجامعـات، أن يعملوا ساعـة فوق ساعات العمل اليومية، واذا كانت الجامعات فكرت فى الأمر تفكيرا مثاليا، فتأييدها فى ذلك من حقها، اذا كان التدريس كله مثاليا.

وعرض رئيس المجلس اقتراحا بقفل باب المناقشة فوافق المجلس..

❑ ❑ ❑

يشرح وجيه أباظة أبعاد الأزمة، كان له دور فى حلها، بأن وجهة نظر مجلس الأمة كانت السماح لكل من حصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية للالتحاق بالجامعة.. وكان أعضاء المجلس يقعون تحت ضغط شديد فى دوائرهم، كما أن تخفيض الانتخاب إلى ١٨ سنة جعل بعض الشباب يكونون قوة ضاغطة على الأعضاء، أما مسألة الإمكانيات، فقد كان رأيهم أنها يمكن أن تتوفر.

وكان رأى الجامعات الذى عبر عنه الوزير أنها لا توافق على قبول منتسبين، فهى مكتظة بالطلاب والإمكانيات لا تكفي، والأساتذة لا يكفي، بل إن عدد الأساتذة لن يكون كافيا لمجرد تصحيح أوراق الامتحانات إذا فتح باب الانتساب على مصراعيه.

ورغم ذلك فإن مـجلس الجامعـات الثلاث قرر أن تتحـمل ما لا طاقة لهـا به وتقبل ثمانية آلاف منتسب منذ أول العام الدراسى فى الكليات النظرية.

وإن معنى قبول منتسـبين جدد بعد ذلك، ونصف العام الدراسى يوشك أن ينقضي، أن يختل نظـام الدراسة، لا بالنسبـة للطلبة الجـدد من المنتسـبين، ولكن بالنسبة لـلطلبة الأصليين أيضا، لأن الضـغط على الأساتذة سيجـعل قدرتهم على ممارسة أعمـالهم أمرا مستحيلا من الناحية المادية.

ويجب ان يكون فى الاعتبار أن الجامعات ليست امتدادا عاديا للدراسة الثانوية فان ذلك قضاء على فكرة الجامعة ورسالتها، ولو أن الأمر أصبح كذلك فإن عدد تلاميذ المدارس الإبتدائية الآن ٢ مليون تلميذ، والبرامج الجديدة سترتفع بهذا العدد إلى ٥ملايين، فإذا كان لابد أن يدخل هذا العدد إلى المدارس الإعدادية، ثم يدخل نصفه إلى المدارس الثانوية مثلا، ثم يدخل نصف النصف إلى الجامعات باعتبارها امتدادا طبيعيا للدراسة الثانوية فإن معنى ذلك أن تفتح الجامعات أبوابها لمليون وربع مليون طالب وهو أمر لا يتصوره العقل.

ذلك أن البلاد ليست فى حاجة إلى هذا العدد من خريجى الجامعات، بل ليست قادرة على استيعابهم، وليس من المفهوم أن نخرج فى الجامعات شبابا لا يجدون أعمالا تتطلبها مؤهلاتهم.

وكان رأى الوزير ـ كمال الدين حسين ـ أنه لا يستطيع أن يفرض على الجامعات ما لا طاقة للجامعات به، ذلك أن الجامعة مستقلة، ولأنه لا يستطيع أن يأخذ رأى الفنيين والخبراء فيها ويضرب به عرض الحائط.

وفى رأى الوزير أن المجلس كان يجب أن يحاسبه لو أنه تخطى رأى مديرى الجامعات، لا أن يفرض عليه أن يتخطى رأيهم، خصوصا إذا كان هو نفسه مقتنعا برأيهم..

وعندما ناقشت كمال الدين حسين ـ يقول وجيه أباظه ـ كان رأيه أن استقالته وإن كانت خطوة حازمة إلا أنها كانت ضرورية فى الظروف المحيطة بها ،لأن هذه الاستقالة ربما كانت «جرس الخطر» الذى يقرع الآذان لكى تكون هناك دراسة جدية لجميع المشاكل على ضوء العقل وحده وبعيدا عن تأثيرات العاطفة.

كما كان رأى مديرى الجماعات ومجالس كلياتها أن رغبة مجلس الأمة مستحيلة التحقيق ماديا، إن المجلس له مكانته العالية، وله سلطانه الذى يحترمه الجميع، ولكن الأمر هنا أمر طاقة مادية، ويضرب أحد مديرى الجامعات مثلا على ذلك فيقول:

«باخـرة حمولـتها ألف راكـب. . . هل يمكن أن يكون فى سلطان أى بشر أن يـأمر ربانها بأن يحمل على ظهرها مائة ألف. . .؟ معنى ذلك أنها ستغرق لتوها»!

وكان حملة الثانوية العامة والتوجيهـية الذين لم تتسع لهم الجامعات هذا العام ـ ولقد قبلت الجامعات ألفاً منهم ما بين نظاميين ومنتسبين ـ لم يتركوا فى الشوارع، فلقد قبلت المعـاهد العليـا منهم ٣٠٠٠، والتـحق ٢٥٠٠ بمراكز التـدريب المهنى لمواجـهـة حاجـة الصناعات الجـديدة، وما زالت مراكز التدريـب المهنى تطلب المزيد ـ كذلك وظف ديوان الموظفين ألفى طالب منهم. . .

ـ كما أن هناك ألفا وخمسمائة من الباقين يعملون فعلا فى وظائف حكومية.

❑ ❑ ❑

ـ سألت وجيه أباظة.

● **ماذا عن كمال الدين حسين مع مجلس الأمة؟**

ـ مجلس الأمة على ما أذكر يريد أن يفعل شيـئا به «منظرة» إلى حد ما، فيقول الكل يدخل الجامعة مثلا. فوقف كـمال الدين حسين وقال: غير ممكن فليس لدينا إمكانيات بشرية بل نعانى من عجـز ولا توجد إمكانيات مادية. وكان هذا هو رأى الجامعات فى ذلك الوقت، فقد رجع اليهـا كمال الدين حسين قبل أن يرفض قبول منتسـبين جدد. لم يكن هناك إمكانـيات ولم تكن خطط الدولة قـد وضعت، ولم تكن الدولة قد اتجهت لتحمل مسئولية تشغيل الخريجين. .

كان المجتـمع مختلفاً ومـا يدور فيه مختلفـا، وكان إصرار الجامـعات على عدم قبول أعداد جديدة من المنتسبين هوالذى حمله كمال الدين حسين إلى المجلس. .

وكنا مع كمال الدين حـسين نحن نواب الشرقية ومعنا كثـيرون، كل فرد يعرف مجموعة وكل شـخص من هؤلاء يعرف مجموعة أخري، وهكذا وأيضـا مجموعة

المنيا كثير من المحافظات.

وكان مجلساً ممتازاً وكانت به عناصر ممتازة ومتمكنة.

وقد أعجبنا جدا بموقف كمال الدين حسين وكان الأعضاء قد انصرفوا واستمرينا نحن نواب الشرقية والمنيا فى الجلوس.

وكنت أجلس فى الصف الذى يلى مباشرة الصف الذى يجلس فيه كمال الدين حسين.

لقد وجد كمال الدين حسين أن المجلس انصرف فيما عدا أعضاء الشرقية

وسألنى مع من تكون؟

فقلت: نحن نجلس خصيصا من أجلك أنت؟ ولكى نعطى أصواتنا لك.. ولن يشذ أحد منا إطلاقا.

فشكرنى... وفعلا كانت كل أصوات الشرقية مع كمال الدين حسين.

وكان كلامه هو الوحيد المعقول جدا والآخرون كانوا يقولون: نريد أن نعمل جامعات جديدة. طبعا كنا نتمنى أن تقام الجامعات ولكن المسألة لم تكن بحثا عن الشعبية ولكنها تقدير حكيم لكل الظروف.

● هل كانت هناك حرية رأى داخل مجلس الأمة فى ذلك الوقت؟

ـ كان هذا المجلس هو الوحيد الذى كانت به حرية، وفقا لما شهدته بعد ذلك... إذا كانت هناك حرية للرأى فليكن فى ذلك المجلس.

وكان البغدادى يعطى له قوة أكبر وكانت صلاته وثيقة بكل عضو، وكنا نعطى له صورة لكل شخص، وملخصاً عنه.

وكان يرسل فى طلب كل عضو ويتحدث معه.

وكان فى المجلس عدداً من الشخصيات أذكرهم على الشيشنى شخصية

عظيمة، وخبير زراعة عالمى وسيد جلال كان خبرة فى كل شيء.

وكان البغدادى فى الحقيقة رئيس مجلس قوياً وممتازاً.

❑ ❑ ❑

رفض جمال عبد الناصر استقالة كمال الدين حسين، وأعلن أن الوزارة تعبر عن سياسة الدولة. وأن اقتراحات المجلس ورغباته محل تقدير الحكومة.

.. وانتهت الأزمة الثانية فى أولى مجلس أمة.

وكان وجيه أباظة قد لعب دورا هاما فيها، إلى جانب كمال الدين حسين..

هو...

ومعه نواب الشرقية.

ولم تكد تنتهى أزمة الانتساب .. حتى واجه المجلس أزمة أخرى.

هى أزمة وجوده هو نفسه..

فقد قامت الوحدة بين مصر وسوريا.

وكان لابد أن يقام برلمان جديد.. لدولة الوحدة التى أطلق عليها اسم الجمهورية العربية المتحدة، بإقليميها الشمالى والجنوبى.

أو السورى.. والمصرى.

وكان وجيه أباظة عضوا فى هذا البرلمان الجديد. .برلمان الجمهورية العربية المتحدة عقب الوحدة مباشرة.

الحكم المحلي

بدأت مناقشة نظام الحكم المحلى فى مصر فى وقت مبكر، قبل تطبيقه بسنوات، وأعد مشروع القانون، وناقشته اللجنة الوزارية للخدمات برئاسة عبداللطيف البغدادى وزير البلديات والتخطيط القومى، بعد أن أبدت كل الوزارات ملاحظات عليه، ويبدو أن قيام الوحدة بين مصر وسوريا كان السبب فى تأخير صدور هذا القانون.

وقد نشرت جريدة الأهرام التفاصيل الكاملة لنظام الحكم المحلى[1] الجديد يوم ٢٢ مايو ١٩٥٩. على أساس أن يبدأ تنفيذه بعد انتخابات الاتحاد القومى، وقالت: إنه تطبيق عملى لنظام ديمقراطى مباشر فى الجمهورية العربية المتحدة، حيث يقيم القانون حكومات محلية، وبرلمانات محلية، تتولى سلطات واسعة فى الحكم والتشريع.. وعلى الأخص من حيث إنفاق الضرائب محليا بواسطة الحكومات المحلية، وتحت إشراف البرلمانات المحلية على الأوجه التى تساعد على تقدم كل اقليم، حيث يمثل كل محافظة مجلس يتكون من أعضاء معينين وأعضاء منتخبين تكون لهم الأغلبية، ومدة العضوية ٤ سنوات وتجدد عضوية نصف المنتخبين مرة كل سنتين، ويعقد مؤتمر سنوى لجميع أعضاء مجلس المحافظة ورؤساء المجالس البلدية والقروية لبحث شئون المحافظة.

وطبقا لهذا النظام فإنه تقسم الجمهورية العربية المتحدة بقرار من رئيس الجمهورية إلى وحدات إدارية: محافظات ومدن وقرى، ويكون لكل منها الشخصية المعنوية، ولكل منها مجلس، ويمثل القرية المجلس القروى. ويكون لكل محافظة ممثل لرئيس الجمهورية، يتولى الإشراف على تنفيذ السياسة العامة للدولة والرقابة على الموظفين فى حدود اختصاصه.

❑ ❑ ❑

كان العنوان الرئيسى لجريدة الأهرام فى ذلك اليوم من كلمتين لهما دلالة عميقة وهما «الشعب يحكم».

وفى يوم ٢٦ مارس ١٩٦٠ وقع الرئيس جمال عبدالناصر قانون نظام الإدارة المحلية الذى يتولى الشعب بموجبه سلطاته عن طريق مجالس المحافظات والمدن والقرى..

وفى ١١ سبتمبر أصدر الرئيس جمال عبدالناصر ٧ قرارات يعمل بها على الفور، لتنفيذ نظام الإدارة المحلية فى الإقليم المصرى:

- قرار بتعيين كمال الدين حسين وزيراً للإدارة المحلية.
- قرار بتعيين عدد من مديرى الأمن فى المحافظات.

---

(١) الأهرام ١٣/٧/١٩٥٧

ـ قرار بإنشاء اللجنة الإقليـمية للإدارة المحلية بالإقليم الجنوبى من الجمهـورية العربية المتحدة.

ـ قرار بإنشاء اللجنة المركزية للإدارة المحلية.

* قرار بعدد من التعيينات فى وزارة الداخلية.

وكان فى مقدمة هذه القرارات القرار الخاص بتعيين أول دفعة من المحافظين لمحافظات مصر بعد أن قسمت إلى ٢١ محافظة.

ـ صلاح دسوقى ـ سكرتير عام الوزارة المركزية..	محافظا للقاهرة.
ـ صديق عبداللطيف ـ حكمدار الإسكندرية..	محافظا للاسكندرية.
ـ عماد الدين رشدى ـ مدير بلدية بورفؤاد..	محافظا لبورسعيد.
ـ حسن عبداللطيف ـ قائد منطقة القنال..	محافظا للإسماعيلية.
ـ محمود طلعت ـ محافظة السويس..	محافظا للسويس.
ـ عبدالحفيظ أبو غنيمة ـ مدير أمن القليوبية..	محافظا للقليوبية.
ـ عبدالعزيز على ـ وكيل وزارة الداخلية...	محافظا للشرقية.
ـ اسماعيل فريد ـ الملحق العسكرى ببراغ...	محافظا للدقهلية.
ـ محمد حمدى عاشور ـ ضابط بالجيش....	محافظا لدمياط.
د. أمين متولى موسى ـ سكرتير مجلس الجامعات ...	محافظا للمنوفية.
ـ عمر محمد سعفان ـ مستشار ـ	محافظا للغربية.
ـ أحمد حمدى عبيد ـ ضابط سابق بالجيش	محافظا لكفر الشيخ.
ـ محمد وجيه توفيق أباظة ـ عضو مجلس إدارة التحرير	محافظا للبحيرة.
ـ محمد أحمد البلتاجى ـ وكيل وزراة شئون رياسة الجمهورية..	محافظا للجيزة.
ـ محيى الدين أحمد أبو العز ـ ضابط بالجيش.....	محافظا للفيوم.

- عبدالمحسن أبو النور - ضابط بالجيش .... محافظا لبنى سويف.

- عبدالفتاح على حسن فؤاد - قائد الحرس الوطنى... محافظا للمنيا.

- عصام الدين محمد حسونة - المستشار فى غزة... محافظا لأسيوط.

- أحمد خورشيد - مدير أمن بورسعيد ... محافظا لسوهاج.

- عبدالرءوف عاصم - مدير عام السجون.... محافظا لقنا.

محمد سعد الدين زايد - سكرتير عام المجلس التنفيذى... محافظا لأسوان.

❑ ❑ ❑

كان هؤلاء هم رواد نظام الحكم المحلى فى مصر.. ٢١ محافظا بينهم الضباط من الجيش والشرطة، والمستشارون وأساتذة الجامعات.. وكان عليهم أن يقودوا أول تجربة للنظام الجديد، وأن يحرسوا من خلال القانون وأيضا من خلال الممارسة القواعد الأولى لهذه التجربة الديمقراطية الواسعة التى تشهدها مصر لأول مرة.

عرفت مصر التقسيم الإدارى بالقرار الذى أصدره نابليون عام ١٧٩٨، بتقسيم البلاد الى ١٦ مديرية «الإسكندرية - القاهرة - دمياط - رشيد - المنصورة - الغربية - الشرقية - منوف - قليوب - الجيزة - أطفيح - بنى سويف - المنيا - منفلوط» ورأس كل مديرية مدير فرنسى يعاونه ديوان استشارى يضم سبعة أعضاء من أعيان المديرية، وفى العام التالى أعاد كليبر تقسيم البلاد إلى ٨ مديريات فقط.

وكان محمد على أول من أنشأ نظام المراكز فى مديريات مصر «١٤ مديرية» على رأس كل مركز مأمور، وقسمت المراكز إلى أخطاط، لكل منها ناظر، والاخطاط قسمت إلى قرى ونشأت وظيفة عمدة القرية..

وجاء الاحتلال الإنجليزى بنظام جديد للإدارة المحلية، فأنشئت مجالس استشارية للمديريات.

وتحت ضغوط الأجانب أنشىء مجلس بلدى فى مدينة الإسكندرية، اعترف له

بالشخصية المعنوية. . ثم بدأت مجالس البلديات المختلطة من المصريين والأجانب تتأسس في المدن الكبرى، إما المدن الصغرى فقد أنشئت مجالس محلية.

وجاء دستور ٢٣. . ليعطى أول اعتـراف دستورى بهذه المستويات الإدارية «المديرية ـ المدينة ـ القرية». . وظل النص معطلا فلم تنشأ مجالس فى أغلب المدن والقرى.

وكانت الخطـوة الثورية، وفقـا لدستـور ١٩٥٨، الذى أرسى قواعـد الإدارة المحلية بتقسيم الجمهورية العربية المتحدة إلى محافظات، ومدن وقرى، على أن ترتبط فى تنظيم على درجتـين هى المحافظة ثم المدينة ثم القـرية لكل منها مـجلس له شخـصية مـعنوية معترف بها.

وكان إصـدار قانون الحـكم المحلى، وبداية تطبيـقه طفـرة كبـيرة، لذلك كـان على المحافظـين الجدد الذى اختـيروا أن يبـدأوا هذه التجـربة الجديدة. . ومنـذ الآن. . فإن المديريات قد ألغيت، وتحولت إلى محافظات. .

وهو التقسيم الإدارى الذى ظل سائدا، حتى اليوم، وإن كان عدد المحافظات قد زاد من ٢١ إلى ٢٦ محـافظة، بعد إنشـاء محافظات فى الحـدود «البحر الأحـمر + الوادى الجديد + شمال سيناء + جـنوب سيناء + مرسى مطروح» وبعض هذه المحافظات أنشيء فى سنوات متقدمة. .

❑ ❑ ❑

المحافظون الجدد الذين صدر قرار جمهورى بتعيينهم فى ١٢ سبتمبر ١٩٦٠، مختلفو الثقافات والمهن. . والتجربة جديدة على مصر. . . واقترح عقد دورة تدريبية يحاضر فيها أساتذة معـهد الإدارة عن تجارب الإدارة المحلية فى العالم وأسلـوب تعامل المحافظين مع الجماهير فى محافظاتهم، وطريقة مواجهة المشاكل!

ولكن هذا البرنامج التدريبى لم يستمـر إلا يوماً واحداً. . ففى المحاضرة الأولى أراد الدكتور المحاضـر أن يشرح للمحافظين الجدد أسلوبا فى الإدارة، ينبغى أن يتـبعوه حتى لاتواجههم كثير من المشاكل ويتفرغـوا للعمل. . وضرب مثلا إذا جاء شخص ما يطلب مقـابلة المحافظ. فلا يقـابله فى نفس اليوم. . وعلى كل مـحافظ أن يعد نموذجـاً ـ كان

يحمله ـ ورقة مقسمة على شكل جـدول، ليملأه طالب المقابلة عن اسمه وسنه وعنوانه ووظيفته، وسـبب المقابلة.. ومعلومات أخرى من هذا القبـيل ينبغى على الشخص أن يكتبها.. فإذا ملأها بالبيانات يتركها فى السكرتارية، ويعود فيما بعد ليعرف ما إذا كان قد تحدد له موعدا أم لا..

ووقف وجيه أباظة مـعترضاً، وقال: ياسيـادة الدكتور أنا لن أطبق هذا الكلام أبدا، وهو لايصلح لى، كـما أنه لايصلح فـى المحافظات الريفـية، وربما يطبـقه الأخ صـلاح دسوقى وهو محافظ القاهرة، حيث المتعليمن والمثقفين، وأساتذة الجامعات!

وقـال صـلاح دسوقى: وأنا أيـضا لن أنفـذه لأنه لايصلـح عندى... واستـمـرت المحاضـرة حتى نهايتـها.. وفى اليوم التإلـى لم يحضر وجيـه أباظة وقرر مقـاطعة كل المحاضرات.

وعندما قـابله كمال الدين حـسين وسأله عن سبب عـدم حضوره الدورة التدريبـية، روى له ماحـدث.. واتخذ كمـال الدين حسين قـرارا حاسمـا بإلغاء الدورة كلهـا! كان الأساتذة الذين أحضـروهم لالقاء محاضرات فى دورة التـدريب من المتعلمين والوافدين من الدراسة فى مجتمـعات مختلفة ولم يحسوا أبدا بنبض الشعب المصـرى ، وطبيعته، وعاداته وتقاليده.

❑ ❑ ❑

أقسم المحافظون اليمين الدستورية أمام جمال عبدالناصر..

بعد القسم، عقد أول اجـتماع معهم.. ووفقا لشهادة وجـيه أباظة، فقد بدأ الرئيس حديثه معهم بتحديد مهامهم، وقال الرئيس: أنا لا أريد محافظين يجلسون فى مكاتبهم، أريد محافظين بتـوع شوارع يطوفون بالشوارع، يتحسـسون مطالب الناس ويعملون على تنفـيذها، وإذا واجـهت أيا منكم مـشكلة فـإن عليـه أن يتصـل بى فورا، فـأنا لا أريد موظفين يجلسون فى المكاتب..

وربما أثيـر فى هذا الاجتـماع، ماحـدث فى أول دورة تدريبيـة للمحـافظين.. ورأى الدكاترة ضرورة أن يخلق المحافظ لنفسه هيبة، وكان رأى جمال عبدالناصر موافقا للآراء التى اعترضت على مفهوم دكاترة الإدارة لبداية عمل الحكم المحلي..

وبدأ المحافظون يستعدون للذهاب إلى محافظاتهم للعمل فى التجربة الجديدة.. تحت ظروف صعبة إلى حد كبير..

فليست هناك إمكانيات لاستقبالهم.. ولا لإقامتهم، ولا مكاتب.. ولا سيارات لا شيء على الإطلاق.. لأنهم سوف يبدأون من الصفر..

وكانت الخطة الخمسية الأولى قد وضعت قبل هذه البداية.. وقد بدأ تنفيذها بالفعل.. بل إنه مضى مايقرب من عام على التنفيذ.. فالخطة حددت سنة ١٩٦٠ للبداية وسنة ١٩٦٥ للنهاية.

وفيما بعد... فإن هذه الخطة حققت أعلى معدلات للتنمية فى تاريخ مصر بشهادة الأمم المتحدة ذاتها.. فقد أعطاها وجود المحافظين، ونظام الحكم المحلى دفعة كبيرة إلى الأمام..

وكانت محافظة البحيرة هى الأولى فى التنفيذ.. بل إنها حققت فى العام الأول كل ماكان مطلوبا فى الخطة خلال سنواتها الخمس، وبدأت مشروعات إضافية، تزيد عليها، وأحيانا وفى بعض القطاعات فإن معدلات التنفيذ كانت أربعة أضعاف ماورد فى الخطة من ناحية الخدمات..

❑ ❑ ❑

كان على وجيه أباظة أن يتوجه إلى مدينة دمنهور عاصمة محافظة البحيرة.

ولم يكن قد زارها من قبل، ربما مر بها ذات يوم مع موكب جمال عبدالناصر، وهو ذاهب إلى مدينة رشيد، ولكن دمنهور لم تترك فى ذاكرته أثراً.

ودمنهور عاصمة البحيرة من المدن المصرية القديمة، فهى مدينة «الإله هور» وإليه يرجع اسمها منذ الفراعنة..

كان أول ما رآه من مدينة دمنهور محطة السكة الحديد.. فلم يستخدم السيارة، ولم تكن هناك سيارات للمحافظين، ولكنه استخدم القطار.. ومعه شخص، وربما اثنان.. وكان قد أبلغ أن المحافظ الجديد... أول محافظ للبحيرة سوف يصل فى الموعد المحدد بالقطار.. بعض رؤساء المصالح الحكومية هرعوا لاستقباله كالعادة، وبعضهم تجاهل

الأمر، وأعلن مدير الأمـن أنه لن يذهب، فقد كان مدير الأمن هـو الحاكم من قبل. .
وقانون الحـكم المحلى جعل مـدير الأمن مسـتقلا غـير خـاضع للمحـافظ، بل ويرأس
جلسات مجلس المحافظة فى غيابه. . ولقـد سبب ذلك صراعًا وصداعاً لكل المحافظين،
ولكن وجـيـه أباظة اسـتطاع أن يـتـغلب على المشكلة بشكـل قـاطع ويضع الضـوابط
والأصول، ليكون الحكم المحلى فعلا ـ حكما محليا. .

وبدأ منذ وضع قدمـيه فى مدينة دمنهور يواجـه المشاكل والمتاعب. . ولكنه واجـهها
بحسم، ولم يتهرب منها أو يؤجلها. .

وكانت المشاكل ضخمة. . وكبيرة ومتنوعة.

❑ ❑ ❑

ليس سهـلا أن تكون حاكـما لإقليم، خـاصة فى ظل نظام جديـد يطبق لأول مرة،
لايعرف الناس أبعاده، ولا مهامه، ولا تعرف أنت هذا الإقليم الذى تتولى مسئوليته. .

ولم يكن لدى وجيه أباظة معلومات وافيـة عن الإقليم الذى سيذهب إليه، أكثر من
المعلومات العادية التى يعرفها أى مواطن.

محافظة ، تضم عددا من المدن، والقري. . ولم يكن ذلك صحـيحا. . فإن محافظة
البـحيـرة تنفرد بميزة خـاصة دون سـائر المحافظـات، فهى تحـوى عدا المدن والقـرى،
مجتمعـات بدوية، وصحراوية، ومجتمعا للصيادين. . وتـكمن الصعوبة فى التعامل مع
كل هؤلاء، وكل واحد منها له طلباتـه الخاصة، وخدماته الخاصة، كمـا تحتاج أيضا إلى
نوع مختلف عند التـعامل أو التفاهم. .أيضاً المحافظة تضم ١٤ مـركزا مختلفا مسـاحتها
١٠٧٥٧ كيـلو متـراً مربعـاً، أى مايوازى ٢,٥٦٠,٧٠٣ فـداناً، الزمام الزراعى منهـا
١,٢١٤,٧٠٩ أفـدنة والأراضى الصـحـراوية ٩٩١,٢٥٤ فدانـاً غيـر الأراضى البـور
والمنافع. .

ومثل هذه المحافظة تحتاج من حاكمها إلى أحد أمرين:

أن يجلس فى مكتبه، ويغلق البـاب على نفسه، ويترك الأمور تسير كـما كانت عليه

فى الماضى، فيريح نفسه، والعاملين معه من كل عناء أو معاناة، هذه وسيلة سهلة اتبعها بعض المحافظين بعد ذلك.

والأمر الثانى أن يترك مكتبه، وينزل إلى الناس، ويعيش بينهم، ويعرف سلفا أنه لن يستريح أبداً مادام تصدى للعمل، ولحل تراكمات الأجيال، من إهمال هذه البلاد ونسيانها..

واختار وجيه أباظة الطريق الثانى، بل إن هذه الدفعة الأولى من المحافظين جميعهم اختاروا أيضا هذا الأسلوب..

ويقول حمدى عبيد الذى عين محافظا فى كفر الشيخ فى نفس الفترة مع وجيه أباظة، إننا كنا نحاول أن نلحق به، ولكننا لم نستطع، فقد سبقنا بمسافات طويلة، وكنا نذهب إلى دمنهور لنتعلم منه..

وأذكر أننى حضرت افتتاح إحدى الوحدات الصحية الريفية وسألته: كم تكلفت هذه الوحدة فقال انها تكلفت خمسة آلاف جنيه، وكنت قد صحبت معى عدداً من المسئولين فى المحافظة، لينقلوا التجربة، كان بينهم مقاول أرغمته على أن يقيم وحدة ريفية بنفس التكاليف، وكانت مهمة شاقة بالنسبة له.

أيضا كنا نعقد اجتماعا أسبوعيا معه، إسماعيل فريد محافظ الدقهلية، وأنا، نتبادل الرأى، سوياً وقد استفدنا كثيراً من تجربته التى كانت متميزة..

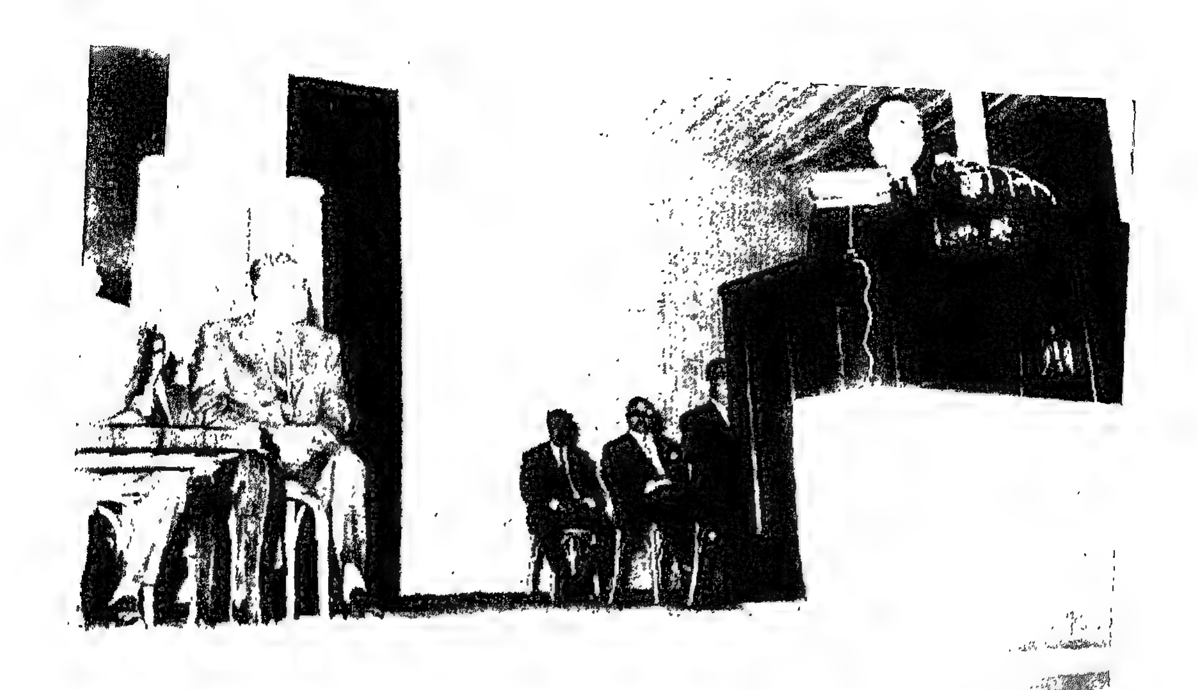
❑ ❑ ❑

ذهب وجيه أباظة إلى مدينة دمنهور محافظة البحيرة التى يدخلها لأول مرة..

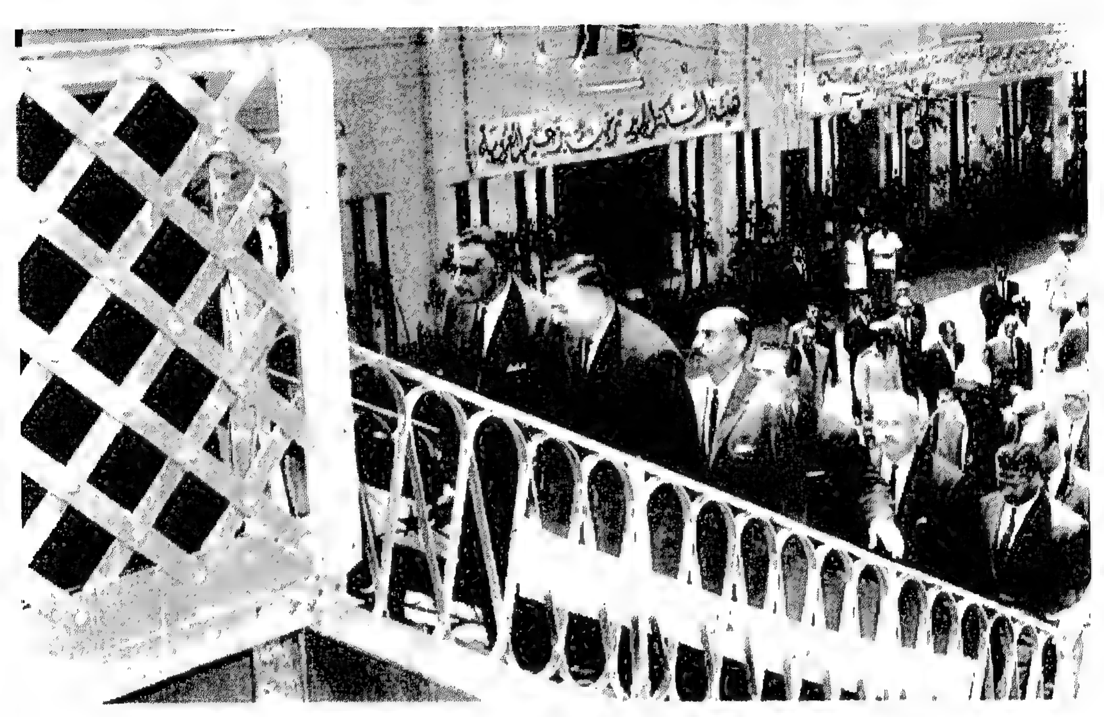
وبعد سنوات أمضاها هناك. تحولت هذه المدينة. بل والمحافظة كلها إلى حبه الكبير...

ولم يكن حباً من طرف واحد.. فقد كان أهل البحيرة ومازالوا يبادلونه حباً بحب..

بل ويمنحونه ما هو أكبر من الحب.



الاحتفال بعيد العمال بكفر الدوار عام ١٩٦٨ جمال عبدالناصر ، احمد فهيم رئيس اتحاد العمال
يصفقان لوجيه اباظة محافظ البحيرة



في البحيرة مع جمال عبدالناصر



مع جمال عبدالناصر





وجيه اباظة مع ام كلثوم



وجيه أباظه مع فرقة البحيرة للفنون الشعبية ويرى فى الصورة : أحمد سلطان ـ المرحوم يحيى هلال



الوحدة الوطنية . . كان يؤكدها دائما في اجتماعاته بالمحافظات الثلاثة التي تولاها





مع محمد أحمد ، الليثى ناصف أثناء وضع حجر الاساس لمعهد ناصر .



م سعيد النجار . دمصباح العجمى رئيس جمعية الاسكان للعاملين بالشركة .



مع سلطان البهرة



وجيه أباظه محافظ القاهرة أثناء حلف اليمين بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر . . مع السادات وحمدى عبيد



مع أنور السادات ، وفؤاد محيى الدين



فى رحلة الحج مع المستشار محمد عبد الرحمن اباظة ـ عبد العزيز الشريف ـ سامى أباظه ـ مدحت أباظه ـ نشأت أباظه ـ مصطفى الجندى أمين الاتحاد الاشتراكى بالغربية

جمال عبد الناصر يفتتح احد المشروعات في محافظة البحيرة



وجيه اباظة مع فرقة الفنون الشعبية في البحيرة

النضال الوطنى ٢٧

البحيرة

عندما جرفت السيول عشرات القري، ودمرتها... كتبت إحدى الصحف القومية... تترحم على وجيه أباظه، وتقول: ليته كان على قيد بالحياة ليزيل آثار معاناة سكان هذه القري.. وفورا.

لقد ترسب فى وجدان الناس جميعا، تجربة وجيه أباظه محافظ البحيرة، عندما احترقت إحدى القري، فصحب كل الأجهزة التنفيذية، وجندها، وعاش معها فى الموقع ٢١ يوما حتى تم بناء قرية جديدة حديثة ونموذجية فى هذا الوقت القياسي.

ولم يكن هذا العمل، هـو أبرز أعمال وجيـه أباظه أول محافظ للبـحيرة بعـد قانون الحكم المحلي، الذى كان يطبق فى مـصر لأول مرة أيضا.. ولكنه كـان ضمن منظومة من الأعمـال المتميزة التى شـقت طريقها إلى المحـافظة، وما زال الناس يذكرونهـا حتى اليوم.. لذلك لم يكن غـريبا أن تقيم البحـيرة حفل تأبين لمحافظ تركهـا منذ ربع قرن، وأن ينشئوا جمعية باسمـه لتخليد ذكراه وأن يصر المجلس المحلى على إطلاق اسمه على الاستاد الرياضى الذى أقامه، وكان أول استاد يقام خارج العاصمة!

المنجزات المادية، من وحـدات ريفية، ومدارس، ومـستشفـيات، وشق طرق، وبناء أحياء جديدة.. ليست هذه أهم أعمال وجيه أباظه فى البحيرة.

لقد كان أهمـها أنه اكتشف جيلا جـديدا من القيادات الشابة، حمّله كل المسـئولية، ومنحه تفويضا بالعمل والانطلاق..

هذا الجيل الجديد هو الذى قاد مسيرة التـغيير فى المحافظة، ولم يكن يعرف أحدا فى المحافظـة يوم دخل دمنهور لأول مـرة وحده.. ولكنه من خـلال سعيـه وسط الناس، استطاع بحاسته أن يتلمس من بينهم القـادرين على القيادة، ويوم رشح له الدكتور مراد غالب سـفير مـصرفى موسكو شـابا نشيطا هو د. سـعد الخوالقـه تعهده فـورا بالرعاية والاهتمام حتى أصبح قيادة كبيرة مازال يواصل عطاءه..

ولقد استطاع أن يكتشف قـيادة شابة لامعة، ومتحمسـة هو أحمد يونس، الذى عينه رئيساً لمجلس قريته.. وكان أحمد يونس وطنياً، ونشيطاً خدوماً، حتى حظى بثقة الناس جميعاً.. وبجهده، وبدعم من وجيه أباظة أصبح أحـمد يونس قيادة سياسية معروفة فى مصر، وأصبح عضواً فى مجلس الشعب بإرادة الناخبين وإجماعهم لأكثر من مرة، كما أصبح رئيساً للاتحاد التعاونى بكفاءته وإخلاصه فى عمله..

وفى كل المواقع كان يسـعى بنظره لاختيار العـناصر الصالحة للقـيادة، لذلك لم يكن غريبـا أن يخرج من البـحيـرة بالذات عددا كـبيرا من القـيادات السـياسـية فى مخـتلف المجالات، مثل قيـادات الفلاحين، الذين تحملوا مسئوليـة العمل من أجل الفلاحين فى كل تنظيماتهم.. حتى اليوم كلهم من البحيرة..

كانت محافظة البحيرة - بقيادة المحافظ الثائر - وجيه أباظه - هى موضع اهتمام الصحف، والكُتاب. . . لأنهم رأوا فيها نبضا جديدا من الإنجاز، وطريقة مختلفة فى العمل ولأنه كان يقوم بأعمال من المستحيل أن يقوم بها غيره. . .

كتب أحمد الصاوى محمد، فى عاموده الثابت «ما قل ودل» بجريدة الأخبار عن وجيه أباظه، ولم يكن يعرفه يقول: «أحب أن أهنيء الأخ وجيه أباظة محافظ البحيرة الذى استطاع - رباه كيف استطاع!؟ - أن يجعل من ستاد دمنهور مسرحا للمباريات الدولية: فى كرة القدم؟!.

وبالطبع: لابد أن دمنهور قد انقلبت رأساً على عقب: وأصبحت جنة فيحاء: وتحولت بين يوم وليلة: فى ظل الحكم المحلى إلى ساحة عالمية للفرسان والكرة والصولجان: . .

وإن المرء ليضرب كفا على كف ويتساءل: كيف تحرم القاهرة وسكانها أربعة ملايين وفيها أعظم وأقدم أندية كرة القدم، وفيها ما لا يحصى من هواة اللعبة المحبوبة، وتحرم من مشاهدتها على التليفزيون ويؤجل إلى الليل أو إلى الغد نقل المباراة العسكرية الدولية مع جمهورية تونس: لأنها لا تقام على أرض النادى الأهلي: ولا الزمالك: ولا القوات المسلحة: ولا حتى فى استاد القاهرة العالمى الذى يتسع لمائة ألف شخص: وتفوز من دون عاصمة الجمهورية: بل عاصمة إفريقية (ومن دون الإسكندرية) تفوز دمنهور بإقامة المباراة على أرضها مما يحير العقول ويحز فى الصدور؟!

هل وجيه أباظه ساحر يطلق البخور؟! دلونى يا عالم الأنس: أو يا عالم الجن: أو يا عالم شمهورش وبنتاؤور؟؟!(١).

❑ ❑ ❑

وكتب جليل البندارى فى بروازه الصغير بجريدة الأخبار يقول:

● جمع المحافظ وجيه أباظه كل الأطفال المشردين وخلق منهم صناعا فنيين فى جميع الحرف:

---

(١) جريدة الأخبار ١٠ ديسمبر ١٩٦٥

● ورأى أن يشغل كل أوقـات فراغهم، فأنشأ لهـم فرقة للفنون الشعـبية، هى أول فرقة من الأطفال:

● وفى يناير القادم يشـاهد أهالى القاهرة هؤلاء الأطفال، وهم يقدمـون عروضهم على مسرح دار الأوبرا:

● وتحاول الآن ماما سميحـة الاتصال بمحافظة البـحيرة لكى تقدم هذه الفـرقة فى نادى الأطفال بالتليفزيون.

● ويتولى تدريب هؤلاء الأطفال خـبراء مصريون تلقوا دراسةالفنون الشـعبية على أيدى خبراء سوفيت.

● ويقوم بتلحين أغـانيهم الشعـبية وموسـيقاهم واحـد من الملحنين الجدد من أبناء البحيرة.

● وسوف تقدم هذه الفرقة قصة حريق قرية الإبعادية التى بناها وجيه أباظه فى ٢١ يوما وأصبحت قرية نموذجية، كما ستقدم معركة رشيد [١].

❑ ❑ ❑

فى بداية عمله بالمحافظه. . "وبعد عام واحد من توليه المسئولية، أعلن وجيه أباظه على الشـعب الدمنهورى فـى الاجتـماع الكبـير بحـضـور رئيس المجلس التنفيـذى والوزارء، تنفيذ هذه المشروعات[٢] :

● تم بناء ألف وخمسمائة مسكن اقتصادى تكلفت ٧٥٠ الف جنيه.

● تم بناء ٢٠٠ مسكن شعبى فى حى أبى الريش.

● تم بناء ٤٥٠٠ مسكن بقرى الإصلاح الزراعى بدمنهـور ويجرى العمل فى إنشاء ١٥٠٠ مسكن ضمن هذه المساكن ستكون معدة للسكنى فى يناير القادم .

● تم إنشاء ٥٢ وحدة صـحية ويجرى العـمل فى تشغيل ٤٣ وحـدة أخرى خلال نهاية العام الحالي.

● انتهى العمل فى إنشاء ٦ وحدات وثلاث مجموعات صحية تكلفت مليونى جنيه

● أعدت ٤٢ مـدرسة جديدة ويجرى العمـل فى بناء ١٨ مدرسة أخـرى تكلفت

(١) - ٢٠ ديسمبر- الأخبار ١٩٦٤ (٢) المصور ١٩٦٣/١١/٨

مليون ومائتى ألف جنيه .

● تم إنشاء المعهد الزراعى العالى بأدفينا ويضم ٤٥٠ طالبا.

● أصبحت جميع الوحدات المجمعة مراكز للتدريب على الصناعات المختلفة.

● وزع على الفلاحين مواشى ودواجن قيمتها مائة ألف جنيه، كما وزعت ١٠٢ ألف فدان على ٣٨ ألف أسرة هذا العام.

● تم استصلاح ٢٢٥٠٠ فدان ويجرى العمل فى استصلاح ١٥ ألف فدان أخري.

● كان من نتيجة التسويق التعاونى أن بلغ نصيب المنتفعين فى العام الحالى ٤٩٥ ألف جنيه.

● يجرى العمل فى بناء مصنع السجاد الميكانيكى بعد أن انتهى العمل فى مصنع الغزل والنسيج بالمحمودية، كذلك تم العمل فى وحدات صناعية بدمنهور وإدكو الوفائية.

● تم إنشاء ثلاثة مراكز ثقافية عمالية بكفر الدوار.

● أنشأت المحافظة ٦ وحدات زراعية وشغلت ١٩ وحدة لمكافحة الآفات الزراعية و٢٣ وحدة بيطرية و٣١ وحدة إرشاد زراعى ومحطة لتربية الدواجن لذلك فإنه لم يكن غريبا، أنه عند ما يصدر قرار جمهورى بنقله إلى أسوان أن تخرج البحيرة كلها، تعلن رفضها لنقل المحافظ.

وكانت أول ـ وآخر مرة أيضا ـ فى تاريخ الحكم المحلي، وقد استجاب جمال عبد الناصر، وأصدر قرارا فى اليوم نفسه بإعادة تعيين وجيه اباظه محافظا للبحيرة [1].

تاريخ البحيرة ومدنها طويل وعريق، أما تقسيمها الإدارى فقد استحدث فى عهد العرب وعرفت باسم «كورة البحيرة»، وفى أيام الدولة الفاطمية أضيف إليها «كوات أخري» مجاورة لها، فصارت إقليما كبيرا باسم البحيرة، وفى سنة ١٣١٥ أطلق عليها «البحيرة»، وفى سنة ١٥٢٧ سميت ولاية البحيرة، وقاعدتها مدينة دمنهور [1].

---

(١) تفاصيل تجربة وجيه أباظة كما كتبها بنفسه، ووفقا لشهادة الذين عاصروها، والذين عملوا معه فى كتاب «وجيه أباظه عشر سنوات فى الحكم». للمؤلف....

ومركز دمنهور أنشيء فى سنة ١٨٢٦ باسم قسم دمنهور، ومقره مدينة دمنهور، ودائرة اختصاصه تشمل عدة بلاد من مديرية البحيرة، ولما صدر قرار المجلس الخصوصى فى ١٨٧١ بترتيب ضبطية بكل مركز، وضبطية عموم بمركز ديوان كل مديرية، كان ديوان مديرية البحيرة ببندر دمنهور، وألغى قسم دمنهور وأنشيء بدلا منه مركز أبو حمص، وأصدر ناظر الداخلية قرارا فى سنة ١٨٨١ بإعادة مركز دمنهور كما كان، على أن تشمل ٤٣ بلدا فصلت من بلاد المراكز المجاورة(٢).

❑ ❑ ❑

ولعل من أهم ما نقدمه عن محافظة البحيرة، بعض فقرات من خطاب لوجيه أباظه القاه أمام جمال عبد الناصر فى زيارتيه الأولى والثانية لمحافظة البحيرة..

إنه يتحدث فى هذا الخطاب عاكساً جانبا من فكره، وجزءاً من تجربته الثورية.

إن البحيرة التى عرفتها - يا سيادة الرئيس - قبل الثورة مرتعا خصبا للإقطاع، وميدانا للظلم الاجتماعى والتسلط الطبقي، ومجالا للتعصب الحزبى البغيض، ورمزا للتخلف فى جميع ميادين الخدمات - تستقبلك اليوم وقد مستها روح الثورة التى بعثتها أنت فى كل جنبات هذا البلد فتغيرت ملامحها وكادت تخلع عنها تلك الصورة القديمة القاتمة لتستقبل فى عهد ثورتك الخالدة عهدا جيدا هو عهد القضاء على الإقطاع. عهد القضاء على الاستغلال. عهد بناء المجتمع الاشتراكي: مجتمع الكفاية والعدل والرخاء.

لقد كانت هذه المحافظة يا سيادة الرئيس مجالا للمستغلين من الإقطاعيين والرأسماليين وذوى النفوذ، كلهم يحاول الثراء بأيسر الطرق، يؤازرهم فى ذلك مال

---

(١) القاموس الجغرافى للبلاد المصرية

(٢) عتب علينا الزميل إسماعيل يونس تجاهل أخيه المناضل أحمد يونس أبرز نواب البحيرة فى كتابنا عن الإدارة المحلية وتجربة وجيه أباظة عن الحكم المحلى ونحن لم نغفل دور أحمد يونس، ولكننا لم نتحدث عن كل الذين عملوا معه وعرفوه.. ففى هذه الحالة لا يمكن أبدا إغفال دور شقيقه... لقد تضمن الكتاب مجموعة حوارات، وينبغى أن يوجه العتب إلى زملائه وأصدقائه الذين لم يتحدثوا عنه.. أما نحن فما كان لنا أن ننساه لو أننا كنا نؤرخ للمخلصين فى محافظة البحيرة واللذين كان لهم دور أثناء وجيه أباظه، والكتاب وفقاً لتخطيطه لم يكن يسمح إلا بما كتبه وجيه أباظه نفسه، وحوار معه، وحوارات مع الأحياء الذين عملوا معه، هذا التوضيح ضرورى بالنسبة لأحمد يونس، وغيره ممن نكون لم نتعرض لأدوارهم، وليس عن عمد أبداً، فإن وجيه أباظة لم يكره أعداءه، فما بالك بأصدقائه ، وزملائه..

وفير توارثوه أو جمعوه من كسب حرام وجاه عريض أضفاه عليهم نظام الحكم الحزبى الفاسد ونفوذ ضخم من العصبية و التسلط أو الإرهاب.. ولذلك كان عدلا - ياسيادة الرئيس - وقد أقمت فى بلدنا بناءً اشتراكيا يستهدف تحقيق العدالة بين الجميع أن تتعقب الثورة بقايا الإقطاع والإقطاعيين وأن تتخلص من كل مظاهر الاستغلال التى ينوء بها كاهل الفلاح.. ذلك أن أبشع مظاهر الاستغلال، كان ولا يزال يكمن فى الريف. فإن القرية المصرية - يا سيادة الرئيس - لم تتخلص بعد من آثار السيطرة المستغلة إما عن طريق تهريب الأرض أو حيازة مساحات أكثر مما يسمح به القانون أو استغلال الفلاح المستأجر والأجير معا. أو استعمال سلاح السطو والقتل والإرهاب.

وكان حتما - بل كان فرضا - أن تزحف الثورة إلى هذه المواقع المعادية والمناوئة فتسحقها وتقضى عليها بمنطق الحق والعدل وليس بمنطق القوة والبطش، فإن أعظم ما فى هذه الثورة من أسرار - بل لعله سرها الأكبر- أنها تستلهم دائما كل خطواتها من إرادة هذا الشعب.

«إن جماهير الفلاحين تدرك تماما أبعاد المعركة التى تخوضها ضد الإقطاع والاستغلال والرجعية فإن هذه المعركة لا تستهدف مجرد تصفية الإقطاع ورفع الاستغلال عن كاهل الفلاح وإنما تستهدف أولا وأخيرا أن تكون حرية الفلاح طريقا إلى رفع مستواه الاقتصادى والقضاء على الاستغلال ووسيلة لزيادة الإنتاج، فالإنسان الحر هو الإنسان المنطلق المنتج. وإقامة مجتمع العدل يستلزم تحقيق الكفاية.

ومن أجل هذا فإن جماهير الفلاحين تدرك تماما أن معركتها الحقيقية بعد تصفية الإقطاع هى معركة إنتاج. وأنه بقدر زيادة الإنتاج ورفع مستوى الكفاية بقدر ما يتحقق للفلاح حياة حرة عزيزة كريمة.. وأدرك الفلاحون فى هذه المحافظة دورهم فى المعركة فوضعوا خطتهم داخل الاتحاد الاشتراكى باعتبار القرية وحدة إنتاجية قائمة بذاتها لها معدلات إنتاج يلتزم الفلاحون بتحقيقها يعملون على إزالة كل ما من شأنه إنقاص هذه المعدلات. كما استجاب الفلاحون إلى دعوة الحكومة لزراعة الذرة فى موعيدها بل وقبل مواعيدها بخمسة عشر يوما إيمانا منهم بأنهم جنود فى معركة ضارية مع الاستعمار

الذى يحاول أن يضغط علينا مرتديا هذه المرة ثوب المعونات الاقتصادية.

ولقد أقسم أبناء هذه المحافظة على أن يعملوا بكل طاقاتهم بل وفوق طاقاتهم حتى يوفروا أكبر إنتاج من محصولى الذرة والقمح، بل أقسموا على أنهم سوف يشدون الأحزمة على البطون، ولن يسمحوا أبدا بأن تنتكس أعلام الحرية التى رفعتها أنت بعزمك وتصميمك وجهادك، ولا أن تعفر الجباه التى مسحت عنها عار الذل والخوف والمهانة. ولا أن تحنى الرءوس التى وقفت أنت يوما كالمارد تقول لنا «ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد».

بهذه الروح الثورية استقبلتنى هذه المحافظة يوم شرفتنى سيادتكم بأن أرأس جهازها التنفيذى وكانت وما زالت كلماتكم ترن فى أذني.

لقد قلت لنا يا سيادة الرئيس أن عندك آلافا من الموظفين داخل المكاتب، وأنك تريدنا ـ كمحافظين ـ خارج المكاتب أن نتصل بجماهير الشعب، اتصالا مباشرا فى القرية وفى الشارع نعيش فى مشاكلهم ونعمل على حلها على الفور فإن استعصت علينا مشكلة لجأنا إليك. ثم قلت لنا لا أريدكم حكاما للشعب بل أريدكم خداما له..

وهكذا كنا ـ يا سيادة الرئيس ـ وفتحنا القلوب للمواطنين ففتحوا قلوبهم لنا.

وتفاعل الجهاز التنفيذى فى هذه المحافظة مع التنظيمات الشعبية تفاعلا حقيقا استهدف الصالح العام فى كل خطوة، بل إن أعظم ظاهرة فى هذه المحافظة هى أن الشعب نفسه هو الذى يقود وهو الذى يتقدم وهو الذى يزحف زحفه المقدس إلى آماله الكبرى وأهدافه العظام. وكنا نحن ـ يا سيادة الرئيس ـ جنودا نسير فى الركب معه يجرفنا تيار إخلاصه وتفانيه ووعيه ووطنيته وحبه العميق لكم.. فتمكنا جميعا من أن ننجز الخطة الخمسية الأولى وقيمتها ٨٤ مليونا من الجنيهات فى سنوات ثلاث.

بل إن هناك ما هو أعظم أيضا من هذه الظاهرة.. فهناك ظاهرة أخرى كانت وما زالت طابعا مميزا لأبناء هذه المحافظة فقد قامت على أكتافهم مشروعات ضخمة عظيمة النفع والفائدة لهم وللمجتمع كله.. مشروعات رائدة كان لها أبعد الأثر بل كل الأثر فى

حل مشاكلهم بأنفسهم. . فقد قام أبناء هذه المحافظة بردم مستنقع ترعة الخندق بسبعة آلاف جنيه، وكان مرصودا لردم الترعة ٩٢ ألف جنيه، واستغل المبلغ المتبقى فى مشروعات أخرى لصالح المواطنين منها شراء مصنع الكبريت فى دمنهور، الذى كان مملوكا لشركة إنجليزية، وظل معطلا مدة طويلة إلى أن قامت المحافظة بشرائه من الحراسة وأعادت تشغيله بثمانية آلاف جنيه، . . ومنها المدارس ذات الفصل الواحد والفصلين والثلاثة فصول فى قرى المحافظة المختلفة، . . وعندما استحكمت الأزمة فى قطاع التشييد قام المواطنون بإنشاء الجمعية التعاونية للإنشاء والتعمير فجمعت المقاولين البسطاء بل أصحاب الحرف أنفسهم، وبلغت جملة أعمالها خلال سنوات ثلاث ٣ ملايين و٨٠٠ ألف جنيه، وكان صافى أرباحها ٤٢٠ ألف جنيه، وقد كلفنى مجلس إدارة الجمعية أن أتقدم لسيادتكم بمبلغ مائة ألف جنيه لإقامة أى مشروع لخدمة أبناء هذه المحافظة كتذكار لهذه المناسبة الميمونة. وقد أمر السيد الرئيس بأن توجه المائة ألف جنيه لإنشاء مراكز تدريب مهنية أخرى فى قرى ومدن المحافظة.

وعندما كانت هناك أزمة إسكان فى هذه المدينة قام المواطنون ببناء حى بأكمله قدرت تكاليف البناء فيه بصفة مبدئية بثلاثة ملايين جنيه.

وعندما كانت هناك أزمة لحوم قام المواطنون بتجربة رائدة وهى استغلال المساحات المائية المتناثرة فى أنحاء المحافظة فى تربية الأسماك والطيور المائية فى دمنهور وأبو المطامير وقرية جعيف وقرية جنبواى بإيتاى البارود.

وعندما أحس المواطنون بالأخطار التى يتعرض لها أبناؤهم ممن تخلفوا عن التعليم وأصبحوا مهددين بالضياع فى تلك السن الخطرة، أقاموا لهم مركزا للتدريب المهنى بدمنهور ـ شرف اليوم بزيارتكم الكريمة بما تحمله هذه الزيارة من معانى التقدير والتكريم والاعتزاز.

وهناك ٢٢ قرية قامت بإنشاء مراكز تدريب مماثلة. . وكانت مراكز الخدمة العامة عملا شعبيا رائدا تحققت به فكرة استخدام الجهود الذاتية لاستكمال النقص فى مرافق

الخدمات مع تحقيق رقابة شعبية مباشرة فى إدارة هذه المرافق وهى ـ بعد ميدان صالح لاكتشاف القيادات الشعبية المؤمنة. . ثم كانت إدارة المستشفى العام بدمنهور ـ الذى تفضلتم بالموافقة على إنشائه خارج الخطةوتكلف ٧٥٠ ألف جنيه عن طريق مجلس شعبى وعلى أساس اللامركزية فى جميع أقسامه مع توفير أقصى ما يمكن من أسباب الاكتفاء الذاتى له ـ نموذجا رائدا فى تحسين الإدارة وتحقيق أعلى قدر فى مستوى الخدمة.

وهكذا يا سيادة الرئيس جرت تجارب كثيرة رائدة فى هذه المحافظة ـ مما لا يتسع المجال لذكره ـ ولكن ذلك لا يعنى أن جميع التجارب قد كللت بالنجاح إذ إن طريق العمل يتيح الفرصة دائما للنجاح. . . والخطأ.

فبجانب التجارب الناجحة قابلتنا بعض التجارب التى لم يصادفها التوفيق، وذلك إما لخطأ فى التقدير أو لعدم خبرة القائمين على تنفيذها.

ولكن العمل الثورى كما قلتم يا سيادة الرئيس ـ ليس له أن يخشى الخطأ. . فالخطأ والصواب هما جناحا التجربة ومقياس النجاح فى تقييم المشروعات، ليس بما تحققه من ربح أو خسارة وإنما بما تؤديه من رسالة تتفق مع أهداف المجتمع الاشتراكى الذى نعيش فيه. . ولسوف يكون الخطأ فى التجربة درسا لتحقيق أهداف النجاح».

❑ ❑ ❑

لكى نصل إلى آخر فترة وجيه أباظة فى البحيرة لابد أن نقرأ النص الكامل لآخر خطاب ألقاه أمام جمال عبد الناصر، عندما زار المحافظة للاحتفال في مدينة كفر الدوار بعيد العمال يوم أول مايو ١٩٦٨ بعد النكسة. وهو أيضاً يعكس جانبا من فكر وجيه أباظة قال فى خطابه بالنص:

السيد الرئيس:

على طريق النضال الطويل والشريف، الحافل بالعرق والدم والتضحيات، ومن وحى

الانتصارات الخالدة التى حققتها لهذا الشعب، انتصاراً أثر انتصار ومجداً تلو مجد على مدى ستة عشر عاماً وهى عمر ثورتنا المجيدة.

ومن واقع نكسة عارضة عابرة شاء القدر أن يمتحن بهما صلابة هذا الشعب المكافح المناضل كان بيانكم العظيم يوم ٣٠ مارس.. تجسيداً لآمال هذا الشعب وتجاربه.. تخطيطا أميناً وحماساً لطريق المستقبل فى الحرية والديمقراطية والاشتراكية وتحقيق النصر العظيم بإذن الله على قوى العدوان.

ولقد حرصتم - يا سيادة الرئيس - رغم ضيق الوقت أن تلتقوا بقطاع العمال عشية ليلة الاستفتاء[1] كرمز لإيمانكم بأهمية هذا القطاع فى إطار قوى الشعب العاملة.. تكريماً وتقديراً لدور العمل فى معركتنا القادمة.. وإن جماهير شعبنا وفى طليعتها جماهير العمال - لتؤمن إيماناً مطلقا بدور العمل والإنتاج فى كافة المجالات فى تحقيق النصر.. فكلنا جنود المعركة وكلنا رجالها.. وكما قلتم بحق - يا سيادة الرئيس - فى حديثكم إلى قواتنا المسلحة أن الإنسان العربى هو عدة المعركة وأداتها الأولى يستوى فى ذلك من كان فى ميدان القتال.. أو فى ميدان الإنتاج.

ولسوف يثبت الإنسان العربي.. جندياً كان أو عاملاً.. فلاحاً كان أو مثقفاً.. أنه نفس الإنسان العربى الذى حقق انتصارات التاريخ، وقضى على جحافل الظلم والبغى على مر العصور والأزمان بقوة عزيمته ورفضه الهزيمة، وبإرادة الصمود التى تنتزع النصر انتزاعاً.

وإنى لأشهد أمامكم يا سيادة الرئيس أن عمال منطقة كفر الداور قد حملوا مسئوليتهم فى الفترة الماضية بأمانة ونزاهة وشرف ورجولة. وشاركوا بجهدهم وعرقهم فى دفع عجلة الإنتاج وزيادة معدلاته وضغط تكاليفه إيمانا واحتساباً وقربانا لهذا الوطن. وإنى لأشهد أيضاً - يا سيادة الرئيس - أن عمال هذه المنطقة قد نسوا فى أعقاب النكسة كل مشاكلهم وارتفعوا بمسئوليتهم إلى مستوى الأحداث وسجلوا ذلك بأحرف من نور فضربوا دائماً أروع المثل فى التضحية وإنكار الذات مما سوف يسجله لهم التاريخ فى

---

(١) كان سيتم يوم ٢ مايو ١٩٦٨ الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس.

أنصع صفحاته.

وإنى - يا سيادة الرئيس - لأنتهز هذه الفرصة السعيدة الخالدة فى تاريخ هذه المدينة. فرصة تشريفكم لعمال كفر الدوار لمشاركتهم فى الاحتفال بعيد العمال.. يشرفنى أن أنتهز هذه الفرصة لأعلن لسيادتكم أن الجمعية التعاونية للإنشاء والتعمير بمحافظة البحيرة - إسهاماً منها فى حل مشكلة الإسكان فى هذه المدينة قد اشترت بالأمس ثلاثة وأربعين فداناً لتقسيمها وبيعها للعاملين مقسطة على ثلاثين عاماً دون فائدة ودون مقدم ثمن وسوف تتكفل الجمعية بتوصيل المرافق من مياه وإنارة ورصف، وذلك فى حدود مبلغ مائة ألف جنيه على أن تتكفل أيضاً بتقديم مواد البناء فى موقع العمل وكذا تقديم المشورة والمساعدات الفنية، وسوف لا يتعدى القسط الشهرى مبلغ جنيه واحد بما فيه التأمين على حياة المشتري، وبذلك سوف يرتفع البناء فى ألف وخمسمائة بناء جديد يمتلكه العمال ملكا خاصا لهم.

وإنه ليسرنى ايضا ان اعلن أن الجمعية التعاونية للنقل بالمحافظة قد تبرعت بمبلغ عشرين ألف جنيه لشراء أربع سيارات أتوبيس تم شراؤها فعلاً تُسلّم يوم السبت القادم كهدية إلى الجمعية التعاونية للنقل الخاصة بعمال هذه المنطقة تخفيفا لمشكلة المواصلات وتحقيقا فى الوقت نفسه لمبدأ التعاون المتكامل بين جمعيات التعاون المختلفة بحيث تفيض كل منها على الأخرى بما يحقق صالح الجماهير.

السيد الرئيس..

إن معركتنا مع العدو - كما قلتم بالأمس - آتية لا ريب فيها، ونحن جميعا ندرك أنها معركة طويلة ومريرة ولن نستعجل الأحداث لأننا نعلم أنها معركة الحياة أو معركة الموت.. معركة الحياة لنا ولأولادنا على أرضنا العربية.. والموت لأعدائنا. ولسوف نتسلح بالصبر والإيمان والتضحية حتى يتحقق لنا النصر المؤزر بقيادتكم الرشيدة الحكيمة.

أما نحن - يا سيادة الرئيس - فإنّا نعاهدك أمام الله أننا سوف نكون دائماً أبداً فى أى موقع جنوداً للمعركة.. متحدين متساندين معتصمين بحبل الله تحت لواء زعامتك

متفانين فى العمل بجد وإخلاص نسير من خلفك. .نؤمن بقيادتك. . نثق فى كل خطوة تخطوها. . ونحن على ثقة أن الله دائماً معك يرعاك ويؤيدك وينصرك.

وعشت لنا يا سيادة الرئيس

وللأمة العربية جمعاء

أبا وأخا وقائداً ورائداً

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

❑ ❑ ❑

كان فكر وجيه أباظه وتوجهاته السياسية واضحة تماما فى كلماته التى قالها سنة ١٩٦٦ وتلك التي قالها في خطابه عام ١٩٦٨ واستمرت مسيرته فى محافظة البحيرة، حقق كثيرا من المنجزات التى ما زالت باقية حتى اليوم، بل لعلها فى كثير من المدن هى المنجزات البارزة التى تمت منذ عرفت البلاد «الحكم المحلي». .

وينتقل وجيه أباظه. .

ومعه تجربته الثورية. .

إلى محافظة أخري. .

هى محافظة الغربية. .

وسوف يكون له هناك أعمال.

تخلد ذكراه. .

النضال الوطنى ٢٨

الغربيــة

قال جمال عبدالناصر لوجيه أباظة محافظ البحيرة..

ـ الآن لابد أن تنتقل من البحيرة.. إلى الغربية لمدة عامين فقط.. بعدهما أريدك هنا إلى جانبى.. إن لك مهمة أساسية فى طنطا، وهى أن تقيم التنظيم السياسى،فالغربية هى أضعف المحافظات فى هذا التنظيم، والبحيرة هى أقوى المحافظات.. ونريد أن تنقل تجربتك فى البحيرة إلى الغربية..

وذهب وجيه أباظة إلى الغربية لمهمة محدودة.. وكان يعرف أن مدته فيها عامين، خلال العامين شهدت المحافظة أعمالا مازالت هى الباقية حتى اليوم..

❑ ❑ ❑

وضع وجيه أباظة يده على مفتاح التعامل مع أبناء الغربية.. وهو وجود ضريح السيد أحمد البدوى..

وقرر وجيه أباظة أن يستفيد من وجود هذا الضريح.. لقد قرأ أن ضريح السيد البدوى هو «باب النبى».

إذن فلابد أن يركز على أن يحوّل طنطا إلى مدينة للسياحة الدينية، تستقبل كل من ينوى الحج، من مصر أو من خارجها.

وكان معنى تنفيذ هذا المشروع، أن طنطا سوف تتحول إلى أهم منطقة سياحية فى مصر، وأن محاولة جذب ملايين الحجاج إليها سوف يغير شكل الحياة فيها تماماً، بل إن هذا الأثر سيمتد إلى مصر كلها التى سوف تستقبل أيضا ملايين الحجاج فى طريقهم إلى طنطا قبل المدينة المنورة، وبدأ يعمل فى هذا الاتجاه، «ولكن هذه الدعوة، كانت تحتاج إلى وقت للاستعداد، وللدعاية، والوقت لم يمهله.. فقد نقل بعد عامين بالضبط إلى القاهرة».

❑ ❑ ❑

إن مفتاح العمل السياسى والتنفيذى فى طنطا هو السيد أحمد البدوى، ولاشىء عند الناس فى الغربية كلها أهم من أحمد البدوى، أشهر الأولياء عند المسلمين، ويطلقون عليه لقب «السيد» لنسبه الشريف، كما أن بعضهم يسميه «شيخ العرب» نسبة إلى اسمه «البدوى» لأن البدو يرتبطون بالعرب «البدوى»[1]. وقد أطلق عليه هذا الاسم لأنه كان يلبس لثاماً مثل بدو المغرب..

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية

ويسمونه بالصوفى «القطب» وقد ولد فى فاس سنة ١٢٠٠، وكان أصغر أخوته السبعة ويرجع نسبه إلى على بن أبى طالب.

أمه: فاطمة.. وأبوه: على البدوى.. وقد قطع أحمد مع أسرته الرحلة من فاس إلى مكة للحج فى أربع سنوات.. وهناك توفى أبوه.. وظل هو بمكة.. تعلم ركوب الخيل حتى أصبح فارساً مغواراً، ومن ثم لقب فى قول بعض الروايات، بالعطّاب والغضبان: وقد يكون لقبه «أبو العباس» تحريفاً وقع فيه البعض، ومن الألقاب التى لقب بها من بعد: «الصمات» و«أبو فرّاج» أى المحرر ويقصد بذلك محرر الأسرى.

وحوالى ١٢٣٠ كابد أحمد تحولا باطينا، فقرأ القرآن بالقراءات السبع ودرس الفقه الشافعى، وانقطع للعبادة ورفض عرضاً للزواج، واعتزل الناس وأخلد إلى الصمت لايتكلم إلا بالإشارة.

وفى بعض الروايات أنه رأى سنة ١٢٣٦ ثلاث رؤى متعاقبات دعته إلى زيارة العراق، فذهب إليها مع أخيه الأكبر حسن.

وزار أحمد وأخوه أحمد الرفاعى ـ وعبدالقادر الجيلانى كما زارا قبور غيرهما من الأولياء.

ويقال إن أحمد استطاع وهو فى العراق أن يروض المرأة الجموح فاطمة بنت برى التى لم تخضع من قبل لرجل، وقد عرضت عليه الزواج فأبى.

وصيغ من هذه الحادثة قصة مغرقة فى الخيال والعاطفة بلغة العرب الدارجة.

ورأى أحمد رؤيا أخرى دعته إلى الرحلة إلى طنطا بمصر...

وعاد أخوه حسن من العراق إلى مكة بينما جاء هو إلى مصر.

وفى طنطا صعد إلى سطح دار من الدور الخاصة وظل قائما بلا حراك محملقاً فى الشمس حتى احمرت عيناه وتوقدتا كأنهما جمرتان.

وكان يصمت أحيانا فيطيل الصمت وينخرط أحيانا فى صراخ متصل.

وكان يمكث أربعين يوماً بلا طعام ولا شراب.

وقد وجد الأولياء الذين كان الناس لايزالون يقدسونهم عند وصول أحمد إلى طنطا (أمثال الحسن الإخنائى، وسالم المغربى ووجه القمر) أن أحمد كان المعهم، وأكثرهم تقديراً من الناس..

ويقال إن السلطان الظاهر بيبرس المملوكى عاصره وكان يقدسه وأنه قبّل قدميه.

وقد قدم عليه فتى يدعى عبدالعال عندما كان يبحث عن دواء يداوى به عينيه الموجوعتين. وأصبح هذا الفتى من بعد موضع ثقته وخليفته. ومن ثم سمى السيد البدوى فى الأدب الشعبى «بأبى عبدالعال».

وتوفى أحمد البدوى فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٢٤ أغسطس سنة ١٢٧٦. وخلفه بعد مماته عبدالعال، المتوفى سنة ١٣٣٣ ، وقد أقام عبدالعال مسجدا فوق قبره. وتعد طريقة الدراويش الأحمدية التى أسسها السيد أحمد البدوى، من أهم الطرق الشعبية فى مصر هى والرفاعية والقادرية والبيومية.

وكانت شعارات الأحمدية وعمائمهم حمرا. وللأحمدية فروع عدة مثل البيومية وغيرها.

وكان يذهب كثير من الحجاج القاصدين مكة إلى طنطا أولا لزيارة أحمد البدوى فى مسجده بطنطا الذى أقيم فوق قبره، ولذلك قيل فى تاريخه إن أحمد البدوى هو «باب النبى».

والموالد الثلاثة الكبرى التى كانت تقام له هى:

مولد فى السابع عشر أو الثامن عشر من يناير.

مولد فى الاعتدال الربيعى أو حوالى ذلك.

والثالث: بعــد مضى شهر تقــريبا من الانقلاب الصــيفى حين يزداد النيل زيادة كبيرة وقبل أن تفتح السدود أو القنوات.

وتروى فى مصر كثير من الأساطيــر عن أحمد البدوى: منها كرامات وهو على قيد الحياة، وكرامات تأتى من قبره، وكرامات تجعله يحيى الموتى، وكرامات يخص بها أولئك الذى يحيون موالده.

ويقال إنه بدأ يتكلم من يوم أن ولد، وإنه كان أكولاً لا حد لنهمه.

وقد اشــتهر خاصــة برد الأسرى والمفقــودين والأمتعــة، ومن ثم لقب «جايب اليســرى» أى جالب الأســير، وإذا نادى مناد عن فــقد طفل أو حــيوان، أو مــتاع استغاث «بأحمد البدوى».

❑ ❑ ❑

حتى ينفذ وجــيه أباظة ما استقر فكره عليــه من الاستعانة بما اشتهــر عن «السيد أحمد البدوى» فى تحويل طنطا إلى أهم منطقة سياحية فى مصر، بدأ بمولده.

حوّل المولد من أســبوع إلى شهــر كامل، وجعله مــهرجاناً دينيــا، ثقافيــا،وفنيا واقتــصاديا.. استــعان بمقــرئى القرآن الكريم الكبار.. اتفق مــع الفرق المسرحــية للدولة أن تقدم عروضاً طوال هذا الشهر فى طنطا.

اتفق مع الشركات الصناعــية على إقامة معــرض صناعى تجارى فى طنطا خلال شهر المولد.

خلق انتعاشاً اقتصاديا، ورواجاً للمــدينة وللمحافظة كلها.. وأمر بعمل توسعة للمسجد تسمح باستقبال الضيوف الذين كان يخطط لأن يكونوا بالملايين.

واجــتمع بالمهندســين، وكان رأيه الذى وضــعه أمــامــهم: أنه لابد من تخطيط المنطقة بحيث إن من يمر بالقطار على طنطا يرى مسجد السيد أحمد البدوى.

المشروعـات المعطلة فى طنطا. . أقامـها. . خلال العـامين، انتشـرت الوحدات الصحية فى قرى المحافظة.

أنشأ مستشـفى الهلال الأحمر فى مدينة طنطا، وأنشأ مسـتـشفى عاما فى زفتى، أنشأ مستشفى عاماً فى المحلة الكبرى، أنشأ مستشفى عاماً فى كفر الزيات.

كان هناك خـلاف بين وزارة العدل، ووزارة الداخلية، على إقامـة مبنى لمديرية الأمن، ولمجمع المحاكم. . واستمر الخلاف لسنوات.

حسم هو هذا الخلاف، قرر هدم المديرية القديمة والمحكمة القديمة وباع الأنقاض واستطاع بالجهود الذاتيـة أن يقيم مديرية الأمن الحديثة، ومجمعـا للمحاكم جديداً وعصريا.

اتفق مع شـركات بيع المصنوعـات، وهانو على إقامة عـمارات سكنيـة، تحتـها معارض لهما بالإيجار.

أقام مركزا لتدريب الأطفال المتسربين من المدرسة الإبتدائية على ٤٥ مهنة.

أنشأ فرقة للفنون الشعبية. .

بدأ مشـروع جامعة طنطا. . وحـصل على قصر قـديم اشتراه بالتقـسيط ليكون مقراً للجامعة.

طاف بكل المدن والقرى، درس المشاكل على الطبيعة. .

نقل مكتبه يومين فى الأسبوع إلى مدينـة المحلة أكبر موقع صناعى فى مصر فى ذلك الوقت[١].

---

(١) مزيد من التفاصيل فى كتاب وجيه أباظة ـ عشر سنوات فى الحكم ـ للمؤلف

كان أول قرار اتخذه وجيه أباظة محافظ الغربية «١٦ مارس ١٩٦٨» إعلانه فى أول اجتماع حضره لمجلس المحافظة تنازله عن اختصاصاته لرؤساء المدن والقرى. .

ولنتتبع بعض أنشطته من خلال بعض مانشرته الصحف.

* أصدر السيد وجيه أباظة محافظ الغربية قرارا بالاستيلاء المؤقت على عمارة بأول شارع السكة الجديدة وذلك من أجل مشروع تجميل ميدان السيد البدوى «٧ إبريل ١٩٦٩»

* اعتمد وجيه أباظة ربع مليون جنيه لاستيراد ٣٠ سيارة أتوبيس جديدة لتشغيلها على خطوط مرفق أتوبيس مدينة طنطا والتى وصل عددها إلى ١٣ خطا حتى الآن.

وكانت المحافظة قد تسلمت هذا المرفق فى مايو ٦٥ وبه ٢٠ سيارة قديمة نصفها معطل تماما. . ولما كان عدد الذين يستخدمون سيارات المرفق فى تزايد مستمر، حتى وصل فى العام الماضى إلى ٢٠ مليون راكب. فقد قامت المحافظة بشراء ٥ أتوبيسات نصر جديدة كالتى تعمل فى هيئة النقل العام بالقاهرة قيمتها ٣٥ ألف جنيه دفعت نقدا من أرباح تشغيل السيارات القديمة وتلا ذلك شراء ٩ من الشاسيهات النصر الجديدة بنيت عليها هياكل أتوبيس، ثم أخيرا اشترت المحافظة سيارتى أتوبيس نصر من أحدث طراز حمولة كل منهما ٥٢ راكبا. أضيف كل هذا إلى أسطول السيارات بالمرفق فأصبح عدد السيارات العاملة على خطوط المدينة وضواحيها ٣٠ سيارة، وبلغت جملة قيمة السيارات الجديدة التى زودت بها خطوط المدينة ١١٠ آلاف جنيه.

ونتيجة لهذا التوسع زاد عدد العمال إلى ٣٠٠ عامل تنظمهم لائحة العاملين بالمؤسسات الحكومية وتم تشكيلهم على الدرجات ويحصلون على علاواتهم السنوية ويشتركون فى أرباح المرفق بنسبة ١٠٪ كما يحصلون على جوائز من الإيراد، ويتمتعون برعاية طبية شاملة وتصرف لهم الملابس الشتوية والصيفية.

وتقوم المحافظة ببناء محطة لخدمة السيارات على مساحة فدان بوسط المدينة،

تشمل الجراج والورش والمخازن ومحطة التشحيم وتموين السيارات بالوقود ومبنى الإدارة وبلغت تكاليف هذه المبانى أكثر من ٥٠ ألف جنيه.

* وقامت المحافظة أيضا بدعم مرفق أتوبيس المحلة الكبرى بـ ١٠ سيارات نصر جديدة قيمتها ٦٥ الف جنيه، وقامت بتجديد السيارات القديمة وأصبح أسطول المرفق يتكون الآن من ٢٠ سيارة بدلا من ٨ سيارات - تعمل على شبكة خطوط تمتد ١٥ كيلو مترا.

وقد قام المرفق بإنشاء محطة خدمة ضخمة على مساحة ٣ أفدنة بلغت تكاليف إنشائها ٧٠ الف جنيه وتشتمل على جراج يسع ٦٠ سيارة وورش ضخمة لصيانتها ومحطة تموين وتشحيم كاملة. (٢٠ اكتوبر ١٩٦٩).

* مديرية الشئون الاجتماعية فى الغربية كانت أول مديرية فى الجمهورية تقوم بتنفيذ مشروع التأهيل الاجتماعى للمعوقين وهو أول مشروع من نوعه لتقديم الخدمات التأهيلية لذوى العاهات العاجزين عن العمل وتأهيلهم مهنيا بما يتناسب وقدراتهم.

ويقول الأستاذ أحمد رفعت مدير عام الشئون الاجتماعية أنه بمقتضى هذا المشروع تم تأهيل ١٨٨٥ مواطنا ومواطنة وتم صرف ٢٢٦٠ جهازاً تعويضياً لهم، وهم الآن يشقون طريقهم فى الحياة، مواطنين شرفاء يساهمون بدورهم فى بناء وطنهم.

ويضيف مدير الشئون أنه أنشئت أيضا فى الخطة مؤسسة للتثقيف الفكرى لرعاية ضعاف العقول الذين تقع نسبة ذكائهم بين ٥٠ و٧٥ درجة، وذلك لتعليمهم وتأهيلهم بالخدمات المناسبة لمستوى ذكائهم، وإعدادهم للاندماج فى المجتمع. وترعى هذه المؤسسة ٩٠ طفلا بالقسم الداخلى و٤٠ طفلا بالقسم الخارجى.

ويقول الأستاذ أحمد إن جمعية التأهيل الاجتماعى تقوم بإدارة هاتين المؤسستين تحت إشراف المديرية.. وتفكر الجمعية الآن فى إنشاء أول مصنع من نوعه، خاص لذوى العاهات.

وقد تم إنشاء أول مكتب للتأهيل الاجتماعى بطنطا عام ١٩٥٨ وأنشىء مكتب آخر فى المحلة الكبرى هذا العام.

ويستعرض مدير الشئون الاجتماعية الخدمات التى قدمتها المديرية من خلال العام الماضى (٦٨/ ٦٩) كنموذج لأعمالها فى مجال الخدمة العامة.. فيقول بالأرقام:

* أعمال الضمان الاجتماعى: بلغت جملة المعاشات ١٢١ ألف جنيه لـ ٧٠٨٢ حالة.. والمساعدات ٤٢٠٥٢ جنيها لـ ١٩١٧ مستفيدا، ومساعدات الدفعة الواحدة ٤ آلاف جنيه ومساعدات الكوارث والنكبات ٥٧٢٨ جنيها، وإعانات العاملين السابقين وأسرهم ١٦١٠ جنيهات.

* النشاط الأهلى: بلغت جملة الإعانات للجمعيات الخيرية والاجتماعية ٤٠٦٠ لـ ٢٦ جمعية و٦١٥٠ جنيها لـ ١٢ وحدة اجتماعية قروية، و٣٠ ألف جنيه لـ ١٣ هيئة اجتماعية و٢٥ ألفا من مجالس المدن لـ ٣٥ هيئة أخرى.

* معونة الشتاء: قدمت مساعدات نقدية قيمتها ١٠٣٥٦ جنيها، وعينية قيمتها ٢٥٧١ جنيها.. وعينية قيمتها ٢٥٧١ جنيها.. إلى جانب ٦ آلاف جنيه مساعدات للمهاجرين. «٢٠ اكتوبر ١٩٦٩»

❑ ❑ ❑

فوجىء وجيه أباظة بالتليفون يدق فى منزله فى الثامنة صباحاً.. وكان يوم عطلة.. إنه يوم شم النسيم.. وكان المتحدث رئاسة الجمهورية بالقاهرة..

لقد صدر قرار بنقل وجيه أباظة محافظ الغربية محافظا للقاهرة..

وعليه أن يكون متواجداً فى مكتبه فى نفس اليوم..

وتعجب وجيه أباظة من هذا القرار الذى صدر يوم العطلة.. وأيضا من ضرورة تواجده فى نفس اليوم فى القاهرة..

ونظر إلى النتيجة..

لقد مضى عليه عامان بالضبط فى مدينة طنطا..

وكان جمال عبدالناصر قد طلب إليه أن يظل فى طنطا لمدة عامين..

وأمضى هذه المدة.. ولم ينس عبدالناصر.

النضال الوطنى ٢٩

القاهرة

أطلق مراسل وكالة رويتر، على وجيه أباظة اسم المحافظ صاحب العصا السحرية.

كان المراسل قد بعث بتقرير من القاهرة عن الحدث الجديد الذى تعيشه عاصمة الجمهورية العربية المتحدة وهو موجة النشاط فى أجهزة المحافظة، وكيف أن هناك محاولة لغسل وجه القاهرة، ويتوقع لها النجاح لا لشىء إلا لأن الذى يقوم بها هو وجيه أباظة صاحب العصا السحرية.. اعتبر مراسل الوكالة ذلك حدثاً لأنه لم يحدث من قبل أبداً.

وكان قد نقل إلى القاهرة يوم عيد الربيع، وظل لعدة أشهر يرفض الحديث إلى الصحف.. كانت فترة دراسة لجميع المشاكل، بعدها حدد هذه المشاكل الأساسية فى ثلاثة.. المياه والمجارى ـ الإسكان والمواصلات ـ النظافة والطرق، والتقى بجمال عبدالناصر أكثر من مرة، وفى كل مرة يسأله عما إذا كان يريد تعزيزاً لميزانية محافظة القاهرة، وكانت إجابته جاهزة «الميزانية كافية»[1].

«لم أكن أريد أن ألقى عليه مشاكلى، فقد كنت قادراً على حلها، وكان يقول لى دائماً: أنا عارف أنك ستبيع القاهرة، لا تبيعها بالجملة، بعها واحدة واحدة»!

وكانت الإشارة واضحة إلى تجاربه السابقة فى محافظتى البحيرة، والغربية، عندما باع أرض المصالح الحكومية فى وسط المدينة بأسعار مرتفعة، وأقام بدلاً منها، مقار حديثة لهذه المصالح فى أماكن بعيدة خلقت حولها عمراناً، ووفرت آلافاً مما مكنه من إنشاء مرافق جديدة للخدمات غير واردة فى الخطة، ودون أن يكلف ميزانية الدولة شيئا..

والحقيقة أن وجيه أباظة قد وضع عينيه على عدد من المرافق رأى أن يتصرف فيها بالبيع...

«إن الإسكان الفاخر والمتوسط يجب أن يُتركا للقطاع الخاص وحده، وأن يوجه القطاع العام كل إمكانياته للإسكان الاقتصادى وحده، جميع الأراضى الخلاء فى قلب المدينة، يجب أن تباع لمن يريدها، فمن غير المعقول أن تقيم الحكومة مساكن شعبية اقتصادية فوق هذه الأراضى المرتفعة الثمن.. «مبنى الإسعاف فى شارعى رمسيس والجلاء مثلا، تقام على أرض واسعة ، وقد تدهش إذا علمت أن هذا المبنى عبارة عن جزء بسيط من المبانى، ثم مساحة واسعة بعد ذلك تستخدم كجراج لسيارات الإسعاف المتر الواحد من هذه الأرض يقدر ثمنه اليوم بأكثر من ١٥٠ جنيها، والمساحة كلها تقدر بستمائة ألف جنيه، المعقول أن ينقل الإسعاف إلى جهة أخرى، ثم تباع الأرض، وبثمنها يمكن بناء أكثر من مجمع إسكانى شعبى فى منطقة جديدة وصناعية وحل مشكلة الإسكان هو شغلى الشاغل.. وقد توصلت إليه فى البحيرة، وأعتقد أننى نجحت بدليل

---

(١) نشر التقرير كاملا بجريدة «مونتريال ستار» التى تصدر فى كندا بتاريخ ١٤ أغسطس سنة ١٩٧٠

أن لوحة «شقة للايجار» التى لاتراها اليوم فى القاهرة، يمكنك أن تراها بوضوح فوق عمارات كثيرة فى دمنهور[1].

ولابد من استغلال المعارض الدولية التى تقام فى القاهرة لحل أزمة الإسكان كخطوة أولى، أريد أن ألغى أرض المعارض الحالية، سيعاد تقسيم هذه الأرض، وستتحول إلى مناطق سكنية، وإلى أندية ومحلات تجارية وغيرها.

والخطوة الثانية هى المعارض ذاتها. سأختار لها منطقة جديدة فى أرض فضاء. لم يعرفها العمران بعد. ونضع رسما لهذه الأرض بحيث تصبح منطقة سكنية جديدة، تصلها المياه وتمتد إليها الكهرباء. ثم تبدأ مرحلة الاتصال بالدول المشتركة فى معرضنا. مع دولة الاتحاد السوفيتى مثلا. سنشترك معها فى وضع تصميم جناحها الذى سنعرض فيه منتجاتها، بحيث يتحول هذا الجناح بعد انتهاء المعرض إلى مدرسة إبتدائية مثلا.

ومع فرنسا نتفق على أن يتحول جناحها إلى مستشفى.. أو إلى مصنع، أو مركز تدريب وهكذا.. بحيث ينتهى المعرض اليوم، لتتحول المنطقة إلى منطقة سكنية جديدة، كاملة الخدمات غدا. وبعد سنوات أخرى يقترب موعد افتتاح المعرض القادم، وبنفس الطريقة، سنختار له منطقة جديدة، تصبح منطقة سكنية كاملة بعد ذلك.

هذه الفكرة تشغل فكرى وعقلى باستمرار. وأعتقد أنها سترى النور قريبا.

بعض الأفكار التى طرحها فى ذلك الوقت المبكر سنة ١٩٧٠، نفذت فى التسعينات.. والبعض الآخر لم ينفذ بعد..



لقد كانت الميزة الأولى لوجيه أباظة مقدرته على الابتكار. والرؤية المستقبلية، وإذا تتبعنا المشروعات التى فكر فيها للقاهرة، تأكدت من هذه الحقيقة.. مثلا لقد أعد عددا من المشروعات لإعادة تنظيم وتخطيط المرور بالقاهرة وفى مقدمة هذه المشروعات إنشاء عدة أنفاق للمرور فى ميادين رمسيس والتحرير والقبة، وإنشاء عدة طرق طوالى

---

(١) أخبار اليوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٠ حديث مع ابراهيم سعدة.

«أتوستراد» وإنشاء جراجات متعددة الطوابق فى تقاطعات الشوارع والميادين الرئيسية فى القاهرة وهى «تقاطع شارع الألفى والجمهورية، خلف فندق شبرد القديم.. وموقف ريفولى أمام دار القضاء العالى بشارع ٢٦ يوليو، وتقرر تنظيم وتجهيز الأرصفة حول حديقة الأزبكية، واستغلالها كمواقف للسيارات(١).

فيما بعد.. بعد عشرين عاماً نفذ بعض مافكر فيه..

وهناك مشروعات أخرى لم تُنفذ أبداً..ومن أفكاره التى نفذت إقامة ١٠٠ مستشفى شعبى صغير فى الأحياء الشعبية بالعاصمة لتخفيف الضغط على المستشفيات العامة ولعلاج الفقراء، وكان قد كلف مساعده اللواء أنور سلام باختيار أول ١٠ أماكن لتشغيل هذه المستشفيات فى الأحياء الشعبية بأقسام الخليفة والموسكى والدرب الأحمر والجمالية وباب الشعرية، ويضم كل مستشفى مركز إسعاف يعمل ٢٤ ساعة يوميا، ويتم فيه فحص المرضى مجانا وصرف عبوة الدواء بأجر رمزى ١٠ قروش فقط. وقد روعى عدم تحميل الدولة أى تكاليف لمبانى هذه المستشفيات(٢). وفى مؤتمر القاهرة الكبرى قال السيد وجيه أباظة محافظ القاهرة إن جميع المشاكل التى كانت موجودة منذ بداية الحكم المحلى لاتزال قائمة وأن القاهرة فى حاجة إلى ٧٠٠ ألف وحدة سكنية وطالب بتشجيع القطاع الخاص على بناء ٧٠ ألف وحدة سكنية فى السنة، وتوفير مواد البناء وإنشاء جهاز لتخطيط مناطق العشش فى الترجمان والعسال بشبرا، وتخصيص جهاز آخر لعمليات الصيانة فى المساكن، والقضاء على نظام المقاولين من الباطن الذين يعملون من داخل القطاع العام، وتصفية الورش، وتجميعها خارج القاهرة، وإنشاء مجمع فى كل حى يحوى الهيئات الحكومية الخاصة به لتسهيل أعمال المواطنين.

واقترح محافظ القاهرة تشكيل لجنة لتلقى آراء المواطنين حول مشاكل القاهرة الكبرى والحلول المناسبة لها.

وتوزيع ٧,٥ مليون متر من أراض الحكومة على القطاع الخاص وتقسيط ثمنها على ٣٠ سنة دون فوائد لتشجيعه على البناء لحل أزمة الإسكان.

---

(١) الأهرام ٢٠ يوليو ١٩٧٠ — (٢) الأهرام ٨ سبتمبر ١٩٧٠

كانت القاهرة الفاطمية موضع الاهتمـام الأكبر من المحافظ وجيه أباظة. . فهى المدينة الأساس. فقد أنشئت سنة ٩٦٩. ففى مساء اليوم الذى وصل فيه القائد جوهر الصقلى بعساكر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى إلى مدينة الفسطاط انتقل إلى المكان الذى اختاره لبناء القاهرة، وأمر بحفـر أساس قصر الخليفة فيه، ولما فرغ جـوهر من بناء القصر وأقام حوله السـور سمى مدينتـه الجديدة «المنصورية» تيـمناً باسم الخليفـة المنصور أبى الظاهر اسماعيل والوالد الخليفة المعز لدين الله أبى تميم معز الفاطمى مولى جوهر.

وقد أقام جوهـر داخل السور الجامع الأزهر وثكنات الجنود ومساكن رجـال الحاشية ودور المغاربة الذين استعان بهم الخليفة على فتح مصر.

وفى يونيو ٩٧٢ انتقل الخليفة المعز لدين الله من مدينة المهدية عاصمة الخلافة بتونس إلى مدينة المنصـورية ونزل بالقصر الذى بناه له جوهر، ومن ذلك التـاريخ عرفت باسم «القاهرة» واتخذها المعز عاصمة للخلافة.

ثم عرفت باسم مـصر لاختلاطها بمدينة مـصر التى تعرف اليوم بمصـر القديمة وتغلب اسم مصـر على اسم القاهرة باعتـبار أن اسم مصـر يطلق عادة على أكبـر مدن القطر، ويقال لهـا أيضا مصر المحـروسة، وهذا الاسم الأخير كـان يطلق فى وزارة الدفاع على إدارة قسم المحروسة الذى سمى أخيرا قسم القاهرة.

وأقدم كتـاب ورد فيه اسم القـاهرة كان بعد إنشائهـا بسبع سنوات فقد ذكـرت ضمن مدن مصر الفسطاط والجزيرة والجيزة والقطائع والإسكندرية وبلبيس والفيوم.

□ □ □

يوم ١٠ سبـتمبر ١٩٧٠ نشـرت جريدة الأهرام مشروعـات محافظ القـاهرة للمنطقة الفاطمية فقالت:

* زار محافظ القاهرة وجيه أباظة قاهرة الفاطميين فجر أمس ودرس مشروعاتها على الطبيـعة مع مـساعده لأحـياء القـاهرة أنور سلام ونائب رئيس وسط القـاهرة المهندس: محمد المغربى.

طلب المحافظ البدء بتجميل قاهرة الفاطميين قبل استقبال ليالى شهر رمضان المبارك وتتضمن:

* توسعة مسجد بطل الثورة العرابية الشيخ حسن العدوى على مساحة الـ ٦٠٠ متر الملتصقة بمسجده الجديد.

* تغطية شارع المشهد الحسينى بسقف خشبى تتدلى منه الثريات العربية على نظام شوارع مكة وشارع الخيامية بالقاهرة.

* تنسيق معارض دائمة على الطراز الفاطمى بالجانب الشرقى للميدان لبيع المصاحف والكتب العربية والإسلامية وتحف خان الخليلى وإقامة مكتبات حول سور جامعة الأزهر.

* بحث الخطوات التنفيذية لمشروع خان الزراكشة السياحى الذى تبدأ به القاهرة الفاطمية بميدان الأزهر الذى صممه المهندس محمد المغربى.

* إنشاء مقهى على الطراز العربى لرواد الحى تواجه الباب الأخضر للمسجد الحسينى.

وبعدها توالت الأخبار عن مشروعات المحافظ الجديد للقاهرة الفاطمية..

- اعتمد السيد وجيه أباظة محافظ القاهرة ٦ آلاف جنيه، لإنشاء دار عزاء على قطعة أرض مساحتها ٦٠٠ متر مربع فى ميدان الشيخ العدوى بجوار المسجد الحسينى. وعهد المحافظ إلى المهندس محمد المغربى وضع تصميم الدار.

- إنشاء حديقة فى ميدان الحسين بدلا من موقف السيارات.

- وضع خطة زمنية لترميم الآثار وتجديد جميع مساجد القاهرة.

- إنشاء مكتب للبريد والجمارك فى منطقة الحسين لتسهيل خدمة السياح فى تصدير الطرود والسلع التى يشترونها من خان الخليلى.

يدرس وجيه أباظة: محافظ القاهرة مع مساعده لحى وسط القاهرة اللواء أنور سلام

مشروع تغطيـة كل مساحة الميدان الحسينى حتى جدار إدارة الأزهر الشـريف بطبقة من الرخـام بحيث يستكمل الميدان الجـو الروحى المناسب لمسجد سيدنا الحسين والأزهر الشريف وواجهة قاهرة الفاطميين.

كـما عـهد المحـافظ للواء أنور سلام استكمـال مشـروع إنشاء مـسجـد على الطراز الإسلامى الفاطمى فى حـارة اليهود بالموسكى، تنقش على واجهته صـورة زخرفية تمثل صورة المسجد الأقصى بالقدس.

- تم إعداد خطة للنهـوض بمدينة القاهرة سـياحيـا وذلك عن طريق تجميل مـداخلها الرئيسـية وتزويد طرقهـا بالعلامات والإرشـادات الدالة للسياح باللغـات الأجنبية. كـما تضمنت الخطة إنشاء أسواق ثابتة للباعة للجائلين بعيدا عن المناطق السياحية. ومنع لصق الإعلانات على المبانى السياحية والأثرية.

وقد ركزت الخطة على تجميل منطقـة القلعة والطرق المؤدية إليها مع تزويدها بوسائل المواصلات التى كانت تستعملها قديما مثل الحنطور.

كما تضمنت الخطة التى أعدتها محافظة القاهرة تغـيير ملابس حراس مساجد القلعة، وحراس قـصر الجوهرة وآثار القلعـة بحيث تتناسب مع طراز العـصور التى ينسب إليـها الأثر وإقامة بوابة على طراز إسـلامى عند مدخل السلالم الصاعـدة إلى القلعة، وإنشاء كافيـتريا ومطاعم ومقاه على طراز إسلامـى تقدم فيها الأطعـمة والمشروبات ذات الطابع الشرقى. وتقضى الخطة أيضـا بإقامة محلات مبنيـة على الطراز الإسلامى على جوانب الطريق الصـاعد من شارع المحـجر إلى مـدخل القلعة تباع فـيهـا التذكارات السـياحـية والصناعات التقليدية والمنسوجات ذات الطابع الشرقى.

واقترحت الخطة ترميم آثار القلعة وإزالة أكوام الأتربة المحيطة بها وتشجيرها و حصر الأماكن الخالية فيها لإقامة الحدائق والمتنزهات ومواقف السيارات.

- تبحث مـحافظة القـاهرة مع وزارة السيـاحة ومصلحـة الآثار الاستـفادة بالتـماثيل المخزونة بمخازن المصلحة ومتاحفها فى تجميل ميادين العاصمة، ومداخلها الرئيسية.

ثم نشرت جريدة الأهرام تـفاصيل جديدة عن اهتمـام وجيه أباظة بالقاهرة الفـاطمية فقـالت: سوف تـبرز فى القـاهرة القديمة - خـلال الخطة المقبلة مـجمـوعة من المعـالم الجديدة.

إن مقـر مشيـخة الأزهر القديم وإدارته سـوف يختفى من مـكانه الذى يتوسط الآن

الميدان الكبير بين الأزهر والحسين.

كذلك فإن خان الخليلى سوف يشهد إقامة ٤٥ عمارة سكنية جديدة.

ولسوف ينشأ المقر الجديد لمشيخة الأزهر فى المساحة الكبير القائمة بين مسجد الأزهر وجامعته وعلى مستوى معمارى إسلامى يتناسب مع مكانة «مشيخة الإسلام والمسلمين» فى القاهرة ومنزلتها فى العالم العربى والإسلامى كله.

● أما الـ ٤٥ عمارة السكنية التى ستقام على الطراز العربى بخان الخليلى سوف تشغل مساحة ١٥ ألف متر مربع تملكها الدولة مكان خرائب وكالة القطن و«وقف العجم» و«وقف الغورى» المغتصبين بعد أن تقرر إعادة الأراضى والأعيان المغتصبة للأوقاف مع تخصيص الطوابق الأرضية للمحال التجارية المناسبة لصناعات خان الخليلى والمنطقة المنطقة بها. ولسوف يبدأ المهندس محمد المغربى فى إعداد حصر شامل للحالة الاجتماعية لشاغلى بعض أجزاء هذه المساحات الخربة. وستمتد العمارات الجديدة إلى شارع خان جعفر وخان الصالحين.

● كذلك سوف تستكمل واجهة مسجد الإمام الحسين بإقامة واجهة جديدة تضم مئذنة جديدة توازى المئذنة الحالية القائمة على واجهة المسجد وتربط بينهما مظلة استقلوسف تبدأ على الفور حملة نظافة لتطهير «أسطح» عمارات خان الخليلى القديمة.

ويبدأ على الفور أيضا بستة آلاف جنيه خصصت كدفعة أولى - لإقامة دار العزاء على مساحة ٦٠٠٠ متر فى مسجد بطل الثورة العرابية الشيخ حسن العدوى بميدان العدوى وسيدنا الحسين.

كانت هذه كلها قرارات اتخذت عندما خرج وجيه أباظة محافظة القاهرة أمس - ومعه مساعده المختص بأحياء وسط القاهرة - أنور سلام - يدرس على الطبيعة المشروعات الجديدة لهذه الأحياء والوقت اللازم لتنفيذها.

وعلى مدى عشر ساعات كاملة توالت الدراسة والقرارات:

* رصد اعتمادات عاجلة لإصلاح أرضية عدد من الحارات والأزقة الشعبية.

* إنشاء مجالس إدارة لجميع العمارات الخاضعة لإدارة المحافظة تكون مسئولة عن صيانتها وترميمها.

* إزالة المبانى الخيرية القديمة القائمة أمام مسجد السيدة فاطمة النبوية وإنشاء ميدان فسيح أمامه.

* دعم الجمعية التعاونية لصناع الأثاث وإنشاء مركز تدريب .

* إنشاء مراكز تدريب على الصناعات والحرف الأخرى تحت إشراف المحافظة واستغلال المبانى القديمة لتكون مراكز تدريبة.

* تبرع المحافظة بألف جنيه لأندية شباب كل قسم وذلك لدعم النشاط الرياضى وتشجيع البطولات.

* تحويل مساحات المساجد فى محافظة القاهرة إلى «مراكز لتحفيظ القرآن الكريم» و «محو الأمية» وتمنح المحافظة مكافأة لكل مسئول عن «المركز فى المسجد» وتتناسب هذه المكافأة مع عدد الأفراد وتدرج نشاطهم.

* إصلاح جميع دورات مياه مساجد القاهرة وترميم جميع المساجد التى تعطلت فيها الشعائر فورا وإعادتها لاستقبال جماهير المصلين وتخصص خمسمائة جنيه لاستكمال بناء مسجد حارة اليهود.

❑ ❑ ❑

كانت إحدى المهام التى شغل بها وجيه أباظة محافظ القاهرة هى بناء التنظيم الطليعي، بين شباب الجامعات وبين العمال..

وفى محافظة القاهرة جامعتان.. عين شمس والأزهر، ويبدأ رحلة شاقة لبناء هذا التنظيم فى الجامعتين واختار المهندس أحمد حماده رئيس اتحاد طلاب جامعة عين شمس السابق ليكون معاونه فى هذه العملية، وعينه فى مكتبه.. ويقول أحمد حماده: لقد بدأت التحرك من خلال الخبرات المتنوعة السابقة، وكان أول درس تلقيته منه عندما قال لي: إنك تستطيع مع هؤلاء الطلاب أن تشرح لهم نظريات. وسيكون واعيا ومتفقا ولكنه لن يكون قيادة سياسية، هذا الولد سيكون قائداً إذا ضربت ماسورة المياه فى الشارع وكلمك لتحريك الأجهزة لحل هذه المشكلة، عندما يكون هو قائد لهذا الشارع..

وكان هذا أول درس فى تكوين القيادات: أن الثقافة بمعزل عن الناس لا قيمة لها..

والدرس الثاني: كان عمليا أيضا.. ذات يوم مرض طالب مغترب من دمياط وكان عضوا فى التنظيم الطليعي.. وفكر أحمد حماده أن يرسل له سيارة الإسعاف أو يستخدم التاكسى لنقله إلى المستشفى ولكن وجيه أباظة رفض وقال إن سيارتى هى التى ستذهب لإحضاره..

القيمة الحقيقية لعملنا أن يحس هذا الطالب، وهو فى أزمته أننا إلى جواره ، حقيقة

أنه يستطيع استخدام التاكسى أو سيارة الإسعاف، مثل أى شخص ولكن إرسال سيارتي. . سيارة المحافظ له معنى آخر. .

والدرس الثالث: أنه نفذ فعلا صيغة سيطرة الدولة على السلطة وتوظيفها لخدمة الناس فأعطى تعليمات لإدارة العلاقات العامة بالمحافظة أن تتلقى التعليمات فيما يتعلق بكل مسائل الشباب ـ من أحمد حماده، من يريد كتبا. . تعطى تعليمات بشراء الكتب. . من مدير إعانات تصرف الإعانات. ثم قررنا أن نرسل هذه الطلبات إلى لجنة كل كلية لتقرر مدى صحة الطلب وفورا. .

ذات مرة كان موعد اجتماع لجنة إحدى الكليات فى بيته، وذهبنا إلى المنزل فوجدناه مزدحما بالناس، الطبيعى فى مثل هذه الظروف أن يؤجل الاجتماع ولكنه ـ هكذا يقسم أحمد حماده ـ اجتمعنا فى غرفة نومه الشخصية وجلس معنا حتى الساعة الثانية صباحا.

وكان وجيه أباظة هو الذى أتاح للشباب العمل خلال إجازة الصيف فى النظافة، وفى خدمة الأحياء. .

استمرت أعمال وجيه أباظة فى تسييس الطلاب بالجامعات لعدة سنوات ربما حتى وقت قريب فقد تميزت الجامعات التى بدأ فيها هذا العمل السياسى بنضج ووعى والإسهام فى جميع القضايا الوطنية.

وكان همه الثانى هو العمال لذلك بدأ بنفسه بعمال النقل العام. . . وعمال النقل لهم دور بارز فى الحركة الوطنية: سواء قبل الثورة، أو فى استمرارها أثناء ما عرف باسم أزمة مارس ١٩٥٤.

بدأ عمله السياسى فى النقل العام بدعم المرفق. . ثم اتجه للعمال، وعقد معهم، ومع شبابهم عشرات اللقاءات، ووضع حلولا لكل مشاكلهم وقرر زيادة الحد الأدنى لأجورهم الإضافية من ١٥٪ إلى ١٠٠٪ مما أدى إلى مضاعفة مرتبات الكثير منهم كما أدى إلى زيادة إيرادات المرفق حيث بلغت فى شهر فبراير ٩٤٤ ألف جنيه.

وقد يكون من الغريب أنه يوم إلقاء القبض عليه فى قضية مايو نشرت «جريدة الأهرام» تفاصيل عن مشروعاته بالنسبة للعاملين بهيئة النقل العام، فقالت الجريدة بالنص:

يبحث السيد وجيه أباظة محافظ القاهرة عددا من المشروعات لهيئة النقل العام، تشمل إنشاء٤ مستشفيات تضم ١٠٠٠ سرير لخدمة العاملين بالهيئة وعائلاتهم. على أن

يتم إنشاء المستشفى الرئيسى من هذه المستشفيات الأربعة خلال العام المالى الحالي، ويتكلف ٨٠٠ ألف جنيه، ويضم ٤٠٠ سرير، وأقساما لعلاج أمراض المهنة، و٤ عيادات خارجية . سيتم تمويل هذا المستشفى من حصيلة بيع أراضى وأنقاض المستشفى الحالى للهيئة الموجود أمام نقابة الصحفيين وتقدر قيمتها بحوالى ٣٥٠ ألف جنيه. أما المستشفيات الثلاثة الأخرى فسيتم إنشاؤها خلال عامين، ويضم كل منها ٢٠٠ سرير، وعيادات خارجية.

كما تبحث المحافظة إقامة مجمع سكنى على مساحة ٧ آلاف متر مكان ورش ومكاتب الهيئة فى ماسبيرو. وسيضم المجمع السكنى وحدات سكنية وشققا سياحية، وجراجا متعدد الطوابق ومجمعا تجاريا. وسيتم تأجير الوحدات السكنية للمواطنين لفترات محدودة.

كما يتم بحث مشروع إقامة مجمع للهيئة ومخازنها، على مساحة ٤٠ فدانا فى منطقة اسطبل عنتر فى مصر القديمة، تلحق به أقسام الصيانة وورش ومخازن مركبات الترام والأتوبيس والتروللى وسيبدأ تنفيذ هذا المشروع خلال العام المالى القادم.

وستبدأ الهيئة خلال الشهر القادم فى إنشاء عدد من الكافيتريات فى نهاية الخطوط لتقديم المأكولات والمشروبات لعمال الهيئة بأسعار رمزية، للقضاء على شكاوى الركاب من إيقاف السائقين للأوتوبيسات لشراء المأكولات.

❑ ❑ ❑

أحمد الكاشف الذى جاء معه من الغربية، واستمر فى القاهرة حتى أصبح سكرتيرا عاما لمحافظة القاهرة، يرصد بسرعة إنجازات وجيه أباظة فى القاهرة بأنه بدأ يجمع حوله عمال النقل العام كما بدأ يجمع الشباب فى الجامعات. . ثم ابتدأ بعملية الصرف الصحي، وكان أول من فكر فى مترو الأنفاق، وأول من أقام كوبرى علوياً فى ميدان التحرير بعد أن وصل إلى درجة كبيرة من التكدس، وهو الذى أدخل الصوديوم الأصفر فى الإضاءة لأنه أكثر ضوءا ولا يؤذى العين، وقد بدأه بميدان طلعت حرب.

❑ ❑ ❑

بالنسبة لمشكلة الإسكان قال وجيه أباظة «إنها شغلى الشاغل، وقد نجحت فى البحيرة بدليل لوحة «شقة للإيجار» التى لا تراها اليوم فى القاهرة والحل الذى أريد تطبيعه فى القاهرة هو نفسه الذى طبقته فى البحيرة أو الغربية أن نختار الأرض بجوار العمل نفسه

وتقسم وتعرض لبيعها لمحدودى الدخل وطريقة البيع هى التى نقف عندها قليلا فى بادىء الأمر تشمل الأرض للمواطن ولا يعنى هذا التسليم أنها أصبحت ملكه إنما تظل ملكيتها للدولة ومقابل ذلك لا نحصل من المواطن مقدم الثمن، إنما يترك له لكى يساهم به فى بناء مسكنه وما على المواطن إلا أن يرمى بأساسات منزله وأن يرتفع بأدواره وأترك له مهلة ٥ سنوات لكى ينتهى من بناء مسكنه الذى يقيم فيه فإذا لم ينته خلال هذه المدة فمن حقنا أن نسترجع منه الأرض الفضاء وأن نسلمها لغيره. المهم أنه بمجرد أن ينتهى المواطن من بناء مسكنه نعطيه حق ملكية الأرض، ونمنحه قرضاً لكى يرتفع بأدواره وفى هذه الحالة سيكون القرض بضمان المسكن نفسه...

هذا سيعفى الدولة من المسئولية الكاملة لحل أزمة الإسكان وسيجعل الشعب يشارك الحكومة فى حلها.

❑ ❑ ❑

ولقد بدأ تطبيق هذه الأفكار فعلا مع عمال شركة النصر للسيارات حيث أقيمت مدينة سكنية للعاملين على بعد ٧٠٠ متر من المصنع.

يقول مصباح محمد العجمى رئيس مجلس إدارة جمعية الإسكان العامة للنصر للسيارات أنه لولا وجيه أباظة لما أقيم هذا المشروع الذى احتضنه منذ البداية حتى بنيت مدينة قوامها ٧٧٠ عمارة كل واحدة خمسة طوابق تستوعب الآن خمسة آلاف أسرة لذلك فإن له جميلا فى كل صغيرة وكبيرة لذلك فقد أطلق اسمه على أكبر شارع ولو أمكننا لأطلقنا اسمه على بيت. لقد بدأ المشروع عندما قسمت الأرض ومساحتها إلى قطع كل قطعة أربعمائة متر وعندما عرض الأمر على وجيه أباظة طلب تخفيض المساحة المخصصة لكل عامل حتى يستطيع أن يقوم ببنائها واجتمع بالعمال وأقنعهم بالتوسع الرأسى. روى لهم تجربته فى دمنهور ونظم رحلة إلى دمنهور وهناك رأينا المشروع واقتنعوا به. وأصدر أمره بإعادة التقسيم واعتماده خلال ٤٨ ساعة وهى عملية تستغرق عدة شهور وكتب تأشيرة مشهورة لا تصدر إلا من ثائر يحب العامل الصغير كانت تأشيرته أن تسليم قطعه الأرض يعتبر ترخيصا بالبناء وأقام مخازن لمواد البناء فى المنطقة بحيث عندما يتوفر لأى عامل مبلغ صغير يستطيع شراء شيكارة أسمنت أو مائة طوبة.

وبدأ العمال يقيمون المبانى بالتدريج وفقاً لإمكانياتهم يتعاونون معاً وفقا لخبراتهم.. حتى أقيمت المدينة السكنية لشركة النصر لصناعة السيارات تحت رعايته ويقول مصباح

العجمي: إن هذا المشروع خفف من مشكلة المواصلات أيضاً إذ سكن العاملون بجوار مصنعهم وربطهم بالإنتاج كما ربط الأسرة كلها بمكان العمل وحدث التحام بين الشركة والعمال. وهى التجربة الوحيدة على مستوى الجمهورية أن يقيم العمال بأنفسهم ولأنفسهم مدينة سكنية كاملة فيحلون أزمة إسكانهم دون حاجة إلى الدولة، وذلك بفضل وجيه أباظة.

نقل وجيه أباظة تجاربه الناجحة إلى القاهرة..

أعد خطة لإنشاء ثلاثين مركز تدريب لجمع الأطفال المشردين والمتسربين من المدارس.. استدعى كمال نعيم ، وجهز له مكانا لإنشاء فرقة للفنون الشعبية وقال كمال نعيم: ستكون الفرقة من ٣٠٠ راقص وراقصة وبدأ تدريبهم.. ثم وجد نفسه ـ بعد قضية مايو ـ معتقلا لمدة ثلاثة أيام بتهمة الاتصال بوجيه أباظة..

وأعلن وجيه أباظة عن خطة طموحة لنظافة العاصمة وبدأ فى وضع سلات المهملات أمام المحلات التجارية. وفى الشوارع وقرر الاستعانة بالباعة الجائلين فى النظافة نظير مكافآت سخية..

وضع حلولا لمشكلة المواصلات.

وأنشأ إدارة مركزية للمرور بالعاصمة.

و مشروعات كثيرة أعدها للقاهرة..

بعضها بدأ تنفيذه.. والبعض الآخر كان فى طريقه للتنفيذ..

ثم....

بعد كل هذا الجهد من أجل بلاده..

وجد وجيه نفسه محافظ القاهرة وقد ألقى القبض عليه..

والتهمة بشعة وهي: الخيانة العظمي..

وصاحب الاتهام هو صديقه القديم

محمد أنور السادات.

العائلة والثورة

قال لي وجيه أباظة.. إنه لم يتردد أبداً في أي موقف... لقد كان ابن العائلة.. وصانع الثورة...

ولو حدث تناقض بين الأسرة والثورة ... فإن مكانه دائماً معروف.. مع الثورة.. ومع الثوار...

وكان أول مجلس أمة قد استمر فى عمله، حتى جاءت الوحدة بين مصر وسوريا، وقام برلمان الوحدة..

وكان وجيه أباظة عضواً فى برلمان الوحدة المعيّن.. قبلها سافر إلى دمشق ضمن وفد مجلس الأمة برئاسة أنور السادات وكيل المجلس.

وكان من بين الوفد اثنان من أصدقاء وجيه وزملائه: كمال رفعت، وكمال الحناوى.. ويقول إن تعليمات عبدالناصر إليهم كانت ألا يتورطوا فى أحاديث سريعة حول الوحدة..

فالوحدة قضية كبرى، تستحق الدراسة، والمناقشة المتأنية، وعدم الاستعجال..

«وفى الحقيقة وجدنا ضغطا شديدا غير عادى.. ولقد تعجبنا عندما زرنا صلاح البيطار، وكان وزيراً للخارجية، وكان يقرأ من ورقة أمامه.. وقال لنا ما معناه إن سوريا إذا لم تدخل الوحدة، فإنها ستقع فى أحضان عراق نورى السعيد.

وفى النهاية وقعنا نحن أعضاء وفد البرلمان على أننا نوافق على الوحدة وأخذنا الطريق إلى حلب بالسيارات وكنا حوالى أربعين شخصاً، وعند عودتنا ذهبت لأنور السادات، وكان معه كمال رفعت وقلت له: أنا أرى أن هذه العمليات مفتعلة، ويخيل لى أن أكرم الحورانى وراء هذه الهتافات فلا يمكن أن يكون هناك وحدة فكرية للشعب كله إلى هذا الحد، وأن هذه الوحدة تؤدى إلى وحدة هتاف.

ففى كل الأماكن التى زرناها كنا نسمع نفس الهتاف بنفس الكلمات فقال لى: إن كل شىء على مايرام.

وسأل كمال رفعت عن رأيه فأكد كلامى وصمم أنور على أنه لايوجد شىء.

كان رأى جمال عبدالناصر أنه ليس هناك مبرر للاستعجال فى الوحدة، وأن نبدأ بوحدة اقتصادية أولاً، وهذا هو عين العقل، فنحن دولة نهتم بالزراعة أكثر من التجارة، وسوريا تهتم بالتجارة أكثر من الزراعة، لذلك فالوحدة الاقتصادية تحدث نوعاً من التكامل»

«وكان جمال عبدالناصر دارساً لهذه العمليات لذلك قال لنا لا أحد يتحدث فى الوحدة ولكنهم صمموا على الوحدة بهذه الطريقة.

لم يستمر وجيه أباظة فى برلمان الوحدة طويلاً، فسوف يحضر مؤتمر الاتحاد القومى للإقليمين المصرى والسورى.

وبعدها سوف يترك كل المهام السياسية، ويتجه للعمل التنفيذى محافظا فى أول تجربته للحكم المحلى فى مصر.

لقد كان الأباظية مشاركين أيضا فى برلمان الوحدة.

كانت العائلة الأباظية قد شاركت ـ كـما رأينا فى كل برلمانات مصر، ولم تتخلف عن برلمان واحد دون أن يكون لها أكثر من نائب واحد.

وفى البرلمـان الأول للثورة، كان هنـاك ثلاثة أعضاء من الـعائلة الأباظيـة. . وكانت تعليمات عـبدالناصر ـ فى ذلك الوقت ـ ألا يزيد عدد الأعضـاء من أية عائلة واحدة عن اثنين. العـائلة الأباظية وحـدها كان فـيهـا ثلاثة نواب. . ولابد أن هذا الاستـثناء يطرح العلاقة بين الثورة وهذه العائلة.

ـ وكان الموضوع هو أحد استفساراتى فى حوارى الطويل، والمتشعب معه. .

وعندما جاء أول مجلس أمة للثورة كان مختلفا بالنسبة للأباظية فقط.

كان هناك ثلاثة نواب من العائلة الأباظيـة، فقط وحدها انفردت بهذا التـميز. وكان استثناء واضحا.

وكانت الـثورة قد وضـعت هدفا أسـاسيـا بالقضـاء على الإقطاع فى تولى المناصب، واحتكار تمثيل الفلاحين فى البرلمان.

وكـان أمام الثـورة أن تخلص مصـر من سـيطرة الطبقـة التى سـيطرت على الحيـاة السياسية، والتى جعلت ١٦ عائلة فقط تتوارث المناصب الوزارية والسياسية. .

وكانت قد اتخذت إجراءات عديدة للقضـاء على هذه السيطرة كما رأينا وسألت وجيه أباظة:

● **هل كان هناك أعضاء من العائلة الأباظية غيرك فى مجلس الأمة عام ١٩٥٧؟**

ـ كنا ثلاثة أعضاء من العـائلة، وكان ذلك أكبر عدد من الأعضـاء لعائلة، فكل عائلة لايزيد عدد الأعضاء فيها على اثنين فقط، ولكـن جمال عبدالناصر قال: إن لعائلة أباظة ثلاثة مقاعد فسألوه كيف؟

فرد بأن وجيه ليس أباظيا، ولكنه من الثورة. . . لذلك كنا ثلاثة أعضاء.

● **هذا يطرح العلاقة بين العائلة الأباظية، وثورة يوليو فما هى أبعاد هذه العلاقة وهل أضيرت هذه العائلة؟**

ـ العائلة أبداً لم تضر على الإطلاق، ولم يمس أحد منها، وما حدث هو أن فؤاد باشا أباظة اعتقل ثلاثة شهور وهو ابن عمى، وكان من أحسن الشخصيات فى العائلة.

ودسوقى باشا أباظة ابن عمى، وأيضاً كان من شخصيات العائلة البارزة، قدم للمحاكمة ولم يثبت عليه شىء، وكان سليمان حافظ وراء ذلك.

ذات مرة صحبت سعيد فريحة إلى جمال عبدالناصر وكان يقنعه بأشياء فقال له جمال: يا أستاذ سعيد أنا من واجبى أن أحمى هذه الثورة وقطعاً سوف تحدث جروح، وأنا أعمل على ألا تكون هذه الجروح عميقة.

نأخذ مثلا فؤاد أباظة فقد اعتقلناه فإذا كنت أعدمته كان أصبح بيننا وبينه دماء.

● **هل أرسل فؤاد أباظة برقية للملك بعد طرده؟**

ـ نعم.. ولكن لم يكن هذا سبب اعتقاله، لأن جمال عبدالناصر بالذات هو الذى قال لى: إن فؤاد أباظة أرسل برقية للملك عند طرده، وقال له فيها فى «رعاية الله» والذى أحضر هذه البرقية شريف وسوف تعجب ـ ضابط من الضباط الأحرار ـ من العائلة الأباظية: وكان فى سلاح الإشارة مشرفاً على الاتصالات الخارجية بالاسكندرية واسمه الحقيقى: اللواء عبد الله.

وقال لى جمال عبدالناصر: ربما يعتقد أحد أنى اعتقلت فؤاد أباظة لأنه أرسل البرقية فقلت: معظم الناس يعتقدون ذلك.

فقال أنا لم أعتقله لهذا السبب بل بالعكس فهو «أرجل» شخص فى مصر لأنه فعل ذلك.

وأنا متأكد من علاقة فؤاد أباظة بالملك.

ولكن السبب فى اعتقاله أنه عندما جاءت كتيبة تعسكر فى الجمعية الزراعية.

● كان هو رئيسا لهذه الجمعية؟

- نعم كان رئيسا للجمعية الزراعية الملكية، وجاءت كتيبة من الجيش تعسكر فى الجمعية الزراعية.

وأرسل فؤاد أباظة لقائد الكتيبة وقال له نرجو «إجلاء» الجيش عن الجمعية الزراعية.

فأرسل لى جمال عبدالناصر قائلا: «إجلاء» هذه كلمة لا أقبلها.. فنحن لسنا عساكر «الجليز».

أقنع قريبك بأن يكتب «إخلاء» فذهبت لفؤاد باشا وأبلغته، ولكنه رفض تماما، وذهبت لدسوقى باشا، وفكرى باشا، وأحمد أباظة وذهبوا له جميعا فى رأس البر، وحاولوا إقناعه ولكن بدون جدوى.

فقال لى جمال عبدالناصر: إذا لم يقبل فسوف أعتقله... وفعلاً اعتقله.. وكنت مكلفا أن أمر على المعتقلين لتلبية طلباتهم فرداً فرداً والتأكد من أن معاملتهم معاملة طيبة وكنت أمر عليه من بينهم، ولكن لم تكن له أية طلبات إطلاقا.. أما دسوقى باشا أباظة فلم يحدث له أى شىء إطلاقا.

● كنت أسأل هل قدم دسوقى أباظة للمحاكمة؟

- قدم للمحاكمة ولكنه لم يحاكم، وأنا وفكرى أباظة ذهبنا لجمال عبدالناصر، وكان معنا شقيق دسوقى أباظة وهو عبد الله فكرى الذى أرسل عبدالناصر فى طلبه، وقال له أمامنا نحن متأسفون لما حدث، وأن سليمان حافظ هو الذى قدمه للمحاكمة ونحن لانعلم شيئا عن الموضوع، لذلك فقد قررنا إلغاء تقديمه للمحاكمة.

● هل أضيرت العائلة الأباظية من قوانين الإصلاح الزراعى؟

- نهائيا لم يضر أحد.. وأنا قلت لهم بصراحة «نصف العائلة ثرى والنصف الآخر فقير» ولو أخذتم من الأثرياء سوف تعطون الفقراء، فلا شىء سوف يخرج من العائلة، ولم يكن من بين أفراد العائلة على كل حال من طبقت عليه قوانين الإصلاح الزراعى ليس من بينهم أى شخص أخذت منه أية مساحة من الأرض ولا قيراط واحد.

● **أليس من بين أفراد العائلة الأباظية شخص أضير من قرارات الثورة؟**

ـ نهائيا. . . لايوجد أى فرد إطلاقاً وأول عائلة قام بزيارتها جمال عبدالناصر ورجال الثورة جميعهم هى العائلة الأباظية، وأول منزل قضى فيه ليلة هو بيت الأباظية وهو منزل محمد باشا أباظة الذى كان منزل العائلة كلها.

● **ماهى قرابتك بعزيز أباظة؟**

ـ أنا عمه وخاله فى نفس الوقت. . . فأنا ابن عم والدته وابن عم والده.

● **كان مع الثورة... وكانت له قصائد شعر عظيمة فى التغنى بإنجازات الثورة؟**

ـ كان عزيز أباظة ممتازاً. . الذين يتحدثون عن أن كل الأباظية أقطاعيين أقول إننى كنت قبل الثورة آخذ عزبتين من عندهم يقيم فيهما الفدائيون وأردت أن أدفع لهم ثمن ماتلف من مزورعات فى العزبتين ولكنهم ورفضوا تماماً.

وكان عبدالله فكرى أباظة رئيس لجنة جمع التبرعات من الشرقية كلها، كما كان رئيس لجنة الكفاح الوطنى.

وكان بعض الناس يقولون: إن العائلة الأباظية تظلم الناس، تسب وتضرب، وهذا غير صحيح على إطلاقه، فأنا أعيش فى جو ريفى طيلة حياتى، وكل عائلة فيها الجيد والردىء، وقد تجد فى عائلة واحدة الوزير والخفير، الضابط، والسارق مثلا.

لقد قلت لعائلتى وأقاربى منذ البداية لا أريد أن يطلب منى أى شخص ترقية أو أى استثناء. . . ولكنى مع المظلوم حتى النهاية.

وفى أثناء حملة تصفية بقايا الإقطاع شعرت أن أحقاداً تتحرك لتشى ببعض الأشخاص على غير حق، وعلمت أن هناك من يتحدث عن أشخاص من عائلتنا أعرفهم جيدا، وأعرف فذهبت للرئيس بالليل.

● **وكنت محافظا فى ذلك الوقت؟**

ـ نعم وذهبت للرئيس وشرحت له وجهة نظرى ولم يرد على بل رفع سماعة التليفون واتصل بعبدالحكيم عامر فوراً وقال له:

ـ أظن ياعبدالحكيم أن البيت اللى دخلناه وأكلنا فيه عيش وملح لا يجوز أن تقترب منه إذا كانت هناك مخالفات بسيطة يمكن حلها بهدوء.

فسأله: عن من تتحدث؟

فأجاب: الأباظية

فقال عبدالحكيم: ليس عليهم أى شىء على الإطلاق...

وطلبنى عبدالحكيم وقال لى: فقط أريد منك أن تستبعد رؤساء القرى الذين هم من عائلتكم.

فقلت: حاضر.

ثم قال: وهناك اثنان فى مجلس المحافظة أيضا نستبعدهم.

فنفذت على الفور.

وهذا يدل على أن هناك موضوعاً مفحوصاً جيدا.

وطلبت منه إذا كانت هناك أية معلومات فيضعها أمامى لأن رقبتى اليوم أصبحت معلّقة بالثورة، وليست معلقة بالعائلة

فقال: لايوجد شىء.

فى نهاية إجابتى على سؤالك أقول أننى أقدر جداً فى جمال عبدالناصر أخلاق الفلاحين.. حينما حافظ على العيش والملح.. حتى لو كانت هناك خلافات بسيطة.

● **إذن فالثورة جاملت العائلة الأباظية؟**

ـ لا... لم تجاملها... ولكن كانت هناك شائعة بأن أفراد من العائلة أشداء، ويستطيعون أن يفعلوا أى شىء، وهذا غير صحيح، ولقد قاسيت من مثل هذه الشائعات، ومن الطبيعى أن تجد الشباب مندفعين مع الثورة اندفاعا كاملاً.

أما الشيوخ فكانوا أكثر تحفظا... وخصوصا أن الثورة اتخذت موقفاً من شخصيتين فى عائلتنا، وهما فؤاد باشا ودسوقى باشا، وكانا أكبر شخصيتين فى العائلة، أخذوهما

بدون مناسبة فى أشياء بسيطة... فإذا وضعت أمامى مصلحة عائلتى.. ومصلحة الثورة... كنت مع الثورة على طول الخط

❑ ❑ ❑

كان موقف الثورة من العائلة الأباظية، إيجابيا، لصالح العائلة..

قادة الثورة ذهبوا لبيت العائلة.. وجاملوا العائلة..

واتخذت إجراءات اثنين من كبار رجال العائلة لمبررات وأسباب، كانت موضع تفهم العائلة.

سوف نرى هناك تجاوباً من أقطاب العائلة وكبارها، وأكثر رجالها فهما واحتراما ووطنية مع الثورة..

فكرى أباظة بطبيعته الوطنية، كواحد من رجال الحزب الوطنى، كان مؤيدا للثورة، وقف حتى آخر حياته مع كل قضايا الثورة الكبرى..

عزيز أباظة الشاعر الكبير الذى قدم المسرح القومى مسرحياته الشعرية، وتغنت أم كلثوم بكلماته حول السد العالى، وغيره من منجزات الثورة..

واحد من الضباط الأحرار كان من العائلة الأباظية.

لم تضار الأسرة من قوانين الإصلاح الزراعى، ولا من قرارات لجنة تصفيه الإقطاع وربما أيضا من القوانين الاشتراكية.

وكان وجيه أباظة واحداً من قادة الثورة..

وكان يردد دائما أنه إذا حدث تناقض بين الثورة، والعائلة...

«فأنا ثائر.. مع الثورة.. ومع الثوار»..

محمد نجيب مع عزيز باشا أباظه



حمد نجيب وجيه أباظة محمد قمحاوي أباظة عبدالحميد اباظة في ضيافة الاسرة الاباظي



محمد نجيب في ضيافة الاسرة الاباظية بجوارة وجيه اباظة وشاكر اباظة

مجلس قيادة الثورة فى ضيافة عائلة أباظه فى الربعمائة . . ويرى فى الصورة الشاعر عزيز أباظة يقدم الشاى لمحمد نجيب وإلى جانبهم جمال عبد الناصر وفى الصورة شاكر إباظة وأحمد اباظه ـ والضابط شريف أباظه



النضال الوطنى ٣٠

التنظيم الطليعى

بعد انفصال الوحدة بين مصر وسوريا، أعلن عن مرحلة جديدة فى العمل السياسى بدأت بحل الاتحاد القومى.

وكان الانفصال قد خرج من رحم الاتحاد القومى السورى

وكان أعضاؤه معينين، وليسوا منتخبين مثل زملائهم فى مصر...

وكان أول إجراء اتخذه جمال عبدالناصر هو تشكيل لجنة تحضيرية، لمؤتمر قومى عام..

وهو المؤتمر الذى قدم إليه جمال عبدالناصر ميثاق العمل الوطنى فى ٢١ مايو ١٩٦٢..

وقد نص الميثاق على الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى جديد للثورة هو التنظيم الثالث بعد هيئة التحرير والاتحاد القومى.

وكان مقررا أن يكون عدد أعضاء الاتحاد الاشتراكى محدودا، وأن يختلف عن تنظيمات الثورة السابقة، التى ضمت أكبر عدد من المواطنين.

وأعلن جمال عبدالناصر فى أحد خطاباته العلنية، أن العدد سوف يكون محدودا.

بل إنه قال إنهم سوف ينزلون الريف قرية قرية لاختيار أصلح العناصر ليكونوا ضمن هذا العدد المحدد.

وعندما ذهب عبدالناصر إلى بورسعيد، التقى بعدد من المواطنين، من أعضاء الاتحاد القومى السابق وقالوا له:

ـ ياريس لقد حاربنا معك فى ١٩٥٦، والآن لاتريدنا كلنا معك فى الاتحاد الاشتراكى..

وعدل عبدالناصر عن رأيه.

وبعد البحث والدراسة استقر الرأى على أن يكون الاتحاد الاشتراكى تنظيما جماهيريا واسعا ـ وليس حزبا ـ وأن يكون إلى داخله جهاز سياسى أقرب إلى الحزب..

❑ ❑ ❑

وقد أصدر جمال عبدالناصر قراراً بتكوين ماسمى باللجنة التحضيرية للمؤتمر القومى العام، ضمت ممثلين عن كل قطاعات الشعب، وفئاته.

قد عقدت اللجنة ثمانية عشر جلسة، حضر معظمها جمال عبدالناصر، ودارت فيها مناقشات واسعة.

كانت تذاع على الهواء مباشرة.

وانتهت إلى تحديد ممثلى الشعب فى المؤتمر العام الذى سيناقش ميثاق العمل الوطنى بأن يكون عددهم ٣٧٥ عضوا من الفلاحين، و٣٠٠ عضو من العمال.

وخصصت ١٠٥ من المقاعد للنساء، ومثلها لهيئات تدريس الجامعات، و٥٠ مقعداً للطلاب، و١٠٠ للموظفين الحكوميين غير المنتمين للنقابات، و٧٥ عضوا للرأسمالية الوطنية فى قطاع الصناعة، و٧٥ عضواً للرأسمالية الوطنية فى قطاع التجارة، وأجريت انتخابات داخل كل القطاعات ليختار كل قطاع ممثليه..

❑❑❑

وانتهت هذه اللجنة التحضيرية إلى حرمان عدد من الفئات من مباشرة حقوقها السياسية لمدة عشر سنوات، وهم: الذين انطبقت عليهم قوانين الإصلاح الزراعى، أو فرضت عليهم الحراسة، أو اعتقلوا، أو أممت لهم ممتلكات تزيد قيمتها على عشرة آلاف جنيه، وأيضا من ثبت اشتراكهم فى إفساد الحياة السياسية عن طريق الكلمة أو الفتوى.

وكل من استغل النقابات العمالية أو المهنية أو الجمعيات التعاونية.

والعناصر الرجعية والمستغلة التى تعارض الاشتراكية.

وفيما عدا هذه الفئات يكون المواطنون الذين أطلق عليهم قوى الشعب العاملة منتمين إلى الاتحاد الاشتراكى - وهو التنظيم الجماهيرى السياسى الثالث للثورة - وحدد المنتمون إليه بأنهم: العمال - الفلاحون - الجنود - المثقفون - الرأسمالية الوطنية.

وقال ميثاق العمل الوطنى: «إن الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب هى التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى، ليكون السلطة الممثلة للشعب، والدافعة لإمكانيات الثورة والحارسة على قيم الديمقراطية السليمة».

أما أهداف الاتحاد الاشتراكى العربى فكانت:

١ـ تحقيق الديمقراطية السليمة، ممثلة بالشعب وللشعب، لتكون الثورة بالشعب فى أسلوبها، وللشعب غايتها وأهدافها.

٢ـ تحقيق الثورة الاشتراكية التى هى ثورة الشعب العامل.

٣ـ دفع إمكانيات التقدم ثوريا لصالح الجماهير وحماية مبادىء الثورة وأهدافها.

٤ـ حماية الضمانات التى قررها الميثاق وهى: كفالة الحد الأدنى لتمثيل العمال والفلاحين فى جميع التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بحيث يراعى فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى نفسه أن تكون نسبة العمال والفلاحين ٥٠٪ على الأقل باعتبارهم أغلبية الشعب التى طال حرمانها من حقوقها الأساسية ـ مبدأ القيادة الجماعية ـ تدعيم التنظيمات التعاونية والنقابية ـ إرساء حق النقد والنقد الذاتى ـ نقل سلطة الدولة إلى المجالس المنتخبة تدريجيا.

٥ ـ نقل سلطة الدولة تدريجيا إلى المجالس الشعبية المنتخبة.

٦ ـ النضال ضد تسلل النفوذ الأجنبى والانتهازية والرجعية التى تم إسقاطها.

٧ ـ مقاومة السلبية والانحراف، ومنع الارتجال فى العمل الوطنى.

ووضع قانون الاتحاد الاشتراكى ضمانات لكى يؤدى الاتحاد مهمته «وضمانا لأن يؤدى هذا التنظيم الشعبى إلى تحقيق أهدافه فإن العلاقات سواء بين الأعضاء وبعضهم أو بينهم وبين تنظيماتهم، تتطلب مجموعة من القيم والمبادىء ليسير الاتحاد الاشتراكى العربى بقوة نحو أهدافه الثورية.

وأهم هذه المبادىء احترام الأقلية لإرادة الأغلبية، حتى لا يكون هناك أى مجال لقيام دكتاتورية فى منظمات الاتحاد، وكسب ثقة الشعب عن طريق الإقناع، وهذه الثقة هى السبيل إلى طاعة الجماهير لقيادتها طاعة ليست وليدة الخوف، ولكنها وليدة الإقناع، ولا تعطى للقيادات، فى أى مستوى من المستويات، حقوقا مكتسبة تقيم دكتاتوريات داخل تنظيمات الاتحاد والنظام والطاعة فى العلاقات بين القيادة والطليعة والجماهير على أساس إخلاص القيادة الثورية وسلامة مخططاتها وإخلاص الطليعة الاشتراكية، والاستعداد للبذل والتضحية وإقناع الجماهير، والعمل على قيام علاقات سليمة بين منظمات الاتحاد وبين الشعب العامل، والعمل على حل المشاكل على استمرار الدفع الثورى لدى الجماهير وإطلاعها على حقائق الأمور، وعدم فرض السلطة، أو ممارسة أى نوع من التعالى على جماهير الشعب العامل عليها، والاعتراف بالأخطاء والمبادرة إلى إصلاحها.

إن الاتحاد الاشتراكى العربي، وهو السلطة الشعبية يقوم بالعمل القيادى والتوجيهى وبالرقابة التى يمارسها باسم الشعب فى حين يقوم مجلس الأمة - وهو سلطة الدولة العليا ومعه المجالس النقابية والشعبية - بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى العربي.

❑❑❑

هذا التنظيم الجماهيرى الواسع - ليس حزبا واحدا - ولكنه تجمع يضم كل المواطنين. . .

وأقيم من داخله تنظيم سياسي، نص عليه ميثاق العمل الوطنى بقوله:

« إن الحاجة ماسة إلى خلق جهاز سياسى جديد داخل الاتحاد الاشتراكى العربي، يجند العناصر الصالحة للقيادة، وينظم جهودها، ويبلور الحوافز الثورية للجماهير، ويتحسس احتياجاتها، ويساعد على إيجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات».

وفى مؤتمر المبعوثين أغسطس سنة ١٩٦٦، أعلن جمال عبد الناصر عن وجود هذا التنظيم داخل الاتحاد الاشتراكى وقال:

إن أعضاء الاتحاد الاشتراكى ستة ملايين، وأنه لا يمكن أن يطلب منهم أن يكونوا جميعا ثوريين مرة واحدة... بين يوم وليلة.

وقال «إننا بدأنا من سنتين تكوين الجهاز السياسي، ولكن بطريقة سرية، وأن هذه الطريقة السرية سوف تستمر فترة».

وشرح سبب السرية بأنه:

«إذا أخذنا شخصا وتركنا آخر، فإنه سوف تتكتل القوى لكى تهدم الأعضاء أو تسيء إليهم» ثم «إننى لا أريد أى واحد فى الجهاز السرى السياسى يستغل صفته فى هذا الجهاز».

وكان تنظيم «طليعة الاشتراكيين» هو الحزب الاشتراكى الذى يعده عبد الناصر، عندما يعلن عن تعددية حزبية، على أساس أن يكون هناك حزب آخر كبير أيضا وفقا لما جاء فى محاضر الاجتماعات المنشورة...

وكانت لائحة هذا التنظيم تنص علي: أنه يتكون من مجموعات لا يزيد عدد أعضاء المجموعة على عشرة أعضاء.

ويسدد العضو اشتراكا شهريا،

وتعقد المجموعات اجتماعا أسبوعيا،

يخصص معظمه للجانب التثقيفى بقراءة نشرات التنظيم السرية،

وكانت كل نشرة تحمل رقما معينا لضمان السرية.

نشرات هذا التنظيم تناقش الأوضاع السياسية الداخلية والعربية والعالمية ومشاكل الجماهير واقتراح وضع حلول لها.

وقد اختلف حول عدد أفراد التنظيم الطليعي.

والأغلب أنهم لم يزيدوا أبدا عن ٢٥٠ ألف مواطن مصري.

ولم يكن للتنظيم أى فرع عربي.

وإن كانت له فروع بين المصريين العاملين أو الدارسين فى الخارج.

❑❑❑

كان بعض الوزراء والمحافظين من بين أعضاء التنظيم الطليعي.

وعدد كبير من أعضاء مجلس الشعب.

ومعظم أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى.

ولم يكن فى هذا التنظيم أعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو

ولم يكن أنور السادات عضوا بهذا التنظيم.

بينما كان عبد الحكيم عامر أحد قادته، ولم توضع خطة لضم أفراد القوات المسلحة إلى الاتحاد الاشتراكي وبالتالى إلى التنظيم الذى يقوده، رغم أن الجنود كانوا إحدى فئات تحالف قوى الشعب العاملة إلا أنهم عمليا لم يسهموا فى هذا التحالف الذى تجسد فى تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربي..

كان شعراوى جمعه قد أخذ على عاتقه مهمة «تسييس» رجال الشرطة، إلى حد أنه أنشأ فرعا لتنظيم «طليعة الاشتراكيين» بين رجال الشرطة كان من أعضائه ممدوح سالم، والنبوى إسماعيل..

❑❑❑

ويشرح شعراوى جمعه أمين التنظيم أثناء قضية مايو سبب سرية التنظيم فيقول: إنها كانت للتغلب على مشكلة واجهت الثورة منذ بدايتها، وهى كيف تكوّن حزبا

وهى فى السلطة، فانضمام عضو إلى مثل هذاالتنظيم يكون هدفه إنكار الذات، وكانت السرية موقوته بفترة نمو التنظيم بعيدا عن الأضواء.

وبعدها كان سيعلن.

فإن البحث كان يجرى لاختيار الوقت المناسب لإعلانه.

بعد أن كان يقوى ويشتد عوده، ويكون قادرا على الدفاع عن نفسه..

ولم يكن الهدف من سرية التنظيم أبدا جمع المعلومات.

فلم يحدث أن تعرضت كثير من الأوضاع لنقد عنيف بمثل ما تعرضت له من أعضاء هذا التنظيم.

ويقول: إن هذا التنظيم لم تكن له أية فروع أو نشاط داخل القوات المسلحة بعكس الشرطة التى كان للتنظيم نشاط بين أعضائها..

❑❑❑

بدأ هذا التنظيم بمجموعة صغيرة تضم على صبري، وكمال الدين رفعت، وعباس رضوان وأحمد فؤاد، ويقول شعراوى جمعه [1] :

إن الذى فاتحنى فى أمر الانضمام لهذا التنظيم هو عباس رضوان وزير الإدارة المحلية.

وكنت فى ذلك الوقت محافظا للسويس..

وقد أخذت هذه المجموعة الصغيرة تتصل بمجموعات أخرى لتكوين حلقات لا يزيد أعضاء الواحدة على عشرة أعضاء..

وكان عيب هذه الوسيلة هو أنها بدأت عن طريق القيادات.

والقيادات كانت تختار القيادات التى تليها.. وتجندها..

---

(١) تحقيقات قضية مايو.

وقد استمر بهذه الطريقة حتى عام ١٩٦٤.

وبعدها بدأت تتسع مجالات الاختيار

وفى عام ١٩٦٥ عينت مسئولا عن التنظيم.

ورأيت أن يتحول إلى تنظيم جغرافي.

وقد وصل التنظيم الطليعى إلى مستوى المدينة والقرية..

إلى المصنع.. بل وإلى أجزاء من المصنع..

❑❑❑

أحمد حمروش هو الوحيد الذى يرى أن هذا التنظيم قد وصل إلى الجيش وكان حمروش عضوا فى أمانته العامة ويقول:

«إن السرية التى كان يتم بها تشكيل التنظيم، والأفضلية النسبية الناتجة عن اختيار الأفراد كانت عاملا مشجعا على تكوين تنظيم لطليعة الاشتراكيين داخل الجيش، وكان المسئول عنه شمس بدران وأنه ضم بعض القادة مثل محمد فوزي، ومحمد أحمد صادق».

يقول: «وأن بداية هذا التنظيم كانت فى يونيو عام ١٩٦٣ باجتماع رأسه عبدالناصر بسكرتارية سامى شرف، ودعى إليه على صبري، ومحمد حسنين هيكل، وأحمد فؤاد، وطلب عبد الناصر أن يتصل كل منهم بمجموعة من الذين يثق فيهم، وأن يشكل منهم خلايا، واشترط ألا يقبل الأعضاء إلا بعد عرض الأسماء عليه للموافقة عليها، وكان المشير عامر على علم بخطوات تكوين الجهاز من جمال عبد الناصر..

وقد اتصل على صبرى رئيس الوزراء بالوزراء: عبد المنعم القيسوني، وأحمد توفيق البكري، وعبد القادر حاتم، وعبد المحسن أبو النور، وعبد العزيز السيد

وبالعاملين فى رئاسة الجمهورية محمد فايق، وعبد المجيد فريد، وسامى شرف وعبد المجيد شديد ومحمد أبو نار..

وقد تشكلت أمانة طليعة الاشتراكيين من شعراوى جمعه أمينا عاما، وأحمد كامل لشئون التنظيم، ومحمد المصرى للنشاط السياسي، وأحمد حمروش للتثقيف، وأمين عز الدين، وأحمد شهيب، والدكتور حسين كامل بهاء الدين والدكتور عبد المعبود الجبيلي، ويوسف عزولي، ومحمد عروق، وفيما بعد خرج منها أحمد حمروش وعبد المعبود الجبيلى لينضم إليها على السيد وكمال الجنزورى وحلمى السعيد، وأمين هويدي».

«وتكونت لجنة القاهرة الرئيسية من على صبرى رئيسا ومحمد فايق، وسامى شرف والدكاترة عزت سلامة، ولبيب شقير، وإبراهيم الشربيني، وأحمد فؤاد، وأحمد بهاء الدين، وأحمد فهيم، وفتحى فودة».

ويقول محمد فائق [1] فى التحقيق فى قضية مايو «أنه عضو فى التنظيم الطليعى بتكليف الرئيس عبد الناصر منذ أنشائه وأنه كان مقررا لتنظيم رئاسة الجمهورية حتى عين وزيرا للإرشاد القومي، فأصبح مسئولا عن الإعلام، ثم أضيفت إليه مسئولية غرب القاهرة، وكان على صبرى رئيسا للجنة القاهرة، وسامى شرف مسئول شرق القاهرة، وحلمى السعيد مسئول الشمال، وسعد زايد مسئول الجنوب، وأن لجنة القاهرة كانت تتكون من ١٨ عضوا..

قال على صبرى [1]: «إن جمال عبد الناصر كان قد كلفه بوضع الخطوط الأساسية للتنظيم فى بدايته، وأنه أعد كشفا بأسماء عدد من الشخصيات الذين رشحهم ليكونوا أعضاء فى التنظيم، وقد اختار جمال عبد الناصر عددا منهم»..
ويقول أحمد كامل [2] مدير المخابرات العامة: «سامى شرف مسئول عن مجموعة

---

(١) و (٢) تحقيقات قضية مايو ١٩٧١

أنا عضو فيها ومرتبط من عام ١٩٦٤، وأفرادها تغيروا أكثر من مرة، وآخر تشكيل لها بعد النكسة، وأنا محافظ الإسكندرية، هو تولى مسئوليتها، وأعضاؤها أحمد شهيب عضو مجلس الأمة، مصطفى فهمي سليمان رئيس مجلس إدارة صيدناوي، ومصطفى كامل مراد وكيل مجلس الأمة ورئيس اتحاد مصدرى الأقطان، وجمال نظيم نائب وزير الشباب»

❑❑❑

كانت لوجيه أباظة من قبل تجربة هامة فى تنظيم الاتحاد القومي، وكان مسئولا عنه فى «الشرقية». .

ولقد أفادته هذه التجربة خلال عمله كمحافظ. . فلم يحدث تناقض أبدا بينه وبين أمين الاتحاد الاشتراكى فى أيٍّ من المحافظات التى عمل بها. . بل لقد امتدت العلاقة بينه وبين أمناء المحافظات إلى أبعد من العمل. . . إلى الصداقة. .

كان صديقا. . لإبراهيم آدام. . . أمين الاتحاد الاشراكى بمحافظة البحيرة.

وكانت صديقا. . . لمصطفى الجندي. . أمين الاتحاد الاشتراكى بمحافظة الغربية.

وكان صديقا. . . لعبد المجيد فريد. . . أمين الاتحاد الاشتراكى بمحافظة القاهرة.

ويقول إبراهيم آدم «إننا كنا نتعاون معا فى إعلاء دور التنظيم السياسي، لأنه كان رجلا يحب أن ينسب إلى التنظيم الشعبى ما يقوم به من أعمال، وكان يلتزم بكل آراء التنظيم حتى لو خالفت ما هو مقتنع به».

❑❑❑

المهمة التى أوكلت إلى وجيه أباظة فى محافظة الغربية، كانت على ضوء نجاحه فى القيام بها بمحافظة البحيرة، وهى إنشاء تنظيم «طليعة الاشتراكيين» فى الغربية.

ويقول أحمد الكاشف: قبل وجيه أباظة فى الغربية، كان المحافظ وجيه رشدي، ولم يكن عضوا فى تنظيم طليعة الاشتراكيين، وعندما جاء وجيه أباظة بدأ يعمل على إقامة هذا التنظيم، وشكل التنظيم منه، ومن عدد من الأشخاص»

ويقول طارق الجندي:«إن التنظيم السياسى فى الغربية لم يكن موجودا قبله بالمرة»

ولقد تعجب طارق الجندى عندما طلبه المحافظ ـ وكان ضابطا للمباحث فى طنطا ـ وقال له: أنه سوف يزوره عدد من الأشخاص فى موعد معين، بعدهم بنصف ساعة سوف يزوره آخرون، وهكذا، وطلب منه ملاحظة ألا يرى أحد من هذه المجموعات الآخرين، وإنه سيلتقى بكل مجموعة فى حجرة مختلفة.

ولما استفسر منه عن السبب، عرف فيما بعد بحكاية التنظيم الطليعى السري، وكان من بين الأعضاء الذين جندهم وجيه أباظة لهذا التنظيم، المهندس سالم محمدين وكان وزيرا للصناعة فيما بعد، والمهندس الغروري، وكان أيضا وزيرا للصناعة، وعدد من أعضاء فى مجلس الأمة، وفى مجلس المحافظة.

❑❑❑

خلال عامين أتم وجيه أباظة بناء هذا التنظيم فى محافظة الغربية.. ثم انتقل إلى القاهرة..

وكان التنظيم نشيطا فى العاصمة، وعهد إليه بالمناطق التى تحتاج إلى عمل جماهيرى دائب.. الجامعات، والعمال..

وقد اهتم ببناء التنظيم بين الطلاب، وخاصة جامعة عين شمس والأزهر، الواقعتين فى محافظة القاهرة.

وكان له دور بارز فى جامعة عين شمس بالذات واستطاع أن يقيم تنظيما قويا، ظل يباشر عمله السياسى لسنوات بعد انقلاب مايو، ودخوله السجن .

وكان يعاونه المهندس أحمد حماده، وأنشأ له مكتبا فى المحافظة يرعى من خلاله الطلاب.

□□□

استطاع وجيه أباظة أن يبنى هذا التنظيم فى محافظة البحيرة.

وعندما انتقل إلى الغربية كانت مهمته الأساسية إنشاء هذا التنظيم

وعندما جاء إلى القاهرة، حمل نفس العبء، وقام به.

وكان بين الحوار الذى أجريته أسئلة عن تنظيم طليعة الاشتراكيين قلت له:

● ما هو التنظيم الطليعى وما هى حكايتك معه؟

- كنت فى اللجنة العامة فى التنظيم، وكان عدد أعضائها اثنين وعشرين شخصا، وكان فيها ثلاثة محافظين: أنا وحمدى عاشور وحمدى عبيد.

وكان بها من الوزراء: أنور سلامة والدكتور عبد العزيز السيد وغيرهما.

وأهم ما فيها كان السرية التامة لأن هناك ناساً أفكارهم سيئة.

وقد رشحت أشخاصا ممتازين، وأخذت الموافقة عليهم، وبدأت أشكل مجموعات كل فرد معه أربعة أو خمسة أشخاص.

وبدأ التنظيم بديمقراطية كاملة، لدرجة أن سكرتيرى الخاص، وكان على أخلاق كريمة جدا، ولكن لم أدخله التنظيم، فلم أستطع أن أدخل أحمد حمزة التنظيم إلا بعد أن انتقلت إلى الغربية، لأنهم كانوا يعترضون عليه بحجة أنه ليس جماهيريا.

أقمنا التنظيم الطليعى، وبعد أن راجعنا أنفسنا ثمانى مرات، وفى كل مرة نستعبد أشخاصا.

أنا كنت لا أحب أن ينقل لى شخص أى شيء عن شخص آخر يمكن أن يبلغنى عن أزمة لحوم مثلا. . . ولكن لا علاقة له بالمتسبب فيها.

ولابد أن تكون هذه المعلومات دقيقة جدا.

ابتدأنا التنظيم الطليعى بالبحيرة بدقة وعلى أسس سليمة جدا، ولذلك فأحسن العقليات كانت أعضاء بالتنظيم.

وكذلك فى الغربيـة فقد انضم ثلاثة آلاف وسبعمائة فـرد وهؤلاء مازالوا حتى الآن يعيشون معا على مبادئهم. .

● ألم يتغيروا؟

ـ لا.

● هل كانت مهمة هذا التنظيم هى كتابة تقارير عن الناس؟

ـ أبدا ولا فى يوم من الأيام كـتب أحـد تقريراً ضـد شـخص ما أيا كـان هذا الشخص. لقد كانت تجـيئنى آراء ضد جمال عبد الناصر. . . وضـد إخوته وأشياء من هذا القبيل. . . وكنت أنا أكتبها بخط يدى وأرسلها له.

● هل كان يتخذ فيها إجراء؟

ـ طبعا كـان يتخذ فيهـا إجراء وعلى سبيل المثال كنت مـوجودا فى إحدى المرات وطلب منه عمه خليل شيء فـقال له «لا». وأذكر أن ذلك كان يوم العيـد فقال له عمه: يا سيادة الرئيس توجـد قطعة «زنقور» على الأرض فى طريق الوادى الجديد فقال له: قلت «لا» فسكت عمه خليل. وقال له الرئيس: أتريد أن تعمل فى قطعة الأرض محطة بنزين من أجل أن يموّن الجميع من الحاج خليل؟! فهذا مثال.

والذين يدعون أن معاملة عبد الناصر كـانت سيئة لأقاربه كذابون جداً جداً، فلم

أجد فى حياتى احتـراما كاملا إلا من عبد الناصر فقد كان يحـترم الإنسان احتراما كاملا من القلب.

وأنا أتعجب من الذين يقولون عن أعضـاء هذا التنظيم «إنهم يكتبون تقارير فى بعض»... لم تكن توجد أى تقاير.

● **قيل إن الشخص كان يكتب تقارير حتى فى أبيه؟**

ـ هذه اتهامات غير أخلاقية، وكلها غير صحيحة.

❑❑❑

وانتهى هذا التنظم فى ١٣ مايو ١٩٧١

عندما ألقى أنور السادات القبض على قيادات الاتحاد الاشتراكي

ومن بينهم محافظ القاهرة وجيه أباظة.

وأصدر قرارا بحل «التنظيم الطليعي»..

وفيما بعد سوف يحل الاتحاد الاشراكى نفسه..

مع شعراوى جمعه



وجيه أباظه مع ممدوح سالم ـ مصطفى الجندى وفوزى يونس



من جولات عبد الناصر فى المحافظات لاحياء التنظيم الطليعى .. معه أنور السادات وحسين الشافعى وحمدى عاشور وابراهيم آدم



السجن

كانت ليلة ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، أطول ليلة فى تاريخ مصر...

قضت مصر كلها الليلة حزينة باكية ملتاعة،بعد أن أعلن رحيل جمال عبد الناصر، وانتقاله إلى ذمة الله...

كانت مفاجأة، وكانت صدمة...

قبلها بأيام كان قد وجه الدعوة لعقد مؤتمر للقمة، لإيقاف نزيف الدماء فى الأردن... وفى اليوم التالى توافد الملوك والرؤساء العرب على القاهرة.

وعقد المؤتمر فى فندق هليتون النيل، وأمضى جمال عبد الناصر أيام المؤتمر كلها فى عمل دائب فى الفندق

لم ينم طوال أيام المؤتمر الثلاثة التى عقد فيها المؤتمر، رغم نصائح الأطباء المشددة بالراحة التامة.

فى نهاية المؤتمر أصر على أن يودع الملوك والرؤساء جميعاً فى المطار، وأن تجرى لكل منهم مراسم الوداع الرسمية، ويحضر جميع مراسم التوديع..

وكان من رأى وجية أباظة أن يستريح الرئيس ويعهد إلى نائبه القيام بهذه المهمة، خاصة وأن الملوك والرؤساء يتفهمون حالته الصحية، وإذا كان لابد من وجوده شخصيا فاقترح أن يمضى اليوم كله فى استراحة المطار.

ولم يوافق الرئيس على أى من الرأيين.. وكان يتنقل بين بيته فى منشية البكرى، ومطار القاهرة أكثر من مرة فى اليوم الواحد.

وفى وداع الملك حسين، التقط المصور صورة لوجيه أباظة مع الرئيس...

كان ذلك قبل النهاية بست ساعات بالضبط.. واحتفظ وجية أباظة بالصورة التاريخية، ووضعها أمامه دائماً..

كان على محافظ القاهرة أن يذهب إلى مكتبه ليباشر بعض المهام العاجلة، فقد أمضى أياماً وهو أيضا بعيد عن المكتب يتابع ويراقب، ويبذل جهوداً فى مؤتمر القمة الذى يعقد فى المدينة التى هو مسئول عنها وعن كل مرافقها..

وأمضى ساعات فى مكتبه قبل أن يتوجه مع نهاية اليوم إلى المنزل لتناول طعام الغداء وللراحة بعض الوقت.

وما كاد يصل إلى بيته، حتى دق التليفون، وكان المتحدث هو عبد المجيد فريد أمين عام الاتحاد الاشتراكى بمحافظة القاهرة يبلغه النبأ المزعج، وهو فقد الرئيس.

ربما لم يصدق لبرهة، ولكن هذه الأمور ليس فيها هزل..

وهو لا يعرف كيف ذهب إلى منشية البكرى، وقد بدأت الحشود من الجماهير تملأ الشوارع غير واعية بما تقوم به.

لقد رأى الناس فى حالة هستيريا شديدة من هول ما حدث، فهم لا يتصورون أنهم ممكن أن يعيشوا بدون جمال عبد الناصر المعلم، والأب ، والزعيم.

وفى منزل الرئيس وجد اجتماعاً مصغراً فى أحد جوانب الغرفة.. والهمس يدور بين صلاح الشاهد والفريق سعد الدين متولى كبير الياوران ومعهما شخص ثالث لايذكره . وكان الهمس حول الإعداد لجنازة الرئيس... كانوا يريدون أن يخرجوا به من قصر القبة وقال لهم عبد المجيد : هل يمكن أن تتحدثا عن جنازة الرئيس فى القاهرة دون أن تشركوا معكم محافظ القاهرة... على الأقل أشركوه معكم..

وسأله شعراوى جمعه وزير الداخلية رأيه فإذا به ينفجر قائلاً:

- كأنكم تتحدثون عن جنازة الخديوى.. إنه جمال بعد الناصر الزعيم الشعبى واقترح أن تخرج الجنازة من مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة وأن يصلى على جثمانه فى الأزهر.

❑❑❑

استقر الرأى على الأخذ بوجهة نظر وجيه أباظة فى مكان خروج الجنازة من مبنى مجلس قيادة الثورة، وقد رفض الذهاب للأزهر، لاعتراضات خاصة بأمن رؤساء الدول المشاركين، وأيضا لأن الشوارع ضيقه لا تستوعب هذه الملايين الحاشدة.

وعهد إلى وجيه أباظة مسئولية تأمين المنطقة التى يقع بها مبنى مجلس قيادة الثورة وهى منطقة الجزيرة.

وليلة الجنازة زاره عدد من الضباط فى المنزل، لأن خطته فى فتح كل الكبارى حتى تظل منطقة الجزيرة حيث مبنى مجلس قيادة الثورة معزولة لا يصل إليها أحد لم تنجح..

فقد فتحت كل الكبارى فعلاً، وأصبح المبنى فى جزيرة معزولة، ولكنهم فوجئوا

بعشرات الألوف من الناس يتسللون إلى المنطقة المحاطة بالمياه من كل مكان عبر النيل، ولايعرفون كيف حدث هذا،حتى ازدحمت المنطقة بالجماهير.

وعلى الفور ذهب وجيه أباظة ، فوجد حديقة الأندلس، وقد امتلأت عن آخرها بالناس، بل إن بعضهم قد تسلقَ الأشجار، وصمم أن يقضى ليلته عليها إسهاماً منه فى تشييع جنازة الزعيم الراحل. . . !

وحاول أن يثنيهم ويقنعهم بأن هذه الإجراءات اتخذت من أجل ضيوف الجمهورية العربية المتحدة الذين وفدوا لتعزيتهم فى الراحل العظيم.

ولكنه فوجىء بالمواطنين وهم يصحيون فى وجهه إن جمال عبد الناصر ملكنا نحن. . ولنا فيه أكثر مما لكم أنتم فيه.

ورفضوا أن يغادروا المكان.

❑❑❑

كانت فى بيت وجيه أباظة مشكلة أخرى. . ابنه ممدوح. . أقسم أنه سوف يقتل الملك حسين . .

لقد استقر فى فكر ممدوح أن الملك هو الذى تسبب فى وفاة الرئيس، لذلك لابد من قتله، ففى شهر سبتمبر الذى أطلق عليه بعد ذلك اسم «أيلول الأسود» نشب اقتتال بين قوات الجيش الأردنى وقوات منظمة التحرير الفلسطينيه، ثم امتد وأصبح يهدد الفلسطنيين فى الأردن بالفناء.

ويحث وجيه أباظة عن مسدسه فلم يجده فى مكانه.

إذن فإن ممدوح قد استولى عليه، وسوف ينفذ قسمه.

وعندما كان أحد السفراء يقدم الملك حسين لوجيه أباظة كانت انظاره تبحث عن ابنه بين الناس الذين يملأون السرداق الصغير الذى أقيم أمام مبنى مجلس قيادة الثورة لاستقبال كبار المعزين ورؤساء الوفود. .

والتقى وجيه أباظة باللواء حسن طلعت رئيس المباحث العامة.

وروى له المشكلة التى تزعجه.. إن ممدوح ابنه سوف يقتل الملك حسين، بل انه أخذ مسدسه!!

ولم يستريح بعد أن ألقى بالمشكلة على رئيس المباحث العامة، حتى سافر ممدوح للعمل فى السعودية.

❑❑❑

على الفور بدأ الحديث عن الخلافة.. من الذى يخلف الرئيس.

وكان رأى وجيه أباظة منذ البداية واضحاً ومحدداً لابد لاستمرار المسيرة أن يتولى المسئولية نائب الرئيس أنور السادات.

ولم يكن وجيه أباظة مقتنعاً تماماً بأنور السادات كشخص.. لقد كان رأيه أنه متآمر.. وأنه يمكن أن يتسبب فى كثر من الخلافات.. ولكن التزام الشرعية ضرورى فى مثل هذه اللحظات، حتى لايحدث انقسام.

وقال لأحمد حمادة :إن أنور السادات سوف يضرب شعراوى جمعه،بسامى شرف، فإذا لم ينجح فى إحداث الوقيعة بينهما فإنه سوف يقيل شعراوى جمعه .

وكان ذلك فى وقت مبكر جداً.. ولم يكن هذا الرأى من فراغ، بل إنه محصلة تجربة طويلة مع أنور السادات استمرت سنوات وبدأت قبل الثورة.

❑❑❑

فى عام ١٩٤١ على وجه التحديد، تعرف وجيه أباظة على أنور السادات.. فى جلسة بها عدد من الضباط كان الحديث يدور حول الأوضاع السياسية وقال وجيه أباظة رأيه بصراحة.. وهو رأى تنظيم الطيران الذى كان عضواً فيه.

وأحس بعدها أنه قد تورط فى الحديث وأنه ربما لم يكن مستحباً أن يكشف عن هذه الآراء علانية أمام ضابط يلتقى به لأول مرة هو محمد أنور السادات.

وعندما جاء الطيار حسن عزت عضو التنظيم بعد ذلك يعرض ضم صديقه محمد أنور السادات إلى التنظيم تحمس وجيه أباظة للموافقه على انضمام الضابط بسلاح

الإشارة عضواً فى تنظيم الطيران، وكان السبب هو الخشية من أن يبلغ على التنظيم وعلى وجيه أباظة بالذات.. وكان هناك رفض لقبوله عضواً بالتنظيم، ولكن وجيه أباظة ألح على ضمه «حتى وصل الأمر إلى أن قلت لهم ابوس إيديكم تاخدوه. ما أنا متورط معاه.. وخايف يكشفنى» وهكذا كان وجيه أباظة هو الذى تسبب منذ البداية فى أن يلتحق أنور السادات بهذا التنظيم الذى ادعى فيما بعد أنه هو الذى أسسه، وأنه هو تنظيم الضباط الأحرار..

واتصل أعضاء التنظيم بالإخوان المسلمين، وطلب إليهم حسن البنا إقامة إذاعة سرية خاصة، لتكون لسان التنظيم وأعطاهم تكاليف إنشاء الإذاعة..

وسلم وجيه أباظة المبلغ لأنور السادات، فهو فى سلاح الإشارة، والاتصالات هى المهمة الأساسية لهذا السلاح، لذلك فهو أقدرهم جميعاً على إقامة المشروع الذى يقع ضمن تخصصه.

ومضت أسابيع، وشهور.. وأنور السادات يراوغ، ولا يتخذ اجراءات عملية للبدء فى المشروع..

وكان واضحاً أنه لن يقيم هذه الاذاعة، لأسباب لديه..

وأصبح المطلب الآن هو رد المبالغ التى دفعها الإخوان المسلمون لحسن البنا.

وقال السادات لوجيه أباظة ببساطة شديده أنه لن يعيد المبلغ.. لأنه ضاع!

وفشلت محاولات التفاهم معه لإعادة المبلغ، ورد الأمانة لأصحابها.. ووقع التنظيم فى حرج شديد، لم ينقذه إلا أن ظل الأعضاء يقتطعون شهريا جزءاً من مرتباتهم حتى جمعوا المبلغ وتم سداده..

وكان السادات قد بدا الاتصال بالألمان من تلقاء نفسه، فيما عرف بقضية حكمت فهمى..

لم يكلفه التنظيم بهذا الاتصال، ولكنه قام به هو وحسن عزت وعندما ألقى القبض عليهما، كان على التنظيم أن يقوم بتهريبهما .

وتولى وجيه أباظة مسئولية تهريب حسن عزت، وأخذ البغدادى على عاتقه تهريب السادات.

وقد طلبا من وجيه أباظة أن يسير وجودهما خارج المعتقل، فأرسلهما إلى المنزل الذى سبق إعداده لاستقبال عزيز المصرى وحسن ذو الفقار صبرى ، واظهر احد أقارب وجيه استعداده لاستضافتهما لأى مدة وهو الفنان احمد مهدى أباظة وقد بقوا لمده شهرين ثم أمضوا سته شهور أخرى عند شقيقة وجيه والدة حسن وفرج أباظة.

ومن الغريب أن السادات عندما تحدث فى كتابه البحث عن الذات عن هذا التنظيم «ص ٣٠ » قال أنه هو الذى أنشأ التنظيم سنه ٣٩ وكان من ضمن اعضائه عبد المنعم عبد الرءوف، وعبد اللطيف البغدادى، وخالد محيى الدين، وأحمد سعودى، وحسن عزت..

وقد تعمد الايذكر أبداً اسم وجيه أباظة.

❑❑❑

ولابد أن وجيه أباظة قد استدعى إلى ذاكرته فى تلك الأيام واقعة أخرى شديدة الأهمية، حدثت عند قيام الثورة.

عندما عين وجيه أباظة مسئولا عن الشئون العامة للقوات المسلحة طمع السادات فى هذا الموقع بالذات وأرسل جمال سالم رسالة إلى وجيه أباظة يطلب منه أن يتولى السادات المسئولية ولكن وجيه أعاد الرسالة بعد أن كتب عليها آسف لأنها جاءت من عدم الاختصاص!

وكرر جمال سالم مطلبه بحماقة شديدة كانت معروفة عنه، ولكنه وجيه أباظة رفض أيضا..

وعندما التقى مع جمال عبد الناصر، وكان الأمر قد عرض عليه، سأل وجيه أباظة رأيه، وبسماحة قال أنه ليس لدى مانع!

الذى اعترض هم الفريق من الضباط الذى عمل معه، أبو الفضل الجيزاوي، وجمال الليثي، ومصطفى مراد.

□□□

وجاء أنور السادات وجلس فى غرفة المدير، وتكدست أمامه الدوسيهات فكان يحضر ويجيئة الزوار فقط.. ولا يفعل شيئا.

وجميع الأعمال يقوم بها وجيه، والمجموعة التى تعمل معه وكثرت الشكوى منه، فطلب إليه جمال عبد الناصر أن يغادر المكان وأعد له مكتبا فى مكان آخر.

وربما تصور السادات أن وجيه أباظة اغتصب منه الموقع..

وكان السادات يميل إلى الإعلام، وفيما بعد سيقول أنه كان صحفيا كبيراً، لذلك فلم يكن راضياً أن يتولى وجيه أباظة إعلام الثورة.

وعندما أنشأ بعد ذلك شركة النيل للإعلان، ذهب السادات شاكياً لعبد الناصر بأن الشركة التى أنشأها وجيه أباظة قد أثرت تماما على شركة الإعلانات المصرية التى يتولى السادات مسئوليتها، وقد أغلقت شركة النيل للإعلان.

وسوف يلتقيان وجيه أباظة وأنور السادات ـ بعد ذلك فى دار التحرير، والسادات عليه مخالفات كثيرة. سيعمل وجيه أباظة على حلها.

لاشك أن هذه الذكريات البعيدة تداعت فى ذهن وجيه أباظة.. ثم توقفت طويلاً عندما حدث منذ فترة قليلة عندما كان محافظا للغربية.

كان السادات يتردد سراً بالليل على مدينة طنطا، ويعقد لقاءات مع عدد من الأشخاص فى بيت رجل الإخوان المسلمين الدكتور محمود جامع وهو من المنوفيه وصديق للسادات وكانت.، أن هذه اللقاءات دائمة ومنتظمة وقد استمرت لمدة أربعة شهور تقريباً وكان يحضرها بعض أعضاء سابقين فى جمعية الإخوان المسلمين.

والمعلومات التى تصل لوجيه أباظة عن هذه الاجتماعات ليست مريحة.

فالاجتماعات سرية، والحاضرون أغلبهم من المعادين للثورة.

وامتدت هذه اللقاءات إلى مدينة أجا فى منزل شخص عائلة الإتربى.

ولم يكن هناك مبرر لأن يعقد أنور السادات وهو على قمة السلطة مثل هذه الاجتماعات وأن يحرص على أن تكون سرية .

وسعى وجيه أباظة لمعرفة مايدور بالضبط فى هذه الاجتماعات عن طريق شخص اسمه سيد القصراوى بعد أن طمأنه إلى أن أحداً لن يعرف مصدر المعلومات .

وذات يوم جاءته ، تفاصيل غريبه عما دار فى أحد هذه الاجتماعات حيث إن السؤال الذى طرحه السادات طلب من الجميع الإجابة عليه هو : ماذا بعبد الناصر!

وتعجب وجيه أباظة للسؤال.. واستفسر من محمود جامع نفسه بعد أن طمأنه أن هذه المعلومات لدى شخصياً فأكد الآن.

ثم تلقى تليفوناً بالليل من إبراهيم آدام فى البحيرة قائلاً إنه يريده لأمر هام وعاجل وأنه مستعد أن يحضر فوراً من دمنهور إلى طنطا ليضع أمامه الأمر وجاء بعد منتصف الليل ومعه عبد العزيز أبو الخير، وفهم وجيه أباظة الموضوع.. فكتب السؤال الذى يطرحه السادات فى ورقه وطواها ووضعها فى يده ...

وعندما تكلم إبراهيم آدم فتح وجيه أباظة الورقه وكانت تحمل نفس الكلمات

فإن محمود أبو وافيه صهر السادات وزوج شقيقة جيهان يعقد اجتماعات فى البحيرة للمقربين منه، ويطرح عليهم نفس السؤال .

ولقد أضاف محمود أبو وافيه فى الاجتماعات بأن أنور السادات قلق على موقفه فى حالة وفاة عبد الناصر فعلى صبرى لديه التنظيم الطليعي، وحسين الشافعى لديه من يسانده فى الجيش أما السادات فإنه سوف يخرج بخفى حنين..

وأبلغ وجيه أباظة الأمر إلى جمال عبد الناصر بنفس اللفظ قال عبد الناصر لوجيه أباظة: اطرده قل له لاتأتى إلى هنا.

وفى الأسبوع التالى جاء أنور السادات فى الساعه الثانية عشرة ليلاً يرتدى العباءة وكان المحافظ فى مكتبه، فدخل عليه دون أن يلقى السلام قائلاً: ما هذا ياسى وجيه... هل تراقبنى؟

فرد عليه: طبعاً أراقبك.

- هل قالوا لك أنى مضاد للثورة؟

- لا أنت رجل كبير عندنا ومن واجبنا أن نحافظ عليك فأنا مسئول عنك من أول دخولك المحافظة حتى خروجك منها..

ولم يكن السادات مرتاحاً لإجابة وجيه أباظة، كما أنه لم يكن مرتاحا لمراقبته ..ولا يعرف ما إذا كان الرئيس قد أبلغه بما توفر لديه من معلومات ولكن السادات على كل حال امتنع بعدها عن الذهاب إلى محافظة الغربية..

وإذا كانت الواقعة تحمل دلالات عديدة، إلا أننا هنا فقط نكتفى برصد موقف السادات من وجيه أباظة.

فهذه الأحداث كلها تركت بصاماتها على علاقتهما، وسوف يكون لها أثر كبير فى المستقبل.

❑❑❑

عقدت اللجنة العامة للتنظيم الطليعى اجتماعاً لبحث مشكلة الخلافه وقد حضر الاجتماع عدد من القيادات منهم وجيه أباظة مسئول التنظيم فى البحيرة والغربية وبعض أجزاء من محافظة الشرقيه..

وكان سكرتير الجلسة الدكتور عبد المنعم سعودي.. وفى هذه الجلسه احتد شعراوى جمعه على سامى شرف بعض الشيء، ورفض فكرة الاعتقال..!

وقال سامى شرف موجها كلامه لوجيه أباظة: سوف أعتقل أصحابك..!

كان يقصد كمال الدين حسين.. عبد اللطيف البغدادى.. زكريا محيى الدين...

أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين تحركوا فى تلك الأيام..

وقال وجيه أباظة: دول من أعقل ما يمكن فى الظروف دى، حرصاً على البلد، وقالوا أنهم مش عاوزين حاجة.

سأله : وصاحبك الثاني.. المقصود هو زكريا محيى الدين..

ورد وجيه : ده راجل أمير وعاقل جدا.. لكن تسمحوا لى بكلمة، النهارده نائب رئيس الجمهورية هو السادات، هو فاهم سياسة عبد الناصر، وعارف كان ماشى ازاى واحنا مصلحتنا إننا مش عايزين أى تغيير.. من مصلحتنا أن ييجى واحد مننا، ومافيش أنسب من أنور السادات.

وقال أحمد كامل كلمة بدت غريبة :إحنا مش عاوزين بغبغه.. إحنا عاوزين الاقتراح اللى قال عليه وجيه أباظة يمشى»

وقال شعراوى جمعه : أنا موافق... أنا مع ترشيح أنور السادات.

وعندما قلت لوجيه أباظة : أنت إذن السبب الأول فى توريط مصر مرتين فى أنور السادات، قال: هو ده اللى حصل.. وهى جت كده!

❑❑❑

كمسئول عن تنظيم طليعة الاشتراكيين فى محافظتى البحيرة والغربية وجزء من الشرقية، ذهب وجيه أباظة لزيارة تلك المحافظات، وأمضى أياماً هناك.. وكانت مهمته إقناع أعضاء التنظيم الطليعى بما استقر عليه رأى القيادة فى القاهرة، من ترشيح أنور السادات رئيساً خلفاً للرئيس جمال عبد الناصر استمراراً لمسيرة الثورة.

وفوجىء وجيه أباظة بعاصفة فى محافظة البحيرة، لقد رفض أعضاء التنظيم هذا الترشيح، وقالوا هل هى قرارات سياديه... أنتم تتخذون القرارات وعلينا التنفيذ.

وقال إبراهيم آدم : هل من المفروض أن تأخذوا فى القاهرة قرارات ثم ترغمونا على الموافقه عليها. إننا لا نوافق على هذا الترشيح ولدينا أسبابنا..

وردد عبد المنعم بدوى نفس الكلام تقريبا، ولكن وجيه أباظة كان مصراً على ضرورة إقناع الأعضاء وأخذ موافقتهم.. ليس فقط عن قناعة بالقرار الذى كان هو صاحبه منذ البداية، ولكن أيضا لأنه يعرف أن ثمة حساسيات وتراكمات قديمة تدفع السادات ليسىء الفهم إذا ما علم أن المحافظات المسئول عنها وجيه أباظة بالذات تعترض على ترشيحة رئيساً!

ولأنهم يحبون وجيه أباظة بالذات، ويثقون فيه فقد وافقوا فى النهاية. . !

وأمضى بعد ذلك يومين فى محافظة الغربية، وكان لأعضاء التنظيم الطليعى هناك نفس الرأى تقريبا.

كانوا يرفضون ترشيح السادات، ولكنه استطاع إقناعهم بمزيد من الجهد، كما فعل بعد ذلك فى القطاع الذى كان مسئولاً عنه فى محافظته ومسقط رأسه. . الشرقيه. .

وفى القاهرة يقول المهندس أحمد حمادة، وكان مسئولاً عن التنظيم بين طلبة جامعتين هما عين شمس والأزهر: إنهم اتخذوا قراراً حاسماً برفض الموافقة على ترشيح أنور السادات رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس جمال عبد الناصر.

وكانت لديهم أسبابهم القوية والمقنعة، ولكن وجيه أباظة استطاع إقناعهم بضرورة أن يعدلوا عن رأيهم، وأخذ منهم الموافقة. .

❑❑❑

يوم الاحتفال بذكرى الأربعين لرحيل عبدالناصر طلب السادات من وجيه أباظة أن يجلس إلى جواره.

ولم يكن وجيه راغباً فى هذه الجلسة، ولكنه انتهزها فرصة لإخطار نائب الرئيس الراحل، بأنه أتم الاستعدادات لوضع حجر الأساس لمستشفى معهد ناصر العلاجى، وأنه وجه الدعوة فعلا للرئيس« جعفر النميرى، وللرئيس «معمر القذافى» لحضور الاحتفال. . . !

وكان واضحاً أن السادات لايريد هذا المشروع أساساً، فطلب التأجيل. . ولكن المحافظ أخبره أنه تم تحديد الموعد، وأخطر رؤساء الدول. . !

وعاد السادات لسؤاله فيما إذا كان الهدف من حضور الرئيسين أن يدفعا تبرعات لإقامة المستشفى، ولكن المحافظ قال إنه لايريد تبرعات، وأن وجودهما للقيمة المعنوية فقط. .

كان وجيه أباظة قد خطط لإقامة معهد ناصر بعد أن استولى على المنطقة التى سيقام

فيها المستشفى ومساحتها ٢٥ فدانا، وكانت أرضا «وقف» لرجل أرمنى اسمه كارينجان.. وكانت الفكرة أن هذه المساحة تكفى لإقامة مستشفى وفندقا للضيوف الذين سيأتون للعلاج فيه..

وقد صحب مقاولا إلى الموقع، واستعان فى الاحتفال ببعض المعدات لإنشاء مسرح عال يجلس عليه الرؤساء جلبها من محافظة البحيرة حيث كان يعرفها واستفاد بها عندما كان محافظا هناك.

يوم ٣ اكتوبر ١٩٧٠ وافقت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى على ترشيح أنور السادات رئيسا، وقد اتخذ القرار بالأغلبة لأن حسين الشافعى هو الوحيد الذى اعترض على القرار..

بعدها بيومين.. وفى ٥ أكتوبر عرض الأمر على اللجنة المركزية ووافقت عليه أيضا وحضر الاجتماع جميع الأعضاء وتغيب حسين الشافعى وحده..

وفى يوم ٧ أكتوبر دعى مجلس الأمة إلى اجتماع غير عادى، لبحث ترشيح أنور السادات.. ووافق المجلس بالجماع.

وبعد هذه الموافقة ألقى السادات بيانا أمام المجلس أعلن فيه برنامجه والأسس التى يتعهد بالسير عليها إذا تمت الموافقه الشعبية على اختياره رئيسا « فقد جئت إليكم على طريق عبد الناصر، واعتبر أن ترشحيكم لى بتولى رئاسة الجمهورية هو توجيه بالسير على طريق جمال عبد الناصر..»

وأجرى الاستفتاء، وأصبح محمد أنور السادات رئيسا للجمهورية العربية المتحدة خلفا للرئيس الراحل جمال عبد الناصر...

❑❑❑

صدر عن اجتماع مجلس الوزراء قرار يحدد قواعد وضع صورة الرئيس الجديد فى المصالح الحكومية، وينص على أن توضع صورة الرئيس السادات على يمين صورة الرئيس جمال عبد الناصر.

أى أن تعلق الصورتان.. صورة الرئيس الراحل.. وصورة الرئيس الحالى متجاورتين..

ونفذت جميع المصالح والإدارات الحكومية القرار، وعلق الوزراء، والمحافظون جميعاً صورة الرئيس الجديد.

ورفض وجيه أباظة تنفيذ القرار، وأصر على أن تظل مرفوعة فوق مكتبه صورة الرئيس جمال عبد الناصر وحده!

ونصحه كثيرون من أصدقائه ومن زواره، بأن هذا التصرف قد يغضب الرئيس السادات، ولا بد أن هناك جهات وأجهزة مختلفة سوف تصعد له هذه المعلومات.

ولكن وجيه أباظة رفض أن يرفع صورة الرئيس عبد الناصر، أو أن توضع إلى جانبها صورة الرئيس السادات.

ويقول وجيه أباظة: «إننى لم أكن أتصور أننى سأعمل مع شخص غير جمال عبد الناصر.. كان من المفروض أن أعتزل لأن كل من دار فى فلك أنور السادات لم يكن من الضباط الأحرار - إلا حسن التهامى - أو من التنظيم الطليعى وكان فيه يضم أشخاصاً أحسن من الضباط الأحرار..

ولقد رفضت أن أرفع صورة جمال عبد الناصر من مكتبى وكنت غير مؤمن بوضع صورته، جاءنى سعد زايد وقال لقد اتخذنا فى مجلس الوزراء قرارا بوضع صورتى جمال عبد الناصر، وأنور السادات متجاورتين.

قلت له: لن أضع صورته حتى إلى جوار صورة عبد الناصر.

ثم جاءنى المصور حسين بكر ومعه خمسين أو ستين صورة لتوزع على المكاتب وقال إن كل المحافظات أخذت منه مثل هذه الصور قلت له: إلا محافظة القاهرة!».

ولابد أن ذلك قد وصل إلى السادات وربما مع زيادات.. ولابد أيضاً أنه كان أحد النقاط فى هذه العلاقة التى كثرت عليها التراكمات...

ولابد أيضاً أن نقدر ما يعرفه الجميع بأن السادات فى أكثر تصرفاته كانت له منطلقات شخصية، وأنه كان يهوى تصفية الحسابات بشتى الطرق.

لقد كان السادات يستطيع أن يقيله من منصبه كمحافظ للقاهره، وأن يغيّره ويأتى بمن يحل مكانه..

ولكن هذه لم تكن طبيعة أنور السادات فى تصفية حساباته، فقد كان متعطشا للانتقام..

وكان يختزن فى داخله كما هائلاً وضخماً من الوقائع التى صادفته فى حياته والتى تحكم مسيرته على طريقة تصفية الحسابات والانتقام.

وهذا بالضبط ما اتبعه مع كل الذين عرفهم... ومع وجيه أباظة .. وقد جاءته الظروف سهلة ومريحة ضمن أحداث مايو ١٩٧١ التى سيطلق عليها فيما بعد اسم «ثورة».

❑❑❑

كان وجيه أباظة محافظ القاهرة قد استقبل أنور السادات في الحفل الذي أقامه الاتحاد الاشتراكي بحلوان للاحتفال بعيد العمال يوم أول مايو سنة ١٩٧١.

وألقى المحافظ خطاباً أمام السادات لاشك أنه لم يعجب السادات لما جاء فيه من إشادة بجمال عبد الناصر، وكان نص الخطاب:

«السيد الرئيس إن احتفالنا بعيد العمال، الذي يقام اليوم ـ ولأول مرة ـ بعد غياب الرجل الذي أكد قيمة العمل في هذا المجتمع، فحارب من أجل أن يرد للعمال حقوقهم إيمانا منه بأن الحصول علي الحق هو الوجه الآخر لأداء الواجب، في مجتمع اشتراكي، لا تبغي فيه فئة علي فئة، ولا تتميز فيه طائفة علي أخري، وإنما الحق للجميع مكفول، والواجب علي الجميع مطلوب إرساءاً لقواعد مجتمع غايته الكفاية وأساسه العدل.

«إن احتفالنا اليوم بهذا العيد، بعد غياب البطل الراحل إنما يشعرنا بالأسف لغيابه.. ولكن تشريفكم هذا الحفل ـ يا سيادة الرئيس ـ يشعرنا في نفس الوقت بأن الزعيم الذي اختارته جموع هذا الشعب لكي يقود مسيرته نحو انتصار شريف وعظيم، وقريب بإذن الله، إنما يستمد خطاه من نفس النبع الذي كان يستمد منه البطل الراحل خطاه، وهو نبع الإحساس بجماهير الشعب بكل فئاته وقواه العاملة.

«وإن اجتماع اليوم في حلوان، احتفالا بعيـد العمال، ليس مجرد تظاهر جماهيري، وإنما هو في حقيقتـه وقفة عيد نتطلع فيها بفخـر واعتزاز إلي إنجازات العمل في المرحلة السابقة، كمـا نتطلع أيضا ـ وبإصرار ـ إلي ما يجب إنجازه في المرحلة القادمـة، تأسيسا للاشتراكية، وتأكيدا للتقدم في مجتمعنا هذا الذي نبذل جميعا نفوسنا من أجله.

«إننا ندرك جميعا أن هزيمة العدوان لن تتأتي لنا بالسلاح وحده، ولكن بالعمل أيضا سنهزم العدوان، وإذا كنا بالسـلاح سنقدر علي تحرير أراضينا فإننا بالعـمل سوف نحقق تقدمنا، سوف نبني حضارتنا، سـوف نمنع العدو من تكرار عدوانه علينا، وسوف نمنعه أيضا من التفكير في ذلك.

«واليوم ـ يا سـيادة الرئيس ـ وأنتم تشـرفون هذا الحـفل الذي كان لمحافـظة القاهرة شرف إقامـته فيهـا فإننا نرحب بكم علي أرضها وأرجـو أن يكون احتفالنا القـادم بعيد العمال في مناطق العمل في سيناء الحبيبة».

❑❑❑

كان وجيه أباظة على مقربة شديدة من الخلافات بين من أطلق عليهم مجموعه مايو، وأنور السادات.

ولقد بدأت هذه الخلافات فى وقت مبكر جداً، واشتدت حتى وصلت ذروتها عندما قررت المجموعة تسهيل مهمته فسارعوا بتقديم استقالاتهم، وإرسالها له.

بالاستقالة أصبحوا أشخاصاً عاديين جداً ليس فى أيديهم أيه سلطة، خاصة وأن قراراً صدر بتحديد إقامتهم، وسرعان ما تحول تحديد الإقامه إلى السجن.. ثم تحولت المسألة برمتها إلى قضـية، وشكلت لها محكمة خاصة برئاسة حـافظ بدوى الذى أصبح رئيساً لمجلس الأمة، وحسن التهامى مستشار رئيس الجمهورية، والمستشار بدوى حمودة رئيس المحكمة الدستوريه العليا. وفى البداية عهد إلى النائب العام المستشار محمد ماهر حسن بتحقيق القضية مع جهاز النيابة العـامه، ويبدو أن التحقيقات توصلت إلى نتائج لم تكن مرضية بالنسبة للرئيس السادات، فقرر إنشاء منصب المدعى العام الاشتراكي، وعهد إليه بتحقيق القضيه من جديد.

واستعان المدعى العلم الاشتراكى بجهاز جديد وبدأ التحقيق من البداية.

وأمام المحكمة الخاصه تولى المدعى الاشتراكى مصطفى أبو زيد فهمى وحده الادعاء والمرافعة ضد ٩١ متهماً قدموا للمحاكمة.

وقد طلب معاقبتهم جميعاً عن جريمة الخيانة العظمى باعتبار أن المتهمين من الوزراء فاعلون أصليون، وباقى المتهمين شركاء لهم بالتحريض والاتفاق والمساعدة.

❑ ❑ ❑

عندما ألقى القبض على المجموعة، يوم ١٣ مايو بدأ المحافظون ينشرون إعلانات تأييد للسادات ابتداء من يوم ١٥ مايو..

ونشرت كل المحافظات تأييداً لإجراءات السادات... ماعدا محافظة القاهرة.

ويقول وجيه أباظة: «إنهم عندما سألونى لماذا لم تنشر تأييداً قلت: إنه لابد من عرض الموضوع على مجلس المحافظة. ولو اتخذ المجلس قرارا بالتأييد لكان أقوى من قراري»

المهم تحت ضغط شديد، نشرت محافظة القاهرة إعلانا تقول فيه إنها تؤيد الوحدة الوطنية.. ولم تأت فى الإعلان أية سيرة للسادات!.

❑ ❑ ❑

فى شهر يونيو، وبعد إلقاء القبض على المتهمين فى القضيه، ألقى القبض على محافظ القاهرة وجيه أباظة، وأصبح واحداً من المتهمين.

قبلها كان أحمد حمادة مطلوباً للقبض عليه، وعرف وجيه أباظة، فاستدعاه فى مكتبة، وأخبره، وأخرج من جيبه خمسه وثلاثين جنيها كانت كل ما يملكه وسلمه المبلغ وطلب منه أن يذهب ويسلم نفسه، وهذا ما فعله أحمد حماده بعد أن ترك المبلغ لزوجته..

وكان عبد المحسن أبو النور عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى قد ذهب

إلـيه فى المنزل ليله ١٢ مايو ١٩٧١، قائلاً أنه: يتـوقع القبض عليه لا مـحالة وليس فى بيته قرش واحد.

وأخرج وجيـه أباظة من دولابه فى غرفة النوم مـبلغاً من المال، قائلاً إنه مهـر ابنته، ووضعه أمام عبد المحسن أبو النور.. فأخذ معه فقط مائة وخمسين جنيها لاغير اعتبرت فيما بعد مـن أدوات المؤامرة.. فقد كان من بين التهم الموجهة إلى المتـهمين التآمر على رئيس الجمهورية لقلب نظام الحكم.

وضع وجيه أباظة فى زنزانة بسجن القلعة البشع، زنزانه ضيقه شديدة الظلام، ووجد إلى جواره كل الذين كـانوا يحكمون الجمـهوية العربـية المتحدة ويمـسكون بأيديهم زمام السلطه فيها، أعضاء اللجنه التنفيذية للاتحاد الاشتراكى، وزير الداخلية، وزير الإعلام، وزير الحربيـه، ورئيس مجلس الأمـة، أمناء الاتحاد الاشـتراكى وقـيادات تنظيم طليـعة الاشتراكيين... ولم يكن مسموحاً لأحد بالزيارة لاهو ولاغيره من المتهمين..

وعندمت التقى أحـد أبناء وجيه أباظة بصديق له، وأخـبره أنه رأى والده فى إحدى السيارات السوداء، لم يصدق الابن لأنه يعرف جيداً أين أبيه الآن... !

وكان الصديق على صواب، فقد أخرج وجيه أباظة من السجن.

وروى لى الواقعة اللواء عبد الحليم حتاته لأنه كان طرفاً فيها.

فقـد كان صديقاً لوجـيه أباظة منذ عمل معـه فى البحيـره نائباً لمدير الأمن. و تربطه علاقه وثيقه باللواء ممدوح سالم وزير الداخليـة الجديد، الذى كان أيضا على صلة وثيقة بوجيه أباظة منذ كان مسئولاً عن المبـاحث العامة فى محافظة الإسكندرية، ووجيه أباظة محافظاً لدمنهور وكانت بينهما صلات عميقه أيضاً..

وطلب ممدوح سالـم من اللواء حتاته أن يتـفاهم مع وجـيه أباظة على ان يغـير من أقواله فى التحقيقات لأنه مشفق عليه، وحتى يسعى لإخراجه من القضية.

واستدعى وجـيه أباظه من سجن القلعة إلى حيث التـقى باللواء حتاته ومعه مـحمد حامد محمود الذى صار وزير الحكـم المحلى وكان اللقاء فى مكتب اللواء حتاته ، بعد أن أصبح مديراً لمصلحه الموانئ ومقرها بجوار مسجـد عمر مكرم بميدان التحرير وأمضيا

معه ثلاث ساعات يحاولان معه أن يغير من أقواله حتى ينجو بنفسه، ولكنه لم يتزحزح عن موقفه أبداً، وفضل أن يعود إلى السجن ولا يغير من شهادته..

كان وجيه أباظة مصاباً بأزمة قلبية، ولاتتحمل صحته الحياه القاسية داخل زنزانة متر× متر.. وقال لى المستشار محمد ماهر حسن الذى حقق القضيه لأول مرة إنه لاحظ أن وجيه أباظة مرهقا ومريضاً، وسمح له أن يستخدم تليفونه، ويتحدث مع بيته .

ومن الغريب أن التاريخ يعيد نفسه، فإن محمد ماهر حسن نفسه، هو الذى كان يحفظ قضايا سرقة السلاح التى كان يقوم بها وجيه أباظة وزملاؤه من معسكرات الجيش البريطانى.

وكان محمد ماهر حسن شابا ناشئاً وكيلاً للنيابة فى المنطقة، كما أن النقراشى باشا كان قد أصدر أمره إلى النيابة بحفظ جميع هذه القضايا.

وقال لى المستشار محمد ماهر حسن أيضاً إنه بتحقيق القضية كلها لم يجد فيها ما يستدعى المساءلة، وقرر حفظها، وإزاء إصرار السادات قال إنه يمكن تقديم المتهمين الأساسيين فيها إلى المحكمةالعادية بتهمة الاستقاله الجماعيه وهى تهمة قد تصل عقوبتها إلى ستة شهور.

ولم يعجب هذا الرأى السادات الذى قرر سحب القضية من النيابة العامة، وتحويلها للمدعى العام الاشتراكى.

وعندما خرج النائب العام ـ محمد ماهر حسن ـ على المعاش كان النائب العام الوحيد فى تاريخ القضاء الذى لم يكرّم ولم يمنح وساماً.. باختصار كان مغضوباً عليه.

وروى لى ممدوح أباظة الشقيق الأكبر لوجيه أباظة واقعة أخري قائلاً:

لقد ظلم وجيه أباظة، ليس وحده، ولكن كل من دخل القضية.

وجيه أباظة ـ ويسأل فى هذا زوجته ـ فى وقت ماكان أنور السادات مبعداً عن الجيش أو ممسوكا وليس له مرتبا... زوجة وجيه تقول: المرتب كنت أقسمه نصفين نصف لزوجة أنور السادات ونصف لمصاريفنا.

وكل الذين دخلوا القضية ظلموا لو كانوا يريدون عمل مؤامرة على أنور السادات وفى أيديهم الجيش هل يتركوه ؟.

بعد ذلك فى أيديهم وزارة الداخلية يتركونها وكذلك ووزارة والإعلام وبعد أن ترك هؤلاء كل ذلك تتهمهم أنهم يريدون عمل مؤامرة عليك.

لقد تركوا لك الحكم ومشوا لكنك تحاكمهم وتنفذ الأحكام؟ هذا شىء غريب.

قبض على وجيه ووضعوه فى زنزانة فى القلعة. يقول: كنت بالسيجارة أموت (البق) الموجود فيها.

فى هذا الوقت كان وزير الداخلية ممدوح سالم ـ وكان النبوى إسماعيل مدير مكتبه طلبت مقابلته فقال لى: الوزير سيقابلك الساعة ٦. فذهبت ودخلت لممدوح سالم وقلت له إننا لا نطلب شيئا لوجيه سوى نقله للمستشفى لأنه عنده القلب وكل مانريده أن تضعوه فى ظروف صحية أحسن طبعا فى هذه اللحظات كنت عايز أعرف أية أخبار عنه وعن الاتهامات الموجهة إليه ووزير الداخلية عنده معلومات وهو رجل مهذب بعد ماخلصنا وسار معى ليوصلنى للباب فكرت ألا أخرج من المولد بلا حمص وسألته سؤالا عابراً.

فقال لى: أنت عارف إن وجيه شهم وبيتحمل مسئوليات غيره.

استقالوا ـ لقد استقالوا وذهبوا إلى بيوتهم.

❑❑❑

كان محمد وجيه توفيق أباظة ٥٤ سنة محافظ القاهرة السابق وعضو التنظيم الطليعى سابقا هو المتهم رقم ٤٤ ..

بعده كان محمد هاشم العشيرى ٣٧ سنة مهندس بالشركة الشرقية للأقطان وأمين شباب القاهرة. المتهم رقم ٤٥.

اتفق مع محمد عبد المحسن أبو النور فى وضع مخطط التآمر وتنفيذه.

وفى سبيل تنفيذ ذلك طلب «محمد هاشم العشيرى الاتصال بالقيادات التنظيمية لتعبئة الجماهير للخروج فى مظاهرات، وركز فى حديثه على منطقة حلوان باعتبارها مقراً للتجمعات العمالية، وأوضح له أن إشارة التحرك هى استقاله الوزراء.

فقام محمد هاشم العشيرى بتنفيذ ما كلف به، كما قام من جهة أخرى بالاتصال برئيس حى حلوان محمد إسماعيل المكاوى وكلفه بالاتصال محمد فهمى النقراشى

ليتلقى منه التعليمات، وعلى أثر ذلك عقد الأخير اجتماعاً سرياً شهده محمد إسماعيل المكاوى وآخرون واتفقوا على القيام بمظاهرات عدائية.

وكان محمود فهمى النقراشى رئيس قسم المراجعه بشركة سيماف وعضوا اللجنه المركزيه هو المتهم السادس والأربعون.

أما محمد إسماعيل المكاوى رئيس حى حلوان وعضو لجنة قسم حلوان للتنظيم الطليعى فكان المتهم السابع والاربعين.

□□□

ونحن نقرأ أوراق قرار الاتهام الذي يقول أن أمين شباب القاهرة شهد بأن المحافظ أبلغه تعليمات عبد المحسن النور لنشرها بين الجماهير، وهى أن رئيس الجمهورية قدم تنازلات لأمريكا، وأنه سيقوم بحل الاتحاد الاشتراكى وأنه سيقيل شعراوى جمعة، وسامى شرف، ومحمد فوزى، وأن رئيس الجمهورية سيشكل لجنة تكون مهمتها الإشراف على انتخابات الاتحاد الاشتراكى برئاسة عبد المحسن أبو النور وسيرفض هذا الأخير وعندئذ يقيله من منصبه «حدث بعد ذلك بالنص».

وتضمن التكليف أنه إذا أقيل أحد الوزراء أو استقال يكون ذلك بمثابة الضوء الأخضر لتنظيم المظاهرات ضد رئيس الجمهورية. وقد أبلغ العشيرى ذلك لقيادات التنظيم الطليعى وقيادات الشباب وهو أساس ما حدث فى القاهرة من مظاهرات، ومنشورات لإثارة الجماهير ضد الرئيس، ولو تحقق ما استهدفه لكان حريقا ثانياً للقاهرة، وكان الطريق إلى ذلك هو محافظ القاهرة.

ولم ينكر ذلك وجيه أباظة، كما أقر به محمد هاشم العشيرى أمين شباب القاهره. ومحمود فهمى النقراشى مسئول التنظيم الطليعى بجنوب القاهرة.

وانه أمر محمد إسماعيل المكاوى (رئيس حى حلوان) مساء ١٣ مايو سنة ١٩٧١ بأن ينفذ التكليف الذى سيبلغه إياه محمود النقراشى مسئول التنظيم الطليعى بجنوب القاهرة وهو نفس التكليف الذى أبلغ به هاشم العشيرى - ونتيجة لذلك اجتمع النقراشى مع محمد المكاوى وبعض أعضاء التنظيم الطليعى بمنزل عزمى إسماعيل بالمعادى مساء ١٣ مايو سنة ١٩٧١ ووزعت واجبات تنظيمية على الأعضاء حول كيفية تنظيم المظاهرات ضد رئيس الجمهورية فى مصانع حلوان (ومنها مصانع الطائرات والشركة القومية للأسمنت وشركة الحديد والصلب).

وقد أقر بهذه الواقعة محمود النقراشي ومحمد المكاوى وعزمى اسماعيل.

واتهم معه عادل الأشــوح سكرتير شعراوى جمعــة فى حرق أوراق التنظيم الطليعى واجتمع به مساء ١٣ مايو سنة ١٩٧١ واستـولى على صندوق به محتويات خاصة بذلك التنظيم أخفاه لمدة أكثر من شهر. وقال وجيه أباظة إن الصندوق كان يحتوى على أوراق خاصة بقضية المرحوم المشير عبد الحكيم عامر.

وقد أقر بهذه الواقعة المتهمان عادل الأشوح ومحمود السعدني.

❑❑❑

بدأت المحكمة فى نظر القـضيه يوم ٢٥ أغسطس ١٩٧١، وقد دفع أغـلب المتهمين ببطلان إجراءات التـحقيق، كـما دفع بعـضهم بعدم اخـتصاص المحكمـة، وقد نظرت المحكمـة فى هذه الدفوع. وقررت يوم ٤ سبتمبـر رفضها جمـيعها. . واستـجابت أيضاً لطلب المدعى العـام الاشتراكى الدكـتور مـصطفى أبو زيد فهـمى فى نظر القضـية فى جلسات سرية.

❑❑❑

كانت هذه هى المحاكمة الوحيدة منذ بداية الثورة التى تنظر فى جلسات سرية.

فمنذ بداية الثورة، وجميع القضايا السيـاسية تنظر فى جلسات علنية، يحضرها ممثلو الإعلام، وتنشر الصحف بل وتذاع من الإذاعة والتليفزيون وقائعها. .

وقد حدث ذلك مع المحاكمـات الأولى لرجال الأحزاب السابقين فى بداية الثورة فى محكمـتى الثورة والغدر. . كـما حدث فى مـحاكمـات الإخوان المسلمين فى مـحكمة الشـعب، وحدث أيضـاً فى ظل ظروف الحـرب حيث كـانت محـاكـمة رجـال المشيـر عبـدالحكيم عامـر عن المؤامره عـلنية. . وكـانت أيضاً مـحكمة خـاصة برئاسـة حسين الشافعى. .

محاكمة رجال مـايو كانت سرية علي غير عادة الثورة في محاكـماتها كلها. . وكان ذلك مقصوداً بلاشك. .

❑❑❑

جاء صـديقه فتـحي الشرقـاوي المحامي ووزير العدل الأسـبق بناء علي طلب أهالي دمنهور وأعلن ليترافع عنه وأعلن إنه جاء لأن أهل دمنهور توافدوا عليه، وتسلم القضية وكان متحمساً إلا أنه يبدو أنه وقعت عليـه ضغوط فآثر الانسحاب في اللحظة الأخيرة،

وقال في تبرير اعتذاره إنه غير مقتنع بتشكيل المحكمة!

وقد عـاتبه وجيه أباظة فـيما بعد عـلي هذا الموقف، وعهدت الأسرة إلى المحـامين القديرين الدكتور محمـد عبد الله، والأستاذ عادل عيد بالدفاع عنه فقاما بواجـبهما خير قيام.

وفى مثل هذه القضـايا السياسية، يكون المطلوب غـالباً هو الإدانة، وتكون إجراءات الدفاع هدفها اسـتيفاء الشكل.. كما تكون أيـضاً الدفوع القانونية فقط لإضـفاء الصفة القضائية على المحكمة.. ووفقاً لأوراق المحكمة، فإن الدفاع عن وجيه أباظة قام بواجبه من الناحية القانونية..

وقال المحامى إن وجيه أباظة لم يشترك فى مؤامـرة فقد كان محافظا للقاهرة ويشرف على النقل العام وعلى جهاز التنظيم الطليعـى فى جامعتى عين شمس والأزهر - وكان يتبعـه رؤساء الأحياء وكـافة أجهزة الإدارة المحلية بـها - فلو أنه متآمر لاسـتغل سلطاته الواسعـة فى تنفيـذ المؤامرة - وهو ما لـم يحدث - بل لقد عـمل على عكس ذلك إذ استعمل سلطاته فى أيام ١٣، ١٤، ١٥، ١٦ مايو ١٩٧١ على اسـتمرار سير مرفق النقل واسـتـقـرار النظام وكـفـالة الأمن بل إنه كـان يسـعى لإزالة الخـلافـات بين السـادات ومعارضية».

وقال المحـامى «إن عبـد المحسن أبو النور اتصل بـوجيه أباظـة تليفـونيا فى مكتـبه بمحافظة القاهره يوم ١٣ مايو سنة ١٩٧١ ودعاه فذهب إليه فى مكتبه بالاتحاد الاشتراكى حيث أبلغـه أن رئيس الجمـهورية استـدعى ممدوح سالم لتـعيينه وزيرا لـلداخلية، وأن شعراوى جمـعة استقال وطلب أبو النور إليه تبليغ هذه الحقـائق إلى الجماهير وأن يكون ذلك عن طريق الاتصال بهاشم العشيرى ليقوم بتـبليغها إلى لجان الاتحاد الاشتراكى وقد نفذ باعـتباره تـكليفا تنظيـميا مـوجهـا إلى منظمات الاتحاد الاشـتراكى فـاتصل بهاشم العشـيرى ، وجاء إلى منزله وأبلغـه ولكنه لم يطلب إليه الاتصال بالقـيادات التنظيمـية وتوجيـههـا كى تكون على اسـتعداد للـخروج إلى الشـارع فور إذاعة إقـالة الوزراء أو استقالتهم أو أنها تعتبر الضوء الأخضر لبدء التحرك.

كان من المفروض أن ينتهى الامر عند حدود ماحدث، فقد ألقى القبض على محافظ القاهره، ووضع فى زنزانة قذرة، ،وقدم للمحاكمة..

وتحقق الهدف القديم، وهو مقابلة المعروف بما اشتهر عن السادات فيما بعد من حقد

وتصفية حسابات قديمة، والقضاء على كل من قدموا له معروفاً.

ولكن المسأله جاءت أبعد من ذلك.

❑❑❑

كان محمود أبو وافية، ومحمد حامد محمود، وأحمد يونس قد زاروا وجيه أباظة في المستشفي الذي نقل إليه بعد مرضه في السجن وأبلغوه أن حكم المحكمة قد صدر فعلا ببراءته.. وهنأوه بالبراءة، إلا أن الأحكام وضعها السادات بعد ذلك، وأصر علي ضرورة الحكم عليه بالسجن وكان هذا طبيعياً منه، لذلك نفذت المحكمة ما طلبه منها السادات الذي وضع الأحكام في إجتماع ضمه هو ورئيس المحكمة، والسيدة جيهان ومحمد عبد السلام الزيات الذي روي هذه الواقعة بعد ذلك.

وقالت المحكمة فى حكمها إن عبد المحسن أبو النور كان يثق فى وجيه أباظة فهو طريقه إلى إبلاغ التوجيهات التنظيمية، وهو معه حتى منتصف الليل فى ليلة ١٤ مايو سنة ١٩٧١... وهى الليلة التى كانت تدبر فيها المؤامرة، وتنظم المظاهرات، وتطبع المنشورات ويهاجم رئيس الدولة. وحكمت المحكمة الخاصة عليه بالسجن لمدة خمس سنوات.

بعد كل هذا الجهاد، وهذه الحياة الحافلة بالحركة، المتقدة بالوطنية منذ الشباب الباكر، وجد وجيه أباظة نفسه فى زنزانة داخل سجن على يد سلطة مصرية!.

وفجاءته أزمة قلبية، أدت إلى نقله إلى مستشفى المعادي.. ويقول مدير شركة بيجو ايجيبت أنه عندما أجرى عملية جراحية لم يبلغ أحداً سوى وجيه أباظة، وعندما أفاق من البنج كان وحده يقف إلى جواره.

وكان يزوره كل يوم بالمستشفي، يقول له إنه كان مريضا فى مستشفى المعادى إلى جواره، ولكن الزيارة كانت ممنوعة عنه، فلم يكن يزوره أحد!

ويقول عبد اللطيف البغدادى أنه عندما سمع ما يعانيه وجيه أباظة رأى أن يتدخل، فلا يمكن بعد كل ما قدمه وجيه أباظة أن يدخل السجن، وأن يمرض فيه حتى ينقل إلى مستشفى المعادي.

والتقى بالسادات فى حفل زفاف ابنته، وطلب منه ضرورة الإفراج عن وجيه أباظة.. ولم يتركه إلا بعد أن أصدر القرار، وبعد أن اطمأن على تنفيذه.



خرج وجيه اباظة من المستشفى وسافر إلى لندن، وكان الهدف من هذه الزيارة مزدوجاً..

فهو أولاً يريد العلاج،وهو ثانيا لا يثق فى السادات، فقد يقرر إعادته إلى السجن ادعاء بأن الإفراج الصحى انتهى بشفائه.

وكان يقيم فى لندن لدى ابنته مع زوجها هناك.

اتصل به شقيقه الكبير ممدوح اباظة وصديقه القديم عبد الجليل عبد الله وطلبا إلى ضرورة الحضور فوراً.

وتردد.. رغم أنهما أبلغاه أنهما يريدانه لأمر هام جداً.

فقد استقر الرأى داخل شركة بيجو العالمية أن يكون هو وكيلها بمصر.

وكان رافضاً ولديه أسبابه:

أولاً: أن إمكانياته المالية لا تتيح له أن يسير فى هذا الطريق.

ثانياً: أنه ليس رجل أعمال، ولم يعد نفسه أبداً لهذه المهمة التى تحتاج إلى مواصفات هى ليست متوفرة فيه.

ثالثاً: أنه أدى دوره الوطنى كاملاً، وهو مرتاح الضمير، وعليه أن يقضى بقية حياته فى هدوء.

ولكن الضغوط عليه كانت شديدة، وكثيرة..

و... ووافق.

وتحول مجرى حياته..

ولكنه أبداً لم ينس همومه:

ظل وطنياً..

وسياسياً،

وقابضاً على مبادئه.

النضال الوطنى ٣٢

شخصية لا تتكرر

يصعب حصر المفاتيح التىَ تحكمت في تكوين شخصية وجيه أباظة، فإنه يجمع عدداً من الصفات من الصعب أن تتوفر فى إنسان واحد.. فهو كثائر أحب وطنه، وأحب كل الناس، ولم يعرف الحقد أبداً، وإنما عرف االتضحية والشجاعة لوفاء والشهامة والرجولة، والإخلاص، والحزم.. والمقدرة على التنفيذ، والفراسة فى اكتشاف القيادات، وآمن بالشباب وعمل على دفعه فى كل المواقع التى تولاها.

لم يخلّف وجيه أباظة وراءه عدواً، كل الذين عرفوه، أو قابلوه أو تعاملوا معه تحولوا إلى أصدقاء، وامتدت صداقته بهم جميعاً حتى آخر لحظة فى حياته . .

وكان وجيه أباظة فلاحاً، شهماً وابن بلد أصيلاً، وقف إلى جانب الفقراء والمستضعفين وأحس بهم، وأفنى عمره فى سبيلهم. .

لم يرفض أبداً طلباً لأحد، ولم تكن بين من تأشيراته فى كل ما عرض عليه من أوراق كلمة «لا أوافق».

كان قادراً على اتخاذ القرار الصحيح، متقبلاً للرأى الآخر، يمكن أن يتراجع عن رأيه لو اقتنع بصواب فكر الآخرين. .

ولقد استطاع أن يأسر كل القلوب ليس فقط بعمله، ولكن بشخصيته المتميزة ذات الأبعاد المختلفة.

❑❑❑

قال لى چان چاك كودرشيه أول من تعامل من شركة «بيچو» مع وجيه أباظة:

«إن الرجل الذى تعاملت معه، لم يكن رجل أعمال تقليدياً، ولا عادياً. .

«لم يكن رجلاً يهتم بالدولار أبداً. . كان همه الأول هو تنمية بلده. .

«نحن نعمل منذ سنوات فى كثير من الدول ، بل فى بعض الدول العربية التى تربطنا بها علاقات وثيقه، ولم نستطع أن نقيم فيها صناعة السيارات، رغم ما بذلناه من جهد استمر لأكثر من خمسة وعشرين عاماً. .

«فى مصر كان وجيه أباظة هو الذى يسعى لنقل التكنولوچيا إلى بلاده، حتى أننا أقمنا الصناعة هنا، قبل بلاد نتعامل معها منذ عشرات السنين!»

«وهذه الشهادة تبرز أول مفتاح من مفاتيح شخصية وجيه أباظة. . أنه وطنى متحمس لبلاده. . ولم يفتر هذا الحماس أبداً، ورغم المطبات التى واجهته فى حياته. .

فإن وجيه أباظة بدأ نضاله الوطنى فى فترة مبكرة جداً، وكرس كل شبابه للقضية

الوطنية فى التنظيمات السرية لمواجهة الاستعمار، وفى العمل الفدائى ضد الاحتلال، وفى ليلة الثورة ، ثم فى إعلامها، وتنظيماتها السياسية، ثم بعدها فى الإدارة المحلية . .

حياة لم تهدأ أبداً، ولم تستقر . . وغايتها وطنه كله ولم يفارقه أبداً الحماس للعمل الوطنى الذى نذر حياته له. ومارسه دائما بروح الثورة، وقوتها كان القرار الأول الذى اتخذه عندما عين محافظا شجاعاً وجريئاً، ونص قرار المحافظ «يلغى القرار الجمهورى رقم كذا ولا يعمل به» وقامت الدنيا، ولم تقعد وكيف يجرؤ محافظ على إلغاء قرار جمهورى . . ولكنها كانت قناعته التى نفذها على الفور . . وتحمل نتائجها. فى كل المهام التى قام بها . . .

☐☐☐

أمضى الفنان محمد نوح فترة طويلة من الوقت يبحث وينقب فى أرشيف محافظة البحيرة، جرياً وراء تأشيرات وجيه أباظة . .

كان الرجل قد التقطه هو وإخوته من أحد الاحتفالات بمدرسة ثانوية، وهم يعزفون فى الاحتفال بعيدة الثورة بينما يرتدون كرافتات سوداء.

وعرف أنهم أشقاء فقدوا الأب، يعتمدون على أنفسهم فى تدبير نفقات دراستهم، ونفقات الأسرة.

وقرر تعيين محمد نوح موظفاً بالمحافظة. وتعهده بالرعاية، وكلما وجد معوقاً من الأجهزة البيروقراطية، ذلّله، ووقف بجانبه.

حتى أصبح محمد نوح فنانا فى فرقة البحيرة، وعندما جاء إلى مسرح التليفزيون، اتصل وجيه أباظة بالفنان سيد بدير المسئول عن المسرح ليوصى به . .

فى أرشيف محافظة البحيرة، لم يجد محمد نوح تأشيرة واحدة لوجيه أباظة برفض طلب قدم له.

فلم يكتب فى حياته أبداً كلمة «لا أوافق»!

فكل من تقدم إليه بطلب استجاب لمطلبه، وحققه له مهما كان متخطياً اللوائح والقواعد . .

وهذا هو المفتاح الثانى من شخصية وجيه أباظة: حبه الخير وتفانيه فى خدمة الناس، وقضاء حوائجهم..

وهذا ما حبب الناس فيه وقربه إلى نفوسهم.. ففى كل المواقع التى عمل بها وجيه أباظة ترك بصمة فى قلوب الذى احتكوا به، أو تعاونوا معه..

فكان فريداً فى حبه للناس، وإخلاصه لهم، وبذل الجهود لحل مشاكلهم كلها مهما كانت صعبة... فى اختصاصه أو فى غير اختصاصه، لذلك فإنه بعد أن ترك كل المواقع، وكل المسئوليات لم تنقطع عنه الطلبات.

ولم يقل لطالب حاجة أنه غير موافق أبداً..

❑❑❑

ومن معالم شخصية وجيه أباظة أنه كان يقدر الناس على ضوء ما منحوه لبلادهم من عطاء!

كان وهو محافظ القاهرة ـ عمدة ـ يدخل كل الناس مكتبه، ويمر عليهم ليجلس إلى جانبهم ويستمع إلى طلباتهم ويحلها..

هكذا رآه المهندس أحمد حمادة ويقول: أنه لاحظ أنه ـ وهو محافظ ـ يودع الناس، أحيانا بالسلام أمام مكتبه، وأحيانا بتوصيلهم إلى الباب، وفى بعض المرات يوصلهم حتى المصعد ويصافحهم.

«وسألته عن سبب هذه التفرقة، وقد يكون الشخص الذى يودعه فى مكتبه وزيراً، وقد يكون الذى يوصله إلى المصعد عاملاً بسيطاً..

وقال لي: إن هذا الذى أوصله للمصعد قام بدور هام من أجل مصر قبل الثورة فى العمل الفدائي.

وهكذا كله تقييمه للناس وتقديره لهم على ضوء ما أعطوه لبلادهم».

وتلك خاصية يندر أن توجد فى أى شخص.. وكانت ذاكرته قوية فى رصد هؤلاء الذين أدوا لبلادهم وبذلوا من أجلها..

التقيت بعشرات الأشخاص، فى مختلف المهن، والأعمار: شباب وشيوخ، بعضهم كان عضواً بمجلس قيادة الثورة وبعضهم من بسطاء الناس..

كلهم كانت لهم صلة ذات يوم بوجيه أباظة، ولكنهم جميعاً لم يقطعوا هذه الصلة رغم مرور عشرات السنين على بدايتها، وزوال أسباب المعرفة..

لم يعرفه شخص إلا وأسرته شخصيته... وتحول إلى صديق له.

لم يفترق عنه أبداً، واستمر التواصل بينهما... فقد كانت لديه مقدرة عجيبة على تجميع الناس حوله من مختلف المشارب والاتجاهات، لا يحول بين ذلك اختلاف سياسي، أو غير سياسي.

ولا يعترض ذلك وضع الشخص ومركزه... فقد عاش فى حياته العملية مع كل الناس.. ولكل الناس، وكان ينزل المواقع، ويحتك بالعاملين فيها ويجلس معهم..

جلس مع الفلاحين فى بيوتهم وعلى المصاطب فى الشرقية، والبحيرة، والغربية.

وجلس مع العمال فى مواقع العمل وخرج بأصدقاء بين كل هؤلاء..

جلس مع الأدباء والمثقفين وكرّمهم، وعمل على حل مشاكلهم.

وكانوا يزورنه فى بيته فى أى وقت عندما كان محافظاً. مازال الكثيرون من البسطاء يذكرون أنهم ذهبوا إليه فى بيته ـ بيت السيد المحافظ ـ واستقبلهم فيه.

ومازال الكثيرون يقولون إنه أعطاهم رقم تليفون منزله الخاص كمحافظ ليتصلوا به إذا رأوا ما يستدعى ذلك فى أى وقت..

وعندما ترك المسئوليات، كان هؤلاء على صلة به..

يزورونه فى بيته، ويجلسون معه، يضعون أمامه مشاكلهم أيضاً.

ويعمل بقدر إمكانه على حلها..

فكل من تعرّف عليه، أو احتك به أصبح صديقا دائماً.

وكانت جنازته أصدق تعبير على ذلك، فقد خرجت مصر لتوديعه..

كل أحزابها السياسية...

كل رجالاتها: مسئولين وغير مسئولين...

مئات من العمال والفلاحين المجهولين...

الكتاب والصحفيون والأدباء والفنانون...

كان مأتم وجيه أباظة يعكس واحدة من أبرز معالم شخصيته.

ويقول حلمى سلام: «لم تكن تملك إلا أن تحبه، فهو من الناس الذين يدخلون قلبك بدون حاجز بينك وبينه».

ويروى موقفا قائلاً: إنه يدخل فى مجال الأصالة المصرية والفلاح المصري، فقد كنت أقف أتحدث معه، وكان يدخن سيجارة، فجاء إلينا فكرى أباظة، وهو بمثابة العم من وجيه أباظة، فحدث شئ ملفت للنظر جداً، وهو أنى وجدت وجيه أباظة المحافظ يوارى السيجارة وراء ظهره، وظلت هكذا خلف ظهره إلى أن سار فكرى أباظة، فعاد إلى التدخين.. لم يكن صغيراً سنا، ولا مقاماً، فهو محافظ القاهرة، وعلى مشارف الخمسين، وهنا تظهر الأصالة المصرية، وهذا هو الفلاح الذى لا يمكن أن يدخن فى حضرة أبيه حتى لو كان وزيراً. وهذا هو وجيه أباظة وهو محافظ للقاهرة، وكان على وشك أن يعين وزيراً للحكم المحلى».

❑❑❑

كان وجيه أباظة فى السجن خلال قضية مايو ١٩٧١، بينما مجموعات من الأجهزة المختلفة جندت للبحث عن مخالفات وجيه أباظة المالية، فى كل المواقع التى تولاها، فقد كان المطلوب إدانته، وتشويه سمعته.. بحث استمر البحث لأكثر من شهر فى محافظة الغربية كما استمر أيضاً في محافظة القاهرة وأخيراً، قالت اللجنة التي أجهدت نفسها في التنقيب عن أي دليل للإدانة: إننا بكل أسف لم نجد عليه مخالفات.

لقد اشتهر بنظافة اليد، والسمعة الطيبة، وكان ذلك وحده هو رأس ماله عندما اتجه فيما بعد ـ وبالمصادفة ـ للعمل الخاص فقد فتحت الأبواب ـ أمامه.. لأنه وجيه أباظة وهو يروى قصة علاقته بشركة «بيجو» قائلاً:

«بعد العفو عنى ذهبت إلى انجلترا لأقيم بعض الوقت عند ابنتى هناك خوفا من إعادة

القبض على بدعوى تحسن صحتي.. ولكننى فوجئت بصديق لي، وهو مليونير صديق يدعى عبد الجليل عبد الله عارف، كان له توكيل سيارات «بيجو» فى ليبيا، ومعه أخى الأكبر ممدوح يطلبان حضورى إلى مصر.. الحقيقة إنني رفضت الأمر، فلم تكن عندى نية العمل بعد ما لاقيته، ثم أنه كان عندى ما يكفينى، وكان أولادى على وشك التخرج.

«بل لقد تخرج أكبرهم وهو حسين الذى كان ضابطا فى الجيش، لكن تم تسريحه بعد سجني.

«والثلاثة الباقون وهم ممدوح وشاكر وعبد العزيز، كانوا على وشك التخرج فى كلية التجارة.

«ولكن عبد الجليل عارف وأخى ممدوح أصرا على أن أعمل...

«وقد اعتمدت على سمعتى وثقة البنوك فى شخصى، فكان رأسمالى الذى بدأت به صفرا.. لكن جاءنى مدير فرع بنك أبو ظبى فى القاهرة وهو رمسيس حنا وكان رجلا فاضلا وأقرضني مبلغا لأبدأ به بضمان شخصي.

«ووجدت كل المساعدة من شركة «بيجو» فى فرنسا، نتيجة جهود صديقى عبد الجليل عارف رحمه الله، وكان رمسيس حنا وعبد الجليل دائمى النصح لى ولأولادى فلم تكن لى خبرة فى مجال التجارة والاقتصاد أو الوكالات واقتصرت هذه الخبرة على إدارتى لشركات النشر والإعلان والتوزيع، التابعة حاليا لجريدة «الجمهورية»..

«وسارت الأحوال من حسن إلى أحسن وأعطانى الله الكثير وأنا من المعترفين بفضله واتسعت معاملاتى مع البنوك لتتعدى بنك أبو ظبى إلى سويس جنرال والأهلى ومصر وغيرها.. وأصبحت لنا ورشتان لإصلاح سيارات بيجو ومقر لبيع قطع الغيار القطاعي، ومقر لبيع قطع غيار بالجملة، ولدينا منطقة حرة ومنطقة تخزين ومكتب فى الإسكندرية يعمل بها ٢٥٠ موظفا وعاملا.

«وأنا أرأس مجلس الإدارة، وإن كان ابنى الأكبر حسين يقوم بعملى فهو نائب رئيس المجلس، وممدوح مدير عام للشركة، وشاكر مدير عام قطع الغيار، والابن الأصغر

عبدالعـزيز مساعد لمدير قطع الغيـار. . كما أن لى ثلاث بنات أصغرهن تعـمل بالشركة كسكرتيره لي.

«وأنا أسدد كل ما يطلـب منى فأنا مؤمن بضرورة أن يدفع كل شـخص ما عليه من ضرائب.

«كما أننى فى شركتى أتبع مبدأين هامين أصر على أن يحترمهما أبنائى وهما:

* أننا أول من نطيع جميع القرارات الاقتصادية... وآخر من يعصي.

* الاحتفاظ بجميع العاملين فى الشركة وعدم الاستغناء عن أحد منهم.

وأنا أعتـرف أن مجتمع النصف فى المائة مـازال موجودا فى مصـر. . فقلة هى التى لديها المال والأغلبية تستحق الدعم وخاصة طبقة الموظفين».

❑❑❑

كانت مـن أبرز سمات شـخصـية وجـيه أباظة أنه ثائر. . ثائر فى تفكيـره وفى كل المشروعات التى يقوم بها. .ثائر على الروتين وهو يقول:

«قد تدهش إذا قلت لك أننى لم أحارب الروتين. ولم أتخط القوانين.

«ولم أخترع لوائح مـبتكرة، ولاقواعد خـارقة. كل ما فعلته هو أننـى قمت بمحاولة تحريك الجهاز الذى يـعمل معي، وما فعلته فى الزقـازيق، ودمنهور، وطنطا، أفعله فى العاصمة. فى أول اجتماع لى معى جهاز محافظة القاهرة، قلت لهم أننى أنتظر من كل واحد منهم أن يتسـم بالجرأة. وأن يتحمل المسئـولية. وأن يتصرف بنفسه فأنا لست فى حاجة إلى جهاز من الكتبـة، ولا إلى الذين يمسكون بالقلم ليكتبوا ما يملى عليهم. هذا النوع من الكتبة ما أكثرهم. ولكننى ـ بجانب هؤلاء ـ أريد جماعة تعمل معي، تستطيع أن تتصرف، وأن تملك الجرأة على هذا التصرف.

«هذا هو ما فعلته فإذا كانت هناك ثورة، فإنها ثورة على الخوف، فأقصى ما أريد هو أن أنزع الخوف من القلوب»(١).

---

(١) من حديث مع ابراهيم سعدة ـ فى أخبار اليوم

فى أوراقه رسـالة ذات دلالة عمـيقـة تعبيـراً لرؤية الآخرين عن مـفاتيح شـخصـية الرجل.. كتب إليه أحـمد محمود الذي عـينه مديراً لفرقة البـحيرة مذكرة مـوجهة إلي السيد الاستاذ محافظ البحيرة يقول فيها:

بناءً على القرار الصادر من سيادتكم بتاريخ ١٢/٥/١٩٦٤ الذى يتضمن تكليفى بأعمال مـدير فرقة الفنون الشعبـية بمركز التدريب المهنى بدمنهور، فـإننى أمام ثقة سيادتكم أعاهدكم أننى سأعمل وأواصل العمل والسهر بكل طاقتى حتى أصل إلى الهدف السامى الذى رسمتموه سيادتكم لهذا المشروع العظيم..

ونظرا لأن هذا العمل يحتاج إلى تحرك مستمر وسريع لتحقيق تلك المعجزة التى اخترتم سـيادتكم تنفيذها فى غيـر حقلها وطلبتم نضـجها بقفزات بارعـة وسريعة لتأخذ مكانها المرمـوق فى الصدارة الفنية فى أقصر وقت، أرجو التـفضل بالموافقة على منحى سلطة التصرف وتخـطى بعصر معوقات الروتين بما يتـمشى مع صالح العمل وسرعة إنجازه بالصـورة التى تتمنون سيادتكم تحقيقها ـ كـما أرجو التفضل بالأمر بما ترونه ـ مناسبا لقيمة بدل انتقالى الشهري.

يقول في مذكرته إنه يريد أن يخالف «الروتين» أي القـواعد الموضوعة، وتأشيرة المحافظ عليها بكلمة واحدة «أوافق»

لقد أعطى مدير الفرقة سلطة التصرف وتحطيم الروتين..

❑❑❑

كانت لدى وجـيه أباظة المقدرة على مـخاطبة كل الناس واسـتمالتهم إلى جـانبه.. لذلك كان الناس يتسابقون للاشتراك فى المشروعات التى يفكر فيها، وأغلبها قام بجهود المواطنين والسبب أنه عرف كيف يخاطب الناس كما يقول:

«إن مواطن الشرقية، غيره فى البحيرة، وغيره بالتأكيد فى القاهرة، وفى الغربية..

«عندما أفكر فى إقامة ناد جديد فى المحافظة فإن طريقة إقناع الناس تختلف من مكان لمكان، فى الشرقـية، يجب أن أتحدث للنـاس بنفس تفكيرهم، فأهل الشـرقية يعـرفون بالكرم، والترحيب بالضيف، لذلك فإننى أشكو لهم من أن مدينة كبيرة كالزقازيق تفتقر

إلى مكان نستقبل فيه الضيوف، لنكرمهم ونأويهم فيه ،والناس فى محافظة البحيرة يهتمون بالأرقام.. لذلك فيجب أن أبرهن لهم على أن إنشاء النادى المزود بالفندق من شأنه أن يحقق لهم دخلا كبيرا. فهناك أكثر من الف موظف يعملون فى البحيرة ويسكنون فى الإسكندرية. فإذا وجدوا المكان الملائم لإقامتهم فى دمنهور فلا شك أنهم سيبقون فيها. وسيصرف كل موظف بمعدل ٢٥ جنيها فى الشهر. نفس الشيء تكرر فى محافظة الغربية، فقد أقنعتهم هناك بأن الذين يزورون ضريح السيد البدوي، يضطرون للعودة إلى مدنهم وقراهم فى نفس اليوم لا لشيء إلا لعدم وجود المكان اللائق الذى يمكنهم الجلوس فيه للراحة، وللترفيه.

«فى القاهرة الوضع يختلف تماما.. اضحك معي.. مثلا..

عندما قمت بإعادة تبليط أرصفة شوارع وسط القاهرة ـ تمهيدا لنشرها فى كل مكان ـ فوجئت بالبعض يكتبون لى يحتجون على أن البلاط أحمر ، بحجة أن هذا اللون «ذوقه بلدي» اوهناك فى نفس الوقت من كتب يحتج على أن هذا البلاط كانت تنقصه لمسة من اللون الأزرق مثلا.

«واهتمامات الناس تختلف كثيرا من عاصمة لأخري..

«فى الأرياف يهتم المواطن بالماء الذى يشربه. فى القاهرة تثار أزمة ما بعدها أزمة إذا أحس المواطن بنقص كميات الثلج الذى يثلج به ماء شربه وهكذا!»

❑❑❑

كان منصور حسن وزيراً من ألمع الوزراء الذين عملوا مع الرئيس أنور السادات الذى حبس وجيه أباظة.. ومع ذلك فقد كانت علاقتهما متميزة.

«كنت أسكن فى نفس عمارة وجيه أباظة التى انتقل إليها بعد أن أصبح محافظا للقاهرة وهذا رقم «١» فى علاقتنا، ورقم «٢» كان تقارب السن بينه وبين والدى وكانت بينهما زمالة قديمة.

«هذه العلاقة فيها تزاور وفيها مودة فى المناسبات، وكانت لدى خلفية كبقية المواطنين فكنت أعرف من هو وجيه أباظة، وما هو تاريخه، وكفاحه ضد الاستعمار، ودوره فى

ثورة ٢٣ يوليو، ومــدى نجاحه فى المناصب التى تقلدها سواء كــان محافظاً للبـحيرة أو الغربية أو القاهرة.

وكلها مـواقف تجعلك تعجب بشخـصيته وتكون سـعيداً بالعلاقـة الاجتماعـية التى تجمعك به.

وكان رجلاً واسع الأفق، عندما نتحدث فى موضوعـات عامة كنت أشعر أننا متفقين أساسـاً فى كل الآراء، فمثـلاً هو من رجال الثورة، وأنا مـن المعجبين بالثـورة المقدرين لأهيمتها..»

وفى التقييم النهائى يرى منصور «إن وجيه أباظة كان انساناً عظيماً.. والدليل.. هل رأيت إنسانا مسئولاً يترك حياته العامة ٢٤ سنة، ثم تجد له جنازة مثل التى حدثت لوجيه أباظة، تحمل له كل تقدير المجتمع.. و تقدير كل الناس.. حتى عندما توفى كان وداعه وداع زعيم وطنى قضى نحبه».

❑ ❑ ❑

يروى حمدى عبيد جانبا آخر من صفـات وجيه أباظة الشخصية وكان قد تعرف على وجيه أباظة فى الكلية الحربية حيث تزاملا معاً.

وكان عبيد لاعب كرة وسقط فى الملعب مصـاباً بكسر فى قدمه، ونقل إلى المستشفى العسكرى.

يقول حمدى عبيد: كنت أرقد فى المستشفى غائباً عن الوعى. وعندما أفقت وجدت أن زميلى وجيه مريضاً ويرقد فى سرير بجانبى وكانت مصادفة غريبة.

أسدى وجـيه لى جـميلاً لن أنسـاه كانت امـتحانات الشـهادة العـامة على الأبواب وزملائى يحصّلون وأنا لم أحصل شيئاً.

ذات يوم جاء فتوح باشا كبيـر المعلمين بالكلية الحربية لزيارتنا وفى النهاية سأل: هل تحتاجون لشىء؟

فقال وجيه: نعم أريد منك شيئـاً: نحن الآن ندرس ونحّصل والجميع يستذكرون إلا زميلنا حمدى عبيد فهل نتركه يرسب بسبب كرة القدم؟!!

فأجابه فتوح باشا: بألا تقلق.

منذ ذلك اليوم صارت بيننا صداقة طيبة.

كنا نشترك فى صفات شخصية واحدة: كان مرحاً محباً للفكاهة.. وأنا أيضاً.. فكنا نتجاذب أطراف الحديث بخفة ظل سوياً.

وبعدها كنت أسكن بكوبرى القبة وحسن عزت يسكن بجانبى.

كنت أشاهد وجيه والبغدادى وحسن عزت عندما أجلس فى شرفة البيت يجتمعون وكانوا يعتقدون أنى أرصدهم. كنت أريد معرفة ماذا يفعلون؟

وكان هو غير قادر على أن يخبرنى، وأنا كنت غير قادر على أن أخبره ولم نتحدث معاً إلا بعد الثورة..

قال لى: هل كنت تتجسس علىَّ؟

أجبته: بل أنت الذى كنت تتجسس علىَّ.

لقد كنا نعمل معاً فى تنظيمات الجيش السرية والوطنية.

❑❑❑

يقول زميل طفولته فوزى شاش: أن وجيه كان يحب الخير للناس وكان صاحب قلب كبير، كان إنسانا، وبطلا، وطنيا ،وهاتان صفتان اجتمعتا فى قلبه فهو يقف مع من يقصده وكنا عندما نعود من الإسكندرية فى الصيف نمر عليه عندما كان محافظا للبحيرة ولا نستطيع الجلوس فى حجرته من كثرة الناس. هذا له طلب، وهذا له شكوي... لدرجة أن فتحى الشرقاوى كان وزيرا للعدل قال أنا لا أستطيع الجلوس معه ولا أن أكلمه من كثرة الفقراء الجالسين حوله.

فقد كان إنسانا يعتز به كل من يتعرف عليه، وأنا وهو عشنا معاً العمر كله من ابتدائى ثم الثانوى ثم دخل الطيران، وتخرج منها حتى اعتقل، وطول هذه المدة لاحظت أن لديه صفتين أساسيتين: أنه إنسان حقيقى محب للطبقة الفقيرة المحتاجة هذه واحده... والثانية أنه كان فدائيا وكل ما قام به كانت فيه روح الفدائية.

من خلال الرسـائل العديدة التى احـتفظ بهـا، نرى موقف زملاء النـضال الوطني. ونتعـرف على ذكرياتهم، يقول الطيـار «اللواء» عبدالحمـيد الدغيـدى زميل التنظيم فى إحدى رسائله:

«أخى وجيـه.. تحيـه من القلب.. وسلامـا كله موده وحب وتقـدير منى لك يفوق كل تقـدير لأى أحد مهـما علا وأنيّ كـان ... إذ جمعـتنا المرجلة، وأفنينا عمـرنا من الصغر وحتى الكبـر نفدى الوطن بروحنا، وندافع عن مصـرنا بكل ما لدينا... ضميرنا مرتاح لما قدمنا وقلبنا وعقلنا راضيان عما قدمنا.

إن الصداقـة يا وجيـه أضحت في تلك الأيام نادرة، ومن هـنا أصبحت ثمـينة وغالية، ولذا كان إعزازى لها «بصـداقتك» أيها الأخ القديم الجديد، والزميل طول العمر الأصيل، والمجـاهد الأكبر، فى هذا الوطن، حيث دائما عاش فى اسـتعمار بعد استعمار، حاربناه سوياً وفى كفاح متصل حاولنا ردعه كتفا فى كتف، وذراعا يتأبط ذراعـا، الله فى عوننا كم ابتلينـا سجناً وتشردنا، وكـان السجن والتـشريد ضريبـة الوطنية المتأصلة وفى سـبيل مصر البـاهرة حقق الله لها مـا تمنيناه من عزة ورخاء. ومكانا مرموقا فى الكون إنشاء الله».

❑❑❑

ورسالة أخرى تاريخها ١٧ مايو ١٩٦٨من الشيخ مـحمد عبد الحق، أشهر واعظ فى القوات الجوية أرسلها إلى وجيه أباظة محافظ الغربية يقول في بدايتها

إلي السيد وجيه أباظة محافظ الغربية ـ بعد محافظة البحيرة

عزيزى أبقاك الله وأمد فى حياتك الغـالية، حتى تطوف جميع المحافظات علي اختلاف صغرها وكبرها، وتباين مناخـها وأمزجتها، ولماذا يا عزيزي ينبغ فى البلاد الأخـرى من يدور حول الأرض مـرات ومـرات، ولا ينبغ عندنا من يدور حـول المحافظات كلها مثلك.

ألست أولى بالشهـرة ـ والصيت ـ من جاجـارين، مع أنى أسأل الله أن تكون وريثه فى اللف والدوران ـ لاغير.

وهل سيادتكم تكره معرفتك بالناس، ومعرفة الناس بك، وهل تكره أن تتقسم الرياحات فى الوجه البحري، ووتشنف آذانك بصوت النواعير فى الوجه القبلي، وتفطر فى دمياط، وتتعشى فى أسوان، وتنشئ وتجدد، فلست من لحم ودم ـ ولكنك من حديد وصلب ولست من بني الإنسان ولكنك من الجان لا يجوز عليك ما يجوز على البشر، من مرض وملل، وفتور وكسل.

فجدد لجميع المحافظات ما جددت لمحافظة البحيرة من تعليم وتعمير وترفيه، ليخلد لك في التاريخ ما خلده للأبطال الخالدين، ولئن ظننت أنك إنسان ـ ومعاذ الله أن تظن هذا ـ تصح وتمرض، وتقوى وتضعف، فلا يهمنا شئ من ذلك.

فأنت قبل كل شئ. وبعد كل شئ، ملك للشعب يتصرف فيك كما يتصرف المالك فى ملكه بالبيع والشراء والأخذ العطاء، ولا راد لكلمة الشعب ولك الأمر والنهى ـ والحول والطول، والبطش والقهر، تمتع يا صديقى تمتع، تمتع برضى السيد البدوى ـ كما تمتعت برضى ابراهيم الدسوقى ـ وبعدهما سيكون عبد الرحيم القناوى ـ وإن شاء الله ستتمتع ببقية أقطاب المحافظة أجمعين، فيمنحوك البركات والكرامات، ويحرسوك فى الغدوات والروحات، ويردون عنك الكيد والحسد على هذا الرقى الأبدي.

نهايته... قلوبنا وأرواحنا معك أينما حللت وأقمت ورحلت أعانك الله ومنحك رضاه».

وهذه الرسالة تكشف عن رؤية الواعظ الذي عاصره منذ كان ضابطا صغيراً فى سلاح الطيران حتى أصبح محافظاً. وهي أيضاً تكشف بعض جوانب شخصية وجيه أباظة وإخلاصه وتفانيه في عطائه لمصر.

❑ ❑ ❑

عندما نصف أهل محافظة الشرقية بالكرم الزائد عن الحد نقول: أنهم عزموا القطار!

وقال لى وجيه أباظة إن هذه حقيقة، وأن جده هو الذى عزم القطار..

ويبدو أن وجيه قد ورث عادة الكرم الزائد والشديد حتى عنتد الحاجة عن جده.

قال لى مـديره بيچو ايجـيبت» إنه عندما تـعرف على وجيـه أباظة لأول مرة أعطاه سيجاراً.. وبعدها استمـر ثلاث سنوات وهو من كبار المدخنين لم يدفع قرشاً واحداً فى السجائر التى كان يوفرها له وجيه أباظة دائما...!

وهناك عـشـرات الحكايات، والقـصـص تعكس كـرم الرجل الذى كان يـسيـر وهو محافظ، وعندما يجد فقيراً يعطيه كان ما فى جـيبه، وأحياناً يقترض من الذى يسير معه ليعطى الفقير..!

وكل الذين عملوا مع وجيه أباظة كانوا ضيوفاً دائمين على مائدته فى منزله..

ففى دمنهـور كان يلتـقى بكل العاملين معـه فى منزله على العشـاء كل ليلة لتقـييم العمل. ووضع خطة الغد..!.

وفى الغربيـة فتح بيتـه كمضـيفة فـى شهر رمـضان، وقد أثار هذا التـصرف بعض الأجهزة فتحركت ضده لأن حشوداً من الناس بدأت تتردد على بيته.. مضيفة المحافظ، فى سهرات يحييها قراء القرآن الكريم.. والنفقات يدفعها من جيبه الخاص.

ولم يكن وجـيه أباظة من الأثرياء الذين تـستطيع دخولهم أن تواجـه ما ينفـقونه.. فكان يقترض دائماً.. وكان أخوه الكبير ممدوح الذى تعهده صـغيرا، يتعهده كبيراً أيضا بالإنفاق وبسداد الزيادة التى يطلبها كل شهر.

وقد رفض ممدوح أباظة محاولاتى للحديث فى هذا الأمـر، الذى هو فيما يبدو عادة متوارثة، فـهو أيضا يمد مائدة الطعـام كل يوم فى الساعة الرابعة لكـل زواره، وبعضهم يجئ على الموعد دون اتفاق مسبق، ولا يعطى موعداً إلا على الغذاء!

تلك طبيـعة ممدوح أباظة الكبيـر، وهى أيضا كانت جزء من شـخصية وجـيه أباظة الإنسان.

□□□

لم يخطئ وجيه أباظة أبداً فى اختيار معاونيه، فقد كان لديه الحس الصادق والشفاف الذى سمح له باكتشاف عشرات من الموهوبين، والذين احتلوا مواقع مختلفة، وما زالوا

يدينون بالفضل لصاحبه.. ولم يتنكر واحد منهم أبداً لدور وجيه أباظة فى حياته، وأنه صاحب الفضل فى تقدمه.

وهناك نماذج كثيرة [1] ووقائع عديدة من الذين توسم فيهم وجيه أباظة المقدرة على العطاء وعهد إليهم بمسئوليات فأظهروا فيها تفوقاً.

❑❑❑

اكتشف شابا جديد اسمه سعد الخوالقة قادم من الاتحاد السوفيتى وأعطاه الفرصة وأصبح وكيلاً لجامعة الإسكندرية، وعضواً بمجلس الشعب وكان قد أرسله إليه مراد غالب سفير مصر فى موسكو برسالة موجهة إليه قال فيها:

الأخ العزيز وجيه بك

أهديك تحياتى وأشواقى وقبلاتى وتمنياتى القلبية بالصحة لك ولعائلتك وأرجو أن تكون الآن فى أحسن حال وقد وحشتنى جلساتك «وقفشاتك» ولم أرك من مدة طويلة جدا ولكنى أتابع نجاحك فى محافظتك بكل إعزاز وفخر... كما أدعو الله بالمزيد من النجاح والرفقه. أخى العزيز.

حامله الدكتور «سعد الخوالقة» وهو مدرس فى كلية الهندسة جامعة الإسكندرية، ومن دمنهور، وحصل على الدكتوراه بامتياز من موسكو فى هندسة الأنفَاق، وهو لا يريد خدمة وكل ما يريده هو المشاركة فى العمل الحزبى والسياسي. وقد كان الدكتور سعد أحسن المبعوثين إطلاقاً ويجيد العمل والتنظيم الجماعى والحركى، وعلى جانب كبير من الوعى السياسي، ناصرى من الدرجة الأولى ومضمون اتجاهاته ١٠٠٪ هادئ ومؤثر ونظيف وشخصية محترمة.

فإذا أردت الاستفادة منه أعتقد أنه سيوافق على الفور وسيكون لك عنصرا طيبا ومفيدا.

وأخيراً أكرر لك أشواقى وقبلاتي، وتنمياتى لك بدوام الصحة والعافية والرقي.

---

(١) انظر شهادات الذين عرفوه فى كتاب «وجيه أباظة.. عشر سنوات فى الحكم» للمؤلف.

كما أرجو أن تتقبل سلام وتحيات زوجتي أم أولادى أو بالأحرى «بناتي» فإنك لن تعرفهن الآن فقد كبرن. وتفضلوا بقبول فائق احترامى وحبي».

وكانت هذه الرسالة بداية مسيرة طويلة للدكتور سعد الخوالقة، فقد استعان به وجيه أباظة فوراً، وأظهر الدكتور استعداداً وتفانياً في العمل من أجل أبناء بلدته.. كما أن صلته بوجيه أباظه لم تنقطع ومازال يردد عرفانه بدور وجيه أباظة في حياته.



* وتوسم وجيه أباظة المقدرة فى مدرس لغة إنجليزية بمدرسة دمنهور الثانوية، فاقتلعه من وزارة التعليم كلها وغرسه فى وزارة الثقافة، وأصبح محمد غنيم وكيلاً لوزارة الثقافة!

* واختار محمد مروان طبيب الوحد الريفية فى إحدى قرى الرحمانية مديراً بمستشفى دمنهور المركزي، وكان الطبيب شاباً متخرجاً، أحسن إدارة المستشفى الكبير حتى أن المنظمات الدولية استدعته وعهدت إليه بأن يعطى خبرته فى إدارة المستشفيات!

* و..... و.... نماذج عديدة أكثر من أن تحصي، وهو فى الإدارة المحلية،كان الشباب الذى اختاره وتعهده، هو الذى يحتل الآن مواقع هامة.. لقد وضعه وجيه أباظة على أول الطريق بعد أن اكتشف أنه قادر على العطاء، وأن لديه ما يستطيع أن يقدمه.. قبلها عندما ذهب لشركة الإعلانات، وجد أن اليهود هم الذين يحتكرون مهنه الإعلان فى مصر، فقرر أن يحدث فيها تطويراً.

وقام هذا التطوير على أكتاف مجموعة من الشباب الجامعى اكتشفه وتعهده، وأصبح هو الذى يحمل الآن مسئولية الإعلان فى مصركلها.

لم تكن قضيته فقط : حسن الاختيار والفراسة فى الانتقاء، ولكنه كان يعهد إلى من يختارهم بمسئوليات كبيرة، ويتركهم للانطلاق، بل إنه وهو محافظ فوض فى سلطاته كمحافظ عدداً من الشباب أعطاهم كل الثقة، وحمّلهم المسئولية، فكانوا أهلاً لها.

❑ ❑ ❑

لا يمكن الاقتراب من شخصية وجيه أباظة دون رصد ظاهرة هامة هى إحساسه بالضعفاء.. لقد حمل هذا الإحساس المرهف، وهو ابن العائلة، وظل يؤرقه فى كل المواقع التى احتلها.

فى دمنهور كان همه انتشال الأحياء الفقيرة. . . وإمدادها بالخدمات. .

ثم ركز على الأطفال الفقراء والمشردين الذين لا مفر من أن يكونوا فى المستقبل لصوصاً وقطاع طرق. .

هؤلاء الأطفال الذين تهربوا من المدرسة، وعاشوا الضياع فى الشوارع، تسولاً أو سرقة.

جمعهم كلهم، وقدم لهم المعلمين والمدربين، ليكونوا صناعاً مهرة على حرف ومهن عديدة ترك لهم حرية اختيارها. . ولإيمانه بأن الظروف حتى التى وضعتهم فى هذه الحالة، ولو تغيرت الظروف لتغير حالهم، فقد قرر أن هؤلاء الذين يعيشون فى القاع، بهروا الناس عندما تعلموا وتدربوا. . وطافوا العالم بعد ذلك يقدمون إبداعهم، وفنون مصر الشعبية.

لقد وجد لديهم طاقات من العمل البناء لا حصر لها. . ونقل تجربته فى إنشاء مركز تدريب إلى الغربية، وفى القاهرة قرر إنشاء عدد من المراكز فى كل حى ولكن الوقت لم يسعفه. .

هذا الإحساس بالضعفاء، وبالذين يعيشون فى القاع، كان أحد المفاتيح الحاكمة فى شخصيته.

❑❑❑

كان وجيه أباظة ينطلق فى هذا الإحساس بالضعفاء من رفضه للظلم الذى قاومه، منذ وهب نفسه للإسهام في إزاحة الظلم الواقع على الشعب المصرى من المستعمر، واستمر وجيه أباظة ثائراً له مبدأ يحافظ عليه ضد الظلم، مع الناس. . ثائر مع الثورة في توجهاتها وأعمالها. . فقد كان صاحب مبدأ لايسير مع الرايجة كما يقولون.

كان صامداً وثابتاً لم يتنازل فى مواجهة المحن. . ولعل أكبر محنة واجهتها مصر كانت هزيمة ١٩٦٧، وقد بذل جهده للتعبئة لخوض معركة التحرير. . ولقد عثرت فى أوراقه على رسالة من محمد حامد محمود يمتدح جمال عبد الناصر ويقول إنه يريد التطوع لمحاربة اليهود، بل إنه يريد أن يحجز لنفسه مكانا بين المتدربين عسكريا. . «ولا

حديث للعالم كله سوى رئيسنا جمال عبد الناصر، ومواقفه البطولية» ولنقرأ رسالة محمد حامد محمود وزير الحكم المحلى فى السبعينات، وأحد نجوم مرحلة الردة.. تقول رسالته المكتوبة بخط يده والتي تحمل توقيعه بالنص:

السيد المحافظ وجيه أباظة تحيه طيبة وبعد

لعمل «طارئ» سافرت إلى جنيف قبل أن أحظى بلقائكم، لأقدم طلب التطوع، فأنال شرف المشاركة فى معركة المصير التى نرد بها فلسطين العزيزة... عربية خالصة لأهلها ونسحق الصهاينة الآثمين.. ولعلمي أن عدد المتطوعين يتضاعف كل يوم ولأجد لى مكانا بين المتدربين عسكريا، لذلك بادرت بإرسال هذا الطلب راجيا أن تسمحوا لى بالتدريب عسكريا بمجرد عودتى فى هذا الأسبوع.

الكلام مازال لحامد محمود في رسالته يقول: «ويعنينى فى هذا المقام أن أخبركم بمقدار زهو العرب وفخرهم هنا، فى أوربا، وبالإعجاب والتقدير من كل من فى أوربا بموقف الجمهورية العربية بقيادة رئيسنا العظيم. لدرجة أن الناس جميعا فى كل بلد لا حديث لهم، ولا أخبار فى الصحف سوى عن مصرورئيسنا جمال عبد الناصر، ومواقفه البطولية، حتى أولئك الذين ليسوا معنا لم يستطيعوا أن ينكروا الحق.

«أسأل الله من كل قلبى، أن يحفظ زعيمنا ويسدد خطاه بالنصر والتوفيق حتى تنال أمتنا العربية كل ما تصبوا إليه من عزة وكرامة وحرية.

وختاما أرجو أن ينال طلبى هذا موافقتكم وإلى أن نلتقى قريبا تقبل سيادتكم فائق احترامى»

تلك رسالة حامد محمود ننشرها بكاملها فقط للذكرى.. والذكري تنفع المؤمنين.

❑ ❑ ❑

هكذا كان وجيه أباظة صاحب موقف ثابت!

فى أول جلسة لتسجيل ذكرياته، كانت كلماته الأولى لي: إنه يحب عبد الناصر، وإنه ضد الحملة الشرسة والمغرضة ضده.

وكان يقول دائما: إن رقبتى ترتبط بالثورة.. وليس بالعائلة..

لقد كان جريئاً وشجاعاً.. أول قرار أصدره عندما عين محافظاً كان نصه «يلغى القرار الجمهورى رقم كذا».

محافظ يصد قرار بإلغاء قرار جمهورى أية شجاعة، وأية ثورية.

❑ ❑ ❑

عديدة تلك المواقف التي تدل علي شجاعته، ورجولته، وصموده، وتمسكه بالمبادئ التي آمن بها!

بينما هو في السجن في مايو ١٩٧١، اجتمع عدد من كبار رجال العائلة بينهم عزيز أباظة، فكري أباظة، ورشدى أباظة.

واقترح اللواء فؤاد المهداوي أن يذهبوا للرئيس أنور السادات طالبين الإفراج عن وجيه أباظة، فهم متأكدون من براءته، وأن القضية هي خلاف سياسي..

واستقر رأيهم علي أن ينفذوا الاقتراح بعد استطلاع وجهة نظر صاحب الشأن نفسه وهو وجيه أباظة.

وذهب إليه فكري أباظة لإطلاعه علي ما توصلوا إليه لمعاونته.. وسمعه وجيه أباظة حتي النهاية، ثم ظهرت عليه علامات الغضب الشديد، وهو يرفض مجرد التفكير في هذا الاقتراح.

وكانت المفاجأة أن فكري أباظة ـ الذي حمل إليه الرأي ـ كان يتفق معه تماماً، بل لقد قال له:

ـ لو أنك وافقت لما دخلت بيتك طوال عمري!

لقد كان يخبره برأي بعض أفراد العائلة، وكان واثقاً ـ سلفاً ـ أن وجيه الذي يعرفه سوف يرفض..

وأيضاً انفرد مع عبد اللطيف البغدادي بموقف شجاع وجرئ، فعندما زار الملك فاروق سلاح الطيـران، هرول القادة كبارهم وصـغارهم ينحنون أمام الملك، ويقبلون يـده كما كانت العادة في ذلك الوقت! اثنان فقط رفضا الانـحناء وتقبيل يد الملك، هما البغدادي ووجيـه أباظة تمرداً علي هذا التقليد.. وفـيما بعـد قال وجيـه أباظة أنه لا يقبل إلا يد والده، وأقاربه الكبار..

وصدر قرار بإيقافهما، والتحقيق مـعهما، واستطاع البعض أن يجد مخرجاً ليس من أجلهما، ولكن لتحسين الصـورة أمام الملك، ولإثبات أن كل سلاح الطيران علي الولاء الكامل.. وكانت الحجة أن السبب هو أن جلالته كان يضع «الجوانتي» في يديه!

بهذه الحجة التي بعثت السرور في نفس الملك، استطاعـا أن يعودا إلي مواقعهما في سلاح الطيران الملكي.. ولكنهما لم يتنازلا، بل إنهما كانا عضوين في تنظيم هدفه ليس القضاء علي الملك وحده، ولكن أيضاً علي النظام الملكي كله..

❑❑❑

وأيضاً تتميز شخصية وجيه أباظـة بالرجولة.. التى هى إحدى السمات البارزه فيه.

والذين عرفـوه، أو راقبو تصرفـاته عن كثب يرون أن لوجيـه أباظة مواقف متمـيزة تفيض بالرجولة..

هو يحب كـمال الـدين حُسين، ودائمـاً يطلق عليـه أنه هو «أبو الإدارة المحليـة فى مصـر.» وإعجـابه بكمال الدين حـسين بلا حدود، ولقـد التصق به تمامـاً خلال المؤتمر القومى العام للاتحاد القومي..

وحدث خلاف بين كـمال الدين حسين وجمال عبـد الناصر، أدى فى بعض مراحله إلى تحديد إقامته.

وفى هذه الظروف الصعبـة توفيت زوجة كمال الدين حسين.. وقـاطع كل أصدقائه الجنازة، خوفاً، أو مجاملة للرئيس، ولكـن وجيه أباظة انفرد بأن ذهب وسار فى جنازة زوجة الرجل الذى يحبه، وكان مسئولاً عن الحكم المحلى بينما هومحافظ..

وكان هناك من سارع ليوقع بينه وبين الرئيس ويخبره بأنه وجيه أباظة ذهب ليحضر جنازة زوجة كمال الدين حسين وقال جمال عبد الناصر:

- إذا لم يفعل ذلك.. لا يكون هو وجيه أباظة أبداً..

□□□

فى كل المحافظات التى عمل بها كان يمد يد المساعدة لأسر المعتقلين من الإخوان المسلمين.

وكان هناك من يترقب ذلك، ويرصدها كأخطاء - فى رأيه - موجهة ضد النظام.. وواجه جمال عبد الناصر وجيه أباظة بما يقوم به، فاعترف وجيه وقال بصراحة:

- نعم أنا أقوم بمساعدة أسر المعتقلين، وأنا رجل الثورة، ورجل عبد الناصر، ومن الأفضل أن يقول الناس إن رجال الثورة يعاونونهم على أن يقولوا إن أعداءها هم الذين يساعدونهم.

واقتنع جمال عبد الناصر.

ولعل قمة الرجولة قد تجسدت فى بداية الثورة، وكانت قد قدمت فؤاد سراج الدين إلى المحاكمة أمام محكمة الثورة التى شكلت بقرار من مجلس الثورة فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ برئاسة عبد اللطيف البغدادى وعضوية أنور السادات وحسن ابراهيم.

كان فؤاد سراج الدين معادياً للثورة، وكان تقديمه للمحاكمة بهدف إدانته فقد كانت الاتهامات الموجه إلى خيانة أمانة الحكم من يناير ١٩٥٠ إلى يناير ١٩٥٢ بتوجيه سياسة الحكومة الوفدية إلى الخضوع والاستسلام لفاروق واستغلال النفوذ.

وطلب وجيه أباظة من رئيس المحكمة عبد اللطيف البغدادى أن يكون شاهد نفي.. وأن يشهد لصالح فؤاد سراج الدين.

وكان المطلب غريباً، لذلك فقد استمعت المحكمة إلى شهادته فى قاعة رئيس المحكمة لعدم إحراج الثورة بأن يقف واحد من رجالها مع الباشا فؤاد سرج الدين فى وقت تطلب الثورة إدانته.

وفى شهادته قرر وجيه أباظة أن فؤاد سراج الدين وهو وزير داخلية كان يساعد الفدائيين، وأنه لجأ إليه شخصياً فى أعمال فدائية فعاونه، وأعطاه وهو وزير داخلية أسلحة وذخائر، وسيارات لنقل الفدائيين.

ومهما كان الأمر فى هذه الشهادة، فإنها تعبر عن موقف رجولى وموقف شجاع..

□□□

وعندما عين محافظاً للبحيرة واجهته مشكلة الحاج أحمد الوكيل عضو الهيئة العليا للوفد.. ورأى فيه عنصراً فاعلاً يمكن أن يوظف إمكانياته لمصلحة المشروعات التى فكر فيها!

وكانت هناك قوة لا يستهان بها ضد أحمد الوكيل، وانتهزت الفرصة لكى توجه الضربات أيضاً إلى وجيه أباظة.

ولكنه أصر على رأيه، ولم يقطع علاقته بأحمد الوكيل، بل وقدم اسمه ليكون عضواً بمجلس المحافظة.

وعندما حدث اعتراض سافر إلى القاهرة وتمسك برأيه، إما أن يُعين عضواً بالمجلس، وهو حق كان يعطيه القانون للمحافظ بأن يختار عشرة أعضاء، وإما ألا يعود إلى دمنهور، ويستقيل من عمله كمحافظ..

وعُين أحمد الوكيل عضواً بمجلس محافظة البحيرة..

كان وجيه أباظة قادراً على اتخاذ القرار حاسماً فى تنفيذه.. وربما هذه الميزة هى التى مكنته من تغيير المعالم فى المحافظات التى تولى مسئولية إدارتها.

وهى أيضا التى دفعته إلى ردم الترعة التى ظلت سنوات تقسم مدينة دمنهور بالجهود الذاتية، فقد كان مؤمنا أشد الإيمان بالجماهير، ومقدرتها على أن ترسم الطريق لنفسها، وأن تنطلق فى العمل لو وجدت القدوة، والجدية، وأحست أن العمل لا هزل فيه، وأنه موجه لمصالحها..

ولعل كل ما ورد فى هذا الكتاب يبرهن على صدق هذه الخاصية، التى كان يتمتع بها.

جانب آخر من شخصية وجيه أباظه.. عدم التنكر لزملاء الصبا وأصدقائه، وأبناء قريته وأقاربهم، مهما كانت مواقعهم الاجتماعية. هذا الجانب يكشف عنه واحد من أبناء مدينة دمنهور: سعد الدين متولى الموظف السابق بالإدارة التعليمية - بمنيا القمح، تعرف على وجيه أباظه عندما كان زميلا لأخيه فى المدرسة الابتدائية، وكانا يقضيان وقت الظهر معا وأحيانا يذاكران معا.

وقد التقى بوجيه أباظه وهو متطوع فى القوات الجوية، ووجيه ضابط بالطيران.. وطلب منه أن يحضر أسماء أبناء منيا القمح الذين معه فى مدرسة اللاسلكى والميكانيكا ليعطيهم تصاريح خروج، خاصة فى مولد الشيخ جودة.

وذات مرة تغيب واحد من أبناء منيا القمح عن العمل مدة طويلة وكتب فى قائمة الغائبين..

وهذه جريمة فى الجيش، وعندما عرف وجيه أباظه، واتصل بالضابط المسئول قائلا:

- واحد بلدياتى وكلفته بشئ فى البلد تعمل له غياب!

وقد نصح وجيه أباظه سعد متولى أن يترك الإخوان المسلمين، ولكنه لم يفعل وسجن لمدة خمسة عشر عاما كان يلبى له خلالها طلباته وهو فى السجن إذا اتصل به طالبا أى شئ.

وعندما خرج من السجن - عمل فى أحد محلات القطاع الخاص - ولكنه تعب، فذهب إلى وجيه أباظه محافظ القاهرة، وكان المحافظ فى اجتماع فخرج له على الباب... ولما عرف ما يعانيه أرسله لطارق الجندي، وطلب من الجندى أن يطوف معه على كورنيش النيل من «أبو العلا حتى ركن حلوان» بحثا عن مكان يعجبه ليعطيه له بإيجار رمزى لعمل كازينو، ولكن أحداث مايو حالت بينه وبين التنفيذ.

ويقول سعد الدين متولى: إن المحافظ اتصل بالرجل الذى كان يعمل فى

محـلاته، وقال له: إننـى وسعد أكلنـا فى طبق واحد. . وعلى الفـور استـجاب الرجل وأحسن معاملتي.

«لقد كان متواضـعا جدا. . عطوفا جدا. . وما بينى وبين وجيـه كان كبيرا وأنا أكثر المتـضررين من فقده. . لقـد كانت لديه قاعدة إذا لم تسعـوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم. . وكان هو فارس الفرسان فى بشاشة الوجه، ولين الكلام».

❑❑❑

الكثيـرون ـ وكنت منهم ـ لا يعلمون أن وجيـه أباظة، هو الذى قدم الشيخ محـمد متولى الشـعراوى إلى التليفزيون، وقد اكتـشفه عندما كان مديراً للأوقـاف فى محافظة الغربية، القريبة من محافظة البحيـرة، والتى كان وجيه أباظة محافظاً لها. . وكانت أول مرة يسجل للتليفزيون عن طريقه، واستمـرت صداقتهما سنوات طويلة، ويحكى الشيخ الشعراوى جوانب منها فى حديثه لمجلة آخر ساعة يقول:

«كان ذلك فى سنة ١٩٦٣. .

«وكان البرنامج هو برنامج نور على نور، وهو اسم جميل، اختاره أحمد فراج مقدم البرنامج. .

«وكان التسجيل فى دمنهور. . فى مجلس مدينة دمنهور. .

«وكانت المناسبة هى الاحتفال بذكرى المعـجزة الكبري. . معجزة الإسراء والمعراج. . التى لم يتح لبشر أن يطلع عليـها، فقد بلغ فيها رسـول الله ﷺ سدرة المنتهى وتجاوزها ليرى الآية الكبرى لله فى السموات. . فـقد وصل ﷺ إلى منزلة أعلى من منزلة جبريل عليه السـلام، الذى هو أقرب الملائكة إلى الله جل جلاله. . فعند سـدرة المنتهى توقف جبـريل ليتقـدم رسول الله ﷺ. . وقال جـبريل للرسـول الكريم أنت يا رسول الله إن تقدمت اخترقت. . وأنا إن تقدمت احترقت. .

«فمـا من نبى صعد السـموات حتى بلغ سـدرة المنتهى وتجـاوزها، ثم عاد فى نفس الليلة ليكمل حياته على الأرض، إلا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

«كان موضوع الإسراء والمعراج هو أول حديث لى فى التليفزيون. .

واستمر الشيخ الشعراوي يروي ذكرياته مع وجيه أباظة قائلاً : «كان وجيه أباظة رحمه الله هو الذى وجه الدعوة لتسجيل البرنامج فى دمنهور وكان وقتها محافظا للبحيرة، وكانت تربطنى به صداقة وطيدة. .

«وكان وجيه أباظة محافظا للبحيرة. . وكنت أنا مديراً للدعوة فى الغربية. . ولم يكن يمر أسبوع دون أن نلتقى فى طنطا أو فى دمنهور. . فنشأ بيننا ود، والحمد لله أن هذا الود كان لصالحى ولصالحه. .

«وقد جاء بعد ذلك محافظا للغربية، ثم محافظا للقاهرة. . واستمر الود بيننا. . وعندما اعتقله السادات، ذهبت لزيارته في السجن، وقال لى يومها إنه حفظ نصف القرآن. . فقلت له هذا شئ طيب، وسوف أطلب من الرئيس السادات أن يبقيه فى السجن حتى يكمل حفظ بقية القرآن! فضحك يومها من قلبه وقال: أرجوك كفاية كده، أكمل الباقى فى بيتنا أحسن!

«وأضاف الشيخ متولى قائلاً: الذى لم أقله هو ذكرياتى الطويلة مع صديقى وجيه أباظة، الذى كنت أقول عنه دائما إنه المحافظ «اللى طفحان عز».

«أى المحافظ الذى لم يأخذ من مال الدولة، وإنما أعطى للدولة من ماله الخاص. .

«وقال الشيخ الشعراوي: عندما قبضوا عليه، طلب ورقة وقلما وكتب بخط يده يقول: إن كل مخالفة للقوانين وقعت فى عهدي، أيام كنت محافظا للبحيرة أو الغربية أو القاهرة، أنا المسئول عنها، لأننى كنت ألقى أوامر شفوية على المرءوسين لتنفيذها. .

«وبذلك تحمل وحده المسئولية ولم يتهرب منها!

«هذا هو وجيه أباظة، رحمه الله، الذى لم يدخل مكتبه مواطن فى حاجة، إلا وقضاها له، وجعله يخرج مجبور الخاطر. .»

ويمضى الشيخ فى حديثه قائلاً: كان لوجيه أباظه معى حكايات ونوادر كثيرة. .

«حدث مرة عندما ذهبت لزيارته فى دمنهور، أن خرجنا نتمشى على الطريق الزراعي، فوجد سيارة أجرة من سيارات الأرياف وقد تكدس فيها الركاب فأوقف السائق. . وقام بإحصاء عدد الركاب فوجدهم يزيدون على الثلاثين!

«وارتبك السائق الذى كان يعرف أنه المحافظ..

«لكن وجيه أباظه، كان إنسانا خفيف الظل مرحا، فقال له: لن أفعل لك شيئا.. كل ما أريد أن أعرفه هو: كيف قمت «بشحن» كل هذا العدد من الركاب؟

«فرد السائق: بسيطة يا سعادة البيه!

«وطلب من الركاب أن ينزلوا.. ثم أعاد «شحنهم» بالسيارة.. بينما وجيه أباظه يتفرج بدهشة!

«كان السائق «يعجن» الركاب، مجموعة وراء مجموعة، حتى أتم «شحن» السيارة! ثم استدار إلى وجيه أباظه وقال له:

- إيه رأيك يا سيادة المحافظ؟!

فضحك وجيه أباظه، وقال ونحن ننصرف:

- تمام يا أسطي!

وضحك الركاب وتعالت ضحكاتهم!

واستمر الشيخ محمد متولي الشعراوي في ذكرياته قائلاً: «وكان وجيه أباظه يقول لى وهو يضحك: لابد وأن يوجد فى كل عائلة كبيرة بعض «السفهاء» للذود عنها، والتصدى لكل من يحاول النيل منها، أو الإساءة إليها! وكان يطلقها كما لو كان يقول حكمة «إذا قل سفهاء قوم ذلوا»!!

«وحدثنى ذات مرة عن بلدة يغمض أهلها عيونهم، عن أى سرقة تحدث فيها، مادامت هذه السرقة بعيدة عنهم، وقال أنه حدث مرة أن شاهد كبير العائلة بعض الأولاد يقومون بسرقة عدد من ثمار النخيل.. فوقف وأخذ يناديهم ويشتمهم ويقول لهم:

- انزلوا يا ولاد الكلب.. ده نخلكم!!

ويقول الشيخ الشعراوي: كان وجيه أباظه هو الذى توسط لى عند ابراهيم بغدادى محافظ القاهرة فى سنة ١٩٦٤ لكى يعطينى شقة أسكن فيها.. وكنت عينت فى ذلك

الوقت مديرا لمكتب شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون. ولاحظ وجيه أباظه أننى أعانى من السفر بين طنطا حيث تقيم الأسرة، والقاهرة حيث مقر العمل الجديد.. فاتصل بإبراهيم البغدادى وطلب منه أن يدبر لى مسكنا..

وقال ابراهيم البغدادى أن المحافظة ستتسلم عمارة من الإسكان المتوسط فى ميدان سيدنا الحسين بعد أسبوعين.. وإنه سيخصص لى شقة فى هذه العمارة.. وقال لى تستطيع أن تذهب وتختار الشقة التى تعجبك...

«وفعلاً ذهبت ووجدت العمارة لها خمس مداخل، واخترت شقة في مدخل خمسة.. تطل علي سيدنا الحسين وعلي الأزهر الشريف..

«وكتبنا العقد وكان الإيجار ١٤ جنيها شهريا.. وهو مبلغ كبير بالنسبة لي في ذلك الوقت.. فقد كان مرتبي في حدود ٥٢ جنيها شهريا.. لكن التخفيض نزل علي العمارة..

وفي هذه الشقة عشت أكثر من ٢٥ عاما إلى جوار سيدنا الحسين» وهكذا تنتهي شهادة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

❑❑❑

لقد تجنبنا طوال هذا الكتاب أن نقترب من أسرته، أو حياته فى بيته مع زوجته وأولاده وأسرته.. ولكنه لابد ونحن ننهى هذه الرؤية لوجيه أباظه أن نلجأ لرسائل وجدناها بين أوراقه لابنته هناء

بين رسائله رسالتان تلقاهما من هناء وجيه أباظة..

الأولى: قرأها.. واحتفظ بها لأنها كانت سنة ١٩٥٦، فى عز معركة العدوان الثلاثي.

كانت الطفلة هناء تطلب من والدها جنيهين تتبرع بهما لأطفال بورسعيد وكانت المدينة المناضلة تخوض معركة الدفاع عن كرامة مصر، وحقها في تأميم قناتها.

والرسالة الثانية: لم يقرأها لأنها كتبتها بعد عام من رحيله تصور فيها

انفعالاتهـا. . وهي تعيش بدون وجيه أباظة، لقد فقـدت والدها، ولكنها أحست أنها لم تفقده وحدها، لقد فقده الوطن كله. . وأحست بقيمة ما فعله أبوها عندما غرس الحب في نفـوس كل من عرفوه، فأثمـر، وظهرت ثمراته يانعة بعـد رحيل الرجل الذي لم يتنكر له حتي الأجانب الذين عرفوه معرفة سطحية، ولكنها تلحظ أن البعض هنا قد حقد عليه، ولابد أن هذا البـعض استفز هناء وإذا كان هذا أمراً غـريبـاً. . وشـاذاً، ولكنه حـدث. . وحـدث بعـد رحـيله. . . . وسـوف نقـرأ الرسالتين. .

○قالت هناء الطفلة فى رسالتها الأولى التى احتفظ بها الأب وجيه بين أوراقه:

«أبى المخلص أرجـو أن تكون بصـحة جـيدة جـداً يا بابا وأنا «عـوزه» ان ربنا ينصرنا عـلى الأعداء المجرمين الوحـوش لكن الله معنا فى كل وقـت وانشاء الله هننتصـر على مجـرم الحرب ايدن ويا بابا عـوزه منك طلب واحـد عوزه ٢ جنـيه علشـان الأطفـال اللي فى بـورسـعيـد. وإذا ادتـنى ٢ جنيـه حنبـسط جـداً . . جداً. . جداً

«ومتشكره برضه جداً... جداً... جداً يا بابا» ابنتك المخلصة ـ هناء وجيه أباظة

○الرسالة الثـانية التي كتبتـها هناء وجيه أباظة فى الذكـرى الأولى لرحيله. . تقطر ألماً ومرارة، وهي تعكس شـعور الألوف من الذين اقتـربوا منه. . ليس فقط لأنها ابنته، ولكن أيضاً بحكم اقترابها منه ومعرفتها الوثيقة بشخصيته. وتقول هناء فى رسالتها الثانية:

«إلي روح والدي أكتب

«لعل ما أكتبه يصل من روحي إلي روحه الحبيبة

«قد يكون كـلامي هذا عبارة عن رسـالة أبعثها لـك يا أبي ويا صديقي ويا كل شئ لي في الوجود. .

«لا أظن يا أبي أن التاريخ سـيخفي وطنيتك وحـبك لبلدك وحبك للناس الذي أعـرفه عنك، ولا أسـتطيع أن أصـفه للناس، ولعل الـناس يعرفـونه وهم الذين

أحاطونا بحبهم لنا... هذا الكم الهائل من الناس.. الذين أحبوك... ثم أحبونا من أجلك وهكذا كان وعدك لنا حق.

«فقد كنت تقول لنا دائما إن حب الناس ثروة لا تقدر بمال الدنيا وما فيها.. ووجدنا وعدك حق..

«فلمدة تقترب من السنة يظل أحباؤك يا والدي يكتبون عنك ويلتفون حولنا بحب وبكل المعاني الجميلة التي أشعرونا بها، فزادتنا ثقة وزادتنا حنيناً إليك يا والدي.. يا حبيبي.

«تعلمنا منك.. الشرف ـ تعلمنا منك حب الوطن ـ تعلمنا منك الصبر والإيمان بالله عز وجل ـ تعلمنا منك العطاء ـ تعلمنا منك أن نحب الناس ـ تعلمنا منك إنكار الذات ـ تعلمنا منك بركة المال الحلال ونقمة المال الحرام ـ تعلمنا منك الصدق والأمانة ـ تعلمنا منك واجب الاحترام ـ تعلمنا منك عزة النفس والثقة بها ـ تعلمنا منك حق الوالدين وحب الأسرة..

والدي وصديق الحبيب... تركتنا بجسدك ولم تتركنا بروحك، فروحك الغالية ترفرف حولنا.. كلنا لم نكن وحدنا من بعد فراقك... الأحباء الكثيرين جداً وبصورة لا يتخليها أحد أحاطونا..

«فهذا الحب النابع من أعماق قلوبهم إنما هو تعبير لحبك لهم..

«فالكل يبكيك يا والدي حتي الآن... لا اعتراض علي أمر الله.. حاشا لله، وإنما هو الشوق لرؤياك، وإنك وحشتنا كلنا، ولكن الذي يثلج صدري يا والدي ويا صديقي أنك كنت تعلم أكثر منا، وكنت تشعر بحب هؤلاء جميعا.. فكان كل واحد منهم يشعر أنك تخصه هو.. وأن له حق عليك، وبالتالي فقد حزنوا عليك يا والدي حزنا لم نعرفه في هذه المرحلة الحرجة منذ فراقك لنا..

«حتي الأجانب الذين لم يعاشروك إلا وقتا ليس بالكثير... بكوك، حتي الطبيب الذي لم تكلمه إلا في آخر أسابيع حياتك الحبيبة ـ كان متأثرا بدرجة لم نعهدها في أطباء أجانب، ولا أعرف كيف عرفك، وكيف كان رقيقاً معنا إلي

أقصي درجة.. وكذلك الممرضات اللواتي لازمنك في الأربعة والعشرين ساعة في اليوم بكين من أجلك وحزنّ عليك.

«في باريس.. البائع الذي يعرفك بكي وأكرمنا من أجلك.

«الجرسون سأل عنك وبكي معنا..

«طبيب الأجزخانة الذي أعطانا الدواء، قال: هناك حساباً بيني وبين «مسيو أباظة».. ولم يأخذ منا أية نقود.. لأن كلمة «مسيو أباظة» في باريس كان لها وقع السحر علي الناس كلهم، حتي المنادي الذي يتسلم السيارات أمام الفندق..

«أسرة فرنسية الأب... والزوجة، والابنة.. بكوك وحزنوا لأنهم كما قالوا بالنص: لم نر ولن نرى في حياتنا أحداً مثلَ «مسيو أباظة»

«هذا الشعور النبيل من أناس كثيرين ـ جعل قلوبنا تهدأ وتلين.

«حتي السائق الذي كان يلازمك سنوات، ثم تركك ليعمل «بكافيتريا» مع زوجته عندما علم أسرع إلينا، وكأنك علمته أيضا الشهامة والتفاني في خدمة الغير..

«إن فراقك يا أبي صعب.. حتي أنني.. أحببت الموت وأحببت القبر الذي سيوصلني إليك يا والدي..

«فأملي أن أراك، يا أبي بعد إتمام رحلتي وحسب قضاء ربي لي سبحانه.

«لا اعتراض علي أمر الله فقد كان ربنا رؤوفاً رحيماً.. فقد أشعرنا الله عزوجل بالصبر وإلا لكان عقلنا ذهب معك..

«ولكني رأيت الله.. عندما رأف بحالنا.

وأنت لم تجزع، ولم تشعر أنك ستفارقنا ولم تشعر أيضا بأي ألم، بل كنت تنام ثم تصحو وتكلمنا.. ثم تغفو وهكذا إلي أن تمت آخر أسبوعين.. نوماً هادئاً وحولك ملائكة الرحمة، ونحن كلنا بجانبك.. ندعو لك، ونقرأ لك القرآن الكريم الذي أعلم وكلي يقين أنه كان يسري في جسدك الحبيب..

«فقد كنت قبل أسبوعين من رحيلك تصحو لتقرأ القرآن، وأنت في سريرك

وتدعو الله وأنـت في سريرك.. وتصلي علي النبي الأمين، وأنت فـي سريرك... وكان النور أيضاً يملأه.

«وعندما دخـلنا عليك وكنت قد فـارقتنا قبـلّنا يديك، وقبلّنا قـدميك، ورددّنا الشهادة لك، وقلنا إنا لله وإنا إليه راجعون... وختمنا لك قراءة القرآن الكريم في نفس يوم رحيلك..

«ووجـدنا وعد الله بعـبده حـقا عندمـا جاء لـنا واحد من دمنهـور ونحن في «هامبورج» ليعطر ملبسك بماء زمزم.. لك الله يا والدي... لك الله..

«فكما أن لك أحباء كثيرين جداً لا عـدد لهم كذلك هناك أقزام حجمهم ضئيل كعددهم يغارون منك حتي وأنت في رحاب ربك.. يحقدون عليك.. ولكنهم يا والدي أقزام وأقليـة نستطيع أن نحصـرهم علي عدد أصابع اليـد.. هؤلاء الأقزام نسوا أن يقدموا كشف حسابهم.. ماذا قدموا لوطنهم كما قدمت.

«ماذا فعلوا للناس كما فعلت؟

«ماذا أعطوا.. حتي يأخذوا؟

«فأنت أعطيت للناس، ولم نأخذ منهم شيئاً..

«بل كافأك الله الأعز والأكرم

«كان نكرانك لذاتك شيئاً له العجب وتقدير العزيز العليم، فوق كل تقدير فقد أعطاك الله الزوجة الوفية الحبيبة التي وقفت إلي جوارك. ومن خلف ظهرك، ومن حولك تؤازرك، وتحميك وتحمي أولادك وتحمي أسـرتك، فكنتما دائماً يداً واحدة وقلبا واحداً، ورأيا واحداً، وقد صرتما شخصا واحداً.

كان الله في عونك يا أمي وكان الله في عوننا جـميعاً.. و.. إلي اللقاء يا أعز من لنا في الوجود..

وتنتهي رسالة هناء وجيه أباظة الثانية...

فى محيط العائلة كان وجيه أباظة أيضا شخصية متميزة وبارزة. . !

ولقد حاولت العائلة ـ وهى توزع نفسها قبل الثورة على الأحزاب السياسية ـ أن تغرس وجيه فى القصر الملكي، وأن تعمل على تعيينه طياراً خاصاً للملك. . وكانت العائلة لا تعرف أنه قد كرس كل حياته للعمل ضد الملك، وأنه عضو بارز فى تنظيم سرى هدفه طرد الملك والقضاء على الفساد.

ويقول الأخ الأكبر ممدوح أباظه والذى كان لصيقاً بشقيقه: إن وجيه أباظه منذ أن شارك فى العمل السري، وهو يتكتم الأمور ولم يعرف بها أحداً. . لقد كان يحس بأن أخيه يقوم بأعمال لا يعرفها، ولكنه لم يتبين ماهيتها، وعندما قامت الثورة علم أنه له شأن فيها عن طريق أحد أصدقائه فقد احتفظ وجيه بالسر ولم يبح به حتى لأقرب الناس إليه على الإطلاق. .

ويقول ممدوح أباظة: « نحن الأخوة كأننا شخص واحد ما عندى هو عندك. . . منتهى الحب والإخلاص.

«كان وجيه يتصل بى يوميا حتى عندما يسافر فرنسا وهذا النموذج لايمكن أن تجده الآن ـ ولو أحسست بشيء كان يحس به... والذى عند وجيه أباظة كان عندى.

«كلنا لذلك. . ولكن أنا. . وهو. . أكثر.

«العلاقة بيننا كانت علاقة يندر وجودها الآن. . حب. . واحترام. . كانت علاقة فريدة بيننا وبين بعضنا، ولا أستطيع أن أصفها، حتى الآن أنا أعرف أنه لم يمت، ولكنه فى بيته. .

كما كان فى حياته العملية عامل تجميع للعناصر المختلفة والمتنافرة التى تختلف فى كل شئ وتلتقى حوله، فقد كان ذلك واضحاً جداً فى محيط العائلة الكبيرة، العائلة الأباظية كلها. .

❑❑❑

ورغم أن وجيه لم يكن أكبر أفراد العائلة سناً، وهى عائلة كما يقول ممدوح أباظة

الكبير تقدس السن، وتعتبر الأكبر بمثابة الأب، فقد كان وجيه الذى لم يكن الأكبر سنا، ولكنه كان الأكبر مهابة، وتقديراً.

يقول الدكتور مصطفى أباظة إنه لم يخشى أحداً فى حياته إلا وجيه أباظه، وكان حتى فى الخلافات الزوجية يخاف أن تلجأ زوجته إليه، ويطلب منها ذلك احتراماً وتقديراً له.

وعندما كان ينهر أحد أبنائه كان الابن يذهب إلى وجيه أباظه وكان الدكتور مصطفى يعمل ألف حساب لأوامر عمه وجيه، فإنها واجبة التنفيذ مهما كانت..

ولقد عرف أولاده عنه ذلك فكانوا يهددونه دائماً باللجوء لعمهم وجيه، ولكنه غالباً كان يحل المشاكل قبل أن تتصاعد وتصل إليه.

ويحتفظ مصطفى أباظة بذكريات كثيرة وطويلة مع وجيه أباظة الإنسان فى مواقف مختلفة تعكس جوانب خافية من حياة الرجل: إنسانيته وحزمه، وأنه كان كبيراً فى كل شئ.. فى حياته، وفى تصرفاته، وفى أقواله، وحتى فى غضبه.. فإنه بتركيبته لم يعرف الحقد أبداً، فقد أحب كل الناس.. كل الغرباء عنه، واعتبرهم جزءاً من أهله، لذلك فقد كان يقدس هذه العائلة الصغيرة، ويتفانى فى إسعادها..

ولو تركنا المساحة للدكتور مصطفى أباظة لملأ صفحات بذكريات طويلة، وغنية، وعطرة عن الرجل الذى أحبه، والذى يقسم بحياته دائماً، كقسم عظيم لا يحنث فيه أبداً، لأنه أحب الرجل، وعاش معه واقترب منه، فوجد فيه الإنسان، والأخ، والأب..

❑❑❑

ومن العائلة أيضا يأتي رثاء كتبه شريف أباظة.. واللواء شريف أباظة كان عضواً بتنظيم الضباط الأحرار، وشارك في الثورة وفي ديوانه «من وحي آمالي» كتب رثاء حاراً لجمال عبد الناصر يقول في مطلعه:

لا أقول الوداع أنت مقيم	إن ذكرى الأبطال عمر يدوم
لم يمت باعث العروبة	والموت عليها مقدر مقسوم

وفي رثاء وجيه أباظة كتب في ديوانه قصيدة طويلة عنوانها «في وداع وجيه أباظة»

القصدة الطويلة نكتفى هنا بنشر أبياتها الأولي والأخيرة التي يقول فيها:

يا وجيه القسمات ووضيءَ البسمات

والذي عاش نقيٌّ القلب عفٌّ النظرات

والذي كان حكيما في اقتحام المعضلات

والذي كان سَخِيٌّ النفس عند الأزمات

كيف بالله تَدَعْنِى مُثْقَلاً بالحسرات

كيف أرثيك؟ أأرثى يا رفيقي ذكرياتي؟

كيف أرثيك؟ أأرثى النبل والصدق والمؤاتي؟

كيف أرثيك؟ أأرثى فيك حُرَّ الخُطُوات؟

كيف أرثيك؟ أأرثى كلَّ شَيءُ في حياتي؟

يا وجيها كنت في الدُنيا مِنْ بعد الوفاة

❑❑❑

وكان لابد وقد اقتربنا بسرعة من أسرته.. أن نلتقي بأكبر أبنائه.. سألت حسين وجيه أباظة، عن وجيه أباظه الأب، واستطعت أن أستخلص من بين دموعه وآلامه، وذكرياته ورؤيته للرجل الذى عاش معه عن قرب فقال: إنه كان يعجب باستمرار من هذا الرجل الذى عمل فدائيا وحارب بالطائرة، وقاد محافظات بأكملها كيف كان .. رغم ذلك كله، مرهف الحس.

يملك هذا القدر الكبير من الحنان

والضعف أمام المواقف الإنسانية..

أشياء كثيرة لم نكن نهتم بها ولكنه كان مدركا لأهميتها وتكتشف أن لها أصولا ينبغى مراعتها..

لقد كنت أحضر إلى هنا - كفر أبو شحاته - وأنا على مقربة من الزقازيق، وأفضل أن أتناول طعامى فى أحد المطاعم بدلا من أن أظل بمفردى فى البيت.

وعندما علم غضب غضبا شديد.

وطلب أن أفتح البيت وأستقبل الناس، والتصق بالفلاحين ،وأعيش معهم..

ومنذ ذلك الوقت، وأنا أمضى أحسن وأمتع أوقاتى بين أهلى فى منيا القمح..وعرفت قيمة نصيحته..

كان وجيه أباظه ممتلئا حبا، وحنانا، وضعفا أمام أولاده وأحفاده وأسرته.. لا يحمل حقداً لأحد، ولا كراهية لإنسان، أذكر مرة أن شخصاً أساء إليه إساءة بالغة، ووجدت هذا الرجل يزورنا، فإذا بأبى يقابله بالترحاب الشديد ويأخذه بالحضن..

كان يحس دائما أنه أكبر من الخصومات والعداوات والكراهية.

وكانت أمّنا أغلى شئ لديه فى الدنيا.

حتى أن زوجاتنا كن يسألننا:

لماذا لا نعاملهن كما يعامل أبونا والدتنا..

○وعندما سألت حسين أباظه عن الوصية التى أوصاهم بها قال: إنه لم يترك لنا وصية، ولكنه غرس فينا أن نحب بلدنا وأن نحب أهلنا، وألا نكره أحدا، حتى الذين يسيئون إلينا..

○وبالمناسبة سألت حسين أباظه رئيس مجلس إدارة شركة بيجو عن تكوين الشركة، خاصة وقد انطلقت كثير من الشائعات فى الفترة الأخيرة حول عدد المساهمين فيها، وأسماؤهم وقال لى حسين أباظه:

- إن الأوراق موجودة، والمساهمات لا تخفى على أحد، ولا يمكن إخفاء أسماء المساهمين، فهذه المسألة ترتبط بإجراءات كثيرة قانونية من المستحيل أن تتم سرا، أو يتم التكتم عليها..

يوم أطلق وجيه أباظه اسم عبد السلام الشاذلى على أكبر شارع أنشأه فى مدينة دمنهور، قال الناس إنه الوفاء.

فقد أحس أن عبد السلام الشاذلى باشا قدم لمحافظة البحيرة الكثير من الأعمال التى يستلزم معها تخليد ذكراه، وحتى لاننسى الذين يعملون ويبذلون الجهد والتضحية فى سبيل بلادهم.

ولم يكن هذا الإجراء تعبيراً مجرداً عن الوفاء بقدر ما كان جزءاً أساسياً من شخصية وجيه أباظه وطبيعته، وأصالته، وتقديره لكل المجتهدين والعاملين لبلادهم.

ولقد بادله أهل البحيرة... نفس الوفاء

وبادله سكان الغربية... الوفاء

وبادله سكان القاهرة... الوفاء.

وكان وداعه الأخير خير شاهد، حيث خرج الجميع ليقولوا له: شكراً... ووداعاً.

❑ ❑ ❑

وبادلته عائلته أيضاً... نفس الوفاء... والإخلاص لما بذله من أجلها ومن أجل بلاده.

وقررت ليس فقط تبنى إصدار الكتب عنه،

ولكن - وهو الأهم - تخصيص جائزة سنوية باسمه..

لتحمل لكل الناس المعانى التى عاش فى ظلها وجيه أباظه..

والذى عمل طوال حياته على تأكيدها..



كان آخر لقاء بين الرئيس حسنى مبارك ووجيه أباظه قبل وفاته بعشر سنوات

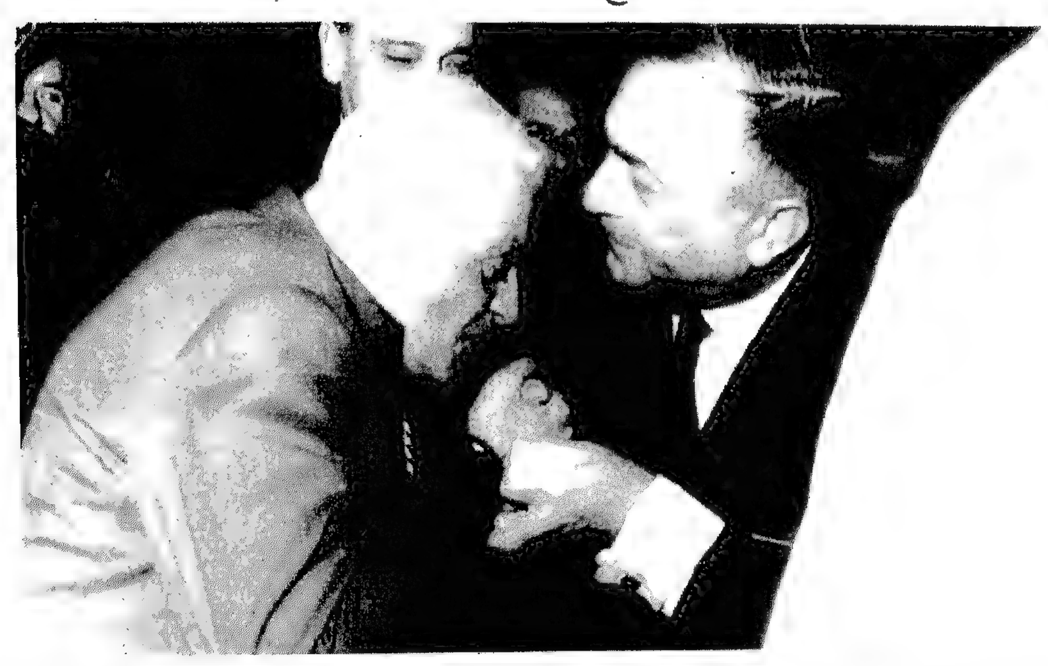


ما احلى وما اعظم ان تكون الخطوة واحدة
واليد في اليد والقلب على القلب في معركة
الحياة .. حياتنا كلها تتمثل في هذه الصورة

مع شريكة رحلة العمر وكلمات منه إليها



الاسرة . . مع وجيه أباظه محافظ البحيرة



رفض وجيه اباظة تقبيل يد الملك في احدي الاحتفالات العسكريه قبل الثورة وفي هذه الصورة يحاول تقبيل يد عمه الاكبر فكري اباظة

مع الفنان رشدى أباظه



وجيه أباظة مع فريد شوقى



عبداللطيف البغدادي وجيه اباظة محمود ابو وافيه



مع منصور حسن

مع فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى



عبد اللطيف البغدادي وجيه اباظة محمود ابو وافيه وحسن اباظة

محمد نجيب وجيه أباظة



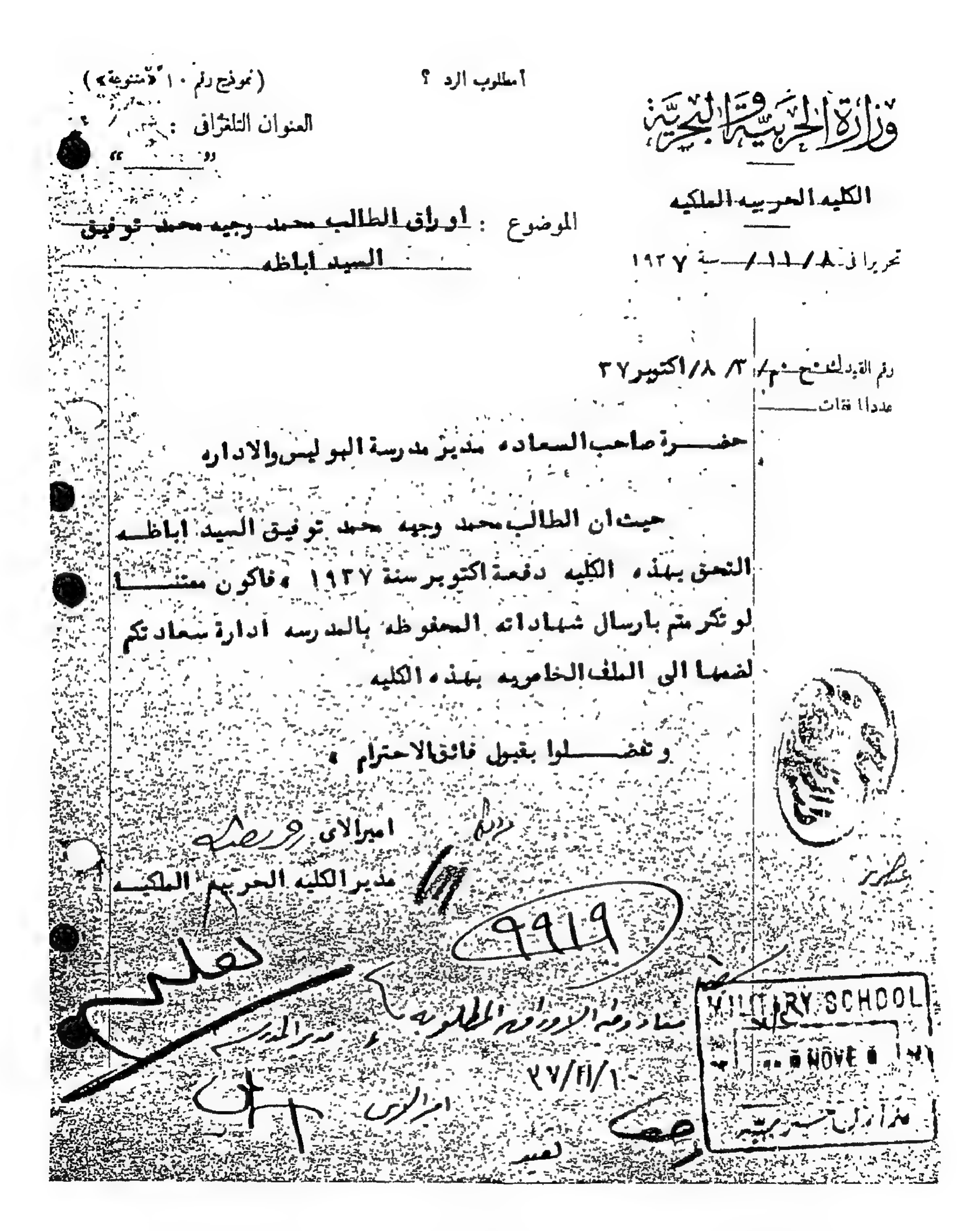
في زيارة للسودان في بداية الثورة



وجيه اباظة مع شقيقة الاكبر ممدوح اباظة والفنان احمد مهدي اباظة



وجيه أباظه وزوجته في مستشفى المعادى أثناء فترة الاعتقال بعد ٧١



أمطلوب الرد ؟ (نموذج رقم ١٠ «متنوعة»)

وزارة الحربية والبحرية

الكليه الحربيه الملكيه

العنوان التلغرافى :

الموضوع : أوراق الطالب محمد وجيه محمد توفيق السيد اباظه

تحريرا فى ٨ / ١١ / سنة ١٩٣٧

رقم القيد ٨/ ٣/ ٨/ اكتوبر ٣٧

عدد المرفقات

حضـــرة صاحب السعاده مدير مدرسة البوليس والاداره

حيث ان الطالب محمد وجيه محمد توفيق السيد اباظـه التحق بهذه الكليه دفعة اكتوبر سنة ١٩٣٧ ، فاكون ممتنـــا لو تكرمتم بارسال شهاداته المحفوظه بالمدرسه ادارة سعادتكم لضمها الى الملف الخاص به بهذه الكليه

وتفضـــلوا بقبول فائق الاحترام ،

اميرالاى

مدير الكليه الحربيه الملكيـه

٩٩١٩

MILITARY SCHOOL

NOV

٢٧/١١/١٠

التحق أولاً بكلية البوليس ، ثم درس الطيران ، وكان هذا التحول فى حياته لصالح الحركة الوطنية المصرية

٢١٦

سلاح الطيران الملكى المصرى

بيان خدمة مدة ضابط مدة ستة شهور من ١٩٢٩/١/١ الى ١٩٢٩/٦/٢٠

رتبة	اسم	المحطة او الجهة التى خدم بها الضابط ولم يزل خادما بها	المدة: من	المدة: الى	ملاحظات
طيار ثانى	[illegible]	الماظة	١٩٢٩/١/١٥	١٩٢٩/٦/٢٠	
	[illegible]				
				طيار ثانى	
				[illegible]	

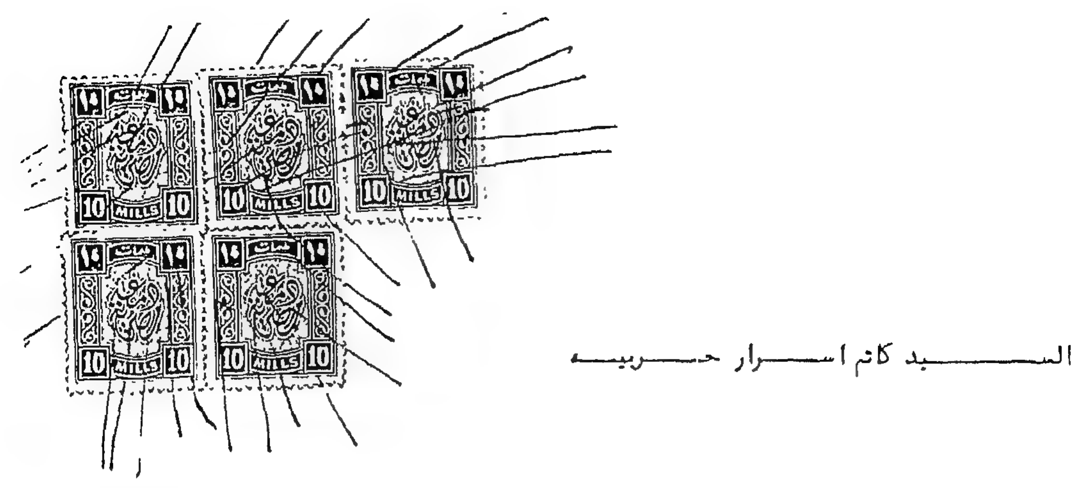
قائد سرب [illegible]

قائد محطة الماظة الجوية

المحطة الماظة

التاريخ ١٩٢٩/١/٧

التحق بمحطة الماظة الجوية بعد تخرجه من كلية الطيران



السيد كاتم اسرار حربيه

بعد التحيه بالاشاره الى خطابكم المرسل بتاريخ ١٠/١٠/١٩٥٤ تحت رقم ك ١٠/ ٣١٦١/٣/ م الخاص بطلب تسوية معاشى و يبين فيه الخزينه التى تحول اليها المعاش

أتشرف بالافاده بأنى أرغب تحويل معاشى على بنك مصر الفرع الرئيسى (حساب جارى رقم ٤٥٧٨٦)

و تفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

(محمد وجيه محمد توفيق السيد أباظه)

تحريرا فى ١٤/١٠/١٩٥٤

بعد الثورة طلب احالته إلى المعاش من سلاح الطيران ليواصل عطاءه بعيداً عن الوظيفة الحكومية



كاريكاتير للرسام الراحل رخا ، نشر عام ١٩٥٣ ، يقول إن تنظيم الضباط الاحرار ولد عام ١٩٤٠ ، بالتنظيم الذى أسسه عبد اللطيف البغدادى ووجيه أباظه فى الطيران .

عدد
١٧ سبعة عشر وزن ٢٥٠ رطل

استلمت العدد الموضح عاليه من حضرة
الاستاذ عبد الحميد ابو صادق.

شاكر [illegible]

١٩٤٨/٥/٢٨

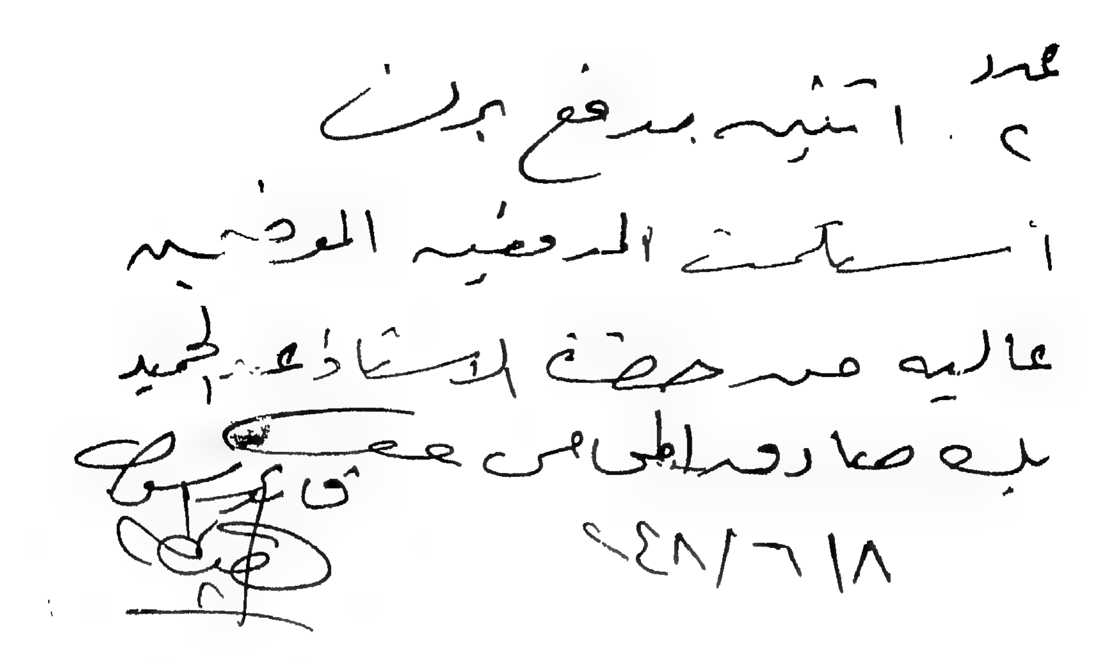
كان وجيه أباظه يسرق السلاح من المعسكرات البريطانيه ليمد به الجيش المصرى الذى يحارب فى فلسطين سنه ١٩٤٨، وهذه صورة ايصال بتسلمه دفعه من السلاح المسروق من عبد الحميد صادق المحامى

عدد
١٢ قنبلة ٥٠٠ رطل

استلمت العدد الموضح عاليه وقدره
اثنى عشر وزنه خمسمائة رطل من حضرة
الاستاذ عبد الحميد ابو صادق المحامى

[illegible]

١٩٤٨/٥/٢٩



محمد
٢ . استنيه بمدفع برن
أستلمت أسلحة المدفعية المقدمة
عاليه من حضرة الأستاذ عبد الحميد
بك صادق المحامى من [illegible]
١٨/٦/١٩٤٨

استمر فى سرقة السلاح البريطانية فى منطقة القنال وإمداد الجيش المصرى بها . . وهذه صورة أخرى لايصال بتسليم كمية من السلاح من الاستاذ عبد الحميد صادق المحامى

١٤ اربعة [illegible]
[illegible]
استلمت من الأستاذ عبد الحميد [illegible]
[illegible]
[illegible]
٢١/٠٥/١٩٤٩

شخصي

العدد

٢٠٤٦ الثلاث ستة وأربعون قطعة هسبانو داخلي واحد وثلاثين

مسروقة .

استلمت القذائف المبينة أعلاه من الأستاذ عبد الحميد صادق [illegible]

٢٦/٦/١٩٤٨

[illegible]

أيصالات أستلام الأسلحة المسروقه .

[illegible]

ايصالات

استلمت انا الموقع أدناه من الأستاذ عبد الحميد صادق الخامس أربعة عشر بندقية [illegible] جديدة وهي جميعا ماركة ح بالأرقام الآتية : [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وأتعهد بالمحافظة عليها وتسليمها وقت الطلب

[illegible]

قائد [illegible]

١٤٥٦/٢/٢٤.

نقابة الصحفيين
جمهورية مصر العربية
٤ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفونات ٤٦٠١٢/٤٦٠١٣
٤٦٠١٤/٤٦٠١٥

المرفقات (   )

رقم القيد :   /   /

القاهرة فى ٢٨ / ٩ / ١٩٧٢

شهـــــــادة

تشهد نقابة الصحفيين بان الاستاذ / محمد وجيه توفيق اباظة مقيد الآن بجدول غير المشتغلين وان اشتراكاته مسددة حتى تاريخ اعادة قيد اسمه بجدول غير المشتغلين يوم ١٧/ ٩/ ١٩٧٠ طبقا للقانون رقم ٧٦ لسنة ١٩٧٠ وليست عليه اية اشتراكات متأخرة • وهذه شهادة من النقابة •

سكرتير عام نقابة الصحفيين

صلاح جلال

صلاح جلال

س/ م

كان عضواً بنقابة الصحفيين .

(نموذج رقم ١ «مطبوعات»)

وزارة الارشاد القومي

اخطار عن اصدار جريدة مقدم { المحافظة / المديرية } القاهرة

اسم ولقب صاحب الجريدة: وجيه اباظة — جنسيته: مصري

العمل الذي يزاوله: [illegible] — المؤهلات الدراسية الحاصل عليها: كلية الطيران

محل اقامته: ١٣ شارع عدلي بالقاهرة — القسم التابع له

اسم ولقب رئيس التحرير المسئول: [illegible] — جنسيته: مصري

او المحررين المسئولين(١) — جنسيتهم

سنه والعمل الذي يزاوله: عضو نقابة الصحفيين

محل الاقامة: [illegible] — القسم التابع له: [illegible]

سنه او سنهم لغاية تاريخ الاخطار(٢): ٢٩ سنة

اسم ولقب ناشر الجريدة: وجيه اباظة — جنسيته: مصري

محل اقامته: ١٣ شارع عدلي بالقاهرة — القسم التابع له

اسم الجريدة المراد اصدارها: الشعب — اللغة التي ستنشر بها: العربية

طريقة اصدارها: [illegible] — نوع الموضوعات التي ستنشرها: [illegible]

عنوان الجريدة (مقر ادارتها): ١٣ شارع عدلي بالقاهرة

هل للجريدة مطبعة خاصة؟ لا — ما اسمها وعنوانها؟

اذا لم يكن لها مطبعة خاصة فما اسم المطبعة التي تطبع فيها؟ [illegible]

وما عنوانها؟ [illegible] — واسم صاحبها [illegible]

تتعهد باخطار المحافظة أو المديرية كتابة عن كل تغيير يطرأ على البيانات الموضحة أعلاه طبقا للمادة [illegible] من القانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ الخاص بالمطبوعات، كما تتعهد بتقديم ست نسخ من كل عدد يصدر من الجريدة بمجرد صدوره موقعا عليها من رئيس التحرير المسئول لادارة المطبوعات (٣) طبقا للمادة ٢٠ من القانون — وان تقدم كذلك أربع نسخ من كل عدد الى المحافظة أو المديرية التي يقع الاصدار في دائرتها طبقا للمادة ٥ من القانون ..

توقيع رئيس التحرير المسئول او المحررين المسئولين — توقيع صاحب الجريدة — توقيع الناشر

تحريرا في ١٩٥

ملاحظة — يكتب هذا الاخطار من صورتين وتقدم الصورتان الى المحافظة أو المديرية التي يقع الاصدار في دائرتها ويدفع التأمين إما نقدا في خزينة المحافظة أو المديرية أو تقدم ضمانة من أحد البنوك المعتمدة (٤) ويجب أن يؤرخ الاخطار في يوم تقديمه واذا لم يصدر العدد الأول من الجريدة أو المجلة في خلال الثلاثة الأشهر التالية [illegible] هذا الاخطار يعتبر كأنه لم يكن وفقا لأحكام الفقرة الأولى من المادة ١٨ من قانون المطبوعات .

(١) اذا كان للجريدة أكثر من محرر مسئول واحد ليبين أسماء المحررين المسئولين والقسم الذي يشرف عليه [illegible]

(٢) يقدم مع الاخطار شهادة تحقيق شخصية وتذكرة سوابق لرئيس التحرير أو المحررين المسئولين ولصاحب [illegible]

(٣) الجرائد التي تصدر في دائرة محافظة مصر هي التي تقدم ست نسخ من كل عدد يصدر منها الى ادارة المطبوعات [illegible] محافظة مصر [illegible]. أما الجرائد التي تصدر في باقي المحافظات وفي جميع المديريات فتسلم عشرة نسخ من كل عدد يصدر منها الى المحافظة أو المديرية [illegible] بمقتضى المادة ٢٠ من القانون [illegible] بمقتضى المادة ٥)

ترخيص جريدة الشعب باسم وجيه اباظة

السيد المحافظ وجيه أباظة

تحية طيبة وبعد

لعلك لاحظت أنني سافرت إلى جنيف قبل أن أحظى بلقائكم لأقدم طلب التطوع فأنال شرف المشاركة في معركة الصمود التي تزود بها فلسطين العزيزة عن ضالتها لأهلها وتسحق الصهيونية الآثمة. ولعلى أن عدد المتطوعين يتضاعف كل يوم ولا يوجد لي مكانا بين المتدربين عسكريا، لذلك بادرت بإرسال هذا الطلب راجيا أن تضموني إلى التدريب عسكريا بمجرد عودتي من هذا الأسبوع.

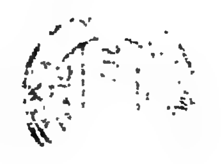
ويعنيني في هذا المقام أن أخبركم بمقدار زهو العرب وفخرهم هنا في أوربا بالإعجاب والتقدير من كل من في أوربا بموقف الجمهورية العربية بقيادة رئيسنا العظيم لدرجة أن الناس جميعا في كل بلد لا حديث لهم إلا أخبارنا في الصحف سواء من مصر ورئيسنا جمال عبد الناصر ومواقفه البطولية حتى أولئك الذين ليسوا معنا لم يستطيعوا أن ينكروا الحق.

أسأل الله من كل قلبي أن يحفظ رئيسنا ويسدد خطاه بالنصر والتوفيق حتى تنال أمتنا العربية كل ما تصبو إليه من عزة وكرامة وحرية.

وختاما أرجو أن ينال طلبي هذا موافقتكم وإلى أن نلتقي

تقبل سيادتكم فائق احترامي

محمد حامد محمود



خطاب من حامد محمود إلى وجيه إباظة .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس

تحية واحتراما واجلالا

يسرني وقد وفيت بوعدي لكم بتصنيع عربة بيجو في مصر
ان اهدي سيادتكم باكورة انتاج المرحلة الاولى - مرحلة التجميع -
محليا بنسبة ٤٠٪ صناعات محلية - وارجو الله مخلصاً
ان نستقدم بخطوة ثابتة واثقة نحو التصنيع الكامل للسيارات
في بلادنا وهو ما تهدف الله اليه ونهدف اليه معك وذلك
لفضل وثوقكم دائما خلف الاعمال الطاهرة النقية تدفعونها
بكلمة وقوة واصرار وعزم الى الامام والى النجاح لصالح بلادنا
ايدكم الله دائما بروح من عنده وسدد على طريق الخير
خطاكم
ولكم منى الدوام - سيادة الرئيس - خالص الحب
والاعزاز والتقدير والاحترام

وجيه اباظة

كانت أمنيته أن يصنع السيارة فى مصر ، وقد تحقق له هذا الأمل قبل وفاته ، وأهدى أول سيارة « بيجو »
صنعت فى للرئيس حسنى مبارك . . وكان آخر لقاء أو اتصال بينهما قد تم قبل ذلك بأكثر من عشر سنوات

فهـرس

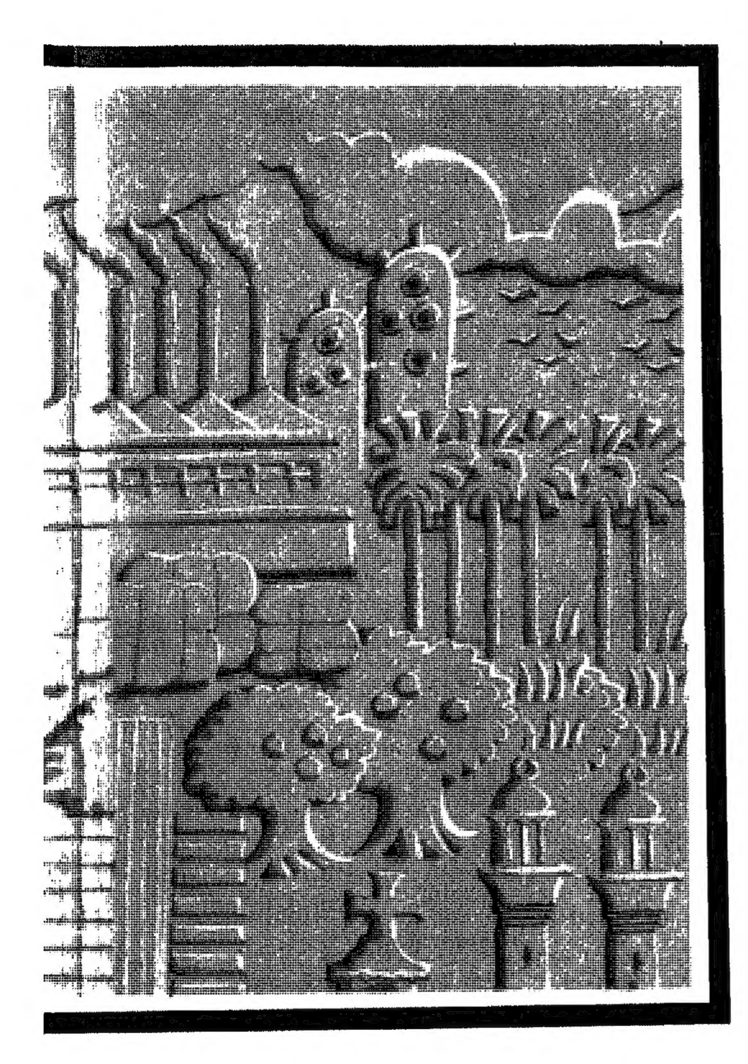
عربية للطباعة والنشر

٧ ، ١٠ شارع السلام ـ أرض "اللواء" المهندسين

تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

وجيه أباظة

صفحات من النضال الوطني



لوحة الغلاف : مصطفي حسين

تصميم الغلاف : محمد الصباغ

هذا الكتاب يتضمن صفحات من تاريخ النضال الوطني الذي قاده وجيه أباظة منذ كان طالباً في المدرسة الثانوية ويكشف العديد من أسرار ثورة يوليو، التي كان له دور بارز فيها، فقد شارك في كل المعارك التي خاضتها؛ إذ تولي مسئولية تدعيمها بالطيران فور قيامها، وتحمل عبء إعلامها فأنشأ صحافتها وأنتج الأفلام عنها .

ويتناول الكتاب فصولاً عن معارك الثورة ومشروعاتها التي أسهم فيها وكانت قضية مايو ١٩٧١ التي دخل بسببها السجن هي اخر فصول رحلة المناضل الوطني الثائر وجيه أباظة ومن خلال هذه الحياة الحافلة يتعرض الكتاب لصفحات من تاريخ مصر منذ ١٩١٧ حتي عام ١٩٧٠ .

عبدالله إمام